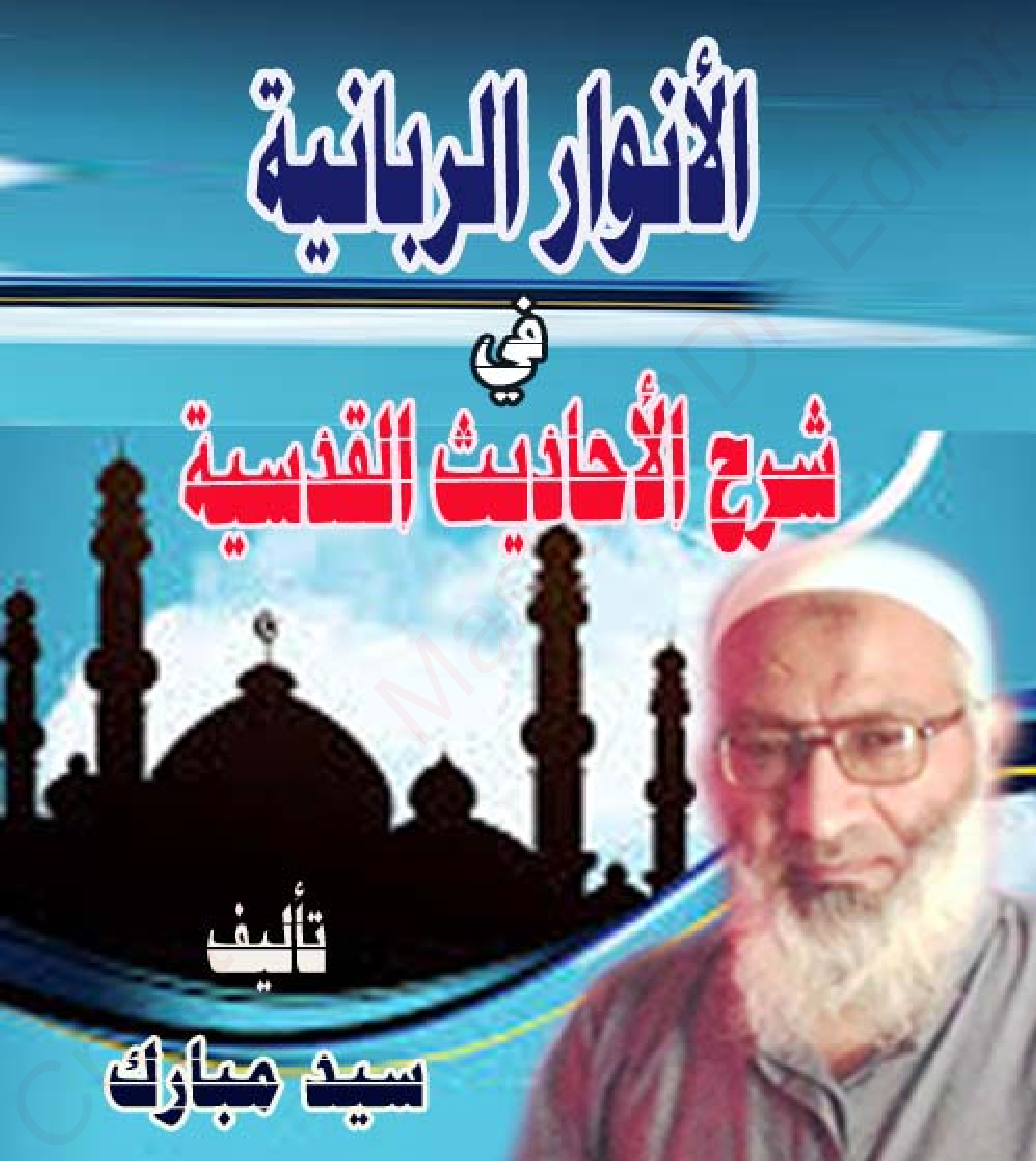

الأنوار الربانية
في
شرح الأحاديث القدسية
تأليف
سيد مبارك

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئا ت أعمالنا ' من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد لأن محمد عبده ورسوله r .
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)(آل عمران-١٠٢)
(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تتساءلون بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء- ١)
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحِ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَه فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)(الأحزاب/٧٢)

ثم أما بعد .. جمع الأحاديث القدسية الصحيحة الثابتة عن رسول الله r وتبويبها بطريقة علمية تيسر على القارئ الكريم إستيعابها مع تخريج وتحقيق الأحاديث من مصادرها الأصلية مهمة ثقيلة ولكنني لم اتردد عندما وجدت إن بعض العامة بحسن نية وجهل بخطورة ما يفعلونه يسارعون بتصوير ونسخ وتوزيع بعضًا من هذه الأحاديث القدسية التي تروي عن الله تعالي بلا إسناد أو تحقيق وهي إما موضوعة أو ضعيفة فعزمت النية على المضي قدماً في جمع مادة هذا الكتاب.

من الأحاديث الصحيحة الثابته عن النبي **r** مع شرحها شرحاً مبسطاً ومختصراً لعلمائنا الثقات من أهل السنة والجماعة .

هذا وقد وجدت إن في بعض شروح الأحاديث لعلمائنا تأويل لبعض الصفات الآلهية التي تخالف عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات من غير تحريف أو تمثيل أو تعطيل أو تكييف فأن لم يوضح الشارح الصواب ويبين فساد هذا التأويل وجدت من الضروري تنبية القارئ إلي عدم صحة هذا التأويل للصفة ووضحت الصواب من كلام علمائنا الثقات سلفاً وخلفاً ولله الحمد والمنة

هذا وقد جعلت منهجي في هذا الكتاب يقوم علي تقسيمه إلى أبواب وتحت كل باب ما جاء من أحاديث قدسية صحيحة تخص موضوع الباب مع تخريجها وتحقيقها ليسهل على طالب العلم الوصول إليها من مراجعها الأصلية وبدأت أحاديث الباب بذكر طرف الحديث وجزءٍ منه تيسيراً على القارئ للوصول إليه.

هذا وقد اكتفي بذكر رواية واحدة للحديث إن كانت الروايات الأخرى لا تختلف عنها كثيراً لعدم تشتيت القارئ مع تخريج الروايات كلها، أما لو وجدت اختلاف أو زيادة في الروايات للحديث الواحد فإني أذكرها من باب الأمانة العلمية وليكون القاري علي إلمام بالروايات المختلفة.

وزيادة في الفائدة جعلت في نهاية كل باب فصل خاص سميته **(الفوائد الجليلة المستخلصة من أحاديث الباب)** جمعت فيها من أقوال علمائنا الثقات ومؤلفاتهم الكثير مما تدور عليه أحاديث الباب وقد أطيل في بعض الفوائد في البيان والتوضيح لوجود مغالطات وشبهات وأقوال فاسدة تحتاج لكشف الغمة وإزالة الالتباس ليكون القاري علي بصيرة من أمر دينه ودنياه .

مثال ذلك ما قيل عن احاديث الشفاعة و التشكيك فيها أو أنكار بعضها، أوفي التحجج بالقدر عند أرتكاب المعاصي ونحو ذلك ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة .

وأخيراً قبل شروع القارئ الكريم في قراءة أبواب هذا الكتاب أحب أن ابين له مالمقصود بالحديث القدسي ؟..

اعلم أخي القارئ إن الحديث القدسي ماقاله النبي **r** مع أسناده له عن ربه وهي من كلامه تعالى لأنه المتكلم بها أولاً ، وقد يضاف إلى النبي **r** لأنه المخبر بها عن الله تعالى بخلاف القرآن فإنه لا يضاف إلا له جل شأنه فيقال فيه : قال الله تعالى – أو قال رسول الله فيما يرويه عن ربه أو نحو ذلك ،

والفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم من وجوه وهذه بعضها ذكرها الأمير حميد الدين في فوائده :

- الوجه الأول: أن القرآن معجز والحديث القدسي ليس معجزاً .
- والثاني : إن الصلاة لا تكون إلا بالقرآن بخلاف الحديث القدسي
- والثالث : إن جاحد القرآن يكفر بخلاف جاحد الحديث القدسي فلا يكفر
- والرابع : إن القرآن لابد فيه من كون جبريل واسطة بين النبي وبين الله تعالى بخلاف الحديث القدسي
- والخامس : أن القرآن يجب أن يكون لفظه من الله تعالى بخلاف الحديث القدسي فيجوز أن يكون اللفظ عن النبي **r**
- السادس: أن القرآن لا يمس إلا بالطهارة والحديث القدسي يجوز مسه من المحدث . أ **á**

وأسأل الله تعالي أن يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ولا يجعل للشيطان فيه حظا ولا نصيبا والحمد لله رب العالمين .

وكتبه/ سيد مبارك (أبو بلال

الباب الأول

ما جاء في العقيدة والتوحيد

الحديث الأول : (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...) [1]

* أخرجه البخاري في الجمعة- باب قوله تعالي " وتجعلون رزقكم إنكم تكذبون"

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله تعالي عنه أنه قال(صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة

١- أخرجه البخاري في الجمعة (١٠٣٨) ، ومسلم في الإيمان (٧١) ، والنسائي في الاستسقاء (١٥٢٥) ، وأبو داود في الطب (٣٩٠٦) ومالك في النداء للصلاة (٤٥١) ، وأحمد في مسند الشاميين (١٦٦١٣) .

فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب) وأخرجه مسلم والنسائي وأبي داوود وأحمد ومالك بألفاظ لا تختلف عن رواية البخاري مما يغنينا عن ذكرها

***الشرح والبيان :**

- قَالَ الإِمَامُ ابن حجر في فتح الباري:

قوله: (أصبح من عبادي) هذه إضافة عموم بدليل التقسيم إلى مؤمن وكافر بخلاف مثل قوله تعالى (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) فإنها إضافة تشريف.

قوله: (مؤمن بي وكافر) يحتمل أن يكون المراد بالكفر هنا كُفر الشرك بقرينة مقابلته بالإيمان، ويحتمل أن يكون المراد به كُفر النعمة.اهـ

وأما معنى الحديث فاختلف العلماء في كفر من قال : (مطرنا بنوء كذا) على قولين : أحدهما : هو كفر بالله سبحانه وتعالى سالب لأصل الإيمان مخرج من ملة الإسلام .

قالوا : وهذا فيمن قال ذلك معتقدا أن الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر ، كما كان بعض أهل الجاهلية يزعم ، ومن اعتقد هذا فلا شك في كفره . وهذا القول هو الذي ذهب إليه جماهير العلماء، قالوا :

وعلى هذا لو قال : مطرنا بنوء كذا معتقدا أنه من الله تعالى وبرحمته ، وأن النوء ميقات له وعلامة اعتبارا بالعادة فكأنه قال : مطرنا في وقت كذا ، فهذا لا يكفر . واختلفوا في كراهته والأظهر كراهته لكنها كراهة تنزيه لا إثم فيها . وسبب الكراهة أنها كلمة مترددة بين الكفر وغيره ، فيساء الظن بصاحبها ، ولأنها شعار الجاهلية ، ومن سلك مسلكهم .

والقول الثاني في أصل تأويل الحديث : أن المراد كفر نعمة الله تعالى لاقتصاره على إضافة الغيث إلى الكوكب ، وهذا فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب . أنزل وأما (النوء) ففيه كلام طويل قد لخصه الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله ، فقال : النوء في أصله ليس هو نفس الكوكب فإنه مصدر ناء النجم ينوء نوءا أي سقط ، وغاب . وقيل : أي نهض وطلع .

وبيان ذلك أن ثمانية وعشرين نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين . يسقط في كل ثلاث عشرة ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته . وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما . وقال الأصمعي : إلى الطالع منهما . والله أعلم ا **á**

- وقَالَ الشافعي المتوفي سنة ٢٠٤هـ- رحمه الله تعالي - في " الأم ": من قَالَ

مطرنا بنوء كذا وكذا على مَا كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه مطر نوء كذا فذلك كفر، كما قَالَ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، لأن النوء وقت، والوقت مخلوقٌ لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا، ومن قَالَ مطرنا بنوء كذا على معنى مطرنا في وقت كذا فلا يكون كفرا.ا **á**

****الحديث الثاني:(يؤذيني ابن آدم يسب الدهر...)**[١]

*أخرجه البخاري في التفسير- باب" وما يهلكنا إلا الدهر" -الآية-

---

١- أخرجه البخاري في التفسير (٤٨٢٦) ، ومسلم في الألفاظ من الأدب (٢٢٤٦) ، وأبو داود في الآداب (٥٢٧٤) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٧٢٠٤) ، ومالك في الجامع (١٨٤٦) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار)

*وأخرجه مسلم في الألفاظ من الأدب- باب- النهي عن سب الدهر بلفظ:

(قال الله عز وجل يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار)

ورواية أخري لمسلم بلفظ (قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره فإذا شئت قبضتهما)

****الشرح والبيان:**

قال النووي في شرح الحديث مامختصره:

" فإن الله هو الدهر ، قال العلماء : وهو مجاز ، وسببه أن العرب كان شأنها أن تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك ، فيقولون :

يا خيبة الدهر ، ونحو هذا من ألفاظ سب الدهر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر " أي لا تسبوا فاعل النوازل ، فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى ؛ لأنه هو فاعلها ومنزلها . وأما الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له ، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى . ومعنى " فإن الله هو الدهر " أي فاعل النوازل والحوادث ، وخالق الكائنات . والله أعلم .اهـ

*وفي شرح المنتقي لموطأ مالك قال :-

قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل أحدكم يا خيبة الدهر يريد - والله أعلم - خيبتي من حاجتي التي طلبتها فنسب الخيبة إلى الدهر وتظلم منه فنهوا عن ذلك ؛ لأن المانع هو الله سبحانه يريد - والله أعلم - لأن الذي يمنع من ذلك هو الله

تعالى فإذا تظلمتم من المانع فإنما يقع تظلمكم من الله عز وجل لأنه هو المانع وذلك أن العرب كانت تضيف إلى الدهر ما يصيبه.
قال تبارك وتعالى (ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) فأكذبهم الله عز وجل بقوله (وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) .
وقد روى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى(يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار) فقوله تعالى وأنا الدهر لم يرد بذلك أنه هو الدهر ولا أن الدهر اسم من أسمائه ولكن العرب تستعمل ذلك وكذلك أنها إذا تظلمت لزيد جاز لعمرو أن يقول :
أنا زيد الذي تظلمت منه بمعنى أنه بي يصل إلى ذلك وأن الفعل وقع مني لا من زيد فيصف نفسه بزيد على هذا المعنى ، والله أعلم وأحكم اهـ
- وقَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير (مُختَصَرَاً):
قَالَ الله تعالى: (يؤذيني ابن آدم) أي يقول في حقي مَا أكرهه، والمراد يخاطبني بما يؤذي من يمكن في حقه التأذي.
وقَالَ القاضي: من عادة الناس إسناد الحوادث والنوازل إلى الأيام والأعوام وسَبِها، لا من حيث إنها أيام وأعوام، بل من حيث إنها أسباب تلك النوائب ومُوَصِلتها إليهم على زعمهم، فهم في الحقيقة ذَمُّوا فاعلها وعبَّروا عنه بالدَّهْر في سبهم، وهو بمعنى قوله (أنا الدَّهْر) لا أن حقيقته حقيقة الدَّهْر.
ولإزاحة هذا الوهم الزائغ أردفه بقوله: (أقلّب الليل والنهار) فإنَّ مُقَلِب الشيء ومُغَيره لا يكون نفسه، وقيل فيه إضمارٌ والتقدير: وأنا مقلب الدَّهْر والمتصرف فيه، والمعنى: أن الزمان يُذْعِن لأمري، لا اختيار له، فمن ذمَه على مَا يظهر فيه صادراً عنِي فقد ذَمَّنِي، فأنا الضارُ والنافع، والدَّهْر ظرفٌ لا أثرَ له.اهـ
*ونذكر هنا شرح العلامة ابن العثيمين – رحمه الله تعالي عن رداً عن سؤال في مجموع الفتاوى لفضيلته برقم (٧٤):

(سئل الشيخ رحمه الله تعالي: عن قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: قال الله تعالى: (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار) ؟

فأجاب قائلاً : قوله في الحديث المشار إليه في السؤال: " **يؤذيني ابن آدم**" أي إنه سبحانه يتأذى بما ذكر في الحديث، لكن ليست الأذية التي أثبتها الله لنفسه كأذية المخلوق، بدليل قوله تعالى :**(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)** الشوري /١١ - فقدم نفي المماثلة على الإثبات، لأجل أن يرد الإثبات على قلب خال من توهم المماثلة، ويكون الإثبات حينئذ على الوجه اللائق به تعالى، وأنه لا يماثل في صفاته، كما لا يماثل في ذاته، وكل ما وصف الله به نفسه ليس فيه احتمال للتمثيل، إذ لو أجزت احتمال التمثيل في كلامه سبحانه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم في صفات الله، لأجزت احتمال الكفر في كلام الله سبحانه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم لأن تمثيل صفات الله تعالى بصفات المخلوقين كفر لأنه تكذيب لقوله تعالى: **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)**الشوري/١١

وقوله : أنا الدهر أي مدبر الدهر ومصرفه. كما قال الله تعالى : **(وتلك الأيام نداولها بين الناس)**ال عمران/١٤٠ .

كما قال في هذا الحديث: " أقلب الليل والنهار" والليل والنهار هما الدهر.

ولا يقال : بأن الله نفسه هو الدهر، ومن قال ذلك فقد جعل المخلوق خالقاً، والمقلَّب مقلِّباً.

فإن قيل : أليس المجاز ممنوعاً في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وفي اللغة؟

أجيب : بلى، ولكن الكلمة حقيقة في معناها الذي دل عليه السياق والقرائن، وهنا في الكلام محذوف تقديره " وأنا مقلب الدهر " لأنه فسره بقوله : " **أقلب الليل والنهار**" ولأن العقل لا يمكن أن يجعل الخالق الفاعل هو المخلوق المفعول.ا **á**

****الحديث الثالث: (إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة...)**[١]

- أخرجه الترمذي قي الايمان- باب ماجاء فيمن يموت وهو يشهد لا إله إلاالله.
عن العاص رضي الله تعالي عنه قال:(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء)
*وأخرجه ابن ماجة في الزهد- باب ما يرجي من رحمة الله يوم القيامة.
عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالي عنه قال:(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رءوس الخلائق فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول الله عز وجل هل تنكر من هذا شيئا فيقول لا يا رب فيقول أظلمتك كتبتي الحافظون ثم يقول ألك عن ذلك حسنة

[١]- أخرجه الترمذي في الإيمان (٢٦٣٩) ، وابن ماجه في الزهد (٤٣٠٠) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٦٩٥٥) وصححه الألباني في صحي الجامع (١٧٧٩) .

فيهاب الرجل فيقول لا فيقول بلى إن لك عندنا حسنات وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة قال محمد بن يحيى البطاقة الرقعة وأهل مصر يقولون للرقعة بطاقة)

***الشرح والبيان:**

قَالَ المباركفوري في تحفة الأحوذي في شرح الترمذي مختصرا:-

قوله : (إن الله سيخلص) بتشديد اللام أي يميز ويحتار (رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة) وفي رواية ابن ماجة : يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رءوس الخلائق (فينشر) بضم الشين المعجمة أي فيفتح (تسعة وتسعين سجلا) بكسرتين فتشديد أي كتابا كبيرا (كل سجل مثل مد البصر) أي كل كتاب منها طوله وعرضه مقدار ما يمتد إليه بصر الإنسان (ثم يقول) أي الله سبحانه وتعالى (أتنكر من هذا) أي المكتوب (أظلمك كتبتي) فتحات جمع كاتب والمراد الكرام الكاتبون (الحافظون) أي لأعمال بني آدم (فيقول أفلك عذر) أي فيما فعلته من كونه سهوا أو خطأ أو جهلا ونحو ذلك (فيقول بلى) أي لك عندنا ما يقوم مقام عذرك.

(إن لك عندنا حسنة) أي واحدة عظيمة مقبولة . وفي رواية ابن ماجه : ثم يقول ألك عن ذلك حسنة فيهاب الرجل فيقول لا . فبقول بلى إن لك عندنا حسنات (فيخرج) بصيغة المجهول المذكر ، وفي رواية ابن ماجه فتخرج له (بطاقة) (فيقول يا رب ما هذه البطاقة) أي الواحدة (مع هذه السجلات) أي الكثيرة وما قدرها بجنبها ومقابلتها

(فقال فإنك لا تظلم) أي لا يقع عليك الظلم لكن لا بد من اعتبار الوزن كي يظهر أن لا ظلم عليك فاحضر الوزن .

قيل وجه مطابقة هذا جوابا لقوله ما هذه البطاقة ؟ أن اسم الإشارة للتحقير كأنه أنكر أن يكون مع هذه البطاقة المحقرة موازنة لتلك السجلات ، فرد بقوله إنك لا تظلم بحقيرة ، أي لا تحقر هذه فإنها عظيمة عنده سبحانه إذ لا يثقل مع اسم الله شيء ولو ثقل عليه شيء لظلمت

(قال فتوضع السجلات في كفة) بكسر فتشديد أي فردة من زوجي الميزان ، ففي القاموس الكفة بالكسر من الميزان معروف ويفتح (والبطاقة) أي وتوضع (في كفة) أي في أخرى (فطاشت السجلات) أي خفت (وثقلت البطاقة) أي رجحت والتعبير بالمضي لتحقق وقوعه

(ولا يثقل) أي ولا يرجح ولا يغلب (مع اسم الله شيء) والمعنى لا يقاومه شيء من المعاصي بل يترجح ذكر الله تعالى على جمع المعاصي . فإن قيل : الأعمال أعراض لا يمكن وزنها وإنما توزن الأجسام ، أجيب بأنه يوزن السجل الذي كتب فيه الأعمال ويختلف باختلاف الأحوال أو أن الله يجسم الأفعال والأقوال فتوزن فتثقل الطاعات وتطيش السيئات لثقل العبادة على النفس وخفة المعصية عليها ولذا ورد : حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

وفي شرح السندي لحديث ابن ماجه قال :

قوله (يصاح) أي ينادي (سجلا) بالكسر والتشديد هو الكتاب الكبير (فيهاب الرجل) أي يوقع في هيبة (فيقول) من كمال الهيبة (لا) أي ليس حسنة (حسنات) كأن الجمع باعتبار الحسنة بعشر أمثالها (بطاقة) أي رقعة صغيرة والباء زائدة وهي كلمة كثيرة الاستعمال بمصر

(أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) صلى الله عليه وسلم قال السيوطي قال الحكيم الترمذي ليست هذه شهادة التوحيد لأن من شأن الميزان أن يوضع في كفته شيء وفي الأخرى ضده فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة فهذا غير مستحيل لأن العبد يأتي بهما جميعا ويستحيل أن يأتي بالكفر

والإيمان جميعا عبد واحد يوضع الإيمان في كفة والكفر في كفة فكذلك استحال أن توضع شهادة التوحيد في الميزان وأما بعدما آمن العبد فإن النطق منه بلا إله إلا الله حسنة توضع في الميزان سائر الحسنات

قلت شهادة التوحيد والإيمان حسنة أيضا فإن قال ليس لهما ما يضادهما شخصا وإن كان ما يضادهما نوعا وهي السيئة المقابلة للحسنة فيراد أن النطق بلا إله إلا الله بعد الإيمان ليس له ما يضاد شخصه أيضا ومن لم يترك الصلاة قط ففعل الصلاة منه حسنة لا يقابلها من السيئا ت ما يضادها شخصا فليتأمل (فطاشت) أي رفعت والله أعلم .اá

الحديث الرابع: (أنا الملك أين ملوك الأرض)[١]

*أخرجه مسلم في صفة القيامة – باب ابتداء الخلق وخلق ادم.

عن ابن شهاب حدثني ابن المسيب أن أبا هريرة كان يقولا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض) –وأخرج البخاري وغيره نحوه

***الشرح والبيان :**

- قَالَ الإمَامُ النووي في شرح صحيح مسلم (مُخْتَصَرَاً):

ذكر اليمين دون الشمال حتى يتم المثال، لأننا نتناول باليمين مَا نُكرمه، وبالشمال مَا دونه، ولأن اليمين في حقنا يقوى لما لا يقوى له الشمال، ومعلومٌ أن

١- أخرجه البخاري في التفسير (٤٨١٢) ، ومسلم في صفة القيامة (٢٧٨٧)، وأبن ماجه في المقدمة (١٩٢) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٨٦٤٦) ، والدارمي في الرقاق (٢٧٩٩) .

١٥

السماوات أعظم من الأرض فأضافها إلى اليمين؛ ليُظهِرَ التقريب في الاستعارة، وإن كان الله سبحانه وتعالى لا يُوصَف بأن شيئاً أخَفُ عليه من شيء، ولا أثقلَ من شيء.اهـ

*وجاء في شرح السندي للحديث ما نصه:

(قوله يقبض الله إلخ) هذا الحديث كالتفسير لقوله تعالى { والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه } والمقصود بيان غاية عظمته تعالى وحقارة الأفعال العظام التي تتحير فيها الأوهام بالإضافة إلى كمال قدرته وهذا المقصود حاصل بهذا الكلام وإن لم يعرف كيفية القبض وحقيقة اليمين فالبحث عنهما خارج عن القدر المقصود إفهامه فلا ينبغي .اهـ

الحديث الخامس:(هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله؟)[١]

*أخرجه مسلم في الإيمان- باب الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها.

عن أنس بن مالك رضي الله تعالي عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(قال الله عز وجل إن أمتك لا يزالون يقولون ما كذا ما كذا حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله)

*وأخرجه البخاري في الأعتصام بالسنة- باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف مالايعنيه.

عن أنس بن مالك قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله)

*وأخرج أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.

٢- أخرجه مسلم في الإيمان (١٣٦) ، والبخاري في الأعتصام بالسنة (٧٢٩٦) ، وأحمد في باقي مسند المثرين (١١٥٨٤) .

عن أنس قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قال لي إن أمتك لا يزالون يتساءلون فيما بينهم حتى يقولوا هذا الله خلق الناس فمن خلق الله)

*** الشرح والبيان :**

- قال النووي في شرح حديث مسلم مختصرا:

(لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خلق الله الخلق فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل : آمنت بالله) وفي الرواية الأخرى : (فليقل : آمنت بالله ورسله) ، وفي الرواية الأخرى : (يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول له من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته) .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (فمن وجد ذلك فليقل : آمنت بالله) وفي الرواية الأخرى (فليستعذ بالله ولينته) فمعناه الإعراض عن هذا الخاطر الباطل والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه . قال الإمام المازري رحمه الله : ظاهر الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها ، والرد لها من غير استدلال ولا نظر في إبطالها . قال : والذي يقال في هذا المعنى أن الخواطر على قسمين : فأما التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تدفع بالإعراض عنها ، وعلى هذا يحمل الحديث ، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة ؛ فكأنه لما كان أمرا طارئا بغير أصل دفع بغير نظر في دليل إذ لا أصل له ينظر فيه .

وأما الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبهة فإن لا تدفع إلا بالاستدلال والنظر في إبطالها . والله أعلم . اهـ

****الحديث السادس:(أنا أغنى الشركاء عن الشرك...)[١]**

١- أخرجه مسلم في الزهد (٢٩٨٥) ، وأحمد في الكثرين من الصحابة (٧٩٣٩) ، وأبن ماجه في الزهد (٤٢٠٢) .

*أخرجه مسلم في الزهد- باب من أشرك في عمله غير الله.
عن أبي هريرة رضي الله تعالي عنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)
* وأخرجه أحمد قي مسند المكثرين من الصحابة.
عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل أنه قال(أنا خير الشركاء فمن عمل عملا فأشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو للذي أشرك)

***الشرح والبيان:**

*قال النووي في شرحه لحديث مسلم:
قوله تعالى : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه) ومعناه أنا غني عن المشاركة وغيرها ، فمن عمل شيئا لي ولغيري لم أقبله ، بل أتركه لذلك الغير . والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ، ويأثم به .اهـ

- وقال ابن رجب الحنبلي - رحمه الله تعالي : اعلم أن العملَ لغير الله أقسامٌ:
فتارة يكون رياءاً محضاً، كحال المنافقين، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر عن مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في الصدقة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز.
وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابطٌ، وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.ا **á**
وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فإن شاركه من أصله فإن النصوص الصحيحة تدل على بطلانه، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَن

صَلَّى يُرَائِي فقد أشرك، ومَن صَام يُرائِي فقد أشرك، ومَن تَصَدَّق يُرائِي فقد أشرك).
لكن إن خالط نية الجهاد مثلاً نية غير الرياء، مثل أخذ أجرة الخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نَقُصَ بذلك أجر جهاده ولم يَبْطُل بالكلية.

الحديث السابع:(يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني...)[١]

*أخرجه الترمذي في الدعوات- باب في فضل التوبة والأستغفار.
عن أنس بن مالك قال(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)
* وأخرجه ابن ماجة في الأدب –باب فضل العمل
عن أبي ذر قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة ثم لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة) وأخرج نحوه أحمد والدرامي
***الشرح والبيان:**

١- أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٥٤٠) والدرامي في الرقاق(٢٧٨٨)وابن ماجه في الأدب(٣٨٢١) وأحمد في مسند الأنصار(٢٠٨٠٤) وصحح الألباني إسناده في صحيح الجامع (٤٣٣٨).

*قال المباركفوري في تحفة الأحوزي ما مختصره:
قوله : قوله : (إنك ما دعوتني ورجوتني) أي ما دمت تدعوني وترجوني يعني في مدة دعائك ورجائك (غفرت لك على ما كان فيك) أي من المعاصي وإن تكررت وكثرت (ولا أبالي) أي والحال أني لا أتعظم مغفرتك على وإن كان ذنبا كبيرا أو كثيرا . قال الطيبي : في قوله ولا أبالي معنى لا يسأل عما يفعل (عنان السماء) بفتح العين أي سحابها وقيل ما علا منها أي ظهر لك منها إذا رفعت رأسك إلى السماء .
(بقراب الأرض) أي بما يقارب ملئها (خطايا) تمييز قراب أي بتقدير تجسمها (لا تشرك بي شيئا) الجملة حال من الفاعل أو المفعول على حكاية الحال الماضية لعدم الشرك وقت اللقي (بقرابها مغفرة)
قال الطيبي : ثم هذه للتراخي في الإخبار وأن عدم الشرك مطلوب أولى ولذلك قال لقيتني وقيد به وإلا لكان يكفي أن يقال خطايا لا تشرك بي . اهـ
*و قَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:
(قَالَ الله تعالى يا ابن آدم إنك مَا دعوتني) أي مدة دعائك فهي زمانية نحو مَا يتذكر فيه من تذكر (ورجوتني) أي أملت مني الخير (غفرت لك) ذنوبك (على مَا كان منك) من عظائم وجرائم أو مَا دمت تدعوني وترجو مغفرتي ولا تقنط من رحمتي فإني أغفر لا تعظم عليَ مغفرتك، وإن كانت ذنوبك كثيرةً، وذلك لأن الدعاء مُخُ العبادة والرجاء، متضمناً لحُسْنِ الظن بالله، وهو قَالَ سبحانه: (أنا عند ظن عبدي بي) وعند ذلك تتوجه الرحمة له، وإذا توجَهت لا يتعاظمها شيء لأنها وسعت كل شيء
(ولا أبالي) بذنوبك إذ لا مُعَقِبَ لحكمي ولا مانعَ لعطائي، كأنه من البالِ، فإنه إذا قيل: لا أُبالِي كأنه قال: (لا يشتغل بالي بهذا الأمر أو نحوه) قَالَ الطيبي: في عدم مبالاته معنى قوله لا يُسأل عما يفعل .

قوله: (يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك) بفرض كونها أجساماً (عنان) بفتح المهملة سحاب (السَّمَاء) بأن ملأت مَا بين السَّمَاء والأرض كما في الرواية الأخرى أو عنانها مَا عَنَ لك منها أي ظهر إذا رفعت رأسك، ثم (استغفرتني) أي تُبْتُ توبةً صحيحة (غفك ولا أبالي) لأن الاستغفار استقالة والكريم محل إقالة العثرات وهذا على إطلاقه لأن الذنب إما شرك يغفر بالاستغفار أي التوبة منه وهو الإيمان أو دونه فبالندم والإقلاع بشرطه المعروف ثم قَالَ قوله:

(يا ابن آدم لو أنك أتيتني بقراب الأرض)أي بقريب ملئها أو مثلها وهو أشبه إذ الكلام سيق (خطايا) قَالَ الطيبي: تمييز من الإضافة نحو قولك ملأ الإناء عسلاً (ثم لقيتني) أي مت حال كونك (لا تشرك بي شيئاً) لاعتقادك لتوحيدي وتصديق رسلي وما جاؤوا به

قَالَ الطيبي: وثم للتراخي في الأخبار (لأتيتك بقرابها مغفرة) مَت تائباً عنها، مستغفراً منها، مستقبلاً إياها، وعُبِّرَ به للمُشَاكَلَة، وإلا فمغفرته أبلغ وأوسع من ذلك، فهو بيانٌ لكَثْرَةِ مغفرته، لئلا ييأس المذنبون عنها لكثرة الخطايا، ولا يجوز الإغترار بهذا وإكثار المعاصي، لأن لله عقوبةً شديدة.اه

الحديث الثامن: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي....)[١]

*أخرجه البخاري في اللباس- باب نقض الصور.

عن أبو زرعة قال دخلت مع أبي هريرة دارا بالمدينة فرأى أعلاها مصورا يصور قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة ثم دعا بتور من ماء فغسل يديه حتى بلغ

[١] - أخرجه البخاري في اللباس (٥٩٥٣) ، ومسلم في اللباس والزينة (٢١١١) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٧١٢٦ ، ٧٧٩٤ ، ١٠٤٣٨)

إبطه فقلت يا أبا هريرة أشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال منتهى الحلية)
*وأخرجه مسلم في اللباس والزينة/ باب تحريم تصوير صور الحيوان.
عن عمارة عن أبي زرعة قال(دخلت مع أبي هريرة في دار مروان فرأى فيها تصاوير فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة)
*وأخرجه أحمد في مسند المكثرينمن الصحابة.
عن أبي زرعة قال دخلت مع أبي هريرة دار مروان بن الحكم فرأى فيها تصاوير وهي تبنى فقال(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقول الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذرة أو فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة ثم دعا بوضوء فتوضأ وغسل ذراعيه حتى جاوز المرفقين فلما غسل رجليه جاوز الكعبين إلى الساقين فقلت ما هذا فقال هذا مبلغ الحلية)
*****الشرح والبيان:**
* قال النووي في شرحه لحديث مسلم:
وأما قوله تعالى : (فليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة) فالذرة بفتح الذال وتشديد الراء ، ومعناه ، فليخلقوا ذرة فيها روح تتصرف بنفسها كهذه الذرة التي هي خلق الله تعالى ، وكذلك فليخلقوا حبة حنطة أو شعير أي ليخلقوا حبة فيها طعم تؤكل وتزرع وتنبت ، ويوجد فيها ما يوجد في حبة الحنطة والشعير ونحوهما من الحب الذي يخلقه الله تعالى ، وهذا أمر تعجيز كما سبق . والله أعلم .
*وقَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:
(ومَن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي) أي ولا أحد أظلم ممن قصد أن يصنع كخلقي، وهذا التشبيه لا عموم له، يعني كخلقي من بعض الوجوه في فعل

الصورة، لا من كل وجه، واستشكل التعبير بأظلم بأن الكافر أظلم، وأجيب بأنه إذا صوَّر الصنم للعبادة كان كافراً، فهو هو ويزيد عذابه على سائر الكفار بقُبْحِ كُفْرِه.

(فليخلقوا ذرة) بفتح المعجمة وشد الراء نملة صغيرة (أو ليخلقوا حبة) بفتح الحاء أي حبة بر - قمح - (أو ليخلقوا شعيرة) والمراد تعجيزهم تارة بتكليفهم خلق حيوان، وهو أشد وأخرى، بتكليفهم خلق جماد، وهو أهون، ومع ذلك لا قدرة لهم عليه.اهـ

*وجاء في(فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد١/٤٦٨) - باب(ما جاء في المصورين) مانصه :

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم العلة : وهي المضاهاة بخلق الله ، لأن الله تعالى له الخلق والأمر ، فهو رب كل شئ ومليكه، وهو خالق كل شئ وهو الذي صور جميع الخلوقات ، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة ، كما قال تعالى : "الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون "

فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان وبهيمة صار مضاهئاً لخلق الله . فصار ما صوره عذاباً له يوم القيامة ، وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ . فكان أشد الناس عذاباً ، لأن ذنبه من أكبر الذنوب .

فإن كان هذا فيمن صور صورة على مثال ما خلقه الله تعالى من الحيوان ، فكيف بحال من سوى المخلوق برب العالمين وشبهه بخلقه ، وصرف له شيئاً من العبادة التي ما خلق الله الخلق إلا ليعبدوه وحده بما لا يستحقه غيره من كل عمل يحبه الله من العبد ويرضاه . فتسوية المخلوق بالخالق بصرف حقه لمن لا

يستحقه من خلقه ، وجعله شريكاً له فيما اختص به تعالى وتقدس ، وهو أعظم ذنب عصى الله تعالى به .

ولهذا أرسل رسله وأنزل كتبه لبيان هذا الشرك والنهي عنه ، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى . فنجى الله تعالى رسله ومن أطاعهم . وأهلك من جهل التوحيد ، واستمر على الشرك والتنديد ، فما أعظمه من ذنب:

" إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء "

" ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق "

الحديث التاسع : (قال فقد سألتك ما هو أهون من هذا....)[١]

- أخرجه البخاري في احاديث الانبياء – باب خلق ادم وذريته.

عن أنس رضي الله تعالي عنه يرفعه(إن الله يقول لأهون أهل النار عذابا لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به قال نعم قال فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك)

*وأخرجه مسلم في صفة القيامة – باب طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبًا.

عن أنس بن مالك رضي الله تعالي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت

١- أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٤) ، ومسلم في صفة القيامة (٢٨٠٥) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (١١٨٨٠) .

مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك أحسبه قال ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك)
*وأخرجه أحمد في مسند المكثرينمن الصحابة.
عن أنس بن مالك رضي الله تعالي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة أرأيت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به قال فيقول نعم قال فيقول قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي)

***** الشرح والبيان:**

*قال النووي في شرح حديث مسلم:
قوله صلى الله عليه وسلم : (يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا : لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتديا بها ؟ فيقول : نعم فيقول : قد أردت منكم أهون من هذا وأنت في صلب آدم ألا تشرك .
إلى قوله : فأبيت إلا الشرك) وفي رواية (فيقال : قد سئلت أيسر من ذلك) وفي رواية : (فيقال : كذبت قد سئلت أيسر من ذلك) المراد أردت في الرواية الأولى : طلبت منك وأمرتك ، وقد أوضحه في الروايتين الأخيرتين بقوله : (قد سئلت أيسر) فيتعين تأويل (أردت) على ذلك جمعا بين الروايات لأنه يستحيل عند أهل الحق أن يريد الله تعالى شيئا فلا يقع ، ومذهب أهل الحق أن الله تعالى مريد لجميع الكائنات ، خيرها وشرها ، ومنها : الإيمان والكفر ، فهو سبحانه وتعالى مريد لإيمان المؤمن ، ومريد لكفر الكافر ، خلافا للمعتزلة في قولهم : إنه أراد إيمان الكافر ولم يرد كفره ، تعالى الله عن قولهم الباطل ، فإنه يلزم من قولهم إثبات العجز في حقه سبحانه ، وأنه وقع في ملكه ما لم يرده . وأما هذا الحديث فقد بينا تأويله ا **á**

**** الحديث العاشر:(أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب ...)**[١]

*أخرجه الترمذي في القدر/باب ماجاء في الرضا بالقضاء.
عن الوليد بن عبادة بن الصامت قال حدثني أبي قال(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد)
* وأخرجه أبو داود في السنة - باب في القدر
عن أبي حفصة قال قال عبادة بن الصامت لابنه يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال رب وماذا أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات على غير هذا فليس مني)
*****الشرح والبيان :**
- قال الفيروز أبادي في عون المعبود في شرح حديث أبو داود:
(يا بني) : بالتصغير (القلم) : بالرفع (وماذا أكتب) : أي ما الذي أكتب (اكتب مقادير كل شيء) : جمع مقدار وهو الشيء الذي يعرف به قدر الشيء وكميته كالمكيال والميزان ، وقد يستعمل بمعنى القدر نفسه وهو الكمية والكيفية (على غير هذا) : أي على غير هذا الاعتقاد المذكور في الحديث . اﻫ
* وجاء في شرح العقيدة الطحاوية لأبي العزالحنفي – المتوفي سنة٧٩٢ﻫ - في(١/ص ٢٦٣) قال -رحمه الله تعالي - ما مختصره :

١- أخرجه الترمذي في القدر (٢١٥٥) ، وأحمد في مسند الأنصار (٢٢١٩٧) ، وأبو داود في السنة (٤٧٠٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠١٧) .

إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : يا رب ، وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة " .

واختلف العلماء : هل القلم أول المخلوقات ، أو العرش ؟ على قولين ، ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمداني ، أصحهما : أن العرش قبل القلم ، لما ثبت في الصحيح " من حديث عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، [قال] : وعرشه على الماء " .

فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش ، والتقدير وقع عند أول خلق القلم ، بحديث عبادة هذا .

ولا يخلو قوله : " أول ما خلق الله القلم " ، إلخ - إما أن يكون جملة أو جملتين . فإن كان جملة ، وهو الصحيح ، كان معناه : أنه عند أول خلقه قال له : اكتب ، [كما في اللفظ : " أول ما خلق الله القلم قال له : اكتب] " بنصب أول و القلم ، وإن كان جملتين ، وهو مروي برفع أول و القلم ، فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم ، فيتفق الحديثان ، إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير ، والتقدير مقارن لخلق القلم .

وفي اللفظ الآخر : " لما خلق الله القلم قال له : اكتب " ، فهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها . وقد قال غير واحد من أهل التفسير : إنه القلم الذي أقسم الله به في قوله تعالى : " ن والقلم وما يسطرون " .

والقلم الثاني : قلم الوحي : وهو الذي يكتب به وحي الله إلى أنبيائه ورسله ، وأصحاب هذا القلم هم : الحكام على العالم والأقلام كلها خدم لأقلامهم . وقد رفع النبي صلى الله عليه وسلم لله ليلة أسري به إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام ، فهذه الأقلام هي التي تكتب ما يوحيه الله تبارك وتعالى من الأمور التي يدبرها ، أمر العالم العلوي والسفلي .ا** قلت والحديث عن القدر أمر قد ضل بسببه

الكثير من العباد ففي اعتقادهم أن الأمور لو كانت مقدرة منذ الأزل فلما السعي و العمل والأخذ بالأسباب ؟!! وهناك من يرتكب من الذنوب والمعاصي مالا يعلمه إلا الله تعالي ولا يجتهد في التماس وسائل الهداية بحجة إن هذا مقدرور عليه ولا يستطيع تغييره!! ..الخ

وهناك من أنكرالقدر نفسه ولم يؤمن به وينكر معرفة الله تعالي بما هوسوف يكون والعياذ بالله تعالي من هذا القول ، ولذلك نزيد الأمر هنا بياناً وتوضيحاً عن القدر خيره وشره من علمائنا الثقات ليمت من مات عن بينة ويحيا من حي عن بينة والله المستعان .

***وقال ابن تيمية المتوفي سنة-٧٢٨ á في كتابه "العبودية "مختصرا(٩/١):**

كثير من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا إلا أنا فإني نازعت أقدار الحق بالحق للحق وهذا مقام عظيم فيه غلط الغالطون ، وكثر فيه الاشتباه على السالكين ، حتى زلق فيه من أكابر الشيوخ المنتسبين إلى التحقيق والتوحيد والعرفان ما لا يحصيهم إلا الله الذي يعلم السر والإعلان .

وإلى هذا أشار الشيخ عبد القادر رحمه الله فيما ذكر عنه بأن كثيراً من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا ، إلا أنا فإني انفتحت لي فيه روزنة فنازعت أقدار الحق بالحق للحق ، والرجل من يكون منازعاً بالقدر لا من يكون موافقاً للقدر والذي ذكره الشيخ رحمه الله هو الذي أمر الله به ورسوله لكن كثير من الرجال غلطوا ، فإنهم قد يشهدون ما يقدر على أحدهم من المعاصي والذنوب أو ما يقدر على الناس من ذلك بل من الكفر ، ويشهدون أن هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدره داخل في حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته فيظنون أن الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك دينا وطريقاً وعباده ، فيضاهون المشركين

الذين قالوا [١٤٨ الأنعام] : " لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء " وقالوا : " أنطعم من لو يشاء الله أطعمه "
وقالوا [٢٠ الزخرف] : " لو شاء الرحمن ما عبدناهم " ، ولو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا أن نرضى به ونصبر على موجبه في المصائب التي تصيبنا كالفقر والمرض والخوف ، قال تعالى [١١ التغابن] : " ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه " ، قال بعض السلف : هو الرجل تصيبه فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم وقال تعالى [٢٢ الحديد] : " ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم " .
وفي الصحيحين " عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : احتج آدم وموسى ، فقال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء ، فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟
فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، فهل وجدت ذلك مكتوباً على قبل أن أخلق ؟
قال : نعم . قال فحج آدم وموسى " . وآدم عليه السلام لم يحتج على موسى بالقدر وظنا أن المذنب يحتج بالقدر فإن هذا لا يقوله مسلم ولا يقوله عاقل ، ولو كان هذا عذراً لكان عذراً لإبليس وقوم نوح وقوم عاد وكل كافر ، ولا موسى أيضاً لام آدم عليه السلام من أجل الذنب ، فإن آدم تاب الله عليه فاجتباه وهداه ، ولكن لامه لأجل المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة ، ولهذا قال له : " فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة " فأجابه آدم بأن هذا كان مكتوبا قبل أن يخلق ، فكان العمل والمصيبة المرتبة عليه مقدراً ، وما قدر من المصائب يجب الاستسلام له فإنه من تمام الرضا بالله رباً .

وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب ، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر الله ويتوب من صنوف المعايب ويصبر على المصائب ، قال تعالى : [٥٥ غافر] : " فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك " وقال [١٢٠ آل عمران] : " وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا "
وقال تعالى [١٨٦ آل عمران] : " وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور " وقال يوسف [٩٠ يوسف] : " إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين " وكذلك ذنوب العباد يجب على العبد فيها أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته ، ويجاهد في سبيل الله الكفار والمنافقين ويوالى أولياء الله ، ويعادى أعداء الله ، ويحب في الله ويبغض في الله تعالى كما قال تعالى :
[١ الممتحنة] : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم " إلى قوله : " قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ".. قال تعالى [٢٢ المجادلة] : " لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه " اهـ
* وقال ابن القيم المتوفي سنة٧٥١ **á** - في كتابه (الداء والدواء- ص/٢١) ما نصه :
(وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول الشرور في الدنيا والآخرة في كتابه على الأعمال ، ترتب الجزاء على الشرط ، والمعلول على العلة ، والمسبب على السبب ، وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع ..ثم ذكر رحمه الله تعالي - كثير من الآيات الدالة علي ما ذكره أنفا .. ثم قال :

وبالجملة: فالقرآن من أوله إلى آخره صريح في ترتيب الجزاء بالخير والشر والأحكام الكونة والأمرية على الأسباب ، بل ترتيب أحكام الدنيا والآخرة ومصالحها ومفاسدها على الأسباب والأعمال .

ومن تفقه في هذه المسألة وتأملها حق التأمل ، انتفع بها غاية النفع ، ولم يتكل على القدر جهلاً منه ، وعجزاً وتفريطاً وإضاعة ، فيكون توكله عجزاً وعجزه توكلاً .

بل الفقيه كل الفقه الذي يرد القدر بالقدر ، ويدفع القدر بالقدر ، ويعارض القدر بالقدر ، بل الإنسان أن يعيش إلا بذلك ، فإن الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القدر .

والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر . وهكذا من وفقه الله وألهمه رشده يدفع قدر العقوبة الأخروية بقدر التوبة والإيمان والأعمال الصالحة ، فهذا وزران القدر المخوف في الدنيا وما يضاده سواء ، فرب الدارين واحد ، وحكمته واحده لا يناقض بعضها بعضاً ، ولا يبطل بعضها بعضاً ، فهذه المسألة من أشرف المسائل لمن عرف قدرها ، ورعاها حق رعايتها . والله المستعان . اهـ

*وفي كتاب فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد " لعبد الرحمن ابن حسن ال الشيخ- المتوفي سنة ١٢٨٥ هـ- ص/٤٦٣- باب ما جاء في منكري القدر " ما نصه:

أخرج أبو داود عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " القدرية مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم . وإن ماتوا فلا تشهدوهم "

وعن عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة ـ وهو ابن اليمان ـ رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لكل أمة مجوس ، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون : لا قدر ، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته

٣١

ومن مرض منهم فلا تعودوه ، وهم شيعة الدجال ، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال "

قوله : وقول ابن عمر : والذي نفسي بيده ... إلخ حديث ابن عمر أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين ، أو معتمرين . فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ؟

فوفق الله تعالى لنا عبد الله بن عمر داخلاً في المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي ، فقلت : أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرآون القرآن ، ويتقفرون العلم يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف ، فقال : إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء ، وأنهم مني برآء . والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه ، حتى يؤمن بالقدر .

ثم قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : " بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد . حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه . وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً .

قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ،

٣٢

قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرني عن الساعة ، قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . قال : فأخبرني عن أماراتها قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان .
قال فانطلق . فلبث ثلاثاً ، وفي رواية ملياً ، ثم قال يا عمر أتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلكم دينكم " . ففي هذا الحديث أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة المذكورة ، فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد ترك أصلاً من أصول الدين وجحده ، فيشبه من قال الله فيهم : ' البقرة : ٨٥ ' " أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض " الآية
ثم قال في مقطع أخر : وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن أبي هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ـ زاد ابن وهب ـ : وكان عرشه على الماء " رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب .
وكل هذه الأحاديث وما في معناها فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم . ومن مذهبهم : تخليد أهل المعاصي في النار . وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم المعاصي .
وفي الحقيقة إذا اعتبرنا إقامة الحجة عليهم بما تواترت به نصوص الكتاب والسنة من إثبات القدر فقد حكموا على أنفسهم بالخلود في النار إن لم يتوبوا .
وهذا لازم لهم على مذهبهم هذا ، وقد خالفوا ما تواترت به أدلة الكتاب والسنة من إثبات القدر ، وعدم تخليد أهل الكبائر من الوحدين في النار .ا **á**
*وبعد أخي القاريء:

....

لقد استفضت في ذكر أقوال أهل العلم الثقات من أهل السنة والحماعة في اشرح الحديث عن القلم والقدر لأهميته ووقوع الكثير من العباد في الشك والمعاصي والأتكال علي الله تعالي بلا عمل أوسعي لألتماس طرق الهداية تحت عنوان أن هذا قضاء الله وقدره وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة والله المستعان .

....

ألفوائد الجليلة المستخلصة من أحاديث الباب

من أعظم الفوائد علي الإطلاق إخلاص التوحيد لله تعالي بأنواعه الثلاثة في الأقوال والأفعال وذلك أهم ما يجب أن يحرص عليه المؤمن علي ..لماذا ؟
لأن مخالفة التوحيد سواء في الأقوال أو الأعمال شرك، وسواء كان شركاً أصغر أو أكبر فهو الذنب الذي لا يغفره الله لصاحبه إلا لمن تاب وآمن وعمل صالحاً قال تعالى:
{ إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا{٤٨}**}** (النساء ٤٨)
وقال تعالى **{** لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ {٧٢} **}** (المائدة ٧٢)
ومن ثم نري أن من الفوائد الجليلة التي نستخلصها من أحاديث الباب أن نبين للقاريء الكريم ما يجب أن يحيط به علما ليخلوا عمله وقوله مما يشين أخلاصه

وتوحيده لله رب العالمين ووجدت في فتوى لفضيلة الشيخ ابن العثيمين – رحمه الله تعالي-أجابة تحيط بكل ما يتعلق بالتوحيد وأنواعه ولله الحمد والمنة أذكرها هاهنا والله المستعان.

** سئل فضيلة الشيخ أعلى الله درجته في المهديين : **عن تعريف التوحيد وأنواعه ؟**

فأجاب رحمه الله -بقوله : **التوحيد لغة** : " **مصدر وحد يوحد، أي جعل الشيء واحداً** " وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى المُوحَّد، وإثباته له، فمثلاً نقول : إنه لا يتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله عز وجل ويثبتها لله وحده، وذلك أن النفي المحض تعطيل محض، والإثبات المحض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم، فلو قلت مثلاً : " فلان قائم " فهنا أثبتَّ له القيام لكنك لم توحده به، لأنه من الجائز أن يشاركه غيره في هذا القيام، ولو قلت : " **لا قائم** " فقد نفيت محضاً ولم تثبت القيام لأحد، فإذا قلت: "لا قائم إلا زيد " فحينئذ تكون وحدت زيداً بالقيام حيث نفيت القيام عمن سواه، وهذا هو تحقيق التوحيد في الواقع، أي إن التوحيد لا يكون توحيداً حتى يتضمن نفياً وإثباتاً .

وأنواع التوحيد بالنسبة لله عز وجل تدخل كلها في تعريف عام وهو " إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به " .

وهي حسب ما ذكره أهل العلم ثلاثة :

الأول : توحيد الربوبية .

الثاني : توحيد الألوهية .

الثالث : توحيد الأسماء والصفات .

وعلموا ذلك بالتتبع والاستقراء و النظر في الآيات والأحاديث فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأنواع الثلاثة فنوعوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع :

الأول : توحيد الربوبية : وهو " إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق، والملك، والتدبير " وتفصيل ذلك :

أولاً:بالنسبة لإفراد الله تعالى بالخلق فالله تعالى وحده هو الخالق لا خالق سواه قال الله تعالى :

(هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو) [١].

وقال تعالى مبيناً بطلان آلهة الكفار : **(أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون)** [٢]. فالله تعالى وحده هو الخالق خلق كل شيء فقدره تقديراً ، وخَلْقُهُ يشمل ما يقع من مفعولاته، وما يقع من مفعولات خلقه أيضاً، ولهذا كان من تمام الإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله تعالى خالقٌ لأفعال العباد كما قال الله تعالى : **(والله خلقكم وما تعملون)** [٣].

ووجه ذلك أن فعل العبد من صفاته، والعبد مخلوق لله، وخالق الشيء خالق لصفاته، ووجه آخر أن فعل العبد حاصل بإرادة جازمة وقدرة تامة، والإرادة والقدرة كلتاهما مخلوقتان لله عز وجل وخالق السبب التام خالق للمسبب .

فإن قيل : كيف نجمع بين إفراد الله عز وجل بالخلق مع أن الخلق قد يثبت لغير الله كما يدل عليه قول الله تعالى : **(فتبارك الله أحسن الخالقين)** [٤]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم في المصورين : " **يقال : لهم : أحيوا ما خلقتم** " ؟

---

[١] سورة فاطر، الآية " ٣" .

[٢] سورة النحل، الآية " ١٧".

[٣] سورة الصافات، الآية " ٩٦" .

[٤] سورة المؤمنون، الآية " ١٤" .

فالجواب على ذلك : أن غير الله تعالى لا يخلق كخلق الله فلا يمكنه إيجاد معدوم، ولا إحياء ميت، وإنما خلق غير الله تعالى يكون بالتغيير وتحويل الشيء من صفة إلى صفة أخرى وهو مخلوق لله - عز وجل - فالمصور مثلاً، إذا صور صورة فإنه لم يحدث شيئاً غاية ما هنالك أنه حول شيئاً إلى شيء كما يحول الطين إلى صورة طير أو صورة جمل، وكما يحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة فالمداد من خلق الله عز وجل، والورقة البيضاء من خلق الله عز وجل، هذا هو الفرق بين إثبات الخلق بالنسبة إلى الله، عز وجل وإثبات الخلق بالنسبة إلى المخلوق . وعلى هذا يكون الله سبحانه وتعالى منفرداً بالخلق الذي يختص به .

ثانياً : إفراد الله تعالى بالملك فالله تعالى وحده هو المالك كما قال الله تعالى : **(تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير)** [٢] .

وقال تعالى : **(قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه)** [٣]. فالمالك الملك المطلق العام الشامل هو الله سبحانه وتعالى وحده، ونسبة الملك إلى غيره نسبة إضافية فقد أثبت الله عز وجل لغيره الملك كما في قوله تعالى : **(أو ما ملكتم مفاتحه)** [٤]. وقوله **(إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم)**[٥] . إلى غير ذلك من النصوص الدالة على أن لغير الله تعالى ملكاً لكن هذا الملك ليس كملك الله عز وجل فهو ملك قاصر، وملك مقيد، ملك قاصر لا يشمل، فالبيت الذي لزيد لا يملكه عمرو، والبيت الذي لعمرو لا يملكه زيد، ثم هذا الملك مقيد بحيث لا يتصرف الإنسان فيما ملك إلا على الوجه الذي أذن الله فيه ولهذا نهى النبي، صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال وقال الله تبارك

---

[٢] سورة الملك، الآية " ١ " .

[٣] سورة المؤمنون، الآية " ٨٨" .

[٤] سورة النور، الآية " ٦١ " .

[٥] سورة المؤمنون، الآية " ٦"

٣٧

وتعالى : **(ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً)** [٦] . وهذا دليل على أن ملك الإنسان ملك قاصر وملك مقيد، بخلاف ملك الله سبحانه وتعالى فهو ملك عام شامل وملك مطلق يفعل الله سبحانه وتعالى ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

ثالثاً : التدبير فالله عز وجل منفرد بالتدبير فهو الذي يدبر الخلق ويدبر السماوات والأرض كما قال الله سبحانه وتعالى : **(ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)** [١]. وهذا التدبير شامل لا يحول دونه شيء ولا يعارضه شيء . والتدبير الذي يكون لبعض المخلوقات كتدبير الإنسان أمواله وغلمانه وخدمه وما أشبه ذلك هو تدبير ضيق محدود، ومقيد غير مطلق فظهر بذلك صدق صحة قولنا : إن توحيد الربوبية هو **" إفراد الله بالخلق والملك، والتدبير "** .

النوع الثاني : توحيد الألوهية وهو **" إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة "** بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم واستباح دماءهم وأموالهم وأرضهم وديارهم وسبى نساءهم وذريتهم، وهو الذي بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب مع أخويه توحيدي الربوبية، والأسماء والصفات، لكن أكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد وهو توحيد الألوهية بحيث لا يصرف الإنسان شيئاً من العبادة لغير الله سبحانه وتعالى لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، ولا لولي صالح، ولا لأي أحد من المخلوقين، لأن العبادة لا تصح إلا لله عز وجل، ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية، وبتوحيد الأسماء والصفات . فلو أن رجلاً من الناس يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور، وأنه

---

[٦] سورة النساء، الآية " ٥" .

[١] سورة الأعراف، الآية " ٥٤" .

سبحانه وتعالى المستحق لما يستحقه من الأسماء والصفات لكنيعبد مع الله غيره لم ينفعه إقراره بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات . فلو فرض أن رجلاً يقر إقراراً كاملاً بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات لكن يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قرباناً يتقرب به إليه فإن هذا مشرك كافر خالد في النار، قال الله تبارك وتعالى : **(إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)** [٢]. ومن المعلوم لكل من قرأ كتاب الله عز وجل أن المشركين الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم واستحل دماءهم، وأموالهم وسبى نساءهم، وذريتهم، وغنم أرضهم كانوا مقرين بأن الله تعالى وحده هو الرب الخالق لا يشكون في ذلك، ولكن لما كانوا يعبدون معه غيره صاروا بذلك مشركين مباحي الدم والمال .

النوع الثالث : توحيد الأسماء والصفات وهو " **إفراد الله سبحانه وتعالى بما سمى الله به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك بإثبات ما أثبته من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل** " . فلابد من الإيمان بما سمى الله به نفسه ووصف به نفسه على وجه الحقيقة لا المجاز، ولكن من غير تكييف، ولا تمثيل، وهذا النوع من أنواع التوحيد ضل فيه طوائف من هذه الأمة من أهل القبلة الذين ينتسبون للإسلام على أوجه شتى :

منهم من غلا في النفي والتنزيه غلوّاً يخرج به من الإسلام، ومنهم متوسط، ومنهم قريب من أهل السنة . لكن طريقة السلف في هذا النوع من التوحيد هو أن يسمى الله ويوصف بما سمى ووصف به نفسه على وجه الحقيقة، لا تحريف ولا تعطيل،ولا تكييف، ولا تمثيل .

---

[٢] سورة المائدة، الآية " ٧٢" .

٣٩

مثال ذلك : أن الله سبحانه وتعالى سمى نفسه بالحي القيوم فيجب علينا أن نؤمن بأن الحي اسم من أسماء الله تعالى ويجب علينا أن نؤمن بما تضمنه هذا الاسم من وصف وهي الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء . وسمى الله نفسه بالسميع فعلينا أن نؤمن بالسميع اسماً من أسماء الله سبحانه وتعالى وبالسمع صفة من صفاته، وبأنه يسمع وهو الحكم الذي اقتضاه ذلك الاسم وتلك الصفة، فإن سميعاً بلا سمع أو سمعاً بلا إدراك مسموع هذا شيء محال وعلى هذا فقس .
مثال آخر : قال الله تعالى : **(وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)** [١] . فهنا قال الله تعالى : **(بل يداه مبسوطتان)** فأثبت لنفسه يدين موصوفتين بالبسط وهو العطاء الواسع، فيجب علينا أن نؤمن بأن لله تعالى يدين اثنتين مبسوطتين بالعطاء والنعم، ولكن يجب علينا أن لا نحاول بقلوبنا تصوراً، ولا بألسنتنا نطقاً أن نكيف تينك اليدين ولا أن نمثلهما بأيدي المخلوقين، لأن الله سبحانه وتعالى يقول : :
(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [٢]. ويقول : الله تعالى : **(قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)** [٣] .
ويقول : عز وجل : **(ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً)** [٤] . فمن مثل هاتين اليدين بأيدي المخلوقين فقد كذب قول الله تعالى: **(ليس كمثله شيء)** [٥]. وقد عصى الله تعالى في قوله :

---

[١] سورة المائدة، الآية " ٦٤" .
[٢] سورة الشورى، الآية " ١١ " .
[٣] سورة الأعراف، الآية " ٣٣" .
[٤] سورة الإسراء، الآية " ١١" .
[٥] سورة الشورى، الآية " ٧٤".

(فلا تضربوا لله الأمثال) [٦] . ومن كيفهما وقال : هما على كيفية معينة أيّاً كانت هذه الكيفية فقد قال على الله ما لا يعلم وقطا ما ليس له به علم .
ونضرب مثالاً ثانياً في الصفات : وهو استواء الله على عرشه فإن الله تعالى أثبت لنفسه أنه استوى على العرش في سبعة مواضع من كتابه كلها بلفظ **(استوى)** وبلفظ **(على العرش)** وإذا رجعنا إلى الاستواء في اللغة العربية وجدناه إذا عدي بعلى لا يقتضي إلا الارتفاع والعلو، فيكون معنى قوله تعالى : **(الرحمن على العرش** استوى **)** [١] وأمثالها من الآيات : أنه علا على عرشه علوّاً خاصاً غير العلو العام على جميع الأكوان وهذا العلو ثابت لله تعالى على وجه الحقيقة فهو عالٍ على عرشه علوّاً يليق به عزَّ وجلَّ لا يشبه علو الإنسان على السرير، ولا علوه على الأنعام، ولا علوه على الفلك الذي ذكره الله في قوله : **(** وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استوىتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون **)** [٢]. فاستواء المخلوق على شيء لا يمكن أن يماثله استواء الله على عرشه، لأن الله ليس كمثله شيء .
وقد أخطأ خطأ عظيماً من قال : إن معنى استوى على العرش استولى على العرش ، لأن هذا تحريف للكلم عن مواضعه، ومخالف لما أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم و التابعون لهم بإحسان، ومستلزم للوازم باطلة لا يمكن لمؤمن أن يتفوه بها بالنسبة لله عز وجل. والقرآن الكريم نزل باللغة العربية بلا شك كما قال الله سبحانه وتعالى : **(** إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون **)** [٣]. ومقتضى صيغة " استوى على **كذا** " في اللغة العربية العلو والاستقرار، بل

---

[٦] سورة النحل، الآية " ٧٤" .
[١] سورة طه، الآية " ٥ " .
[٢] سورة الزخرف، الآيات " ١٣، ١٤، ١٥ " .
[٣] سورة الزخرف، الآية " ٣" .

٤١

هو معناها المطابق للفظ . فمعنى استوى على العرش أي : علا عليه علوّاً خاصاً يليق بجلاله وعظمته، فإذا فسر الاستواء بالاستيلاء فقد حرف الكلم عن مواضعه حيث نفى المعنى الذي تدل عليه لغة القرآن وهو العلو وأثبت معنى آخر باطلاً .

ثم إن السلف والتابعين لهم بإحسان مجمعون على هذا المعنى إذ لم يأت عنهم حرف واحد في تفسيره بخلاف ذلك، وإذا جاء اللفظ في القرآن والسنة ولم يرد عن السلف تفسيره بما يخالف ظاهره فالأصل أنهم أبقوه على ظاهره واعتقدوا ما يدل عليه .

فإن قال قائل : هل ورد لفظ صريح عن السلف بأنهم فسروا استوى بـ **" علا "**؟

قلنا : نعم ورد ذلك عن السلف، وعلى فرض أن لا يكون ورد عنهم صريحاً فإن الأصل فيما دل عليه اللفظ في القرآن الكريم والسنة النبوية أنه باق على ما تقتضيه اللغة العربية من المعنى فيكون إثبات السلف له على هذا المعنى .

أما اللوازم الباطلة التي تلزم من فسر الاستواء بالاستيلاء فهي :

أولاً : أن العرش قبل خلق السماوات والأرض ليس ملكاً لله تعالى لأن الله تعالى قال : " **(** إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش **)** [٤] .

وعلى هذا فلا يكون الله مستولياً على العرش قبل خلق السماوات ولا حين خلق السماوات والأرض .

ثانياً : أنه يصح التعبير بقولنا : إن الله استوى على الأرض، واستوى على أي شيء من مخلوقاته وهذا بلا شك ولا ريب معنى باطل لا يليق بالله عز وجل .

ثالثاً : أنه تحريف للكلم عن مواضعه .

رابعاً : أنه مخالف لإجماع السلف الصالح رضوان الله عليهم .

٤٢

وخلاصةُ الكلام في هذا النوع - توحيد الأسماء والصفات - أنه يجب علينا أن نثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات على وجه الحقيقة من غير تحريف، ولا تعطيل ولا تكييف، ولا تمثيل .اهـ

الباب الثاني
ما جاء في خلق آدم

الحديث الأول : (خلق الله عز وجل آدم على صورته...)[١]

*أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها- باب يدخل الجنة اقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير .

١- أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٤١) ، والبخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٢٦) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٢٧٣٨٨) .

٤٣

- عن أبو هريرة قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يجيبونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك قال فذهب فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله قال فزادوه ورحمة الله قال فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن) - وأخرج البخاري وأحمد نحوه

الشرح والبيان:
- قال النووي المتوفي سنة ٦٧٦/ **á** في شرح حديث مسلم :
قوله صلى الله عليه وسلم : (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا) ، وهذه الرواية ظاهرة في أن الضمير في (صورته) عائد إلى آدم ، وأن المراد أنه خلق في أول نشأته على صورته التي كان عليها في الأرض ، وتوفي عليها ، وهي طوله ستون ذراعا ، ولم ينتقل أطوارا كذريته ، وكانت صورته في الجنة هي صورته في الأرض لم تتغير .
قوله : (قال : اذهب فسلم على أولئك النفر ، وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يجيبونك ، فإنها تحيتك وتحية ذريتك ، فذهب فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله) فيه : أن الوارد على جلوس يسلم عليهم ، وأن الأفضل أن يقول : السلام عليكم بالألف واللام ، ولو قال : سلام عليكم ، كفاه ، وأن رد السلام يستحب أن يكون زيادة على الابتداء ، وأنه يجوز في الرد أن يقول : السلام عليكم ، ولا يشترط أن يقول : وعليكم السلام . والله أعلم .اهـ

**** قلت"أنا سيد مبارك": وما ذكره النووي رحمه الله - في قوله e "أن الله خلق آدم علي صورته " هو-أي آدم-عليه السلام- تأويل للحديث يخالف**

تفسيرات علماء جهابذة يرون غير ذلك ولان حديث الصورة مختلف في تفسيره فأننا هنا سنذكر أدلة كل فريق ثم نرجح الرأي الذي يحتمل الصواب ولايخالف الثوابت والله المستعان

باديء ذي بدء نقول ذهبت طائفةٌ مِن العلماء الأفاضِل إلى أنَّ الهاء مِن)صورته (راجعةٌ إلى آدَمَ - عليه السلام - أي: خلقه على صورتِه المميّزة التي كان عليها مِن غير تناسُل، ولم يكُنْ قطُّ في صُلب ولا رحِم، ولا خُلِق عَلَقَة ولا مُضغة، ولا طفلاً، ولا مُراهقًا، بل خُلِق ابتداءً بشَرًا سويًّا، طوله سِتون ذراعًا ولم يمرَّ بما تمرُّ به ذريتُه من أطوارِ الخَلْق قط.

وقال آخرون غير ذلك ووجدوا السلامة في ترك التأويل وأمرار الحديث علي ظاهره كمذهب السلف الصالح

قال شيخ الإسلام "ابن تيميَّة :"هذا الحديثُ لم يكُنْ بين السلف في القُرون الثلاثة نِزاعٌ في أنَّ الضمير عائدٌ إلى الله، فإنَّه مستفيض من طُرق متعدِّدة عن عِدة مِن الصحابة، وسِياق الأحاديث كلها يدلُّ على ذلك؛ "بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية"، تحقيق: د. عبدالرحمن اليحيى (٣٥٦/٢).

وقال الآجُريُّ بعدَ روايته لحديثِ الصورة: هذه مِن السُّنن التي يجِب على المسلمين الإيمانُ بها، ولا يُقال :كيف؟ ولِمَ؟ بل تُستقبل بالتسليم والتَّصديق، وترْك النظر، كما قال مَن تَقدَّم مِن أئمَّة المسلمين؛ "الشريعة للآجُريِّ " (2/106).

وقال ابنُ قتيبة: "والذي عِندي - والله تعالى أعلم - أنَّ الصورة ليستْ بأعجبَ مِن اليَدين، والأصابع والعين، وإنما وقَع الإلف لتلك لمجيئها في القُرآن، ووقعتِ الوحشة مِن هذه؛ لأنَّها لم تأتِ في القُرآن، ونحن نؤمِن بالجميع، ولا نقول في شيءٍ منه بكيفيةٍ ولا حدٍّ"؛ "تأويل مختلف الحديث) "ص: ٢٦١.(

وذكر ابن بطَّة (المتوفَّى: ٣٨٧هـ) في كتابه الإبانة الكُبرى "باب الإيمان بأنَّ الله - عزَّ وجلَّ - خَلَق آدَمَ على صورتِه بلا كيفٍ، قال:
"وكل ما جاء مِن هذه الأحاديث، وصحَّتْ عن رسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - ففرْضٌ على المسلمين قَبولُها، والتصديقُ بها، والتسليمُ لها، وترْك الاعتراض عليها، وواجِب على مَن قَبِلها، وصدَّق بها ألاَّ يضربَ لها المقاييس، ولا يتحمَّل لها المعاني والتفاسير، لكن تمرُّ على ما جاءتْ ولا يُقال فيها: لِمَ؟ ولا كَيف؟ إيمانًا بها وتصديقًا، ونقِف مِن لفظها ورِوايتها حيث وقَف أئمَّتنا وشيوخنا، ونَنتهي منها حيث انتهى بنا، كما قال المصطفى نبيُّنا - صلَّى الله عليه وسلَّم - بلا معارَضة، ولا تَكذيب، ولا تَنقير، ولا تفتيش، والله الموفِّق وهو حسبنا ونعمَ الوكيل".اهـ.

ومِن أقوال أهلِ السُّنَّة الذين قالوا بأنَّ الله خلَق آدمَ على صورتِه - أي: آدَم – سِتين ذراعًا في السماء ابتداءً:
منهم الأمام النوويُّ المتوفَّى (سنة ٦٧٦هـ) وقد ذكرنا شرحه للحديث أنفاً ، وذهَب الإمَامُ المناويُّ في فيض القدير مفسِّرًا للحديث على نفس الوتيرة، قال ما مختصره:

))خَلَق اللهُ آدَمَ على صورتِه))؛ أي :على صورة آدَم التي كان عليها مِن مبدأ فِطرته إلى موتِه لم تتفاوتْ قامتُه ولم تتغيَّر هيئتُه، بخلافِ بَنيه، فإنَّ كلاً منهم يكون نُطفةً ثم عَلَقة، ثم مُضغةً ثم عِظامًا وأعصابًا عارية، ثم مَكسُوَّة لحمًا، ثم حيوانًا مُجَنَّنًا لا يأكُل ولا يَشرَب، ثم يكون مولودًا رضيعًا، ثم طِفلاً مترعرعًا، ثم مراهقًا ثم شابًّا، ثم كهلاً ثم شيخًا.
أو خَلَقه على صورةِ حالٍ يختصُّ به، لا يُشاركه أنواعٌ أخرى مِن المخلوقات.اهـ.

وذهَب القرطبيُّ والمازريُّ - رحمها الله - على نفس التفسيرِ لمفهومِ الصورة؛ فقدْ ذكر الحافظُ ابن حجرِ العسقلانيُّ)**المتوفَّى: ٨٥٢ هـ (**في شرح البخاري أقوالهما، فقال:
قال القرطبي: "أعادَ بعضُهم الضميرَ على الله متمسِّكًا بما ورد في بعضِ طُرُقه: ((إنَّ الله خَلَق آدمَ على صورةِ الرَّحمن))، قال: وكأنَّ مَن رواه أورده بالمعنَى متمسكًا بما توهَّمه فغلِط في ذلك، وقدْ أنكرَ المازريُّ ومَن تَبِعه صحة هذه الزِّيادة، ثم قال: وعلى تقديرِ صِحَّتها فيُحمل على ما يَليق بالباري - سبحانه وتعالى.

بل إنَّ الحافظ ابن حجر ذكَر في الفتْح في شرح الحديث ما نصُّه:
وهذه الرِّواية تؤيِّد قولَ مَن قال: إنَّ الضمير لآدم، والمعنَى أنَّ الله تعالى أوْجَده على الهيئةِ التي خَلَقَه عليها لم ينتقلْ في النشأة أحوالاً، ولا تردَّد في الأرحام أطوارًا كذريَّته، بل خلَقَه الله رجلاً كاملاً سويًّا مِن أوَّل ما نفَخ فيه الرُّوح، ثم عقَّب ذلك بقوله: ((وطُوله سِتُّون ذراعًا))، فعاد الضمير أيضًا

٤٧

على آدم، وقيل: معنى قوله ((على صورته))؛ أي: لم يشاركْه في خلْقِه أحد؛ إبطالاً لقول أهلِ الطبائع، وخصَّ بالذِّكْر تنبيهًا بالأعْلى على الأدنى، والله أعلم.اهـ.

وقال ابنُ بطَّال في شرح البخاري (٣/٧١) ما نصه:
وذهَب طائفةٌ إلى الهاء كناية عنِ الله تعالى، وهذا أضعفُ الوجوه؛ لأنَّ حُكم الهاء أن ترجِع إلى أقرب المذكور، إلا أن تدلَّ دَلالةٌ على خلاف ذلك، وعلى هذا التأويل يكون معنَى الصورة معنَى الصفة كما يقال: عَرِّفْني صورة هذا الأمْر؛ أي: صفته، ولا صورة للأمْر على الحقيقة إلا على معنَى الصفة، ويكون تقديرُ التأويل: أنَّ الله خَلَق آدَمَ على صفتِه؛ أي خلَقه حيًّا عالمًا سمعيًا بصيرًا متكلمًا مختارًا مريدًا، فعرَفْنا بذلك إسباغَ نِعمه عليه وتشريفه بهذه الخِصال.

ونظَرْنا في الإضافات إلى الله، فوجدْناها على وجوه؛ منها: إضافة الفِعل، كما يقال :خلْق الله، وأرْض الله، وسماء الله، وإضافة المُلْك فيقال: رِزْق الله، ووعيد الله، وإضافة اختصاص وتنويه بذِكْر المضاف إليه، كقولهم: الكَعْبة بيتُ الله، وكقوله :(وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)]الحجر: ٢٩[، ووجهٌ آخَر مِن الإضافة نحو قولهم: كلام الله، وعِلم الله، وقُدرة الله، وهى إضافةٌ اختصاص مِن طريق القِيام به، وليس مِن وجهة الملك والتشريف، بل ذلك على معنَى إرادته غير متعرية منها قيامًا بها ووجودًا.

٤٨

ثم نظَرْنا إلى إضافةِ الصورة إلى الله، فلم يصحَّ أن يكونَ وجه إضافتها إليه على نحوِ إضافة الصِّفة إلى الموصوف بها مِن حيثُ تقوم به؛ لاستحالةِ أن يقومَ بذاته تعالى حادثٌ، فبقِي من وجوه الإضافة المُلك والفِعل والتشريف، فأمَّا الملك والفِعل فوجهه عامٌّ، وتبطل فائدةُ التخصيص فبقِي أنَّها إضافة تشريف، وطريق ذلك أنَّ الله هو الذي ابتدأ تصويرَ آدم على غير مثالٍ سبَق، بل اخترعَه، ثم اخترع من بعده على مثالِه، فتشرَّفَتْ صُورته بالإضافةِ إليه، لا أنَّه أُريد به إثباتُ صورة لله تعالى على التحقيقِ هو بها مصور؛ لأنَّ الصورة هي التألُّف والهيئة، وذلك لا يصحُّ إلا على الأجسامِ المؤلَّفة، والله تَعالَى عن ذلك.

قلت" أنا سيد مبارك" وما ذكَرَه النووي والمناوي وابن حجر وابن بطال وغيرُهم من العلماء الأفاضل مِن أهل السُّنة - رحمهم الله - في قوله : ((إنَّ الله خلَقَ آدمَ على صورتِه))، وتأويلهم للحديثِ عن ظاهره بقولهم: إنَّ الله تعالى خلَق آدَمَ على صورته ابتداءً، وليس على صورته هو - جلَّ شأنه - هو قول ينبغي الحذر منه لما يجره هذا التأويل من الاجتهاد في غير موضعه فإن صفات الله تعالي ينبغي قبولها مع التنزيه ولم نسمع أن كان بين الصحابة والتابعين في القُرون الثلاثة الأولى خير قرون الإسلام نِزاعٌ في أنَّ الضمير عائدٌ إلى الله وإنما حدث الإشكال للحديث الذي رواه الإمام البخاري ومتنه (إن الله خلق آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً).
مما جعل بعض علمائنا المعاصرين كالألباني - رحمه الله- يقول: هذا الحديث لا يحتاج في علمي إلى تأويل لأن الإمام البخاري رواه في صحيحه بتتمة تغني عن التأويل، وهي (إن الله خلق آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً)

٤٩

فالضمير لا يعود إلى الله وإنما على آدم.
أما الحديث المذكور في بعض كتب السنن بلفظ (وإن الله خلق آدم على صورة الرحمن...) فهذا ضعيف بهذا اللفظ، لأنه من رواية حبيب بن أبي ثابت وهو مُدلس، وقد رواه معنعناً في كل الطرق التي وقفت عليها، وكلها تدور عليها"اهـ- نقلا عن كتاب: الشيخ الألباني ومنهجه في تقرير مسائل.
قلت" أنا سيد مبارك": وما ذهب إليه الألباني وغيره من العلماء الذين يؤيدون حديث الصورة ممن ذكرناهم سلفاً وأنه عائد لآدم خطأ وتضعيفه لحديث (وإن الله خلق آدم على صورة الرحمن...) اجتهاد منه يحتمل الخطأ لأن الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه قد صححا حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي جاء فيه «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن» الذي ضعفه الألباني ولا يغيب عنا أن الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه من أعلام الحديث وعندهما إلمام تام بالأسانيد والعلل كما لا يخفى.
وعلى كل حال لا يستطيع أحدٌ أن يقول أن هؤلاء العلماء - رحمة الله عليهم أجمعين- من أهل السنة ممن يردون حديث الصورة لآدم يتعمدون تأويل الصفات قطعا لا، وأنما هو اجتهاد منهم حسب مافهموه من صحة أسانيد أحاديث الصورة تضعيفًا أوتصحيحًا نسأل الله أن يعفو عنا وعنهم.
وأرى بكل وضوح واقتناع ويقين أن الأسلم والأفضل ماذهب إليه جمهور علماء أهل السنة بأن الضمير يعود لله تعالى بلا تشبيه أوتمثيل أو تعطيل والله تعالى أعلم.
وإليك أخي القارئ ما قاله ابنُ عثيمين في إزالةِ هذه الشُّبهة، وفيه مِسك الختام؛ لأنَّه يبيِّن أصل الصورة التي خَلَق الله عليها آدَمَ، ويُبيِّن بوضوح صحة الرأي الذي ذهَب إليه الرأيُ الآخَر للعلماء الأفاضل، ودون تأويل

للصورةِ، بل تنزيه الله عنها ونفْي المماثلة، وهو بذلك يكشف الغُمَّة، ويوفِّق بين التفسيرين بما لا يُخالِفُ عقيدةَ أهل السنة في الصِّفات – رحمه الله تعالى - والله المستعان.

قال ما نصُّه: "قال النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلَّم -: ((إنَّ الله خَلَق آدَمَ على صورتِه))، والصورة مماثلة للأخرى، ولا يُعقل صورة إلاَّ مماثلة للأخرى، ولهذا أكتُب لك رسالة، ثم تُدخلها الآلة الفوتوغرافيَّة، وتُخرج الرسالة، فيُقال: هذه صورة هذه، ولا فَرْق بين الحروف والكلمات، فالصورةُ مطابقةٌ للصورة، والقائل: ((إنَّ الله خَلَق آدَمَ على صورتِه)) الرسولُ - عليه السلام - أعلمُ وأصدقُ وأنصحُ وأفصحُ الخلق، والجواب المجمَل أنْ نقول: لا يُمكن أنْ يُناقِض هذا الحديثُ قولَه - تعالى :-(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)]الشورى: ١١[، فإن يسَّرَ الله لك الجمْع، فاجْمَع، وإن لم يتيسَّر، فقل :(آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا)]آل عمران: ٧[، وعَقيدتنا أنَّ الله لا مَثِيلَ له، فبهذا تَسلم أمامَ الله - عزَّ وجلَّ.

هذا كلامُ الله، وهذا كلامُ رسولِه، والكلُّ حقٌّ، ولا يُمكِن أن يُكذِّب بعضُه بعضًا؛ لأنَّه كله خبَر وليس حُكمًا كي يُنسَخ، فأقول: هذا نفيٌ للمماثلة، وهذا إثباتٌ للصورة، فقل: إنَّ الله ليس كمثله شيء، وإنَّ الله خَلَق آدَم على صورتِه، فهذا كلامُ الله، وهذا كلامُ رسوله، والكلُّ حقٌّ نؤمِن به، ونقول :كلٌّ مِن عند ربنا، ونسكُت، وهذا هو غايةُ ما تستطيع.

وأمَّا الجواب المفصَّل: فنقول :إنَّ الذي قال: ((إنَّ الله خلَق آدَم على صورتِه)) رسولُ الذي قال :(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)]الشورى: ١١[، والرسول لا يُمكن أن

٥١

ينطقَ بما يُكذِّب المرسِل، والذي قال: ((خَلَق آدَمَ على صورتِه)) هو الذي قال: ((إنَّ أوَّلَ زُمرة تدخُل الجنة على صورةِ القَمر))، فهل أنت تعتقد أنَّ هؤلاء الذين يَدخُلونَ الجَنَّةَ على صورة القمَر مِن كلِّ وجه، أو تعتقد أنَّهم على صورة البشَر، لكن في الوضاءةِ والحُسن والجمال واستدارة الوجْه وما أشبه ذلك على صورةِ القمر لا مِن كلِّ وجه؟!

فإن قلت بالأوَّل، فمقتضاه أنَّهم دخلوا وليس لهم أعينٌ وليس لهم أنوف وليس لهم أفواه، وإنْ شِئنَا قلنا: دخلوا وهم أحجار !وإن قلت بالثاني، زال الإشكال، وتبيَّن أنَّه لا يلزم مِن كونِ الشيء على صورة الشيء أن يكونَ مماثلاً له مِن كلِّ وجه، فإن أبَى فَهمُك وتقاصَر عن هذا، وقال: أنا لا أفهم إلاَّ أنه مماثل.

قلنا :هناك جوابٌ آخر، وهو أنَّ الإضافة هنا مِن بابِ إضافة المخلوق إلى خالقِه، فقوله: ((على صورتِه))، مِثل قوله - عزَّ وجلَّ - في آدم :(وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي)]الحجر: ٢٩[، ولا يُمكن أنَّ الله - عزَّ وجلَّ - أعْطَى آدَمَ جزءًا من رُوحه، بل المراد الرُّوح التي خَلَقها الله - عزَّ وجلَّ - لكن إضافتها إليه بخصوصِها من بابِ التشريف، كما نقول: عباد الله، يشمل الكافِرَ والمسلمَ والمؤمِن والشهيد والصِّدِّيقَ والنبيَّ، لكنَّنا لو قلنا: محمَّد عبد الله، هذه إضافةٌ خاصَّة، ليست كالعبوديَّة السابقة. اهـ.

قلت :والحاصل مِن حديثِ الصورة أنَّ الله تعالى خلَق آدم على صورتِه هو - جل شأنه - كما وضَّحْنا مِن أقوال العلماء الثِّقات، وهو الرأي الذي نؤيِّده، وهو الأسلمُ والأقوَى دليلاً وبرهانًا، **وهي طريقة السلف بإمرار الصفات على**

مرادها بلا تأويل أو تمثيل أوتكييف أوتعطيل لها، ونعذر العلماء الأفاضلَ مِن أهل السُّنة والجماعة الذين قالوا: إنَّ الله خَلَق آدَمَ على صورتِه هو - أي آدم - مع تنزيه الله تعالى حسب فهمهم واجتهادهم في صحة أو ضعف حديث الصورة، وما ذكَرْناه هو ما نَستريح إليه، واللهُ هو يَهدي السبيل.
وعودة إلي الحديث وشرحه قَالَ الإمَامُ المناوي:
في شرح قوله (وطوله ستون ذراعاً) بذراع نفسه أو بالذراع المتعارف يومئذ للمخاطبين أو بالذراع المعروف عندنا.

وعن قوله (ثم قَالَ له: اذهب فسلِّم على أولئك النفر) فيه إشعارٌ بأنهم كانوا على بُعْد، ولا حجة فيه لمن أوجب ابتداء السَّلام لأنها واقعة حال لا عمومَ لها.
(وهم نفر من الملائكة جلوس) قَالَ ابن حجر: لم أقف على تعيينهم (فاستمع) في رواية فاسمع مَا يحيونك.
(فإنها تحيتك وتحية ذريتك) من جهة الشرع أو أراد بالذرية بعضهم وهم المسلمون (فذهب فقَالَ السَّلام عليكم) يُحتَمَل أنه تعالى عَلَّمه كيفية ذلك نصاً، وكونه فهمه من قوله له سَلِّم، وكونه ألهمه ذلك.
(فقالوا السَّلام عليك ورحمة الله) وهذا أوَّل مشروعية السَّلام وتخصيصه لأنه فتح باب المودة وتأليف لقلوب الأخوان المؤدي إلى استكمال الإيمان، كما في خبر مسلم: (لا تدخلوا الجَنَّة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السَّلام بينكم) واستأنس بهذا مَن أجاز حذف الواو في الرد، ووجهه أن المُسَلَّم عليه مأمورٌ بمثل تحية المُسَلِّم عدلاً وأحسن منها فضلاً، فإذا رد بالمثل أتى بالعدل.

وعن قوله (فزادوه) الضمير لآدم والزيادة تتعدى إلى مفعولين ومفعوله الثاني قوله (ورحمة الله) وفيه مشروعية زيادة الرد، واتفقوا على وجوب الرد، لأن السَّلام الأمان فإذا ابتدأ به المسلم فلم يحيه أوهم الشر، قَالَ القرطبي: وقد دَلَّ هذا الخبر على تأكُّد السَّلام، وأنه من الشرائع القديمة التي كُلِّفَ بها آدم ثم لم تُنْسَخ.

وعن قوله (فكل مَن يدخل الجَنَّة) من بني آدم يدخلها وهو (على صورة آدم) أي على صفته في الحُسن والجمال والطول، ولا يدخلها على صورة نفسه من نحو سوادٍ وعاهَة.

وعن قوله (فلم تزل الخلق تنقص بعده) قال : في الجمال والطول (حتى الآن) فانتهى التناقص إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك فإذا دخل الجَنَّة عادوا إلى مَا كان آدم عليه من الكمال والجمال وامتداد القامة وحسن الهامة.اهـ

****الحديث الثاني: (...فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته)**[١]

*أخرجه الترمذي التفسير- باب ومن سورة الأعراف.

عن أبي هريرة قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال أي رب من هذا فقال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود فقال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال أي رب زده من عمري أربعين سنة فلما قضي عمر آدم جاءه ملك الموت فقال أولم يبق من عمري أربعون سنة قال أولم تعطها

١- أخرجه الترمذي في التفسير (٣٠٧٦) وقَالَ الألباني: صحيح (انظر صحيح الجامع: ٥٢٠٩)..

٥٤

ابنك داود قال فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته)

الشرح والبيان:

قال المباركفوري في تحفة الأحوزيمختصرا:

قوله : (فسقط من ظهره) أي خرج منه (كل نسمة) أي ذي روح وقيل كل ذي نفس مأخوذة من النسيم قاله الطيبي (هو خالقها من ذريته) الجملة صفة نسمة ومن بيانية ، وفي الحديث دليل بين على أن إخراج الذرية كان حقيقيا (وبيصا) أي بريقا ولمعانا (من نور) في ذكره إشارة إلى الفطرة السليمة وفي قوله بين عيني كل إنسان إيذان بإن الذرية كانت على صورة الإنسان على مقدار الذر (فأعجبه وبيص ما بين عينيه) .

أي سره (هذا رجل من آخر الأمم) مع أمة ، والآخرية إضافية لا حقيقية ، فإن الآخرية الحقيقية ثابتة لأمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن المعلوم أن داود عليه السلام ليس منهم " يقال له داود " قيل تخصيص التعجب من وبيص داود إظهار لكرامته ومدح له فلا يلزم تفضيله على سائر الأنبياء لأن المفضول قد يكون له مزية بل مزايا ليست في الفاضل ، ولعل وجه الملاءمة بينهما اشتراك نسبة الخلافة (قال) أي آدم (رب) حذف حرف النداء (وكم جعلت عمره، أي كم سنة جعلت عمره " زده من عمري " يعني من جملة الألف ، ومن عمري صفة أربعين قدمت فعادت حالا (أربعين سنة) مفعول ثان لقوله زده ، كقوله تعالى : { رب زدني علما) .

قال أبو البقاء : زاد يستعمل لازما كقولك ، زاد الماء ، ويستعمل متعديا إلى مفعولين ، كقوله زدته درهما ، وعلى هذا جاء قوله تعالى { فزادهم الله مرضا } (أو لم يبق من عمري أربعون سنة) بهمزة الاستفهام الإنكاري المنصب على نفي البقاء فيفيد إثباته وقدمت على الواو لصدارتها ، والواو استئنافية لمجرد

الربط بين ما قبلها وما بعدها (قال) أي ملك الموت (أو لم تعطها) أي أتقول ذلك ولم تعط الأربعين (فجحد آدم) أي ذلك لأن كان في عالم الذر فلم يستحضره حالة مجيء ملك الموت له (فجحدت ذريته) لأن الولد سر أبيه (فنسي آدم فنسيت ذريته) كذا في النسخ الموجودة . ووقع في المشكاة ونسي آدم فأكل من الشجرة فنسيت ذريته . .اهـ

*وهناك رواية أخري للترمذي في التفسير- باب ومن سورة المعوزتين بلفظ:

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فحمد الله بإذنه فقال له ربه يرحمك الله يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملإٍ منهم جلوس فقل السلام عليكم قالوا وعليك السلام ورحمة الله ثم رجع إلى ربه فقال إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم فقال الله له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال أي رب ما هؤلاء فقال هؤلاء ذريتك فإذا كل إنسان مكتوب عمره بين عينيه فإذا فيهم رجل أضوؤهم أو من أضوئهم قال يا رب من هذا قال هذا ابنك داود قد كتبت له عمر أربعين سنة قال يا رب زده في عمره قال ذاك الذي كتبت له قال أي رب فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة قال أنت وذاك قال ثم أسكن الجنة ما شاء الله ثم أهبط منها فكان آدم يعد لنفسه قال فأتاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت قد كتب لي ألف سنة قال بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة فجحد فجحدت ذريته ونسي فنسيت ذريته قال فمن يومئذ أمر بالكتاب والشهود)

**** الشرح والبيان:**

قَالَ المباركفوري في تحفة الأحوذي:

قوله : (عطس) من باب نصر وضرب (فقال الحمد لله) أي فأراد أن يقول الحمد لله (فحمد الله بإذنه) أي بأمره وحكمه أو بقضائه وقدره أو بتيسيره

وتوفيقه (إلى ملأ منهم) يحتمل أن يكون بدلا فيكون من كلام الله تعالى . ويحتمل أن يكون حالا فيكون من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لكلام الله تعالى وهو إلى الحال أقرب منه إلى البدل ، يعني قال الله تعالى أولئك مشيرا به إلى ملأ منهم (جلوس) بالجر صفة ملأ أي جالسين أو ذوي جلوس (فقل السلام عليكم . قالوا وعليك السلام ورحمة الله)

هذا اختصار والتقدير : فقل السلام عليكم فذهب آدم إليهم فقال السلام عليكم فقال وعليك السلام ورحمة الله (قال) أي الرب سبحانه (إن هذه) أي الكلمات المذكورة (وتحية بنيك) فيه تغليب أي ذريتك (بينهم) أي فيما بينهم عند ملاقاتهم فهذه سنة قديمة (ويداه مقبوضتان) الجملة حال والضمير لله . قال القاري : مذهب السلف من نفي التشبيه وإثبات التنزيه مع التفويض أسلم انتهى .

قلت : بل هو الصواب (اختر أيهما) أي من اليدين . وفي المشكاة أيتهما وهو الظاهر (وكلتا يدي ربي يمين) من كلام آدم أو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم و قوله : (مباركة) صفة كاشفة (ثم بسطها) أي فتح الرب سبحانه وتعالى يمينه (فإذا فيها) أي موجود (آدم وذريته) قال الطيبي :

يقول النبي صلى الله عليه وسلم يعني رأى آدم مثاله ومثال بنيه في عالم الغيب (هؤلاء ذريتك) الظاهر من كونهم في اليمين اختصاصهم بالصالحين من أصحاب اليمين والمقربين ويدل عليه أيضا قوله : فإذا كل إنسان إلخ (فإذا فيهم رجل أضوءهم) فيه دلالة على أن لكلهم ضياء لكنه يختلف فيهم بحسب نور إيمانهم (أو من أضوئهم) الظاهر أنه شك من الراوي (من هذا) قال الطيبي ذكر أولا ما هؤلاء لأنه ما عرف ما رآه ثم لما قيل له هم ذريتك فعرفهم فقال من هذا (وقد كتبت له عمر أربعين سنة) قال الطيبي :

قوله عمر أربعين مفعول كتبت ومؤدي المكتوب لأن المكتوب عمره أربعون سنة ونصب أربعين على المصدر على تأويل كتبت له أن يعمر أربعين سنة (

٥٧

قال يا رب زده في عمره) أي من عندك وفضلك (ذاك الذي كتب له) بصيغة المجهول ، وفي بعض النسخ : كتبت بصيغة المتكلم المعلوم . قال الطيبي : ذاك الذي مبتدأ وخبر معرفتان فيفيد الحصر أي لا مزيد على ذلك ولا نقصان (قال) يعني آدم (أي رب) أي يا رب (فإني) أي إذا أبيت من عندك فإني (قد جعلت له من عمري) أي من جملة مدة عمري وسنيه (ستين سنة) أي تكملة للمائة ، والظاهر أن المراد بهذا الخبر الدعاء والاستدعاء من ربه أن يجعله سبحانه كذلك فإن أحدا لم يقدر على هذا الجعل ، وقوله قد جعلت له من عمري ستين سنة هنا يخالف ما وقع في رواية أبي هريرة في تفسير سورة الأعراف بلفظ : زده من عمري أربعين سنة وقد تقدم وجه الجمع هناك (قال أنت وذاك) قال القاري : يحتمل البراءة ويحتمل الإجابة .

وقال الطيبي : هو نحو قولهم كل رجل وضيعته أي أنت مع مطلوبك مقرونان (ثم أسكن) بصيغة المجهول من الإسكان (ثم أهبط) أي أنزل (منها) أي من الجنة (يعد لنفسه) أي يقدر له ويراعي أوقات أجله سنة فسنة (فأتاه ملك الموت) أي امتحانا بعد تمام تسعمائة وأربعين سنة (قد عجلت) بكسر الجيم أي استعجلت وجئت قبل أوانه (فجحد) أي أنكر آدم (فجحدت ذريته) أي بناء على أن الولد من سر أبيه (ونسي فنسيت ذريته) لأن الولد من طينة أبيه والظاهر أن معناه أن آدم نسي هذه القضية فجحد فيكون اعتذارا له إذا يبعد منه عليه السلام أن ينكر مع التذكر (قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (أمر) بصيغة المجهول أي أمر الناس أو الغائب (بالكتاب والشهود) أي بكتابة القضايا والشهود فيها .اه

الحديث الثالث:(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما....)[١]

*أخرجه مسلم في القدر- باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه
- عن عبد الله رضي الله تعالي عنه قال(حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)
*وأخرجه البخاري في بدء الخلق/ باب ذكر الملائكة
عن الأعمش عن زيد بن وهب قال عبد الله رضي الله تعالي عنه (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة) وأخرجه الترمذي وأحمد وأبو داود بألفاظ لا تختلف عما في الصحيحين.

**** الشرح والبيان :**

١- أخرجه مسلم في القدر (٢٦٤٣) ، والبخاري في بدء الخلق (٣٢٠٨) ، والترمذي في القدر عن رسول الله (٢٠٦٣) ، وأبو داود في السنة (٤٧٠٨) ، وابن ماجة في المقدمة (٧٦) .

٥٩

*قال النووي في شرح مسلم:
قوله : (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ، ثم تكون في ذلك علقة مثل ذلك ، ثم تكون في ذلك مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله وعمله ، وشقي أم سعيد)
أما قوله (الصادق المصدوق) فمعناه الصادق في قوله ، المصدوق فيما يأتي من الوحي الكريم . وأما قوله : (إن أحدكم) بكسر الهمزة على حكاية لفظه صلى الله عليه وسلم قوله : (بكتب رزقه) هو بالباء الموحدة في أوله على البدل من أربع . و قوله : (شقي أو سعيد) مرفوع خبر مبتدأ محذوف أي وهو شقي أو سعيد .
قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث : (ثم يرسل الملك) ظاهره أن إرساله يكون بعد مائة وعشرين يوما ، وفي الرواية التي بعد هذه (يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين ، أو خمس وأربعين ليلة فيقول : يا رب أشقي أم سعيد) وفي الرواية الثالثة : (إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث اله إليها ملكا قصورها ، وخلق سمعها ، وبصرها ، وجلدها) .
وفي رواية حذيفة بن أسيد : (إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ، ثم يتسور عليها الملك) . وفي رواية : (إن ملكا موكلا بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئا بإذن الله لبضع وأربعين ليلة) ، وذكر الحديث . وفي رواية أنس : (إن الله قد وكل بالرحم ملكا فيقول : أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة) . قال العلماء : طريق الجمع بين هذه الروايات أن للملك ملازمة ومراعاة لحال النطفة ، وأنه يقول : يا رب هذه علقة ، هذه مضغة ، في أوقاتها . فكل وقت يقول فيه ما صارت إليه بأمر الله تعالى ، وهو أعلم سبحانه ، ولكلام الملك وتصرفه أوقات : أحدها حين يخلقها الله تعالى نطفة ، ثم ينقلها علقة ، وهو أول

علم الملك بأنه ولد ؛ لأنه ليس كل نطفة تصير ولدا ، وذلك عقب الأربعين الأولى ، وحينئذ يكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته أو سعادته ، ثم للملك فيه تصرف آخر في وقت آخر ، وهو تصويره وخلق سمعه وبصره وجلده وعظمه ، وكونه ذكرا أم أنثى ، وذلك إنما يكون في الأربعين الثالثة ، وهي مدة المضغة ، وقبل انقضاء هذه الأربعين ، وقبل نفخ الروح فيه ؛ لأن نفخ الروح لا يكون إلا بعد تمام صورته .

واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر ووقع في رواية للبخاري (إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ، ثم يكون علقة مثله ، ثم يكون مضغة مثله ، ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات ، فيكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه ثم يبعث) بحرف (ثم) يقتضي تأخير كتب الملك هذه الأمور إلى ما بعد الأربعين الثالثة ، والأحاديث الباقية تقتضي الكتب بعد الأربعين الأولى .

وجوابه أن قوله : (يبعث إليه الملك فيؤذن فيكتب) معطوف على قوله (يجمع في بطن أمه) ، ومتعلق به لا بما قبله ، وهو قوله : (ثم يكون مضغة مثله) ، ويكون قوله : (ثم يكون علقة مثله ، ثم يكون مضغة مثله) معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه وذلك جائز موجود في القرآن والحديث الصحيح وغيره من كلام العرب . قال القاضي وغيره : والمراد بإرسال الملك في هذه الأشياء أمره بها وبالتصرف فيها بهذه الأفعال ، وإلا فقد صرح في الحديث بأنه موكل بالرحم ، وأنه يقول : يا رب نطفة ، يا رب علقة .

قوله صلى الله عليه وسلم : (فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار إلخ) المراد بالذراع التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه ، وأن تلك الدار ما بقي بينه وبين أن يصلها إلا

كمن بقي بينه وبين موضع من الأرض ذراع ، والمراد بهذا الحديث أن هذا قد يقع في نادر من الناس ، لا أنه غالب فيهم ، ثم أنه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة ، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندور ، ونهاية القلة ، وهو نحو قوله تعالى :
{ إن رحمتي سبقت غضبي وغلبت غضبي } ويدخل في هذا من انقلب إلى عمل النار بكفر أو معصية ، لكن يختلفان في التخليد وعدمه ؛ فالكافر يخلد في النار ، والعاصي الذي مات موحدا لا يخلد فيها كما سبق تقريره . وفي هذا الحديث تصريح بإثبات القدر ، وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها ، وأن من مات على شيء حكم له به من خير أو شر ، إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة . والله أعلم .أهـ

الحديث الرابع: (....هَؤلاءِ فِي الجَنَّة وَلا أُبَالِي، وَهَؤلاءِ فِي النَّار وَلا أُبَالِي)[1]

* أخرجه الترمذي في التفسير – ومن سورة الأعراف.

عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه سئل عن هذه الآية(" وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين"

فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فأخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج

١- أخرجه الترمذي في التفسير (٣٠٧٥) ، وأبو داود في السنة (٤٧٠٣) (، وأحمد في مسند العشرة المبشرون بالجنة ، ومالك في الجامع (١٦٦١)وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٥٨) .

منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الله الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار)

الشرح والبيان:

- قال المباركفوري في تحفة الأحوزي مختصرا:

قوله : (أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية) أي عن كيفية أخذ الله ذرية بني آدم من ظهورهم المذكور في الآية { وإذ } أي اذكر يا محمد حين { أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم } بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار ، وقيل بدل بعض { ذريتهم } بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم ، نسلا بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة ، ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا { وأشهدهم على أنفسهم } قال { ألست بربكم قالوا بلى } أنت ربنا { شهدنا } بذلك { أن تقولوا } أي لئلا تقولوا { يوم القيامة إنا كنا عن هذا } أي التوحيد { غافلين } لا نعرفه (سئل) بصيغة المجهول والجملة حالية (عنها) أي عن هذه الآية (ثم مسح ظهره) أي ظهر آدم (بيمينه) .

قال الطيبي : ينسب الخير إلى اليمين ، ففيه تنبيه على تخصيص آدم بالكرامة ، وقيل بيد بعض ملائكته وهو الملك الموكل على تصوير الأجنة أسند إليه تعالى للتشريف ، أو لأنه الآمر والمتصرف ، كما أسند إليه التوفي في قوله تعالى { الله يتوفى الأنفس } وقال تعالى : { الذين تتوفاهم الملائكة } ويحتمل أن يكون الماسح هو الله تعالى والمسح من باب التصوير والتمثيل كذا في المرقاة .

قلت : هذه تأويلات لا حاجة إليها قد مر مرارا أن مذهب السلف الصالحين رضي الله عنهم ، في أمثال هذه الأحاديث إمرارها على ظواهرها من غير تأويل

٦٣

وتكييف (فاستخرج منه ذرية) قيل قبل دخول آدم الجنة بين مكة والطائف ، وقيل ببطن نعمان وأنه بقرب عرفة ، وقيل في الجنة ، وقيل بعد النزول منها بأرض الهند

ثم قال المباركفوري :

(وبعمل أهل الجنة) أي من الطاعات (يعملون) إما في جميع عمرهم أو في خاتمة أمرهم (ففيم العمل يا رسول الله) أي إذا كان كما ذكرت يا رسول الله من سبق القدر ، ففي أي شيء يفيد العمل ؟ أو بأي شيء يتعلق العمل أو في شيء أمرنا بالعمل (استعمله بعمل أهل الجنة) أي جعله عاملا بعمل أهل الجنة ووفقه للعمل به ، (حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة) يه إشارة إلى أن المدار على عمل مقارن بالموت . اهـ .

*وقَالَ الإمَامُ ابن قيم الجوزية في" شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل":

يسبق إلى أفهام كثيرٍ من الناس أن القضاء والقدر إذا كان قد سبق فلا فائدة في الأعمال، وأن ما قضاه الرب سبحانه وقدَّره لا بد من وقوعه، فتوسط العمل لا فائدة فيه، وقد سبق إيراد هذا السؤال من الصحابة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فأجابهم بما فيه الشفاء والهدى، ففي الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال:

كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكث بمخصرته، ثم قال: " ما منكم من أحدٍ، ما من نفسٍ منفوسة إلا كُتِبَ مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كُتِبَت شقية أو سعيدة، فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكِلَّ على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان منَّا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى

الشقاوة، فقال: اعملوا فكُلٌ مُيَسَّرٌ، أما أهل السعادة فيُيَسَّرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيُيَسَّرون لعمل أهل الشقاوة ".اهـ

قلت : وراجع مذكرناه في شرح حديث القلم فهو يكشف الغمة ويزيل الألتباس ولله الحمد والمنة.

الحديث الخامس:(قرصت نملة نبيا من الأنبياء...)[١]

* اخرجه مسلم في السلام- باب النهي عن قتل النمل.
عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(أن نملة قرصت نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح) وأخرج نحوه البخاري والنسائي وأحمد والبيهقي وابن ماجة
*واخرجه أبو داود في الأدب- باب في قتل الذر.
عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال(نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ثم أمر بها فأحرقت فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة.) وقَالَ الألباني: صحيح (انظر صحيح الجامع: ٤٣٨٨).

**** الشرح والبيان :**

- قال النووي في شرح مسلم :

١- أخرجه البخاري في الجهاد (٣٠١٩) ، ومسلم في السلام (٢٢٤١) واللفظ له ، وأبو داود في الآداب (٥٢٦٥) ، والنسائي في الصيد والذبائح (٤٣٥٨) ،وأبن ماجه في الصيد (٣٢٢٥) ، وأحمد في مسند المكثرين (٢٧٣٤٦)

قوله صلى الله عليه وسلم : (أن نملة قرصت نبيا من الأنبياء ، فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه : في أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح) وفي رواية : (فهلا نملة واحدة) قال العلماء :

وهذا الحديث محمول على أن شرع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان فيه جواز قتل النمل ، وجواز الإحراق بالنار ، ولم يعتب عليه في أصل القتل والإحراق ، بل في الزيادة على نملة واحدة . وأما في شرعنا فلا يجوز الإحراق بالنار للحيوان إلا إذا أحرق إنسانا فمات بالإحراق ، فلوليه الاقتصاص بإحراق الجاني .

وسواء في منع الإحراق بالنار القمل وغيره للحديث المشهور : (لا يعذب بالنار إلا الله) وأما قتل النمل فمذهبنا أنه لا يجوز ، واحتج أصحابنا فيه بحديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل أربع من الدواب : النملة والنحلة والهدهد والصرد رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم

وقوله صلى الله عليه وسلم : (فأمر بقرية النمل فأحرقت) وفي رواية (فأمر بجهازه فأخرج من تحت الشجرة) أما (قرية النمل) فهي منزلهن . والجهاز بفتح الجيم وكسرها ، وهو المتاع .اهـ

*** وفي عون المعبود في شرح حديث أبو داود قال الفيروزأبادي :**

(فلدغته) : بإهمال الدال وإعجام الغين أي لسعته (فأمر) : أي نبي (بجهازه) : بفتح الجيم وكسرها وهو المتاع فأخرج المتاع (من تحتها) : أي الشجرة (ثم أمر) : نبي (بها) : أي بالنملة وفي الرواية الآتية فأمر بقرية النملة (إليه) : أي إلى النبي صلى الله عليه وسلم (فهلا نملة واحدة) : أي فهلا عاقبت نملة واحدة هي التي قرصتك لأنها الجانية وأما غيرها فليس لها جناية وأما في شرعنا فلا يجوز الإحراق بالنار للحيوان إلا إذا أحرق إنسانا فمات بالإحراق فلوليه

الاقتصاص بإحراق الجاني وسواء في منع الإحراق بالنار النمل وغيره للحديث المشهور " لا يعذب بالنار إلا الله " قاله النووي . اهـ
وقَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القديرمختصرا:
لو أحرق واحدة لم يُعاتَب، وإنما عُوتِبَ لأنه فعله انتقاماً وتَشَفِّيَاً، وفي المفهم إنما عوتب حيث انتقم لنفسه بإهلاك جمعٍ أذاه واحدٌ منهم، وكان الأولى الصبر والعفو، لكن رأى النبي أن هذا النوع مؤذٍ لبني آدم، وحُرْمَةُ ابن آدم أعظم من حُرْمَة غير الناطق، فلو لم ينضم لذلك التشفِّي الطبيعي لا يُعَاتَب.
والذي يُوجِب ذلك التمسُّك بعِصْمَة الأنبياء وأنهم أعلم الناس بالله وبأحكامه وأشدهم له خشية، وقَالَ بعضهم:
لم يعاتبه إنكاراً لفعلته، بل إيضاحاً لحكمة شمول الإهلاك لجميع أهل القرية، وضرب له المثل بالنمل أي إذا اختلط مَن يستحق الإهلاك بغيره وتعيَّن إهلاك الكل طريقاً لإهلاك المستحق جاز إهلاك الكل.
وقَالَ بعضهم: وسبب القصة أن ذلك النبي مرَّ على قريةٍ أهلكها الله بذنوب أهلها فوقف متعجباً، فقال: يا رب فيهم صبيان ودواب ومَن لم يقتَرف ذنباً، ثم نزل تحت شجرةٍ فلدغته نملة فأحرق الكل، فقيل له ذلك.اهـ

الحديث السادس: (..لا ينبغي لعبد أن يقول إنه خير من يونس بن متى)[1]

* أخرجه مسلم في الفضائل –باب في ذكر يونس .

١- أخرجه البخاري في التوحيد (٧٥٣٩) ،ومسلم في الفضائل (٢٣٧٧) ، وأبو داود في السنة (٤٦٦٩) ،وأحمد في مسند بن هاشم (٢١٦٨)

عن قتادة قال سمعت أبا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ونسبه إلى أبيه) وأخرج البخاري وغيره نحوه
***** الشرح والبيان :**
قال النووي في شرح مسلم :
قوله صلى الله عليه وسلم : (ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس) فالضمير في (أنا) قيل : يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل : يعود إلى القائل أي لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين في عبادة أو علم أو غير ذلك من الفضائل ، فإنه لو بلغ من الفضائل ما بلغ لم يبلغ النبوة .
ويؤيد هذا التأويل الرواية التي قبله ، وهي قوله تعالى : (لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) والله أعلم .اهـ
* وقال المباركفوري في تحفة الأحوزي :
(ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى) : بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية المقصورة هو اسم والد يونس وقيل هو اسم أمه والصحيح الأول وإنما قال صلى الله عليه وسلم ذلك تواضعا إن كان قاله بعد أن أعلم أنه أفضل الخلق ، وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال وإنما خص يونس عليه السلام بالذكر لما قص الله في كتابه من أمر يونس وتوليه عن قومه وضجرته عن تثبطهم في الإجابة وقلة الاحتمال عنهم والاحتفال بهم حين راموا التنصل فقال تعالى { ولا تكن كصاحب الحوت } وقال : { وهو مليم } فلم يأمن صلى الله عليه وسلم أن يقع تنقيص له في نفس من سمع قصته فبالغ في ذكر فضله لسد هذه الذريعة قاله القاري . اهـ

الحديث السابع:(بينا أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب..)[١]

*أخرجه البخاري في الغسل- باب من أغتسل عريانا وحده في الخلوة.
عن أبي هريرة رضي الله تعالي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(بينا أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحتثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى وعزتك ولكن لا غنى بي عن بركتك) وأخرج النسائي نحوه
*وأخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(أرسل على أيوب جراد من ذهب فجعل يلتقط فقال ألم أغنك يا أيوب قال يا رب ومن يشبع من رحمتك أو قال من فضلك)

***الشرح والبيان :**
قَالَ الإمَامُ ابن حجر المتوفي سنة-٨٥٢ **á** - في فتح الباري مختصرا:
قوله: (خرَّ عليه) أي سقط عليه، وقوله: (رجل جراد) أي جماعة جراد، والجراد اسم جمع واحده جرادة كتمر وتمرة، وحكى ابن سيده أنه يقَالُ للذكر جراد وللأنثى جرادوقوله: (يحثي) بالمثلثة أي يأخذ بيديه جميعا.وقوله: (في ثوبه) في حديث ابن عباس عند ابن أبي حاتم " فجعل أيوب ينشر طرف ثوبه فيأخذ الجراد فيجعله فيه فكلما امتلأت ناحية نشر ناحية".
وقوله: (فناداه ربه) يحتمل أن يكون بواسطة أو بإلهام، ويحتمل أن يكون بغير واسطة.وقوله: (قَالَ بلى) أي أغنيتني.وقوله: (ولكن لا غنى لي) بالقصر بغير

١- أخرجه البخاري في الغسل (٢٧٩) ،والنسائي في الغسل والتيمم (٤٠٩)، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٧٩٧٨)

تنوين وخبر لا قوله لي أو قوله عن بركتك.وفي الحديث جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه بالشكر عليه، وفيه تسمية المال الذي يكون من هذه الجهة بركة، وفيه فضل الغني الشاكراه
*وقال السندي في شرح سنن النسائي:
قوله (يغتسل عريانا) أي فالعري في محل مأمون عن نظر الغير بمنزلة الستر وهذا مبني على أن شرع من قبلنا شرع لنا (خر عليه) أي سقط عليه من فوق (ولكن لا غنى بي عن بركاتك) أي فأجمعه لكونه من جملة بركاتك وظاهر الحديث أن الله تعالى كلمه بلا واسطة ويحتمل أن المراد بواسطة الملك اهـ

الحديث الثامن: (أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم..)[1]
* أخرجه مسلم في الفضائل- باب من فضائل الخضر.
عن سعيد بن جبير قال(قيل لابن عباس إن نوفا يزعم أن موسى الذي ذهب يلتمس العلم ليس بموسى بني إسرائيل قال أسمعته يا سعيد قلت نعم قال كذب نوف حدثنا أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه بينما موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بأيام الله وأيام الله نعماؤه وبلاؤه إذ قال ما أعلم في الأرض رجلا خيرا وأعلم مني قال فأوحى الله إليه إني أعلم بالخير منه أو عند من هو إن في الأرض رجلا هو أعلم منك قال يا رب فدلني عليه قال فقيل له تزود حوتا مالحا فإنه حيث تفقد الحوت قال فانطلق هو وفتاه حتى انتهيا

١- أخرجة البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٠١)، ومسلم في الفضائل (٢٣٨٠) واللفظ له، والترمذي في تفسير القرآن عن رسول الله (٣٠٧٤)، وأحمد في مسند الأنصار (٢٠٦١١)

٧٠

إلى الصخرة فعمي عليه فانطلق وترك فتاه فاضطرب الحوت في الماء فجعل لا يلتئم عليه صار مثل الكوة قال فقال فتاه ألا ألحق نبي الله فأخبره قال فنسي فلما تجاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يصبهم نصب حتى تجاوزا قال فتذكر قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا فأراه مكان الحوت قال ها هنا وصف لي قال فذهب يلتمس فإذا هو بالخضر مسجى ثوبا مستلقيا على القفا أو قال على حلاوة القفا قال السلام عليكم فكشف الثوب عن وجهه قال وعليكم السلام من أنت قال أنا موسى قال ومن موسى قال موسى بني إسرائيل قال مجيء ما جاء بك قال جئت لتعلمني مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا شيء أمرت به أن أفعله إذا رأيته لم تصبر قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال انتحى عليها قال له موسى عليه السلام أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى إذا لقيا غلمانا يلعبون قال فانطلق إلى أحدهم بادي الرأي فقتله فذعر عندها موسى عليه السلام ذعرة منكرة قال أقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا المكان رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ولو صبر لرأى العجب قال وكان إذا ذكر أحدا من الأنبياء بدأ بنفسه رحمة الله علينا وعلى أخي كذا رحمة الله علينا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية لئاما فطافا في المجالس ف استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو

٧١

شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك وأخذ بثوبه قال سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر إلى آخر الآية فإذا جاء الذي يسخرها وجدها منخرقة فتجاوزها فأصلحوها بخشبة وأما الغلام فطبع يوم طبع كافرا وكان أبواه قد عطفا عليه فلو أنه أدرك أرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته إلى آخر الآية) واخرج البخاري والترمذي نحوه في التفسير

***** الشرح والبيان :**

قال النووي في شرح الحديث مختصرا :

قوله : (كذب عدو الله) قال العلماء : هو على وجه الإغلاظ والزجر عن مثل
قوله ، لا أنه يعتقد أنه عدو الله حقيقة ، إنما قاله مبالغة في إنكار قوله لمخالفته قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك في حال غضب ابن عباس لشدة إنكاره ، وحال الغضب تطلق الألفاظ ولا تراد بها حقائقها . والله أعلم .

قوله : (أنا أعلم) أي في اعتقاده ، وإلا فكان الخضر أعلم منه كما صرح به في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : (فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه) أي كان حقه أن يقول : الله أعلم ، فإن مخلوقات الله تعالى لا يعلمها إلا هو . قال الله تعالى : { وما يعلم جنود ربك إلا هو } واستدل العلماء بسؤال موسى السبيل إلى لقاء الخضر صلى الله عليه وسلم على استحباب الرحلة في طلب العلم ، واستحباب الاستكثار منه ، وأنه يستحب للعالم وإن كان من العلم بمحل عظيم أن يأخذه ممن هو أعلم منه ، ويسعى إليه في تحصيله ، وفيه فضيلة طلب العلم وفي تزوده الحوت وغيره جواز التزود في السفر .

٧٢

وفي هذا الحديث الأدب مع العالم ، وحرمة المشايخ ، وترك الاعتراض عليهم ، وتأويل ما لا يفهم ظاهره من أفعالهم وحركاتهم وأقوالهم ، والوفاء بعهودهم ، والاعتذار عند مخالفة عهدهم .

وفيه إثبات كرامات الأولياء على قول من يقول : الخضر ولي . وفيه جواز سؤال الطعام عند الحاجة ، وجواز إجارة السفينة ، وجواز ركوب السفينة والدابة وسكنى الدار ولبس الثوب ونحو ذلك بغير أجرة برضى صاحبه وقوله : (حملونا بغير نول) .

وفيه الحكم بالظاهر حتى يتبين خلافه لإنكار موسى . قال القاضي : واختلف العلماء في قول موسى : " لقد جئت شيئا إمرا " و " شيئا نكرا " أيهما أشد ؟ فقيل : إمرا لأنه العظيم ، ولأنه في مقابلة خرق السفينة الذي يترتب عليه في العادة هلاك الذي فيها وأموالهم ، وهو أعظم من قتل الغلام ، فإنها نفس واحد .

وقيل : نكرا أشد لأنه ما قاله عند مباشرة القتل حقيقة ، وأما القتل في خرق السفينة فمظنون ، وقد يسلمون في العادة ، وقد سلموا في هذه القضية ، وليس فيه ما هو محقق إلا مجرد الخرق والله أعلم .

قوله تعالى : (إن عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك) قال قتادة : هو مجمع بحري فارس والروم مما يلي المشرق ، وحكى الثعلبي عن أبي بن كعب أنه بأفريقية .

قوله : (احمل حوتا في مكتل فحيث تفقد الحوت فهو ثم) الحوت السمكة ، وكانت سمكة مالحة كما صرح به في الرواية الثانية ، والمكتل بكسر الميم وفتح المثناة فوق ، وهو القفة والزبيل ، وسبق بيانه مرات . وتفقده بكسر القاف أي يذهب منك ، يقال : فقده وافتقده .

وثم بفتح الثاء أي هناك قوله صلى الله عليه وسلم : (وانطلق معه فتاه) وهو يوشع بن نون معنى فتاه صاحبه ، ونون مصروف كنوح ، وهذا الحديث يرد قول من قال من المفسرين إن فتاه عبد له وغير ذلك من الأقوال الباطلة .

قالوا : وهو يوشع بن نون بن إفراثيم بن يوسف صلى الله عليه وسلم . قوله صلى الله عليه وسلم : (وأمسك الله عنه جرية الماء حتى كان مثل الطاق) أما (الجرية) فبكسر الجيم . والطاق عقد البناء ، وجمعه طيقان وأطواق ، وهو الأزح ، وما عقد أعلاه من البناء وبقي ما تحته خاليا . قوله صلى الله عليه وسلم : (فانطلقا بقية يومهما وليلتهما) ضبطوه بنصب ليلتهما وجرها . والنصب التعب . قالوا : لحقه النصب والجوع ليطلب الغذاء ، فيتذكر به نسيان الحوت ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : ولم ينصب حتى جاوز المكان الذي أمر به " . قوله : (واتخذ سبيله في البحر عجبا)

قيل : إن لفظة عجبا يجوز أن تكون من تمام كلام يوشع ، وقيل : من كلام موسى ، أي قال موسى : عجبت من هذا عجبا ، وقيل : من كلام الله تعالى ، ومعناه اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا . قوله (ما كنا نبغي) أي نطلب ، معناه أن الذي جئنا نطلبه هو الموضع الذي نفقد فيه الحوت .

قوله صلى الله عليه وسلم : (فرأى رجلا مسجى عليه بثوب ، فسلم عليه ، فقال له الخضر : أني بأرضك السلام ؟) المسجى المغطى . وأني أي من أين السلام في هذ الأرض التي لا يعرف فيها السلام ؟ قال العلماء : (أني) تأتي بمعنى أين ، ومتى ، وحيث ، وكيف .

(وحملوهما بغير نول) بفتح النون وإسكان الواو أي بغير أجر والنول ، والنوال العطاء . قوله : (لتغرق أهلها) قرئ في السبع بضم التاء المثناة فوق ونصب أهلها ، وبفتح المثناة تحت ورفع أهلها (لقد جئت شيئا إمرا) أي عظيما كثير الشدة (ولا ترهقني) أي تغشني وتحملني .

٧٤

قوله : (أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا) قرئ في السبع (زاكية) و (زكية) قالوا : ومعناه طاهرة من الذنوب . وقوله : (بغير نفس) أي بغير قصاص لك عليها . والنكر المنكر .

وقرئ في السبع بإسكان الكاف وضمها ، والأكثرون بالإسكان . قال العلماء : وقوله : إذا غلام يلعب فقتله دليل على أنه كان صبيا ليس ببالغ ؛ لأنه حقيقة الغلام ، وهذا قول الجمهور أنه لم يكن بالغا .

وزعمت طائفة أنه كان بالغا يعمل بالفساد ، واحتجت بقوله : (أقتلت نفسا زكية بغير نفس ؟) فدل على أنه ممن يجب عليه القصاص ، والصبي لا قصاص عليه ، وبقوله : (كان كافرا) في قراءة ابن عباس كما ذكر في آخر الحديث ، والجواب عن الأول من وجهين .

أحدهما أن المراد التنبه على أنه قتل بغير حق ، والثاني أنه يحتمل أن شرعهم كان إيجاب القصاص على الصبي ، كما أنه في شرعنا يؤاخذ بغرامة المتلفات .

والجواب عن الثاني من وجهين : أحدهما أنه شاذ لا حجة فيه ، والثاني أنه سماه بما يؤول إليه لو عاش كما جاء في الرواية الثانية .

قوله (قد بلغت من لدني عذرا) فيه ثلاث قرأت في السبع : الأكثرون بضم الدال وتشديد النون ، والثانية بالضم وتخفيف النون ، والثالثة بإسكان الدال وإشمامها الضم وتخفيف النون ، ومعناه قد بلغت إلى الغاية التي تعذر بسببها في فراقي . قوله تعالى : (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية) قال الثعلبي : قال ابن عباس : هي إنطاكية ، وقال ابن سيرين : الإيلة ، وهي أبعد الأرض من السماء . قوله تعالى : (فوجدا فيها جدارا بريد أن ينقض) هذا من المجاز لأن الجدار لا يكون له حقيقة إرادة ، ومعناه قرب من الانقضاض ، وهو السقوط . واستدل الأصوليون بهذا على وجود المجاز في القرآن ، وله نظائر معروفة . قال وهب بن منبه : كان طول هذا الجدار إلى السماء مائة ذراع .

٧٥

قوله : (لو شئت لتخذت عليه أجرا) قرئ بالسبع (لتخذت) بتخفيف التاء وكسر الخاء ، (ولاتخذت) بالتشديد وفتح الخاء أي لأخذت عليه أجرة تأكل بها . قوله صلى الله عليه وسلم : (وجاء عصفور حتى وقع على حرف السفينة ثم نقر في البحر فقال له الخضر : ما نقص علمي وعلمك من علم الله تعالى إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر)

قال العلماء : لفظ (النقص) هنا ليس على ظاهره ، وإنما معناه أن علمي وعلمك بالنسبة إلى علم الله تعالى كنسبة ما نقره هذا العصفور إلى ماء البحر ، هذا على التقريب إلى الأفهام ، وإلا فنسبة علمهما أقل وأحقر .

وقد جاء في رواية البخاري " ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور بمنقاره " أي في جنب معلوم الله .

وقد يطلق العلم بمعنى المعلوم ، وهو من إطلاق المصدر لإرادة المفعول كقولهم : رغم ضرب السلطان أي مضروبه . قال القاضي : وقال بعض من أشكل عليه هذا الحديث : (إلا) هنا بمعنى (ولا) أي ولا نقص علمي . وعلمك من علم الله ولا مثل ما أخذ هذا العصفور ، لأن علم الله تعالى لا يدخله نقص . قال القاضي : ولا حاجة إلى هذا التكلف ، بل هو صحيح كما بينا . والله أعلم .اهـ

الحديث التاسع:(أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه..)[1]

١- أخرجه مسلم في الفضائل (٢٣٧٢)، والبخاري في الجنائز (٢٠٨٩)، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٧٥٩٠)- والنسائي في الجنائز (٢٠٨٩)

٧٦

* أخرجه مسلم في الفضائل- باب من فضائل موسي.
عن أبي هريرة قال (أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت قال فرد الله إليه عينه وقال ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال أي رب ثم مه قال ثم الموت قال فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر) وأخرج نحوه البخاري واحمد والنسائي

*****الشرح والبيان :**

* قال النووي في شرح حديث مسلم :
قوله : (عن أبي هريرة قال : أرسل ملك الموت إلى موسى ، فلما جاءه صكه ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت . قال : فرد الله إليه عينه ، وقال : ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور ، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة . قال : أي رب ثم مه ؟ قال : ثم الموت .
قال : فالآن ، فسأل الله تعالى أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر) وفي الرواية الأخرى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " جاء في ملك الموت إلى موسى فقال : أجب ربك ، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها) وذكر نحو ما سبق . أما قوله : (صكه) فهو بمعنى (لطمه) في الرواية الثانية . وفقأ عينه بالهمز . ومتن الثور ظهره .
ورمية حجر أي قدر ما يبلغه . وقوله : (ثم مه) هي هاء السكت ، وهو استفهام ، أي ثم ماذا يكون أحياة أم موت ؟ والكثيب الرمل المستطيل المحدودب .

٧٧

وأما سؤاله الإدناء من الأرض المقدسة فلشرفها وفضيلة من فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم . قال بعض العلماء : وإنما سأل الإدناء ، ولم يسأل نفس بيت المقدس ، لأنه خاف أن يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به الناس وفي هذا استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة ، والقرب من مدافن الصالحين . والله أعلم .

* وقال السيوطي في شرح سنن النسائي مختصرا :

(أرسل ملك الموت) لم يرد تسميته في حديث مرفوع وورد عن وهب بن منبه أن اسمه عزرائيل رواه أبو الشيخ في العظمة (إلى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه) قال ابن خزيمة أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا إن كان موسى عرفه فقد استخف به وإن كان لم يعرفه فكيف يقتص له من فقء عينه والجواب أن موسى عليه السلام إنما لطمه لأنه رأى آدميا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن

وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط رضي الله عنهما في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء، وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى فلم يقتص له ولخص الخطابي كلام ابن خزيمة وزاد فيه أن موسى دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الحدة وأن الله تعالى رد عين ملك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند الله فلهذا استسلم حيئنذ..

- وقال ابن قتيبة إنما فقأ موسى العين التي هي تخييل وتمثيل وليست عينا حقيقة ومعنى رد الله عينه أي أعاده إلى خلقته وقيل هو على ظاهره ورد الله إلى ملك الموت عينه البشرية ليرجع إلى موسى على كمال الصورة فيكون ذلك أقوى في اعتباره وقال غيره إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره لما

٧٨

ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير فلهذا لما خيره في المرة الثانية أذعن (على متن ثور) هو الظهر وقيل هو مكتنف الصلب بين العصب واللحم (ثم مه) هي ما الاستفهامية حذفت ألفها وألحق بها هاء السكت (فلو كنت ثم) بفتح المثلثة أي هناك (تحت الكثيب الأحمر) بالمثلثة وآخره موحدة بوزن عظيم الرمل المجتمع ويقال أن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فمات وعن وهب بن منبه أن الملائكة تولوا دفنه والصلاة عليه وأنه عاش مائة وعشرين سنة .اه

قلت : هذه الإسرائيليات عن التفاحة وغيرها لاتثبت وهي مما لا يصدق ولا يكذب ولينتبه القارئ لها والله أعلم .

****الحديث العاشر:(يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة.....)[١]**

*أخرجه البخاري في احاديث الانبياء- باب قول الله تعالي وأتخذ الله أبراهيم خليلا.

-عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد فيقول الله تعالى إني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار)

****الشرح والبيان :**

١- أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٥٠)

٧٩

قَالَ الإمَامُ ابن حجر في فتح الباري (مُختَصَرَاً):
قولـه: (يلقـى إبـراهيم أبـاه آزر) هـذا موافـق لظـاهر القـرآن فـي تسـمية والـد إبراهيم.
وقوله: (وعلى وجه آزر قترة وغبرة) هذا موافق لظاهر القرآن (وجوهٌ يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة) أي يغشاها قترة، فالذي يظهر أن الغبرة الغبار من التراب، والقترة السواد الكائن عن الكآبة.
وقوله: (فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزنـي يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد) وصف نفسه بالأبعد على طريق الفرض إذا لم تُقْبَل شفاعته في أبيه، وقيل: الأبعد صفة أبيه أي أنه شديد البعد من رحمة الله لأن الفاسق بعيد منها فالكافر أبعد، وقيل: الأبعد بمعنى البعيد والمراد الهالك.
وقوله: (فإذا هو بذيخ متلطخ) والذيخ: ذكر الضباع، وقيل لا يُقَالُ له ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر.
وقوله: " متلطخ " قَالَ بعض الشراح: أي في رجيع أو دم أو طين.
قيل: الحكمة في مسخه لتنفر نفس إبراهيم منه، ولئلا يبقى في النَّار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم.
وقيل: الحكمة في مسخه ضبعا أن الضبع من أحمق الحيوان، وآزر كان من أحمق البشر، لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البينات أصر على الكفر حتى مات.
واقتصر في مسخه على هذا الحيوان لأنه وسط في التشويه، بالنسبة إلى مَا دونه كالكلب والخنزير، وإلى مَا فوقه كالأسد مثلا، ولأن إبراهيم بالغ في الخضوع له وخفض الجناح فأبى واستكبر وأصر على الكفر، فعُومِلَ بصفة الذل يوم القيامة، ولأن للضبع عوجا فأُشِير إلى أن آزر لم يستقم فيؤمن بل استمر على عِوَجِه في الدين. اهـ

الفوائد الجليلة المستخلصة من أحاديث الباب

**** الفائدة الاولي : أن ادم عليه السلام أول البشر وأن الله تعالي خلقه من تراب وأمر الملائكة بالسجود له سجود تشريف وليس سجود عبادة ، وعلمه أسماء كل شيء كما قال تعالي في كتابه العزيز:**

: " وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين * قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون"(الحجر ٢٨-٣٢

** قال ابن كثيرالمتوفي سنة ٧٧٤هـ- في تفسيره (٢/ص٧٢٦):

يذكر تعالى تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه وتشريفه إياه بأمر الملائكة بالسجود له، ويذكر تخلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة حسداً وكفراً وعناداً واستكباراً وافتخاراً بالباطل، ولهذا قال: " لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون " كقوله "أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين" وقوله: " أرأيتك هذا الذي كرمت علي " الآية اهـ

** وجاء في" فتح القدير للشوكاني المتوفي سنة -١٢٥٥ **á** -"٣/ ص١٨٥ -١٨٦" في تفسير الآية ما مختصره :

المراد بالإنسان في قوله: "ولقد خلقنا الإنسان" هو آدم لأنه أصل هذا النوع، والصلصال قال أبو عبيدة: هو الطين المخلوط بالرمل الذي يتصلصل إذا حرك، فإذا طبخ في النار فهو الفخار. وهذا قول أكثر المفسرين.

وقال الكسائي: هو الطين المنتن، مأخوذ من قول العرب صل اللحم وأصل، إذا أنتن، مطبوخاً كان أو نيئاً.
قال الحطيئة:

ذاك فتى يبذل ذا قدرة لا يفسد اللحم لديه الصلول

والحمأ: الطين الأسود المتغير. أو الطين الأسود من غير تقييد بالمتغير. قال ابن السكيت: تقول منه حمأت البئر حمأ بالتسكين: إذا نزعت حمأتها، وحمئت البئر حمأ بالتحريك: كثرت حمأتها، وأحميتها إحماء: ألقيت فيها الحمأة. قال أبو عبيدة: الحمأة بسكون الميم مثل الحمأة يعني بالتحريك، والجمع حمء مثل تمرة وتمر، والحمأ المصدر مثل الهلع والجزع، ثم سمي به. والمسنون قال الفراء: هو المتغير، وأصله من سننت الحجر على الحجر: إذا حككته، وما يخرج بين الحجرين يقال له السنانة والسنين، ومنه قول عبد الرحمن بن حسان:

ثم حاصرتها إلى القبة الحمرا تمشي في مرمر وسنون

أي محكوك، ويقال: أسن الماء إذا تغير، ومنه قوله: "لم يتسنه" وقوله: "ماء غير آسن" وكلا الاشتقاقين يدل على التغير، لأن ما يخرج بين الحجرين لا يكون إلا منتناً. وقال أبو عبيدة: المسنون المصبوب، وهو من قول العرب سننت الماء على الوجه: إذا صببته، والسن الصب. وقال سيبويه: المسنون المصور، مأخوذ من سنة الوجه، وهي صورته، ومنه قول ذي الرمة:

تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب

وقال الأخفش: المسنون المنصوب القائم، من قولهم وجه مسنون: إذا كان فيه طول. والحاصل على هذه الأقوال أن التراب لما بل صار طيناً، فلما أنتن صار حمأ مسنوناً، فلما يئس صار صلصالاً. فأصل الصلصال: هو الحمأ المسنون، ولهذا وصف بهما.

٨٢

قوله: "فإذا سويته" أي سويت خلقه وعدلت صورته الإنسانية وكملت أجزاءه "ونفخت فيه من روحي" النفخ: إجراء الريح في تجاويف جسم آخر، فمن قال إن الروح جسم لطيف كالهواء فمعناه ظاهر، ومن قال: إنه جوهر مجرد غير متحيز ولا حال في متحيز. فمعنى النفخ عنده تهيئة البدن لتعلق النفس الناطقة به. قال النيسابوري: ولا خلاف في أن الإضافة في روحي للتشريف والتكريم، مثل ناقة الله، وبيت الله.

قال القرطبي: والروح: جسم لطيف أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم. وحقيقته إضافة خلق إلى خالق، فالروح خلق من خلقه أضافه إلى نفسه تشريفاً وتكريماً، قال: ومثله "وروح منه".

وقد تقدم في النساء، "فقعوا له ساجدين" الفاء تدل على أن سجودهم واجب عليهم عقب التسوية والنفخ من غير تراخ، وهو أمر بالوقوع من وقع يقع. وفيه دليل على أن المأمور به هو السجود لا مجرد الانحناء كما قيل، وهذا السجود هو سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة ولله أن يكرم من يشاء من مخلوقاته كيف يشاء بما يشاء، وقيل كان السجود لله تعالى وكان آدم قبلة لهم.اهـ

الفائدة الثانية: أن أنبياء الله تعالي من عقيدة أهل السنة الأيمان برسالتهم ونبوتهم جميعا وعدم التفرقة بينهم لأنهم أنبياء الله واصفيائه وأن من يقدح فيهم أوينكر نبوتهم فهو كافر خارج عن عقيدة أهل السنة والحماعة .

قال تعالي :

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ {٢٨٥البقرة}

وفي كتاب "أعلام النبوة للماوردي المتوفي سنة-٤٥٠ á - ١ / ص٣٣" كلام مفصل وبيان شافي أذكره هنا والله المستعان :

قال –رحمه الله – تحت عنوان حاجة الناس إلى الرسل :

و الأنبياء هم رسل الله تعالى إلى عباده بأوامر و نواهيه زيادة على ما اقتضته العقول من واجباتها و إلزاماً لما جوزته من مباحاتها لما أراده الله من كرامة العاقل و تشريف أفعاله و استقامة أحواله و انتظام مصالحه ، حين هيأه للحكمة و طبعه على المعرفة ، ليجعله حكيماً و بالعواقب عليماً ، لأن الناس بنظرهم لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ، و لا يشعرون لعواقب أمورهم بغرائزهم ، و لا ينزجرون مع اختلاف أهوائهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين و أخبار القرون الماضين ، فتكون آداب فيهم مستعملة ، و حدوده فيهم متبعة ، و أوامره فيهم ممتثلة ، وو عده و وعيده فيهم زاجراً ، و قصص من غبر من الأمم واعظاً . فإن الأخبار العجيبة إذا طرقت الأسماع ، و المعاني الغريبة إذا أيقظت الأذهان ، استمدتها العقول فزاد علمها ، و صح فهمها ، و أكثر الناس سماعاً و أكثرهم خواطر ، و أكثرهم خواطر أكثرهم تفكراً و أكثرهم تفكراً أكثرهم علماً و أكثرهم علماً أكثرهم عملاً . فلم يو جد عن بعثه الرسل معدل و لا منهم في انتظام الحق بدل .

*ثم قال عن منكري النبوة:

و أنكر فريق من الأمم نبوات الرسل و هم فيها ثلاثة أصناف :

أحدها : ملحدة دهرية يقولون يقدم العالم و تدبير الطبائع ، فهم بإنكار المرسل أجدر أن يقولوا بإنكار الرسل .

و الصنف الثاني : براهمة موحدة يقولون بحدوث العالم و يجحدون بعثة الرسل ويبطلون النبوات ، و هم المنسوبون إلى بهر من صاحب مقالتهم . و شذ فريق منهم فادعى أنه آدم أبو البشر ، و منهم من قال هو إبراهيم ، و من قال من هذه

٨٤

الفرقة الشذة منهم أنه أحد هذين أقر بنبوتهما و أنكر نبوة من سواهما . و جمهورهم على خلاف هذه المقالة في اعتزائهم لصاحب مقالتهم و إنكار جميع النبوات عموماً . .

و الصنف الثالث : فلاسفة لا يتظاهرون بإبطال النبوات في الظاهر ، و هم مبطلوها في تحقيق قولهم ، لأنهم يقولون : إن العلوم الربانية بعد كمال العلوم الرياضية من الفلسفة و الهندسة ليضعها من كملت رياضته إذا كان عليها مطبوعاً .

الرد على منكري النبوات :

و اختلف من أبطل النبوات في علة إبطالها فذهب بعضهم إلى أن العلة في إبطالها أن الله تعالى قد أغنى عنها بما دلت عليه العقول من لوازم ما تأتي به الرسل و هذا فاسد من وجهين : أحدهما : أنه لا يمنع ما دلت عليه العقول جواز أن تأتي به الرسل وجوباً و لو كان العقل موجباً لما امتنع أن تأتي به الرسل وجوباً ، و لو كان العقل موجباً لما امتنع أن تأتي به الرسل تأكيداً كما تترادف دلائل العقول على التوحيد ، و لا يمنع وجود بعضها من و جود غيرها .

و الثاني : إنه لا تستغني قضايا العقول عن بعثة الرسل من وجهين : أحدهما : إن قضايا العقول قد تختلف فيما تكافأت فيه أدلتها فانحسم ببعثه الرسل اختلافها .

و الثاني : أنه لا مدخل للعقول فيما تأتي به الرسل من الوعد و الوعيد و الجنة و النار و ما يشرعونه من أوصاف التعبد الباعث على التأله فلم يغن عن بعثة الرسل .

و ذهب آخرون منهم إلى أن العلة في إبطال النبوات أن بعثة الرسل إلى من يعلم من حالتهم أنهم لا يقبلون منهم ما بلغوه إليهم عبث يمنع من حكمة الله تعالى . و هذا فاسد من وجهين .

أحدهما : أنه ليس بعبث أن يكون فيهم من لا يقبله كما لم يكن فيما نصبه الله تعالى من دلائل العقول على توحيده عبثاً و إن كان منهم من لا يستدل به على توحيده كذلك بعثة الرسل .
و الثاني : أن وجود من يقبله فهم على هذا التعليل يوجب بعثة الرسل و هم يمنعون إرسالهم إلى من يقبل و من لا يقبل فبطل هذا التعليل .
و قال آخرون منهم : بل العلة فيه أن ما جاء به الرسل مختلف ينقض بعضه بعضاً و نسخ المتأخر ما شرعه المتقدم ، و قضايا العقول لا تتناقض فلم يرتفع بما يختلف و يتناقض ، و هذا فاسد من و جهين : أحدهما : أن ماجاء به الرسل ضربان . أحدهما : ما لا يجوز أن يكون إلا على و جه واحد و هو التوحيد و صفات الرب المربوب فلم يختلفوا فيه و أقواله متناصرة عليه .
و الضرب الثاني : ما يجوز أن يكون من العبادات على وجه و يجوز أن يكون على خلافه و يجوز أن يكون في وقت و لا يجوز أن يكون في غيره ، و هذا النوع هو الذي اختلفت فيه الرسل لاختلاف أوقاتهم : إما بحسب الأصلح و إما بحسب الإرادة ، و هذا في قضايا العقول جائز .
و الوجه الثاني : أن قضايا العقول قد تختلف فيها العقلاء و لا يمنع ذلك أن يكون العقل دليلاً ، كذلك ما اختلف فيه الرسل لا يمنع أن يكون حجة .
و قال آخرون منهم : بل العلة في إبطال النبوات أنه لا سبيل إلى العلم بصحتها لغيبها ، و أن ظهور ما ليس في الطباع من معجزاتهم ممتنع الطباع الدافعة لها ، فهذا فاسد من وجهين .
أحدهما : أن المعجزات من فعل الله تعالى فيهم فخرجت عن حكم طباعهم . و الثاني : لما تميزوا بخروجهم عن الطباع من الرسالة تميزوا بما يخرج عن عرف الطباع من الإعجاز .

٨٦

و قال آخرون منهم : بل العلة في إبطال النبوات إن ما يظهرونه من المعجز الخارج عن العادة قد يوجد مثله في أهل الشعبذة و المخرقة و أهل النارنجيات و ليس ذلك من دلائل صدقهم فكذلك أحكام المعجزات .

و هذا فاسد من وجهين . أحدهما : ان الشعبذة تظهر لذوي العقول و تندلس على الغر الجهول فخالفت المعجزة التي تذهل لها العقول . و الثاني : أن الشعبذة تستفاد بالتعليم فيتعلمها من ليس يحسنها فيصير مكافئاً لمن أحسنها و يعارضها بمثلها ، و المعجزة مبتكرة لا يتعاطاها غير صاحبها و لا يعارضه أحد بمثلها ، كما انقلبت عصا موسى حية تسعى تلتقف ما أفكه السحرة فخروا له سجداً .

ثم قال:

و لئن كان في إبطاله هذه الشبهة دليل على إثباتها فيستدل على إثبات النبوات من خمسة أوجه و إن اشتملت تلك الأجوبة على بعضها :

أحدها : أن الله تعالى منعم على عباده بما يرشدهم إليه من المصالح ، و لما كان في بعثة الرسل ما لا تدركه العقول كان إرسالهم من عموم المصالح التي تكفل بها .

و الثاني : أن فيما تأتي به الرسل من الجزاء بالجنة ثواباً على الرغبة في فعل الخير و بالنار عقاباً يبعث على الرهبة في الكف عن الشر ، صارا سبباً لئتلاف الخلق و تعاطي الحق .

و الثالث : إن في غيوب المصالح ما لا يعلم إلا من جهة الرسل فاستفيد بهم ما لم يستفد بالعقل .

و الرابع : أن التأله لا يخلص إلا بالدين و الدين لا يصلح إلا بالرسل المبلغين عن الله تعالى ما كلفت .

٨٧

و الخامس : أن العقول ربما استكبرت من موافقة الأكفاء و متابعة النظراء ، فلم يجمعهم عليه إلا طاعة المعبود فيما أداه رسله ، فصارت المصالح بهم أعم ، و الإتقان بهم أتم ، و الشمل بهم أجمع ، و التنازع بهم أمنع . اه

الباب الثالث
ما جاء في فضل نبينا e وشفاعته

الحديث الأول :(يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون...)[1]

*أخرجه مسلم في الايمان-باب أدني أهل الجنة منزلة فيها.

عن حذيفة رضي الله تعالي عنه قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون:

يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله قال فيقول إبراهيم:

لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلا من وراء وراء اعمدوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم الذي كلمه الله تكليما فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقول:

لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى صلى الله عليه وسلم:

لست بصاحب ذلك فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق قال قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق قال ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع

١- أخرجه مسلم في الإيمان (١٩٤) ، والبخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٠) ، والترمذي في صفة القيامة (٢٤٣٤) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٩٣٤٠) .

٨٩

في طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس في النار والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا)

*وأخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء- باب قول الله إنا أرسلنا نوحا إلي قومه – الاية

• عن أ بي هريرة رضي الله عنه قال (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوة فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال أنا سيد القوم يوم القيامة هل تدرون بم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس أبوكم آدم فيأتونه فيقولون :

يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون:

يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا أما ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي ائتوا النبي صلى الله عليه وسلم.

فيأتوني فأسجد تحت العرش فيقال يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه)

*وأخرجه الترمذي في صفة القيامة – باب ما جاء في الشفاعة.
عن أبي هريرة رضي الله تعالي عنه قال(أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع فأكله وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون لم ذاك يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم فبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول الناس بعضهم لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم فيقولون :
أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون:
يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم نوح إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كان لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون:
يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد كذبت ثلاث كذبات فذكرهن أبو حيان في الحديث نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون:

٩١

يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على البشر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون:

يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد قال فيأتون محمدا فيقولون :

يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأنطلق فآتي تحت العرش فأخر ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفسي بيده ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر وكما بين مكة وبصرى)

**** قلت : والأحاديث في فضل النبي e وشفاعته كثيرة وبروايات مختلفة وتتشابه الفاظها إلي حد كبير ونكتفي بما ذكرناه وسوف يأتي ذكر باقي روايات الشفاعة في باب الشفاعة" الباب الثالث عشر " أن شاء الله تعالي والله المستعان وعليه التكلان.**

*****الشرح والبيان :**

- قال النووي في شرح حديث مسلم:

٩٢

قوله صلى الله عليه وسلم : (أنا سيد الناس يوم القيامة) إنما قال هذا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله تعالى ، وقد أمر الله تعالى بهذا ونصيحة لنا بتعريفنا حقه صلى الله عليه وسلم .

قال القاضي عياض : قيل السيد الذي يفوق قومه ويفزع إليه في الشدائد ، والنبي صلى الله عليه وسلم سيدهم في الدنيا والآخرة ، وإنما خص يوم القيامة لارتفاع السؤود فيها ، وتسليم جميعهم له ، ولكون آدم وجميع أولاده تحت لوائه صلى الله عليه وسلم ، كما قال الله تعالى : { لمن الملك اليوم لله الواحد القهار } أي : انقطعت دعاوي الملك في ذلك اليوم . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر) أما (الصعيد) فهو الأرض الواسعة المستوية ، وأما (ينفذهم البصر) قال أبو عبيد معناه : ينفذهم بصر الرحمن تبارك وتعالى حتى يأتي عليهم كلهم ، وقال غير أبي عبيد : أراد تخرقهم أبصار الناظرين لاستواء الصعيد والله تعالى قد أحاط بالناس أولا وآخرا .

هذا كلام الهروي ، وقال صاحب المطالع : معناه أنه يحيط بهم الناظر لا يخفي عليه منهم شيء ؛ لاستواء الأرض ليس فيها ما يستتر به أحد عن الناظرين ، قال : وهذا أولى من قول أبي عبيد : يأتي عليهم بصر الرحمن سبحانه وتعالى ؛ لأن رؤية الله تعالى تحيط بجميعهم في كل حال في الصعيد المستوي وغيره . هذا قول صاحب المطالع .

قوله : (ألا ترى إلى ما قد بلغنا) هو بفتح الغين هذا هو الصحيح المعروف قوله : (فيقول آدم وغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله) المراد بغضب الله تعالى ما يظهر من انتقامه ممن عصاه وما يرونه من أليم عذابه ، وما يشاهده

أهل المجمع من الأهوال التي لم تكن ولا يكون مثلها ، ولا شك في أن هذا كله لم يتقدم قبل ذلك اليوم مثله ولا يكون بعده مثله ، فهذا معنى غضب الله تعالى كما أن رضاه ظهور رحمته ولطفه بمن أراد به الخير والكرامة ؛ لأن الله تعالى يستحيل في حقه التغير في الغضب والرضاء . والله أعلم .

قوله : (إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى (وهجر) بفتح الهاء والجيم وهي مدينة عظيمة هي قاعدة بلاد البحرين وأما (بصرى) فبضم الباء وهي مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل ، وهي مدينة حوران بينها وبين مكة شهر . قوله صلى الله عليه وسلم : (ألا تقولون كيفه قالوا : كيفه يا رسول الله) هذه الهاء هي هاء السكت تلحق في الوقف .

وأما قول الصحابة : (كيفه . يا رسول الله) فأثبتوا الهاء في حالة الدرج ففيها وجهان حكاهما صاحب التحرير وغيره ،

أحدهما : أن من العرب من يجري الدرج مجرى الوقف ، والثاني : أن الصحابة قصدوا اتباع لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الذي حثهم عليه فلو قالوا : (كيف) لما كانوا سائلين عن اللفظ الذي حثهم عليه . والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم : (إلى عضادتي الباب قال الجوهري : عضادتا الباب هما خشبتاه من جانبيه .)اهـ

*وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي في شرح حديث الترمذي ما مختصره:

قوله : (وكان يعجبه) قال القاضي عياض : محبته صلى الله عليه وسلم للذراع لنضجها وسرعة استمرائها مع زيادة لذتها وحلاوة مذاقها ، وبعدها عن مواضع الأذى انتهى كلامه .

٩٤

وقد روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما كانت الذراع أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن كان لا يجد اللحم إلا غبا ، فكان يعجل إليها لأنها أعجلها نضجا (فنهش منه نهشة) بمعنى أخذ بأطراف أسنانه.

ثم قال : " أنا سيد الناس يوم القيامة " .

إنما قال هذا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله تعالى وقد أمره الله تعالى بهذا نصيحة لنا بتعريفنا حقه صلى الله عليه وسلم (هل تدرون لم) أي لأي وجه (ذاك) أي كوني سيد الناس يوم القيامة (في صعيد واحد) الصعيد هو الأرض الواسعة المستوية (فيسمعهم) من الإسماع أي أنهم بحيث إذا دعاهم داع سمعوه

(وينفذهم البصر) بفتح أوله وضم الفاء من الثلاثي أي يحزفهم وبضم أوله وكسر الفاء من الرباعي ، أي يحيط بهم والذال معجمة في الرواية .

(فيبلغ الناس) بالنصب أي فيلحقهم (من الغم) أي من أجله وسببه (والكرب) وهو الهم الشديد (ما لا يطيقون) أي ما لا يقدرون على الصبر عليه (ولا يتحملون) فيجزعون ويفزعون (ألا ترون ما قد بلغكم) أي لحقكم من الغم أو الكرب (ألا تنظرون) أي ألا تتأملون ولا تتفكرون أو لا تبصرون (من يشفع لكم إلى ربكم) أي ليريحكم من هذا الهم والغم .

(نفسي نفسي نفسي) أي نفسي هي التي تستحق أن يشفع لها (فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض)

وفي حديث أنس عند البخاري فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته .

قال الحافظ في رواية هشام : ويذكر سؤال ربه ما ليس به علم وفي حديث أبي هريرة : إني دعوت بدعوة أغرقت أهل الأرض ويجمع بينه وبين الأول بأنه اعتذر بأمرين أحدهما نهى الله تعالى أن يسأل ما ليس له به علم ، فخشي أن تكون شفاعته لأهل الموقفة من ذلك .

٩٥

ثانيهما أن له دعوة واحدة محققة الإجابة وقد استوفاها بدعائه على أهل الأرض فخشي أن يطلب فلا يجاب وقال بعض الشراح :

كان الله وعد نوحا أن ينجيه ، وأهله فلما غرق ابنه ذكر لربه ما وعده ، فقيل له المراد من أهلك من آمن وعمل صالحا فخرج ابنك منهم فلا تسأل ما ليس لك به علم (وإني قد كذبت ثلاث كذبات) وهي قوله : إني سقيم وقوله : فعله كبيرهم هذا . وقوله : لامرأته أخبريه أني أخوك .

قال البيضاوي : الحق أن الكلمات الثلاث إنما كانت من معاريض الكلام ، لكن لما كانت صورتها صورة الكذب أشفق منها استصغارا لنفسه عن الشفاعة مع وقوعها ، لأن من كان أعرف بالله وأقرب منزلة كان أعظم خوفا (ولم يذكر ذنبا) (يا رب أمتي . يا رب أمتي .

يا رب أمتي) أي أرحمهم واغفر لهم التكرار للتذكير (وهم) أي من لا حساب عليهم (شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب) أي ليسوا ممنوعين من سائر الأبواب بل هم مخصوصون للعناية بذلك الباب .

قال في القاموس : المصراعان من الأبواب والشعر ما كانت قافيتان في بيت ، وبابان منصوبان ينضمان جميعا مدخلهما في الوسط منهما (كما بين مكة وهجر) قرية من قرى البحرين وفي بعض النسخ بين مكة وحمير أي صنعاء لأنها بلد حمير . ووقع في رواية البخاري في تفسير سورة بني إسرائيل : كما بين مكة وحمير (وكما بين مكة وبصرى) مدينة بالشام بينها وبين دمشق ثلاث مراحل . اهـ

***قلت وجاء في شرح العقيدة الطحاوية:(٢٢٩/١) في بيان أنواع الشفاعة للنبي e وحقيقة التوسل به في الدنيا كلام اذكره هنا دون اختصار لأهميته في بيان الحق من الباطل والله المستعان :-**

قال: الشفاعة أنواع : منها ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع .
النوع الأول : الشفاعة الأولى ، وهي العظمى ، الخاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، صلوات الله عليهم أجمعين .
في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة ، رضي الله عنهم أجمعين ، أحاديث الشفاعة منها :
" عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم ، فدفع إليه منها الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة ، ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون لم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد [واحد] ، فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون إلى ما أنتم فيه ؟ ألا ترون الى ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم ؟
فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم ، فيأتون آدم ، فيقولون : يا آدم ، أنت أبو البشر، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، [نفسي نفسي] ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح ، فيأتون نوحاً ، فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبداً شكوراً ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول نوح :
إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي ، نفسي نفسي [نفسي نفسي] ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون ابراهيم ، فيقولون : يا إبراهيم ، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض ، ألا ترى [إلى] ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب

٩٧

بعده مثله ، وذكر كذباته ، نفسي نفسي [نفسي نفسي] ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى : فيقولون :

يا موسى، أنت رسول الله ، اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها ، نفسي نفسي [نفسي نفسي] ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى ، فيقولون :

يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، قال : هكذا هو ، وكلمت الناس في المهد ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى [إلى] ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى :

إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده [مثله ، ولم يذكر له ذنباً] ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فيأتوني ، فيقولون : يا محمد، أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، غفر الله لك ذنبك ، ما تقدم منه وما تأخر ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟

فأقوم ، فآتي تحت العرش ، فأقع ساجداً لربي عز وجل ، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأقول :

[يا] رب إمتي أمتي ، [يا رب أمتي أمتي ، يا رب أمتي أمتي] ، فيقول : أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسي بيده ، لما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى " .
أخرجاه في الصحيحين بمعناه) واللفظ للإمام أحمد .

ثم قال أبو العز الحنفي في شرحه للعقيدة الطحاوية –رحمه الله –
والعجب كل العجب ، من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه ، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى ، في مأتى الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء ، كما ورد هذا في حديث الصور ، فإنه المقصود في هذا المقام ، ومقتضى سياق أول الحديث ، فإن الناس إنما يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس ويستريحوا من مقامهم ، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه ، فإذا وصلوا الى الجزاء إنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار .
وكان مقصود السلف - في الإقتصار على هذا المقدار من الحديث - هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها ، فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم ، فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث .
وقد جاء التصريح بذلك في حديث الصور ، ولولا خوف الإطالة لسقته بطوله ، لكن من مضمونه :(أنهم يأتون آدم ثم نوحاً ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم يأتون رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، فيذهب فيسجد تحت العرش في مكان يقال له : الفحص ، فيقول الله : ما شأنك ؟ وهو أعلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقول :
يا رب ، وعدتني الشفاعة ، فشفعني ، في خلقك ، فاقض بينهم ، فيقول سبحانه وتعالى : شفعتك ، أنا آتيكم فأقضي بينهم ، قال : فأرجع فأقف مع الناس ، ثم ذكر انشقاق السموات ، وتنزل الملائكة في الغمام ، ثم يجيء الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء ، والكروبيون والملائكة المقربون يسبحون بأنواع التسبيح ، قال : فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه ، ثم يقول :
إني أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع أقوالكم ، وأرى أعمالكم ، فأنصتوا إلي ، فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم ، فمن وجد خيراً فليحمد

الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، إلى أن قال : فإذا أفضى أهل الجنة الى الجنة ، قالوا : من يشفع لنا الى ربنا فندخل الجنة ؟ فيقولون :
من أحق بذلك من أبيكم ، إنه خلقه الله بيده ، ونفخ فيه روحه ، [وكلمه] قبلاً ، فيأتون آدم ، فيطلبون ذلك إليه ، وذكر نوحاً ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، ثم محمد صلى الله عليه وسلم . . إلى أن قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فآتي الجنة ، فآخذ بحلقة الباب ، ثم استفتح ، فيفتح لي ، فأحيا ويرحب بي ، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي عز وجل خررت له ساجداً ، فيأذن لي من حمده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه ، ثم يقول الله لي :
ارفع يا محمد ، واشفع تشفع ، وسل تعطه ، فإذا رفعت رأسي ، قال الله - وهو أعلم - : ما شأنك ؟ فأقول : يا رب ، وعدتني الشفاعة ، فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة ، فيقول الله عز وجل : قد شفعتك ، وأذنت لهم في دخول الجنة) . . . الحديث . رواه الأئمة : ابن جرير في تفسيره ، والطبراني ، وأبو يعلى الموصلي ، والبيهقي وغيرهم .
النوع الثاني والثالث من الشفاعة : شفاعته صلى الله عليه وسلم في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم ، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة ، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار ، أن لا يدخلونها .
النوع الرابع : شفاعته صلى الله عليه وسلم في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم . وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة ، وخالفوا فيما عداها من المقامات ، مع تواتر الأحاديث فيها .
النوع الخامس : الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن ، حين دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، والحديث مخرج في الصحيحين .

النوع السادس : الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه ، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه . ثم قال القرطبي في التذكرة بعد ذكر هذا النوع : فإن قيل : فقد قال تعالى : "فما تنفعهم شفاعة الشافعين" . قيل له : لا تنفعه في الخروج من النار ، كما تنفع عصاة الموحدين ، الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة .

النوع السابع : شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة ، كما تقدم . وفي صحيح مسلم " عن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنا أول شفيع في الجنة " .

النوع الثامن : شفاعته في أهل الكبائر من أمته ، ممن دخل النار ، فيخرجون منها ، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث . وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة ، فخالفوا في ذلك ، جهلاً منهم بصحة الأحاديث ، وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته . وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً . وهذه الشفاعة تتكرر منه صلى الله عليه وسلم أربع مرات .

ومن أحاديث هذا النوع ، " حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي " . رواه الإمام أحمد رحمه الله . وروى البخاري رحمه الله في كتاب التوحيد : " حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا معبد بن هلال العنزي ، قال : اجتمعنا ، ناس من أهل البصرة ، فذهبنا إلى أنس بن مالك ، وذهبنا معنا بثابت [البناني إليه] ، يسأله لنا عن حديث الشفاعة ، فإذا هو في قصره ، فوافقناه يصلي الضحى ، فاستأذنا ، فأذن لنا وهو قاعد على فراشه ، فقلنا لثابت : لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة ، [فقال : يا أبا حمزة ، هؤلاء إخوانك من أهل البصرة ، جاؤوك يسألونك عن حديث الشفاعة] ، فقال : حدثنا محمد

صلى الله عليه وسلم ، قال : إذا كان يوم القيامة ، ماج الناس بعضهم في بعض ، فيأتون آدم ، فيقولون : اشفع لنا إلى ربك ، فيقول :

لست لها ولكن عليكم بإبراهيم ، فإنه خليل الرحمن ، فيأتون إبراهيم ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بموسى ، فإنه كليم الله ، فيأتون موسى ، فيقول : لست لها ، لكن عليكم بعيسى ، فإنه روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بمحمد [صلى الله عليه وسلم]، فيأتوني ، فأقول :

أنا لها ، فأستأذن علي ربي فيؤذن لي ، ويلهمني محامد أحمده بها ، لا تحضرني الآن ، فأحمده بتلك المحامد ، وأخر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، واشفع تشفع ، وسل تعط ، فأقول : يا رب أمتي أمتي ، فيقال : انطلق فأخرج [منها] من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، واشفع تشفع ، وسل تعط ، فأقول :

يا رب أمتي أمتي ، فيقال : انطلق فأخرج [منها] من كان بما قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ، ثم أعود بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ، أمتي أمتي ، فيقول : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان ، فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل " . قال : فلما خرجنا من عند أنس ، قلت [لبعض أصحابنا] لو مررنا بالحسن ، وهو متوار في منزل أبي خليفة ، فحدثناه بما حدثنا به أنس بن مالك ، فأتيناه ، فسلمنا عليه ، فأذن لنا ، فقلنا له : يا أبا سعيد ، جئناك من عندك أخيك أنس بن مالك ، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة ، فقال : هيه ؟ فحدثناه بالحديث ، فانتهى الى هذا الموضع ، فقال : هيه ؟ فقلنا لم يزد لنا على هذا ، فقال : لقد حدثني وهو

جميع ، منذ عشرين سنة ، فما أدري ، أنسي أم كره أن تتكلوا ؟ فقلنا : يا أبا سعيد ، فحدثنا ، فضحك وقال :
خلق الإنسان عجولاً ! ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم ، حدثني كما حدثكم [به] ، " قال : ثم أعود الرابعة ، فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجداً ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ، أئذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله ، فيقول : وعزتي وجلالي ، وكبريائي وعظمتي ، لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله " . وهكذا رواه مسلم . " وروى الحافظ أبو يعلى عن عثمان رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء " . وفي الصحيح " من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً ، قال : فيقول الله تعالى : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار ، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيرا قط " ، الحديث .
ثم إن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال : فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم : يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا . والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره في أهل الكبائر .
وأما أهل السنة والجماعة، فيقرون بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر، وشفاعة غيره ، لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويحد له حداً ، كما في الحديث الصحيح ، حديث الشفاعة : " إنهم يأتون آدم ، ثم نوحاً ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، فيقول لهم عيسى عليه السلام : اذهبوا إلى محمد ، فإنه عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني ، فأذهب ، فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً ، فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي ، لا أحسنها الآن ، فيقول :

أي محمد ، ارفع رأسك ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، فأقول : ربي : أمتي ، فيحد لي حداً ، فأدخلهم الجنة ، ثم أنطلق فأسجد ، فيحد لي حداً " ذكرها ثلاث مرات .
وأما الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء ، ففيه تفصيل : فإن الداعي تارة يقول : بحق نبيك أو بحق فلان ، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته ، فهذا محذور من وجهين : أحدهما : أنه أقسم بغير الله . والثاني : اعتقاده أن لأحد على الله حقاً .
ولا يجوز الحلف بغير الله ، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه ، كقوله تعالى : "وكان حقا علينا نصر المؤمنين" . وكذلك ما ثبت في الصحيحين " من صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه ، وهو رديفه : يا معاذ ، أتدري ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : حقهم عليه أن لا يعذبهم " .
فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق ، لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق ، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير ، وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم ، وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به ، ولا أن يسأل بسببه ويتوسل به ، لأن السبب هو ما نصبه الله سبباً . وكذلك الحديث الذي في المسند " من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في قول الماشي الى الصلاة : أسألك بحق ممشاي هذا ، وبحق السائلين عليك " ، فهذا حق السائلين ، هو أوجبه على نفسه ، فهو الذي أحق للسائلين أن يجيبهم ، وللعابدين أن يثيبهم ، ولقد أحسن القائل :

ما للعباد عليه حق واجـــب   كلا ، ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله ، أو نعموا   فبفضله وهو الكريم السامع

فإن قيل : فأي فرق بين قول الداعي : بحق السائلين عليك وبين قوله : بحق نبيك أو نحو ذلك ؟

فالجواب : أن معنى قوله : بحق السائلين عليك أنك وعدت السائلين بالإجابة ، وأنا من جملة السائلين ، فأجب دعائي ، بخلاف قوله : بحق فلان - فإن فلاناً وإن كان له حق على الله بوعده الصادق - فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل . فكأنه يقول : لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعاي !

وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة ؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء ! وقد قال تعالى : "ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ، إنه لا يحب المعتدين" . وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة ، ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا عن الصحابة ، ولا عن التابعين ، ولا عن أحد من الأئمة رضي الله عنهم ، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل التي يكتب بها الجهال والطرقية .

والدعاء من أفضل العبادات ، والعبادات مبناها على السنة والإتباع ، لا على الهوى والإبتداع .

وإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان ، فذلك محذور أيضاً ، لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز ، فكيف على الخالق ؟!

وقد قال صلى الله عليه وسلم : " من حلف بغير الله فقد أشرك " . ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه رضي الله عنهم : يكره أن يقول الداعي : أسألك بحق فلان ، أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام ، والمشعر الحرام ، ونحو ذلك حتى كره أبو حنيفة و محمد رضي الله عنهما أن يقول الرجل : اللهم إني أسألك بمعقد العز من عرشك ، ولم يكرهه أبو يوسف رحمه الله لما بلغه الأثر فيه . وتارة يقول : بجاه فلان عندك ، يقول : نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك .

ومراده أن فلاناً عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجب دعاءنا . وهذا أيضاً محذور ، فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لفعلوه بعد موته ، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه ، يطلبون منه أن يدعو لهم ، وهم يؤمنون على دعائه ، كما في الاستسقاء وغيره . فلما مات صلى الله عليه وسلم قال عمر رضي الله عنه - لما خرجوا يستسقون - : اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا . معناه بدعائه هو ربه وشفاعته وسؤاله ، ليس المراد أنا نقسم عليك [به] ، أو نسألك بجاهه عندك ، إذ لو كان ذلك مراداً لكان جاه النبي صلى الله عليه وسلم أعظم وأعظم من جاه العباس .

وتارة يقول : باتباعي لرسولك ومحبتي له وإيماني به وسائر أنبيائك ورسلك وتصديقي لهم ، ونحو ذلك . فهذا من أحسن ما يكون في الدعاء والتوسل والاستشفاع .

فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به فيه إجمال ، غلط بسببه من لم يفهم معناه : فإن أريد به التسبب به لكونه داعياً وشافعاً ، وهذا في حياته يكون ، أو لكون الداعي محباً له ، مطيعاً لأمره ، مقتدياً به ، وذلك أهل للمحبة والطاعة والإقتداء ، فيكون التوسل إما بدعاء الوسيلة وشفاعته ، وإما بمحبة السائل واتباعه ، أو يراد به الاقسام به والتوسل بذاته ، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه .

وكذلك السؤال بالشيء ، قد يراد به التسبب به ، لكونه سبباً في حصول المطلوب ، وقد يراد [به] الإقسام به .

ومن الأول : حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار ، وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما ، فإن الصخرة انطبقت عليهم ، فتوسلوا إلى الله بذكر أعمالهم الصالحة الخالصة ، وكل واحد منهم يقول :

فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون .
فهؤلاء : دعوا الله بصالح الأعمال ، لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله ، ويتوجه به إليه ، ويسأله به ، لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله .
فالحاصل أن الشفاعة عند الله [ليست] كالشفاعة عند البشر، فإن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفعة في الطلب ، بمعنى أنه صار شفعاً فيه بعد أن كان وتراً ، فهو أيضاً قد شفع المشفوع إليه ، وبشفاعته صار فاعلاً للمطلوب ، فقد شفع الطالب والمطلوب منه ، والله تعالى وتر ، لا يشفعه أحد ، [فلا يشفع عنده أحد] إلا بإذنه ، فالأمر كله إليه ، فلا شريك له بوجه . فسيد الشفعاء يوم القيامة إذا سجد وحمد الله تعالى فقال له الله : " ارفع رأسك ، وقل يسمع ، [واسأل تعطه] ، واشفع تشفع " ، فيحد له حداً فيدخلهم الجنة ، فالأمر كله لله . كما قال تعالى : "قل إن الأمر كله لله " .
وقال تعالى : "ليس لك من الأمر شيء" . وقال تعالى : "ألا له الخلق والأمر" ، فإذا كان لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه لمن يشاء ، ولكن يكرم الشفيع بقبول شفاعته ، كما " قال صلى الله عليه وسلم : اشفعوا تؤجروا ، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء " . وفي الصحيح : " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا بني عبد مناف ، لا أملك لكم من الله شيئاً ، يا صفية يا عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أملك لك من الله شيئاً ، يا عباس عم رسول الله ، لا أملك لك من الله شيئا " . وفي الصحيح أيضاً " عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء ، أو شاة لها يعار ، أو رقاع تخفق ، فيقول : أغثني أغثني ، فأقول : قد أبلغتك ، لا أملك لك من الله من شيء " .
....

١٠٧

فإذا كان سيد الخلق وأفضل الشفعاء يقول لأخص الناس به" لا أملك لكم من الله من شيء " فما الظن بغيره ؟ وإذا دعاه الداعي ، وشفع عنده الشفيع ، فسمع الدعاء ، وقبل الشفاعة ، لم يكن هذا هو المؤثر فيه كما يؤثر المخلوق في المخلوق ، فإنه سبحانه [وتعالى] هو الذي جعل هذا يدعو ويشفع ، وهو الخالق لأفعال العباد ، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها ، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه ، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه وهذا مستقيم على أصول أهل السنة المؤمنين بالقدر، وأن الله خالق كل شيء .اهـ

الحديث الثاني: (فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ...)[1]

* أخرجه البخاري في الرقاق—باب كيف الحشر

عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما قال(قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال إنكم محشورون حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده الآية وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم إلى قوله الحكيم قال فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم)

* وأخرجه الترمذي في التفسير –باب ومن سورة الأنبياء.

عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما قال(قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموعظة فقال يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إلى آخر الآية قال أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم

١- أخرجه البخاري في الرقاق (٦٥٢٦) ، والترمذي في التفسير (٣١٦٧) ، ومسلم في صفة الجنة وصفة نعيمها (٢٨٦٠)

وإنه سيؤتى برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم إلى آخر الآية فيقال هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) وأخرجه مسلم والنسائي وغيرهم نحو ذلك.

*****الشرح والبيان:**

*قال المباركفوري في تحفة الأحوزي في شرح حديث الترمذي:

قوله : (إنكم محشورون) أي ستبعثون (عراة) بضم العين جمع عار وهو من لا ستر له (غرلا) بضم المعجمة وسكون الراء جمع أغرل وهو الأقلف وزنه ومعناه وهو من بقيت غرلته وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر ({ كما بدأنا أول خلق نعيده }) الكاف متعلق بمحذوف دل عليه نعيده أي نعيد الخلق إعادة مثل الأول ، والمعنى بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا نعيدهم يوم القيامة وبقية الآية ({ وعدا علينا }) منصوب بوعدنا مقدر قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله { إنا كنا فاعلين } أي ما وعدناه قال (أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم) تقدم الكلام عليه مبسوطا في باب شأن الحشر من أبواب صفة القيامة ...

*** قلت : وحتي يلم القاريء بمعني هذه الجزئية من الحديث الذي شرحها المباركفوري في باب الحشر نذكرها هنا والله المستعان .**

قال رحمه الله –

(وأول من يكسى من الخلائق إبراهيم) قال القرطبي في شرح مسلم: يجوز أن يراد بالخلائق من عدا نبينا صلى الله عليه وسلم فلم يدخل هو في عموم خطاب نفسه.

١٠٩

وتعقبه تلميذه القرطبي أيضاً في التذكرة فقال: هذا حسن لولا ما جاء من حديث علي، يعني الذي أخرجه ابن المبارك في الزهد من طريق عبد الله بن الحارث عن علي قال: أول من يكسى يوم القيامة خليل الله عليه السلام قبطيتين، ثم يكسى محمد صلى الله عليه وسلم حلة حيرة عن يمين العرش.

قال الحافظ: كذا ورد مختصراً موقوفاً. وأخرجه أبو يعلي مطلولا مرفوعاً. وأخرج البيهقي من طريق ابن عباس نحو حديث الباب وزاد: وأول من يكسى من الجنة إبراهيم يكسى حلة من الجنة، ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش، ثم يؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر. ثم يؤتى بكرسي فيطرح على ساق العرش، وهو عن يمين العرش.

وفي مرسل عبيد بن عمير عند جعفر الفريابي: يحشر الناس حفاة عراة، فيقول الله تعالى: أرى خليلي عرياناً فيكسى إبراهيم ثوباً أبيض، فهو أول من يكسى قيل الحكمة في كون إبراهيم أول من يكسى أنه جرد حين ألقي في النار. وقيل لأنه أول من استن التستر بالسراويل. وقد أخرج ابن مندة من حديث حيدة رفعه قال: أول من يكسى إبراهيم

يقول الله أكسو خليلي ليعلم الناس اليوم فضله عليهم. قال الحافظ: لا يلزم من تخصيص إبراهيم عليه السلام بأنه أول من يكسى أن يكون أفضل من نبينا عليه الصلاة والسلام مطلقاً انتهى

(وأنه سيؤتى برجال من أمتي) أي جماعة منهم والتنكير للتقليل (فيؤخذ بهم ذات الشمال) أي إلى جهة النار

(فأقول رب أصحابي) خبر مبتدأ محذوف تقديره هؤلاء (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) المراد من الإحداث الارتداد عن الإسلام كما يدل عليه قوله الآتي

(فيقال هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) وفي حديث عن أبي هريرة عند البخاري من طريق عطاء بن يسار عنه (أنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري)

قال القاضي يريد بهم من ارتد من الأعراب الذين أسلموا في أيامه كأصحاب مسيلمة والأسود وأضرابهم ، فإن أصحابه وإن شاع عرفا فيمن يلازمه من المهاجرين والأنصار شاع استعماله لغة في كل من تبعه أو أدرك حضرته ووفد عليه ولو مرة ، وقيل أراد بالارتداد إساءة السيرة والرجوع عما كانوا عليه من الإخلاص وصدق النية والإعراض عن الدنيا انتهى

(فأقول كما قال العبد الصالح) هو عيسى عليه الصلاة والسلام ({ وكنت عليهم }) أي على أمتي ({ شهيدا }) أي مطلعا رقيبا حافظا ({ ما دمت فيهم }) أي موجودا ({ فلما توفيتني }) أي قبضتني بالرفع إلى السماء ({ كنت أنت الرقيب عليهم }) الحفيظ لأعمالهم ({ وأنت على كل شيء }) من قولي وقولهم بعدي وغير ذلك ({ شهيدا }) أي مطلع عالم به ({ إن تعذبهم }) أي من أقام على الكفر منهم ({ فإنهم عبادك }) أنت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعترض عليك ({ وإن تغفر لهم }) أي لمن آمن منهم ، وتمام الآية : ({ فإنك أنت العزيز }) الغالب على أمره ({ والحكيم }) في صنعه (فيقال هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) هذا يؤيد قول من قال إن المراد من الإحداث في قوله :

إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ؛ هو الارتداد عن الإسلام .اه

الحديث الثالث(أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ..)[١]

١- أخرجه البخاري في البيوع (٢١٢٥) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٦٥٨٥) ، والدارمي في المقدمة (٦) .

*أخرجه البخاري في البيوع- باب كرهية الصخب في السوق.
عن عطاء بن يسار قال لقيت عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت(أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا)
الشرح والبيان:
- قال ابن القيم في " زاد العاد " فصل في شرح معاني أسمائه صلى الله عليه وسلم(١ / ص ٨٧):
وأما اسمه المتوكل ، وهو صلى الله عليه وسلم أحق الناس بهذا الإسم ، لأنه توكل على الله في إقامة الدين توكلاً لم يشرك فيه غيره .اهـ
* وقال ابن جرير الطبري المتوفي سنة٣١٠ **á** - رحمه الله تعالي – في تفسيره- (٤٩٤/٣) عن قوله تعالي مختصرا :(**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ..**)(-ال عمران)١٥٩
يعني جل ثناؤه بقوله : "فبما رحمة من الله"، فبرحمة من الله ، وما صلة . وقد بينت وجه دخولها في الكلام في قوله : "إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها" [البقرة: ٢٦]. و-العرب تجعل ما صلة في المعرفة والنكرة، كما قال : "فبما نقضهم ميثاقهم" [النساء: ١٥٥ -المائدة: ١٣]، والمعنى: فبنقضهم ميثاقهم . وهذا في المعرفة . وقال في النكرة "عما قليل ليصبحن نادمين" [المؤمنون: ٤٠]، والمعنى : عن قليل. وربما جعلت اسماً وهي في مذهب صلة،

فيرفع ما بعدها أحياناً على وجه الصلة، ويخفض على إتباع الصلة ما قبلها، كما قال الشاعر:

فكفى بنا فضلاً على من غيرنا حب النبي محمد إبانا

....
إذا جعلت غير صلة رفعت بإضمار هو، وإن خفضت أتبعت من ، فأعربته. فذلك حكمه على ما وصفنا مع النكرات.
فأما إذا كانت الصلة معرفة، كان الفصيح من الكلام الإتباع ، كما قيل : فبما نقضهم ميثاقهم ، والرفع جائز في العربية.
وبنحو ما قلنا في قوله: "فبما رحمة من الله لنت لهم"، قال جماعة من أهل التأويل.
وأما قوله : "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك"، فإنه يعني بـ الفظ الجافي ، وبـ الغليظ القلب ، القاسي القلب ، غير ذي رحمة ولا رأفة. وكذلك كانت صفته صلى الله عليه وسلم، كما وصفه الله به: "بالمؤمنين رؤوف رحيم" [التوبة: ١٢٨].
فتأويل الكلام : فبرحمة الله ، يا محمد، ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك ، "لنت لهم"، لتباعك وأصحابك ، فسهلت لهم خلائقك ، وحسنت لهم أخلاقك ، حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه ، وعفوت عن ذي الجرم منهم جرمه ، وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتبعك ولا ما بعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم ، فبرحمة من الله لنت لهم ،كما:
حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك"، إي والله ، لطهره الله من الفظاظة والغلظة، وجعله قريباً رحيماً بالمؤمنين رؤوفاً، وذكر لنا أن نعت محمد صلى الله عليه وسلم في

التوراة: ليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح.
وأما قوله : "لانفضوا من حولك"، فإنه يعني : لتفرقوا عنك .ا **á**

****الحديث الرابع (... إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك)١**

*أخرجه مسلم في الايمان- باب دعاء النبي **r** لأمته.
عن عبد الله بن عمرو بن العاص (أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني الآية وقال عيسى عليه السلام إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقالس الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك)
****الشرح والبيان:**
*فال النووي في شرح الحديث:
قوله : (أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى في إبراهيم صلى الله عليه وسلم : { رب إنهن أضللن كثيرا من الناس . . . }١ الآية .
وقال عيسى صلى الله عليه وسلم { إن تعذبهم فإنهم عبادك }) هكذا هو في الأصول (وقال عيسى) : قال القاضي عياض : قال بعضهم : قوله (قال) هو اسم للقول لا فعل يقال قال قولا وقالا وقيلا كأنه قال : وتلا قول عيسى . هذا كلام القاضي عياض .

....

قولـه عـن النبـي صـلى الله عليـه وسلم أنـه (رفـع يديـه وقـال : اللهم أمتـي أمتـي وبكى . فقال الله عز وجل :

يا جبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فاسـأله مـا يبكيك فأتـاه جبريـل عليـه السلام فسأله فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله تعالى : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك) هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها : بيان كمال شفقة النبـي صـلى الله عليـه وسلم ع لى أمته واعتنائه بمصالحهم ، واهتمامه بأمرهم ، ومنها : استحباب رفع اليدين في الدعاء ، ومنهـا : البشـارة العظيمـة لهذه الأمـة - زادهـا الله تعـالى شـرفا - بمـا وعـدها الله تعـالى بقولـه : سنرضـيك فـي أمتـك ولا نسـوءك وهـذا مـن أرجـى الأحاديث لهذه الأمة أو أرجاها، ومنها :

بيان عظم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله تعـالى وعظيم لطفـه سبحانه به صلى الله عليه وسلم ، والحكمة في إرسال جبريل لسؤاله صلى الله عليه وسلم إظهار شرف النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه بالمحل الأعلى فيسترضـي ويكـرم بما يرضيه والله أعلم . وهذا الحديث موافق لقول الله عز وجل { ولسوف يعطيك ربك فترضى }١

وأما قوله تعالى : (ولا نسوءك) ، فقال صاحب (التحرير) : هو تأكيد للمعنـى أي : لا نحزنك ؛ لأن الإرضاء قد يحصل فـي حق البعض بـالعفو عنهم ويدخل الباقي النار فقال تعالى : نرضيك ولا ندخل عليك حزنـا بـل ننجـي الجميـع . والله أعلم .اهـ

الحديث الخامس :(أمَا يُرْضِيكَ أن لا يُصَلِّي عَلَيْكَ أحَدٌ مِن أمَّتِكَ إلا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرَاً)[1]

*أخرجه النسائي في السهو – باب فضل التسليم علي النبي **r** .

عن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر يرى في وجهه فقال(إنه جاءني جبريل صلى الله عليه وسلم فقال أما يرضيك يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا)

* وأخرجه الترمذي في الصلاة – باب ما جاء في فضل الصلاة علي النبي **r** .

عن أبي هريرة قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا)

الشرح والبيان :

قال السندي في شرح النسائي :

قوله (والبشر) بكسر الباء اسم من الاستبشار أي الطلاقة وآثار السرور في وجهه (أما يرضيك) قيل هذا بعض ما أعطى من الرضا في قوله تعالى { ولسوف يعطيك ربك فترضى } وفي هذه البشارة من بشارة الأمة وحسن حالهم ما فيه فإن جزاء الصلاة راجع إليهم فلذلك حصل له غاية السرور صلى الله تعالى عليه وسلم .اهـ

١- أخرجه الترمذي في الصلاة /٤٨٥ و النسائي في /١٢٨٣ و أحمد في مسند المدنيين (١٥٩٢٨) والدرامي في الرقاق (٢٧٧٣) وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي.

-وقال المباركفوري في شرح حديث الترمذي:
قوله : (من صلى علي صلاة) أي واحدة (صلى الله عليه عشرا) أي عشر صلوات ، والمعنى رحمه وضاعف أجره كقوله تعالى { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها } والظاهر أنه أقل المضاعفة قال الطيبي ، ويجوز أن تكون الصلاة على ظاهرها كلاماً يسمعه الملائكة تشريفا للمصلي وتكريما له كما جاء : وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم . قال القاري في المرقاة بعد ذكر كلام الطيبي هذا : لا حاجة إلى التقيد بسماع الملائكة لأنه جاء : وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي انتهى .

* وقال النووي في كتاب الأذكار ١/٩٣- باب الصلاة على النبي **r** بعد التشهد ما نصه:
اعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم واجبة عند الشافعي رحمه الله بعد التشهد الأخير ، فلو تركها فيه لم تصح صلاته ، و لا تجب الصلاة على آل النبي صلى الله عليه و سلم فيه على المذهب الصحيح المشهور لكن تستحب .

قال بعض أصحابنا تجب ، و الأفضل أن يقول : " اللهم صل على محمد عبدك و رسولك النبي الأمي و على آل محمد و أزواجه و ذريته ، كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم ، و بارك على محمد النبي الأمي و على آل و أزواجه و ذريته ، كما باركت على إبراهيم و على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد " .
و روينا هذه الكيفة في صحيحي البخاري و مسلم عن كعب بن عجرة ، عن رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم إلا بعضها ، فهو صحيح من رواية غير كعب . و سيأتي تفضيله في كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه و آله و سلم إن شاء الله تعالى ، و الله أعلم .

....

و الوجب منه : اللهم صل على النبي ، و إن شاء قال : صلى الله على محمد ، و إن شاء قال : صلى الله على رسوله ، أو صلى الله على النبي . و لنا وجه آخر أنه لا يجوز إلا قوله : اللهم صل على محمد . و لنا وجه أنه لا يجوز أن يقول : و صلى الله على أحمد . و وجه أنه يقول : صلى الله عليه ، و الله أعلم . اهـ
وقَالَ الإِمَامُ المناوي في فيض القديرمختصرا:
ذلك لأن الصلاة ليست حسنةً واحدة بل حسناتٍ؛ إذ بها تجديد الإيمان بالله أوَّلاً، ثم بالرسالة ثم بتعظيمه ثم العناية بطلب الكرامة له، ثم بتجديد الإيمان باليوم الآخر، ثم بذكر الله ثم بتعظيمه بنسبتهم إليه ثم بإظهار المودة ثم بالابتهال والتضرع في الدعاء، ثم باعتراف بأن الأمر كله لله وأن النبي صَلَّى الله عليه وَسَلَّم مع جلالة قَدْرِهِ مُفْتَقِرٌ إلى رحمة ربه، فهذه عشر حسنات.
ثم قالَ: إن صلاة العبد على النبي صَلَّى الله عليه وَسَلَّم ليست هي رحمةٌ من العبد لتكون صلاة الله عليه من جنسها، بل ثناءٌ عليه، والجزاء من جنس العمل، فمن أثنى على رسوله جازاه بمثل عمله بأن يُثْنِي عليه، فصحَّ ارتباط الجزاء بالعمل.ا **á**

**** الحديث السادس:(ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا فلما جئت إلى السماء الدنيا..)**[1]

- أخرجه مسلم في الإيمان – باب الإسراء برسول الله إلي السموات .
عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

....

١- أخرجه البخاري في الصلاة (٣٤٩) ومسلم في الإيمان (١٦٣) واللفظ له والنسائي في الصلاة (٤٥٠) وأحمد في مسند الأنصار (٢٠٧٨١)

١١٨

(فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال هل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فأرسل إليه قال نعم ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم صلى الله عليه وسلم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح قال فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح فقال أنس بن مالك فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وعيسى وموسى وإبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه قد وجد آدم عليه السلام في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بإدريس صلوات الله عليه قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا فقال هذا إدريس قال ثم مررت بموسى عليه السلام فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال قلت من هذا قال هذا موسى قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى ابن مريم قال ثم مررت بإبراهيم عليه السلام فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا إبراهيم قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام قال ابن حزم

وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمتي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى أمر بموسى فقال موسى عليه السلام ماذا فرض ربك على أمتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى عليه السلام فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت إلى موسى عليه السلام فأخبرته قال راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك) وأخرج البخاري نحوه .

***** الشرح والبيان :**

قال النووي في شرح مسلم :

قوله : (جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري) قد قدمنا لغات الطست وأنها مؤنثة فجاء ممتلئ على معناها وهو الإناء وأفرغها على لفظها وقد تقدم بيان في أول كتاب الإيمان ، وبيان الحكمة في حديث " الحكمة يمانية " والضمير في أفرغها يعود على الطست كما ذكرناه وحكى صاحب التحرير أنه يعود على الحكمة .

وهذا القول وإن كان له وجه فالأظهر ما قدمناه لأن عوده على الطست يكون تصريحا بإفراغ الإيمان والحكمة وعلى قوله يكون إفراغ الإيمان مسكوتا عنه والله أعلم .

وأما جعل الإيمان والحكمة في إناء وإفراغهما مع أنهما معنيان وهذه صفة الأجسام فمعناه والله أعلم أن الطست كان فيها شيء يحصل به كمال الإيمان والحكمة وزيادتهما فسمي إيمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من أحسن المجاز .

١٢٠

والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم : (فإذا رجل عن يمينه أسودة) فسر الأسودة في الحديث بأنها نسم بنيه .

أما (الأسودة) فجمع سواد كقذال وأقذلة ، وسنام وأسنمة ، وزمان وأزمنة ، وتجمع الأسودة على أسواد . وقال أهل اللغة : السواد الشخص . وقيل : السواد الجماعات . وأما (النسم) فبفتح النون والسين والواحدة نسمة قال الخطابي وغيره هي نفس الإنسان والمراد أرواح بني آدم . قال القاضي عياض رحمه الله : في هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم وجد آدم ونسم بنيه من أهل الجنة والنار ، وقد جاء أن أرواح الكفار في سجين قيل في الأرض السابعة ، وقيل تحتها ، وقيل في سجن .

وأن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة فيحتمل أنها تعرض على آدم أوقاتا فوافق وقت عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم . ويحتمل أن كونهم في النار والجنة إنما هو في أوقات دون أوقات بدليل قوله تعالى : { النار يعرضون عليها غدوا وعشيا } وبقوله صلى الله عليه وسلم في المؤمن " عرض منزله من الجنة عليه وقيل له هذا منزلك حتى يبعثك الله إليه " .

ويحتمل أن الجنة كانت في جهة يمين آدم عليه السلام والنار في جهة شماله وكلاهما حيث شاء الله والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسل (إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى) فيه شفقة الوالد على ولده وسروره بحسن حاله وحزنه وبكاؤه لسوء حاله .

قوله في هذه الرواية : (وجد إبراهيم صلى الله عليه وسلم في السماء السادسة) وتقدم في الرواية الأخرى أنه في السابعة فإن كان الإسراء مرتين فلا إشكال فيه ، ويكون في كل مرة وجده في سماء وإحداهما موضع استقراره ووطنه والأخرى كان فيها غير مستوطن .

وإن كان الإسراء مرة واحدة فلعله وجده في السادسة ثم ارتقى إبراهيم أيضا إلى السابعة والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم في إدريس صلى الله عليه وسلم : (قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح) قال القاضي عياض رحمه الله : هذا مخالف لما يقوله أهل النسب والتاريخ من أن إدريس أب من آباء النبي صلى الله عليه وسلم . وأنه جد أعلى لنوح صلى الله عليه وسلم ، وأن نوحا هو ابن لامك بن متوشلخ بن خنوخ . وهو عندهم إدريس بن بردة بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام .

ولا خلاف عندهم في عدد هذه الأسماء وسردها على ما ذكرناه وإنما يختلفون في ضبط بعضها وصورة لفظه .

وجاء جواب الآباء هنا إبراهيم وآدم مرحبا بالابن الصالح . وقال إدريس : مرحبا بالأخ الصالح كما قال موسى وعيسى وهارون ويوسف ويحيى وليسوا بآباء صلوات الله وسلامه عليهم . وقد قيل عن إدريس إنه إلياس وإنه ليس بجد لنوح فإن إلياس من ذرية إبراهيم وإنه من المرسلين وإن أول المرسلين نوح عليه السلام كما جاء في حديث الشفاعة هذا كلام القاضي عياض رحمه الله .

وليس في هذا الحديث ما يمنع كون إدريس عليه السلام أبا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن قوله الأخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تلطفا وتأدبا وهو أخ وإن كان ابنا فالأنبياء إخوة والمؤمنون إخوة والله أعلم .

قوله : (أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري يقولان) أبو حبة بالحاء المهملة والباء الموحدة هكذا ضبطناه هنا وفي ضبطه واسمه اختلاف فالأصح الذي عليه الأكثرون (حبة) بالباء الموحدة كما ذكرنا وقيل (حية) بالياء المثناة تحت وقيل (حنة) بالنون وهذا قول الواقدي وروى عن ابن شهاب والزهري .

وقد اختلف في اسم أبي حبة فقيل : عامر . وقيل : مالك . وقيل : ثابت . وهو بدري باتفاقهم ، واستشهد يوم أحد . وقد جمع الإمام أبو الحسن بن الأثير

 ١٢٢

الجزري رحمه الله الأقوال الثلاثة في ضبطه والاختلاف في اسمه في كتابه (معرفة الصحابة رضي الله عنهم) وبينها بيانا شافيا رحمه الله .

قوله صلى الله عليه وسلم : (حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام) معنى ظهرت علوت والمستوى بفتح الواو . قال الخطابي : المراد به المصعد ، وقيل : المكان المستوي و (صريف الأقلام) بالصاد المهملة تصويتها حال الكتابة . قال الخطابي هو صوت ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه ، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ ، أو ما شاء الله تعالى . من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده من أمره وتدبيره .

قال القاضي في هذا حجة لمذهب أهل السنة في الإيمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ وما شاء بالأقلام التي هو تعالى يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات من كتاب الله تعالى ، والأحاديث الصحيحة وأن ما جاء من ذلك على ظاهره لكن كيفية ذلك وصورته وجنسه مما لا يعلمه إلا الله تعالى ، أو من أطلعه على شيء من ذلك من ملائكته ورسله ، وما يتأول هذا ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان إذا جاءت به الشريعة المطهرة . ودلائل العقول لا تحيله ، والله تعالى يفعل ما يشاء ، ويحكم كما يريد ، حكمة من الله تعالى وإظهارا لما يشاء من غيبه لمن يشاء من ملائكته وسائر خلقه ، وإلا فهو غني عن الكتب والاستذكار سبحانه وتعالى .

قال القاضي رحمه الله : وفي علو منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم وارتفاعه فوق منازل سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبلوغه حيث بلغ من ملكوت السموات دليل على علو درجته وإبانة فضله وقد ذكر البزار خبرا في الإسراء عن علي كرم الله وجهه وذكر مسير جبريل عليه السلام على البراق حتى أتى الحجاب وذكر كلمة وقال خرج ملك من وراء الحجاب فقال جبريل : والذي بعثك بالحق إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت وإني أقرب الخلق مكانا .

وفي حديث آخر فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات هذا آخر كلام القاضي رحمه الله والله تعالى أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم : (ففرض الله تعالى على أمتي خمسين صلاة إلى قوله صلى الله عليه وسلم فراجعت ربي فوضع شطرها وبعده فراجعت ربي فقال : هي خمس وهي خمسون) وهذا المذكور هنا لا يخالف الرواية المتقدمة أنه صلى الله عليه وسلم قال : حط عني خمسا إلى آخره فالمراد بحط الشطر هنا أنه حط في مرات بمراجعات وهذا هو الظاهر . وقال القاضي عياض رحمه الله : المراد بالشطر هنا الجزء وهو الخمس ، وليس المراد به النصف . وهذا الذي قاله محتمل ، ولكن لا ضرورة إليه فإن هذا الحديث الثاني مختصر لم يذكر فيه كرات المراجعة . والله أعلم .

واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء قبل فعله . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (ثم انطلق بي حتى نأتي سدرة المنتهى) هكذا هو في الأصول حتى (نأتي) بالنون في أوله . وفي بعض الأصول حتى (أتي) وكلاهما صحيح .

قوله صلى الله عليه وسلم : (ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ) أما (الجنابذ) فبالجيم المفتوحة وبعدها نون مفتوحة ثم ألف ثم باء موحدة ثم ذال معجمة وهي القباب واحدتها جنبذة ووقع في كتاب الأنبياء من صحيح البخاري كذلك ، ووقع في أول كتاب الصلاة منه (حبائل) بالحاء المهملة والباء الموحدة وآخره لام . قال الخطابي وغيره : هو تصحيف . والله أعلم . وأما (اللؤلؤ) فمعروف وفيه أربعة أوجه بهمزتين وبحذفهما وبإثبات الأولى دون الثانية وعكسه . والله أعلم . وفي هذا الحديث دلالة لمذهب أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان وأن الجنة في السماء . والله أعلم .اهـ

....

قلت : و لم اذكر الروايات الأخرى عن فرض الصلاة لأن موضوع الباب ذكر فضل نبينا e وإسراءه إلي السموات العلي وسنذكرها أن شاء الله عند الحديث عن الصلاة .

* وجاء في شرح العقيدة الطحاوية:(١/٢٢٣) ما مختصره:

عن قوله : (والمعراج حق ، وقد أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه في اليقظة ، إلى السماء ثم إلى حيث شاء الله من العلا وأكرمه الله بما شاء ، وأوحى إليه ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما رأى فصلى الله عليه وسلم في الآخرة والأولى ما نصه :

المعراج : مفعال ، من العروج ، أي الآلة التي يعرج فيها ، أي يصعد ، وهو بمنزلة السلم ، لكن لا يعلم كيف هو ، وحكمه كحكم غيره من المغيبات ، نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته .

وقوله : وقد أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه في اليقظة - اختلف الناس في الإسراء

فقيل : كان الإسراء بروحه ولم يفقد جسده ، نقله ابن إسحاق عن عائشة و معاوية رضي الله عنهما ، ونقل عن الحسن البصري نحوه . لكن ينبغي أن يعرف الفرق بين أن يقال : كان الإسراء مناماً ، وبين أن يقال : كان بروحه دون جسده ، وبينهما فرق عظيم . فعائشة و معاوية رضي الله عنهما لم يقولا : كان مناماً ، وإنما قالا : أسري بروحه ولم يفقد جسده ، وفرق ما بين الأمرين :

[أن] ما يراه النائم قد يكون أمثالاً مضروبة للمعلوم في الصورة المحسوسة ، فيرى كأنه قد عرج إلى السماء ، وذهب به إلى مكة ، وروحه لم تصعد ولم تذهب ، وانما ملك الرؤيا ضرب له المثال . فما أراد أن الإسراء مناماً ، وإنما أراد أن الروح ذاتها أسري بها ، ففارقت الجسد ثم عادت اليه ، ويجعلان هذا من

خصائصه ، فإن غيره لا تنال ذات روحه الصعود الكامل إلى السماء إلا بعد الموت .
وقيل : كان الإسراء مرتين ، مرة يقظة ، ومرة مناماً . وأصحاب هذا القول كأنهم أرادوا الجمع بين حديث شريك وقوله : ثم استيقظت ، وبين سائر الروايات . وكذلك منهم من قال : بل كان مرتين ، مرة قبل الوحي ، ومرة بعده . ومنهم من قال : بل ثلاث مرات ، مرة قبل الوحي ، ومرتين بعده . وكلما اشتبه عليهم لفظ زادوا مرة ، للتوفيق ! !
. وهذا يفعله ضعفاء أهل الحديث ، وإلا فالذي عليه أئمة النقل : أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة ، بعد البعثة ، قبل الهجرة بسنة ، وقيل : بسنة وشهرين ، ذكره ابن عبد البر . قال شمس الدين ابن القيم : يا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه كان مراراً ! كيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة يفرض عليهم الصلوات خمسين ، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمساً ، فيقول : أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ، ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها إلى خمس ؟ ! وقد غلط الحفاظ شريكاً في ألفاظ من حديث الإسراء ، و مسلم أورد المسند منه ، ثم قال : فقدم وأخر وزاد ونقص . ولم يسرد الحديث . وأجاد رحمه الله . انتهى كلام الشيخ شمس الدين رحمه الله
وكان من حديث الإسراء : أنه صلى الله عليه وسلم أسري بجسده في اليقظة ، على الصحيح ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، راكباً على البراق ، صحبة جبرائيل عليه السلام ، فنزل هناك ، صلى بالأنبياء إماماً، وربط البراق بحلقة باب المسجد . وقد قيل : انه نزل بيت لحم وصلى فيه ، ولا يصح عنه ذلك البتة .
ثم عرج من بيت المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبرائيل ، ففتح لهما ، فرأى هناك آدم أبا البشر، فسلم عليه ، فرحب به ورد عليه السلام ،

وأقر بنبوته ، ثم عرج [به] إلى السماء الثانية . فاستفتح له ، فرأى فيها يحيى ابن زكريا وعيسى ابن مريم ، فلقيهما ، فسلم عليهما ، فردا عليه السلام ، ورحبا به ، وأقرا بنبوته ثم عرج [به] إلى السماء الثالثة ، فرأى فيها يوسف ، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ، ثم عرج [به] إلى السماء الرابعة ، فرأى فيها إدريس ، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ، ثم عرج [به] إلى السماء الخامسة ، فرأى فيها هارون بن عمران ، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ، ثم عرج إلى السماء السادسة ، فلقي فيها موسى فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ، فلما جاوزه بكى موسى ، فقيل له : ما يبكيك ؟

قال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ، ثم عرج إلى السماء السابعة ، فلقي فيها إبراهيم ، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ، ثم رفع إلى سدرة المنتهى ، ثم رفع له البيت المعمور، ثم عرج به إلى الجبار، جل جلاله وتقدست أسماؤه ، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى ، وفرض عليه خمسين صلاة ، فرجع حتى مر على موسى ، فقال : بم أمرت ؟ قال ؟ بخمسين صلاة ، فقال : [إن] أمتك لا تطيق ذلك ، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فالتفت إلى جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك ، فأشار : أن نعم ، إن شئت ، فعلا به جبرائيل حتى أتى به [إلى] الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه - هذا لفظ البخاري في صحيحه وفي بعض الطرق - فوضع عنه عشراً ، ثم نزل حتى مر بموسى ، فأخبره ، فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى ، حتى جعلها خمساً ، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف ، فقال : قد استحييت من ربي ، ولكن أرضى وأسلم ، فلما نفذ ، نادى مناد : قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي

١٢٧

وقد تقدم ذكر اختلاف الصحابة في رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل بعين رأسه ، وأن الصحيح أنه رآه بقلبه ، ولم يره بعين رأسه ، وقوله : "ما كذب الفؤاد ما رأى" ، "ولقد رآه نزلة أخرى" ، صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا المرئي [جبرائيل] ، رآه مرتين على صورته التي خلق عليها

وأما قوله تعالى في سورة النجم : " ثم دنا فتدلى " ، فهو غير الدنو والتدلي المذكورين في قصة الإسراء ، فإن الذي في سورة النجم هو دنو جبرائيل وتدليه ، كما قالت عائشة و ابن مسعود رضي الله عنهما ، فإنه قال : " علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى " . فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى ، وأما الدنو والتدلي الذي في حديث الإسراء ، فذلك صريح في أنه دنو الرب تعالى وتدليه . وأما الذي في سورة النجم : أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، فهذا هو جبرائيل ، رآه مرتين ، مرة في الأرض ، ومرة عند سدرة المنتهى .

ومما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة ، قوله تعالى : "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى" .

والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح ، كما أن الإنسان إسم لمجموع الجسد والروح ، هذا هو المعروف عند الإطلاق ، وهو الصحيح . فيكون الإسراء بهذا المجموع ، ولا يمتنع ذلك عقلاً ، ولو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة ، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر .

فإن قيل : فما الحكمة في الإسراء الى بيت المقدس أولاً ؟ فالجواب - والله أعلم - : أن ذلك كان إظهاراً لصدق دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم المعراج حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس فنعته لهم وأخبرهم عن غيرهم التي مر عليها في طريقه ، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك ، إذ لا يمكن

١٢٨

اطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه ، وقد اطلعوا على بيت المقدس ، فأخبرهم بنعته .
(وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلو لله تعالى من وجوه، لمن تدبره ، وبالله التوفيق .

....

*** الحديث السابع :("يَجِيءُ النَبيُ وَمَعَهُ الرَجُلاَنِ، وَيَجِيءُ النَبيُ وَمَعَهُ الثلاَثَةُ)**[1]

* أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء – باب قول الله إنا أرسلنا نوحا ..
عن أبي سعيد قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى هل بلغت فيقول نعم أي رب فيقول لأمته هل بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فنشهد أنه قد بلغ وهو قوله جل ذكره" وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس" والوسط العدل)
*و أخرج نحوه ابن ماجه في الزهد – باب صفة أمة محمد.
عن أبي سعيد قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء النبي ومعه الرجلان ويجيء النبي ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك وأقل فيقال له هل بلغت قومك فيقول نعم فيدعى قومه فيقال هل بلغكم فيقولون لا فيقال من يشهد لك فيقول محمد وأمته فتدعى أمة محمد فيقال هل بلغ هذا فيقولون نعم فيقول وما علمكم بذلك فيقولون أخبرنا نبينا بذلك أن الرسل قد بلغوا فصدقناه قال فذلكم قوله تعالى"

١- أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٣٩) وأخرجه ابن ماجه في الزهد (٤٢٨٤) ، وأحمد في مسند المكثرين (١١١٦٤). وقالَ الألباني: صحيح (صحيح الجامع: ٨٠٣٣).

١٢٩

وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا") وأخرجه أحمد والنسائي،
*****الشرح والبيان :**
- قَالَ الإِمَامُ ابن حجر في فتح الباري:
قوله: (يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلَّغت ؟ فيقول: نعم) زاد في الاعتصام " نعم يا رب"
قوله: (فيقول مَن يشهد لك) في الاعتصام فيقول " من شهودك".قوله: (فيشهدون) في الاعتصام " فجاء بكم فتشهدون "
.وقوله: (فيشهدون أنه قد بلَّغ) زاد أبو معاوية " فَيُقَال وما علمكم ؟ فيقولون: أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلَّغوا فصدَّقناه ".ويُؤخَذ من حديث أبي بن كعب تعميم ذلك، فأخرج ابن أبي حاتم بسند جيد عن أبي العالية عن أبي بن كعب في هذه الآية قال: (لتكونوا شهداء) وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة، كانوا شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم أن رسلهم بلَّغتهم وأنهم كذَّوا رسلهم، قَالَ أبو العالية.
ومن حديث جابر عن النبي صَلَّى الله عليه وَسَلَّم " مَا من رجل من الأمم إلا ود أنه منا أيتها الأمة، مَا من نبي كذَّبه قومه إلا ونحن شهداؤه يوم القيامة أن قد بلَّغ رسالة الله ونصح لهم
* وقال السندي في شرح سنن ابن ماجه :
قوله (ومعه الرجلان) وهو الذي آمن من أمته (فيقول أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم إلخ) المقصود بهذه الشهادة إظهار فضلهم بين الأمم وإلا فكفى بالله شهيدا كيف ولولا ذلك لورد أن علم الحاكم إن كفى فلا حاجة إلى هذه الشهادة وإلا فكيف صحت شهادتهم مع انتهائها إلى علمه تعالى فليتأمل. اه
*وقَالَ ابن كثير في البداية والنهاية:

هذه الأمة تشهد على شهادة نبيها الصادق المصدوق بأن الله قد بعث نوحا بالحق وأنزل عليه الحق وأمره به، وأنه بلّغه إلى أمته على أكمل الوجوه وأتمها، ولم يَدَعْ شيئاً مما ينفعهم في دينهم إلا وقد أمرهم به، ولا شيئاً مما قد يضرهم إلا وقد نهاهم عنه وحذّرهم منه، وهذا شأن جميع الرسل، حتى أنه حذّر قومه المسيح الدجال، وإن كان لا يُتَوَقَّع خروجه في زمانهم، حذراً عليهم وشفقة ورحمة بهم.اهـ

*وقال القرطبي المتوفي سنة (٦٧١) **á** - رحمه الله في تفسيره (٤ /٩٤) ما مختصره عن معني قوله تعالي : **" فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا"**(النساء /٤١"

يعني بذلك جل ثناؤه: إن الله لا يظلم عباده مثقال ذرة، فكيف بهم، "إذا جئنا من كل أمة بشهيد"، يعني: بمن يشهد عليها بأعمالها، وتصديقها رسلها أو تكذيبها، "وجئنا بك على هؤلاء شهيدا"، يقول: "وجئنا بك"، يا محمد، "على هؤلاء"، أي: على أمتك، "شهيدا

وعن السدي: "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا"، قال: إن النبيين يأتون يوم القيامة، منهم من أسلم معه من قومه الواحد والاثنان والعشرة، وأقل وأكثر من ذلك، حتى يؤتى بقوم لوط صلى الله عليه وسلم، لم يؤمن معه إلا ابنتاه، فيقال لهم: هل بلغتم ما أرسلتم به؟ فيقولون: نعم.

فيقال: من يشهد؟ فيقولون: أمة صلى الله عليه وسلم! فيقال لهم: اشهدوا، إن الرسل أودعوا عندكم شهادة، فبم تشهدون؟ فيقولون: ربنا نشهد أنهم قد بلغوا، كما شهدوا في الدنيا بالتبليغ. فيقال: من يشهد على ذلك؟ فيقولون: محمد صلى الله عليه وسلم. فيدعى محمد عليه السلام، فيشهد أن أمته قد صدقوا، وأن الرسل قد بلغوا، فذلك قوله: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" [البقرة: ١٤٣].

١٣١

ثم قال القرطبي : قال ابن جريج قوله: "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد"، قال: رسولها، فيشهد عليها أن قد أبلغهم ما أرسله الله به إليهم، "وجئنا بك على هؤلاء شهيدا"، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى عليها فاضت عيناه. ا á

الفوائد الجليلة من أحاديث الباب

*** الفائدة الأولي : فضل النبي e ومكاعند الله تعالي.**

لاريب أن النبي r هو أحب الخلق إلي الله تعالي وقد شرفه تعالي بأن جعله صاحب المقام المحمود وحامل لواء الحمد يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع وجعل أمته خير الأمم وجعل أنبيائه عليهم السلام قبله يبشرون أممهم بمجيئه وحثهم علي أتباعه لأن الله سيختم به النبوة والرسالة فلا نبي بعده .

- وقال الماوردي المتوفي سنة (٤٥٠) á - رحمه الله تعالي - في أعلام النبوة الباب الخامس عشر ـ في بشائر الأنبياء عليهم السلام بنبوته صلى الله تعالى عليه و سلم (١/ ص ١٧١) مامختصرا:

إن الله تعالى عوناً على أوامره و إغناء عن نواهيه فكان أنبياء الله تعالى معانين على تأسيس النبوة بما تقدمه من بشائرها ، و تبديه من أعلامها و شعائرها ، ليكون السابق مبشراً و نذيراً ، و اللاحق مصدقاً و ظهيراً ، فتدوم بهم طاعة الخلق ، و ينتظم بهم استمرار الحق ، و قد قدمت بشائر من سلف من الأنبياء بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه و سلم مما هو حجة على أممهم .

و معجزة تدل على صدقه عند غيرهم بما أطلعه الله تعالى على غيبه ، ليكون عوناً للرسول و حثاً على القبول .

بشارة لهاجر عن بعثة النبي :

١٣٢

لما هربت هاجر من سارة تراءى ملك و قال : يا هاجر أمة سارة ارجعي إلى سيدتك فاخضعي لها ، فإن الله سيكثر زرعك و ذريتك حتى لا يحصون كثرة ، و ها أنت تحبلين و تلدين ابناً ، و تسمينه إسماعيل ، لأن الله تعالى قد سمع خشوعك ، و هو يكون عين الناس ، و تكون يده فوق الجميع مبسوطة إليه بالخضوع و هذا لم يكن في ولد إسماعيل إلا رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم لأنهم كانوا قبله مقهورين فصاروا به قاهرين .

بشارة لإبراهيم عليه السلام :

و منها قوله في هذا السفر لإبراهيم حين دعاه في إسماعيل و باركت عليه و كثرته و عظمته جداً جداً و سيلد اثني عشر عظيماً و أجعله لأمة عظيمة و ليس في ولد إسماعيل من جعله لأمة عظيمة غير محمد صلى الله تعالى عليه و سلم .

بشارة لموسى عليه السلام :

و منها في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس عن موسى عليه السلام :

[إن الرب إلهكم قال : إني أقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوتهم أجعل كلامي على فمه فأيما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها عني ذلك الرجل باسمي فأنا أنتقم منه] .

و معلوم أن أخا بني إسرائيل هم بنو إسماعيل و ليس منهم من ظهر كلام الله تعالى على فمه غير محمد صلى الله تعالى عليه و سلم .

بشارة أخرى من موسى عليه السلام :

و منها في الفصل العشرين من هذا السفر [إن الرب جاء من طور سيناء و أشرق من ساعير و استعلى من جبال فاران و معه عن يمينه ربوات جيش القديسين فمنحهم إلى الشعوب و دعا لجميع قديسيه بالبركة] .

١٣٣

فمجيء الله تعالى من طور سيناء ، و هو إنزاله التوراة على موسى ، و إشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على عيسى لأنه كان سكن ساعير أرض الخليل في قرية ناصرة ، و استعلاؤه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد صلى الله تعالى عليه و سلم . و فاران هي جبال مكة في قول الجميع ، فإن ناكروا كان دفعاً لما في التوراة ، و لأنه لم يستعل الدين كاستعلائه منها فاندفع الإنكار بالعيان .

بشائر الأنبياء :

فصل من البشائر به : كان بين موسى و عيسى من الأنبياء الذين أتوا الكتاب باتفاق أهل الكتابين عليهم ستة عشر نبياً . ظهرت كتبهم في بني إسرائيل ، فبشر كثير منهم بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه و سلم .

التوراة تتحدث عن مكة :

فمنهم شعيا بن أموص . قال في الفصل الثاني و العشرين قومي فأزهري مصباحك يعني مكة فقد دنا وقتك و كرامة الله طالعة عليه فقد تجلل الأرض الظلام و غطى على الأمم الضباب و الرب يشرق عليك إشراقاً و يظهر كرامته عليك ، فتسير الأمم إلى نورك و الملوك إلى ضوء طلوعك ، ارفعي بصرك إلى ما حولك و تأملي فإنهم يستجمعون عندك و يحجونك و يأتيك ولدك من بلد بعيد ، و تسرين و تبتهجين من أنه يميل إليك ذخائر البحر و يحج إليك عساكر الأمم حتى تغمرك الإبل المؤبلة و تضيق أرضك عن القطرات التي تجمع إليك ، و يساق إليك كباش مدين ، و يأتيك أهل سبأ يحدثون بنعم الله و يمجدونه ، و تسير إليك أغنام قاذار يعني غنم العرب لأنه من ولد قاذار بن إسماعيل و يرتفع إلى مديحي ما يرضينني و أحدث حينئذ لبيت محمدتي حمداً و هذه الصفات كلها موجودة بمكة فكان ما دعا إليها و هو الحق و من قام بها هو المحق .

١٣٤

و في فصل آخر من كتابه : قال لي الرب فامض فأقم على المنظرة تخبرك بما ترى فرأى راكبين . أحدهما راكب حماراً يعني عيسى و الآخر راكب جملاً يعني محمداً فبينما هو كذلك إذ أقبل أحد الراكبين و هو يقول : هوت بابل و تكسرت آلهتها المنجورة على الأرض فهذا الذي سمعت الرب إله إسرائيل قد أنبأتكم .

التوارة تتحدث عن الحجاز :

و في الفصل السادس عشر منه لتفرح أرض العطشى بمنتهج البراري و العلوات و لتسر و تزهو مثل الوعل فإنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان و يكمل حسن الدساكر و الرياض و سترون جلال الله تعالى بها قال شعيا و سلطانه على كتفه ، يريد : علامة نبوته على كفته و هذه صفة محمد صلى الله عليه و سلم و بادية الحجاز .

و في الفصل التاسع عشر منه : هتف هاتف من البدو فقال خلو الطريق للرب و سهلوا سبيل القفر فستمتلئ الأودية مياهاً و تفيض فيضاً و تنخفض الجبال و الروابي انخفاضاً و تصير الآكام دكاً دكاً و الأرض الورعة مذللة ملساً و تظهر كرامات الرب و يراها كل أحد .

و في الفصل العشرين منه و هو مذكور في ثلاث و خمسين و مائة من مزامير داود لترتاح البوادي و قراها و لتصير الأرض قاذار مؤوجاً و يسيح سكان الكهوف و ليهتفوا من قلال الجبال بحمد الرب و ليرفعوا تسابيحه فإن الرب يأتي كالجبار الملتضي المتكبر و هو يزجر و يقتل أعداءه و أرض قاذار هي أرض العرب لأنهم ولد قاذار ، و المروج ما صار حول مكة من النخل و الشجر و العيون .

و في الفصل الحادي و العشرين منه أيضاً إن الضعفاء و المساكين يستسقون ماء و لا ماء لهم فقد جفت ألسنتهم من الظمأ و أنا الرب أجيب يومئذ دعوتهم و لن

أهملهم بل أفجر لهم في الجبال الأنهار ، و أجري بين القفار العيون ، و أحدث في البدو أجساماً و أجري في الأرض العطشى ماء معيناً ، و أنبت في البلاقع القفار الصنوبر و الآس و الزيتون و أغرس في القاع الصفصف البر ليروها جميعاً ثم يتدبروا و يعلموا أن يد الله صنعت ذلك و قدوس إسرائيل ابتدعه و هذه صفات بلاد العرب فيما أحدث الله تعالى لهم فيها بإسلامهم .

بشائر نوال بن نوتال :

فصل من بشائر نوال بن نوتال من أنبياء بني إسرائيل : مثل الصبح المسلط على الجبال شعب عظيم عزيز لم يكن مثله قط و لا يكون بعده مثله إلى أبد الأبد أمامه نار تتأجج و خلفه لهيب ، و تلتهب الأرض بين يديه مثل فردوس عدن فإذا جاز فيها و عبرها تركها برية خاوية ، رؤيته كرؤية الجبل رجالته ، فر سراع مثل الفرسان ، أصواتهم كصوت لهب النار الذي يحرق الهشيم ، رجفت الأرض أمامهم و تزعزعت السماء و أظلمت الشمس و غاب نور النجوم و الرب ، أسمع صوتاً بين يدي أجناده لأن عسكره كثير جداً ، و عمل قوله عزيز لأن نور الرب عظيم مرهوب جداً و هذا نعت رسول الله صلى الله تعالى عليه و سلم .

من بشائر عويديا :

فصل من بشائر عويديا من أنبياء بني إسرائيل : و في كتابه : قد سمعنا خبراً من قبل الرب و أرسل رسولاً إلى الشعوب ، ثم يتقدم إليه بالحرب أيها الساكن في بحر الكهف و محله في الموضع الأعلى ، لأن يوم الرب قريب من جميع الشعوب فهذا مرموز في نبوته .

من بشائر ميخاء

من أنبياء بني إسرائيل في كتابه : فأما الآن فسيتسلم إلى الوقت الذي تلد فيه الوالدة و يقوم فيرعاهم . يعني الرب و بكرامة اسم الله ربه و يقبلون بهم إلى من سيعظم سلطانه إلى أقطار الأرض ، و يكون على عهد الإسلام .

من بشائر حبقو ق:
فصل من بشائر حبقوق من أنبياء بنـي إسرائيل : جاء الله من طور سيناء و استعلن القدوس من جبال فاران و انكسفت لبهاء محمد و انخسفت من شعاع المحمود و امتلأت الأرض من محامده ، لأن شعاع منظره مثل النور ، يحفظ بلده بعده و تسير المنايا أمامه ، و تصحب سباعؤ الطير أجناده ، قام فمسح الأرض و قابل الأمم و بحث عنهم ، فتصفصفت الجبال القديمة و اتضعت الروابي الدهرية و تزعزع سور أرض مدين ، و لقد جاز المساعي القديمة قطع الرأس من حب الأثيم ، و دمغت رؤوس سلاطينه بعضبه و معلوم أن محمداً و أحمد و محموداً صريح في اسمه و هما يتوجهان إلى من انطلق عليه اسم المحمد ، و هو بالسريباينة موشيحا أي محمد و محمود ، و لهذا إذا أراد السرياني أن يحمد الله تعالى قال : شريحا لإلهنا .
من بشائر حزقيال :
فصل من بشائر حزقيال من أنبياء بني إسرائيل : في كتابه [إن الذي يظهر من البادية فيكون فيه حتف اليهود كالكرمة أخرجت ثمارها و أغصانها عن مياه كثيرة و تفرعت منها أغصان مشرقة على أغصان الأكابر و السادات ، و بسقت فلم تلبث نار فأكلتها ، فكذلك غرس غرس في البدو و في الأرض المهملة المعطلة العطشى و خرج من أغصانه الفاضلة نار فأكلت ثمار تلك حتى لم يبق منها عصا قوية و لا قضيب ينهض بأمر السلطان] .
من بشائر يرصفينا :
فصل من بشائر يرصفينا من أنبياء بني إسرائيل : في كتابه أيها الناس ترجوا اليوم الذي أقوم فيه للشهادة فقد حان أن أظهر حكمي بحشر الأمم و جميع الملوك لأصب عليهم سخطي و تكبري هناك أجدد للأمم اللغة المختارة ليرفعوا اسم الرب جمعياً و ليعبدوه في ربقة واحدة معاً ، و ليأتوا بالذبائح من مغارتها تكون

١٣٧

و معلوم أن اللغة العربية هي المختارة لأنها طبقت الأرض و انتقلت أكثر اللغات إليها حتى صار ما عداها نادرا .

من بشار زكريا :

فصل من بشائر زكريا بن يوحنا من أنبياء بني إسرائيل : في كتابه رجع الملك الذي ينطق على لساني و أيقظني كالرجل الذي يستيقظ من نومه و قال لي ما الذي رأيت فقلت منارة من ذهب و كفة على رأسها ، و أريت على الكفة سبعة سرج لكل سراج منها سبعة أفواه ، و فوق الكفة شجرتا زيتون إحداهما عن يمين الكفة و الأخرى عن يسارها ، فقلت للملك الذي ينطق على لساني ما هذه يا سيدي فرد الملك علي و قال لي أما تعلم ما هذه ؟ فقلت ما أعلم ، فقال لي هذا قول الرب في زربايال يعني محمداً و هو يدعى باسمي و أنا أستجيب له للنصح و التطهير و أصرف عن الأرض أنبياء الزور و الأرواح النجسة لا بقوة و لا بعز و لكن بروحي بقول الرب القوي و يعني بشجرتي الزيتون الدين و الملك و زربايال هو محمد صلى الله تعالى عليه و سلم .

من بشائر دانيال :

فصل من بشائر دانيال من أنبياء بني إسرائيل : في كتابه : رأيت على سحاب السماء المسمى كهيئة إنسان جاء فانتهى إلى عتيق الإمام و قدموه بين يديه فحوله الملك و السلطان و الكرامة أن تعبد له جميع الشعوب و الأمم و اللغات ، سلطانه دائم إلى الأبد ، له يتعبد كل سلطان و يمضي ألفان و ثلثمائة ينقضي عقاب الذنوب يقوم ملك منيع الوجه في سلطانه عزيز القوة لا تكون عزته تلك بقوة نفسه و ينجح فيما يريد و يجوز في شعب الأطهار و يهلك الأعزاء و يؤتى بالحق الذي لم يزل قبل العالمين و في هذا دليل على أمرين أحدهما صدق الخبر لوجوده على حقه ، و الثاني صحة نبوته لظهور الخبر في صحته .

من بشائر رؤيا بختنصر :

فصل من بشائره في رؤيا بختنصر : و هو أن بختنصر رأى في السنة الثانية من ملكه رؤيا ارتاع منها و نسيها ، فأحضر من في ممالكه من الكهنة و المنجمين و كان قد ملك الأقاليم السبعة و سألهم عن الرؤيا و تأويلهم فقالوا له اذكروا لنا حتى نذكر تأويلها لك فأمر بقتلهم إن لم يذكروها و تأويلها و كان دانيال النبي قد سباه من اليهود فاستمهل في أمرهم و رغب إلى الله تعالى في اطلاعه على الرؤيا و تأويلها فأطلعه الله تعالى على ذلك فأتى بختنصر و قال :

أيها الملك إنك كلفت هؤلاء ما لا يعلمه إلا الله و قد رغبت إليه فأطلعني عليه ، و رؤياك التي رأيتها أن قلبك جاش و اختلج بما يحدث بعدك في آخر الزمان فعرفك مبدي السرائر ما يكون . إنك أيها الملك رأيت صنماً عظيماً قائماً قبالتك له منظر رائع رأسه من الذهب الأبريز و صدره و ذراعاه من فضة و فخذاه من نحاس و ساقاه من حديد و بعض رجليه من حديد و بعضها من خزف ، و رأيت حجراً انقطع من جبل عظيم بغير يد إنسان فضرب ذلك الصنم فهشمه حتى صار جبلاً عظيما امتلأت منه الأرض كلها . فهذه الرؤيا ، و أنا معبرها . أما الصنم فهو الملوك فأنت الرأس الذهب و يقوم من بعدك من هو دونك ألين منك فأما المملكة الثالثة التي هي مثل النحاس فتسلط على الأرض كلها ، و أما المملكة الرابعة التي هي مثل الحديد فتكون عزيزة كما أن الحديد يهشم الجميع فكذلك هذه تسحق و تغلب الكل ، و أما الأرجل و الأصابع التي رأيت أن منها من خزف الفخار و منها من حديد فإن المملكة تكون مختلفة و متفرقة يكون منها أصل من جوهر الحديد و خلط من خزف الفخار فيكون بعض المملكة قوياً و بعضها واهياً كسيراً لا يأتلف بعضها ببعض كما لا يختلط الحديد بالخزف ، و أما الحجر الواقع من الجبل فإن إله السماء يرسل مملكة من عنده لأنه لم تقطع الحجر يد إنسان في زمان هذه الممالك يهلكها و يبقى إلى آخر الدهر و لا يكون لأمة أخرى

١٣٩

مملكة و لا سلطان إلا دقه كما يدق الحجر الحديد و النحاس و الفضة و الذهب . فعرفك الله العظيم ما يكون بعدك في آخر الأيام فهذا رؤياك و تأويلها .
فخر بختنصر على وجهه ساجداً لدانيال ، و قال إن إلهكم هذا هو إله الآلهة و رب الأملاك حقاً و هو مبدي السرائر ، و جعل دانيال رأساً مؤمراً على أرض بابل ، و معلوم أنه لم يرسل الله تعالى سلطاناً أزال به الممالك و ملأ به الأرض و دام له الأمر إلا بنبوة محمد صلى الله تعالى عليه و سلم .

من بشائر أرميا :

فصل من بشائر أرميا بن برخنا من أنبياء بني إسرائيل في أيام بختنصر : لما قتل أهل الرس نبيهم قال ابن عباس أمر الله تعالى أن يأمر بختنصر أن يغزو العرب الذين لا إغلاق لبيوتهم فيقتلهم بما صنعوا بنبيهم فأمره بذلك . فدخل بختنصر بلاد العرب فقتل و سبى حتى انتهى إلى تهامة فأتى بمعد بن عدنان فأمر بقتله ، فقال له النبي لا تفعل فإن في صلب هذا نبياً يبعث في آخر الزمان يختم الله به الأنبياء ، فخلى سبيله و حمله معه حتى أتى حصوناً باليمن فهدمها و قتل أهلها و زوج معداً بأجمل امرأة منهم في زمانها و خلفه بتهامة حتى نسل بها . قال ابن عباس و في ذلك نزل قوله تعالى : " وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين " .

من بشائر داود في الزبور :

فصل من بشائر داود في الزبور : سبحان الذي هيكله الصالحون يفرح إسرائيل بخالقه و بيوت صيلون من أجل أن الله اصطفى له أمته و أعطاه النصر و سدد الصالحين منه بالكرامة يسبحون على مضاجعهم و يكبرون الله بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقموا من الأمم الذين لا يعبدونه يوثقون ملوكهم بالقيود و أشرافهم بالأغلال و معلوم أن سيوف العرب هي ذوات الشفرتين و محمد هو المنتقم بها من الأمم .

و فيه [أن الله أظهر من صيقون إكليلاً محموداً] و صيقون العرب و الإكليل النبوة ، و محمود هو محمد صلى الله تعالى عليه و سلم .
و في مزمور آخر منه : [أنه يجوز من بحر إلى بحر و من لدن الأنهار إلى الأنهار إلى منقطع الأرض ، و أن تخر أهل الجزائر بين يديه على ركبهم و تلحس أعداؤه التراب ، تأتيه الملوك بالقرابين و تسجد ، و تدين له الأمم بالطاعة و الانقياد لأنه يخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه ، و ينقذ الضعيف الذي لا ناصر له و يرأف بالضعفاء و المساكين ، و أنه يعطي من ذهب بلاد سبأ و نصلي عليه في كل وقت و يبارك عليه في كل يوم و يدوم ذكره إلى الأبد] و معلوم أنه لم يكن هذا إلا لمحمد صلى الله تعالى عليه و سلم .
و في [مزمور آخر] قال داود : [اللهم ابعث جاعل السنة حتى يعلم الناس أنه بشر] أي ابعث نبياً يعلم الناس أن المسيح بشر لعلم داود أن قوماً سيدعون في المسيح ما ادعوه ، و هذا هو محمد صلى الله تعالى عليه و سلم .

من بشائر المسيح في الإنجيل :

فصل من بشائر المسيح به في الإنجيل : قال المسيح عليه السلام للحواريين : [أنا ذاهب و سيأتيكم البارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه إلا كما يقال له ، و هو يشهد علي و أنتم تشهدون لأنكم معي من قبل الناس و كل شيء أعده الله لكم يخبركم به] . و في نقل يوحنا عنه : [إن البارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب فإذا جاء وبخ العالم على الخطيئة و لا يقول من تلقاء نفسه شيئاً ، و لكنه مما يسمع به يكلمكم ، و يسوسكم بالحق و يخبركم بالحوادث و الغيوب] .
من هو البارقليط ؟
و في نقل آخر عنه [إن البارقليط روح الحق الذي يرسله باسمي هو يعلمكم كل شيء إني سائل أن يبعث إليكم بارقليط آخر يكون معكم إلى الأبد و هو يعلمكم كل شيء] .

١٤١

و في نقل آخر عنه : [إن البشيرذاهب و البارقليط بعده يحيى لكم الأسرار و يقيم لكم كل شيء و هو يشهد لي كما شهدت له فإني لأجيئكم بالأمثال و هو يأتيكم بالتأويل] و البارقليط بلغتهم لفظ من الحمد ، و قد قال النبي صلى الله تعالى عليه و سلم و أنا أحمد ، و أنا محمود ، و أنا محمد .
بشائر الأنبياء تثبت نبوة محمد صلى الله عليه و سلم :
فهذه من بشائر الأنبياء عن الكتب الإلهية المتناصرة بصحة نبوته المتواترة الأخبار بانتشار دعوته و تأييد شريعته ، و لعل ما لم يصل إلينا منها أكثر فمنهم من عينه باسمه و منهم من ذكره بصفته و منهم من عزاه إلى قومه و منهم من أضافه إلى بلده و منهم من خصه بأفعاله و منهم من ميزه بظهوره و انتشاره ، و قد حقق الله جميعها فيه حتى صار جلياً بعد الاحتمال و يقيناً بعد الارتياب .اهـ

*** الفائدة الثانية|: شفاعة النبي e ومقامه المحمود يوم القيامة:**
رغم الأدلة الصحيحة في شفاعته **r** نجد هناك من ينكر أحاديث الشفاعة له **r** من ادعياء العلم سلفا وخلفا
وفي كتاب تهذيب سنن أبو داود– لابن القيم - رحمه الله تعالي - ردًا شافيًا علي هؤلاء بالأدلة ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة والله المستعان
*قال ابن القيم ـ في كتاب السنة ـ باب في الشفاعة ما مختصره:
ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "لكل نبي دعوة دعاها لأمته، وإني اختبأت دعوني شفاعة لأمتي يوم القيامة".
وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال "قلت. يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث

١٤٢

أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله من قبل نفسه".
وفي صحيح البخاري عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت. يا رب، أدخل الجنة من في قلبه خردلة فيدخلون ثم أقول يا رب أدخل الجنة من في قلبه أدنى شيء" قال أنس "كأني أنظر إلى أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم"
وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم. فيدخلون الجنة، ويسمون الجهنميين".
وفي الصحيحين عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا هذا ـ فذكر الحديث ـ وفيه: ثم أشفع فيحد لي حداً. فأخرجهم من النار، وأدخلوهم الجنة. ثم أعود، فأقع ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي، ارفع رأسك يا محمد، قل تسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع. فارفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ثم أشفع، فيحد لي حداً. فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة ـ وذكر باقي الحديث".
وفي الصحيحين أيضاً من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض. ـ فيأتون ادم ـ وذكر الحديث ـ وقال فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فقال: انطلق، فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها فأنطلق فافعل ثم أرجع إلى ربي، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أعود إلى ربي،

فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع. فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال لي: إنطلق فمن كان في قبله أدنى وأدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، سل تعطه واشفع تشفع فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: ليس ذلك لك، ولكن وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي، لأخرجن من قال: لا إله إلا الله".

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال "أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه ـ فذكر الحديث إلى أن قال ـ فأنطلق، فاتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي. ثم يفتح الله علي، ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي. ثم قال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي. فأقول: يا رب، أمتي أمتي. فيقال: يا محمد، أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه من باب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب".

وفي الصحيحين عن أبي سعيد "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وفي الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب أنه قال في ضحضاح من نار، ولولا لكان في الدرك الأسفل من النار".

فقد تضمنت هذه الأحاديث خمسة أنواع من الشفاعة.

أحدها: الشفاعة العامة التي يرغب فيها الناس إلى الأنبياء، نبياً بعد نبي، حتى يريحهم الله من مقامهم.

النوع الثاني: الشفاعة في فتح الجنة لأهلها.

١٤٤

النوع الثالث: الشفاعة في دخول من لاحساب عليهم الجنة.
النوع الرابع: الشفاعة في إخراج قوم من أهل التوحيد من النار.
النوع الخامس: في تخفيف العذاب عن بعض أهل النار.
ويبقى نوعان يذكرهما كثير من الناس.
أحدهما: في قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها. وهذا النوم لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه.
وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول، فلا يدخلون. فلم أظفر فيه بنص.
والنوع الثاني: شفاعته صلى الله عليه وسلم لقوم من المؤمنين في زيادة الثواب، ورفعة الدرجات. وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سلمة، وقوله "اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين".
وقوله في حديث أبي موسى "اللهم اغفر لعبيد أبي عامر، واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك".
وفي قوله في حديث أبي هريرة "أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله" سر من أسرار التوحيد.
وهو أن الشفاعة إنما تنال بتجريد التوحيد، فمن كان أكمل توحيداً كان أحرى بالشفاعة. لا أنها تنال بالشرك بالشفيع. كما عليه أكثر المشركين وبالله التوفيق.

***الفائدة الثالثة: فضل الصلاة علي النبي r .**
دلت بعض أحاديث الباب عن ثواب عظيم من الله تعالي لمن يكثر من الصلاة علي النبي **r** وهو سبحانه قد أمرنا بذلك في قوله تعالي :

١٤٥

إ(إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا {٥٦/ الاحزاب}
وهناك أكثر من صيغة للصلاة علي النبي **r** نذكر منها:

بي(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِي) (البخاري)
أو- (ا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ) (مسلم)
ويجب الالتزام بأي صيغة في الصلاة علي النبي **r** مما ذكرنا أنفاً. دون زيادة أو نقصان
*قال السيوطي-رحمه الله تعالي في الحرز المنيع مختصراً:
قرأت في الطبقات للتاج السبكي نقلاً عن أبيه ما نصه : أحسن ما يصلي به عن النبي **e** بهذة الكيفية التي في التشهد وهي رواية الصحيحين والسنن
ثم قال: ومن أتي بها فقد صلي علي النبي **e** بيقين، ومن جاء بلفظ غيرها من إتيانه بالصلاة المطلوبة في شك، لأنهم قالوا:كيف نصلي عليك ؟

فقال" قولوا" فجعل الصلاة عليه منهم هي قول ذا .اهـ

الباب الرابع
ما جاء في رحمة الله لعباده

الحديث الأول(...من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان)[1]

*أخرجه مسلم في البر والصلة- باب النهي عن تقنيط الأنسان من رحمة الله
عن جندب رضي الله عنه(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث أن رجلا قال والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك أو كما قال)
*وأخرجه أبو داود في الأدب – باب النهي عن البغي.
عن عكرمة بن عمار قال حدثني ضمضم بن جوس قال قال أبو هريرة رضي الله عنه (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له

١- أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٦٢١) .

١٤٧

أقصر فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالما أو كنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به إلى النار قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته)

الشرح والبيان :

* قال النووي في شرح مسلم :

قوله صلى الله عليه وسلم : (أن رجلا قال : والله لا يغفر الله لفلان ، وإن الله تعالى قال : من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان ؟ فإني قد غفرت لفلان ، وأحبطت عملك) معنى (يتألى) يحلف ، والألية اليمين .

وفيه دلالة لمذهب أهل السنة في غفران الذنوب بلا توبة إذا شاء الله غفرانها . واحتجت المعتزلة به في إحباط الأعمال بالمعاصي الكبائر . ومذهب أهل السنة أنها لا يحبط إلا بالكفر ، ويتأول حبوط عمل هذا على أنه أسقطت حسناته في مقابلة سيئاته ، وسمي إحباطا مجازا ، ويحتمل أنه جرى منه أمر آخر أوجب الكفر ، ويحتمل أن هذا كان في شرع من قبلنا ، وكان هذا حكمهم .اهـ

* وفي شرح حديث أبو داود في عون المعبود للفيروزأبادي قال :

(متواخيين) أى متقابلين في القصد والسعي فهذا كان قاصدا وساعيا في الخير وهذا كان قاصدا وساعيا في الشر (أقصر) : من الإقصار وهو الكف عن الشيء مع القدرة عليه (أبعثت) : بهمزة الاستفهام وبصيغة المجهول (أوبقت دنياه وآخرته) : في القاموس : أوبقه أهلكه أي أهلكت تلك الكلمة ما سعى في الدنيا وحظ الآخرة .

الحديث الثاني :(إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك...)[١]

*أخرجه مسلم في الإيمان- باب إذا هم العبد بحسنة كتبت له حسنة .
عن ابن عباس (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة) وأخرج مثله البخاري وأحمد والدرامي
**** الشرح والبيان:**
***قال النووي رحمه الله :**
وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة) ففيه تصريح بالمذهب الصحيح المختار عند العلماء أن التضعيف لا يقف على سبعمائة ضعف . وحكى أبو الحسن أقضى القضاة الماوردي عن بعض العلماء أن التضعيف لا يتجاوز سبعمائة ضعف ، وهو غلط لهذا الحديث والله أعلم.
. وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (ولن يهلك على الله إلا هالك) فقال القاضي عياض رحمه الله :
معناه من حتم هلاكه وسدت عليه أبواب الهدى مع سعة رحمة الله تعالى وكرمه وجعله السيئة حسنة إذا لم يعملها وإذا عملها واحدة ، والحسنة إذا لم يعملها واحدة ، وإذا عملها عشرا إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة . فمن

١- أخرجه مسلم في الإيمان (١٣١) ، والبخاري في الرقاق (٦٤٩١) ، وأحمد ف مسند بني هاشم (٢٥١٥) ، والدارمي في الرقاق (٢٧٨٦)

حرم هذه السعة وفاته هذا الفضل وكثرت سيئاته حتى غلبت مع أنها أفراد حسناته مع أنها متضاعفة فهو الهالك المحروم والله أعلم .
قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله :
في هذه الأحاديث دليل على أن الحفظة يكتبون أعمال القلوب وعقدها خلافا لمن قال : إنها لا تكتب إلا الأعمال الظاهرة . والله أعلم .اهـ

الحديث الثالث (.إن رجلا حضره الموت فلما يئس من الحياة ...)[١]

*أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء- باب حديث الغار .
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا فلما مات فعل به ذلك فأمر الله الأرض فقال اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال يا رب خشيتك فغفر له وقال غيره مخافتك يا رب) وأخرج مسلم نحوه
*وأخرجه النسائي في الجنائز – باب أرواح المومنين.
عن ربعي عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله فلما حضرته الوفاة قال لأهله إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم اذروني في البحر فإن الله إن يقدر علي لم يغفر لي قال

١- أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٩) ، والنسائي في الجنائز (٢٠٨٠)

١٥٠

فأمر الله عز وجل الملائكة فتلقت روحه قال له ما حملك على ما فعلت قال يا رب ما فعلت إلا من مخافتك فغفر الله له)

**الشرح والبيان :

- قال النووي في شرح الحديث مختصرا :

اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث فقالت طائفة: لا يصح حمل هذا على أنه أراد نفي قدرة الله فإنَّ الشاكَ في قدرة الله تعالى كافر، وقد قَالَ في آخر الحديث أنه إنما فعل هذا من خشية الله تعالى والكافر لا يخشى الله تعالى ولا يُغفَر له، قَالَ هؤلاء: فيكون له تأويلان:

أحدهما أن معناه لئن قدر علي العذاب أي قضاه، يُقَال منه قدر بالتخفيف، وقدر بالتشديد بمعنى واحد، والثاني أن قدر هنا بمعنى ضَيَّق عليَ، قَالَ الله تعالى: (فقدر عليه رزقه)

- وقال السيوطي –رحمه الله-

(كان رجل ممن كان قبلكم يسيء الظن بعمله فلما حضرته الوفاة قال لأهله إذا أنامت فاحرقوني الحديث) قال ابن الجوزي في جامع المسانيد فإن قيل هذا الذي ما عمل خيرا قط كافر فكيف يغفر له فالجواب قال ابن عقيل هذا رجل لم تبلغه الدعوة

الحديث الرابع : (إن رحمتي تغلب غضبي)[١]

*أخرجه البخاري في التوحيد- باب قول الله تعالي –ويحذركم الله نفسه.

---

[١]- أخرجه البخاري في التوحيد (٧٤٠٤) ، ومسلم في التوبة (٢٧٥١) ، والترمذي في الدعوات (٣٥٤٣) ، وابن ماجة في المقدمة (١٨٩) ، وأحمد في مسند المكثرين (٧٤٤٨) .

١٥١

عن أبي هريرة رضي الله تعالي عنه:عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش إن رحمتي تغلب غضبي)
* وأخرجه مسلم في التوبة-باب سعة رحمة الله تعالي .
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر الله له)
* وأخرج الترمذي في الدعوات- باب خلق الله مائة رحمه.
عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(إن الله حين خلق الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي) وأخرجه أحمد وابن ماجة بألفاظ متشابهة ، وقَالَ الألباني: صحيح (انظر صحيح الجامع: ١٨٠٣).
الشرح والبيان:
- قال النووي رحمه الله في شرح مسلم :
قوله تعالى : (إن رحمتي تغلب غضبي) وفي رواية : (سبقت رحمتي غضبي) قال العلماء : غضب الله تعالى ورضاه يرجعان إلى معنى الإرادة ، فإرادته الإثابة للمطيع ، ومنفعة العبد تسمى رضا ورحمة ، وإرادته عقاب العاصي وخذلانه تسمى غضبا ، وإرادته سبحانه وتعالى صفة له قديمة يريد بهاجميع المرادات ، قالوا :
والمراد بالسبق والغلبة هنا كثرة الرحمة وشمولها ، كما يقال : غلب على فلان الكرم والشجاعة إذا كثرا منه .أهـ
- وقَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:

١٥٢

قَالَ الله تعالى (رحمتي سبقت غضبي) أي غلبت آثار رحمتي على آثار غضبي، والمراد بيان سعة الرحمة وشمولها ووصولها للخلائِق قبل الغضب، لكونها مُقتَضَى ذاته دونه، وإلا فهما من صفاته راجعتان لإرادته الثواب والعقاب، لا تُوصَف إحداهما بالسبق والغَلَبَة على الأخرى، فهو إشارة إلى مزيد العناية بعبيده والإنعام عليهم بغايات الفضل ونهاية الرِفْق والمُسامَحَة، وإلى أن مقام الفضل أوسع من مقام العدل.

ثم قَالَ رحمه الله :

قَالَ الدماميني: الغضب إرادة العقاب، والرحمة إرادة الثواب، والصفات لا توصف بغلبة ولا يسبق بعضها بعضاً، لكن ورد هذا على الإستعارة، ولا مانع من جعل الرحمة والغضب من صفات الفعل لا الذات، فالرحمة هي الثواب والإحسان، وغضب الإنتقام والعذاب، فتكون الغلبة على بابها.اهـ

**وقال ابن العثيمين- رحمه الله- في شرح العقيدة الواسطية عن صفة الغضب ما نصه: الغضب صفة ثابتة لله تعالي علي الوجه اللائق به وهي من صفاته الفعلية اهـ

الحديث الخامس: (...أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي)[١]

*أخرجه البخاري في التوحيد- باب قول الله تعالي :يريدون أن يبدلوا كلامك الله.

-عن عبد الرحمن بن أبي عمرة قال سمعت أبا هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال(إن عبدا أصاب ذنبا وربما قال أذنب ذنبا فقال رب أذنبت

١- اخرجه البخاري في التوحيد (٧٥٠٤) .

١٥٣

وربما قال أصبت فاغفر لي فقال ربه أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا أو أذنب ذنبا فقال رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره فقال أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا وربما قال أصاب ذنبا قال قال رب أصبت أو قال أذنبت آخر فاغفره لي فقال أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء)

*وأخرجه مسلم في التوبة- باب قبول التوبة من الذنوب وأن تكررت.

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال (أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك قال عبد الأعلى لا أدري أقال في الثالثة أو الرابعة اعمل ما شئت)

**** الشرح والبيان:**

* قال الحافظ بن حجرمختصرا :

. قوله (إن عبدا أصاب ذنبا وربما قال أذنب ذنبا) كذا تكرر هذا الشك في هذا الحديث من هذا الوجه . قوله (ويأخذ به) أي يعاقب فاعله ،. قوله (ثم مكث ما شاء) أي من الزمان . قوله (ثم أصاب ذنبا) في رواية حماد ثم عاد فأذنب .

قوله (في آخره غفرت لعبدي) قال ابن بطال في هذا الحديث أن المصر على المعصية في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له مغلبا الحسنة التي جاء بها وهي اعتقاده أن له ربا خالقا يعذبه ويغفر له واستغفاره إياه على ذلك يدل عليه

قوله : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ولا حسنة أعظم من التوحيد ، فإن قيل إن استغفاره ربه توبة منه قلنا ليس الاستغفار أكثر من طلب المغفرة ، وقد يطلبها المصر والتائب ولا دليل في الحديث على أنه تائب مما سأل الغفران عنه ، لأن حد التوبة الرجوع عن الذنب والعزم أن لا يعود إليه والإقلاع عنه والاستغفار بمجرده لا يفهم منه ذلك انتهى

، وقال القرطبي في المفهم يدل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه ، لكن هذا الاستغفار هو الذي ثبت معناه في القلب مقارنا للسان لينحل به عقد الإصرار ويحصل معه الندم فهو ترجمة للتوبة ، ويشهد له حديث : خياركم كل مفتن تواب ، ومعناه الذي يتكرر منه الذنب والتوبة فكلما وقع في الذنب عاد إلى التوبة لا من قال أستغفر الله بلسانه وقلبه مصر على تلك المعصية ، فهذا الذي استغفاره يحتاج إلى الاستغفار . قلت : ويشهد له ما أخرجه ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس مرفوعا " التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه " والراجح أن قوله " والمستغفر " إلى آخره موقوف وأوله عند ابن ماجه والطبراني من حديث ابن مسعود وسنده حسن ، وحديث " خياركم كل مفتن تواب " ذكره في مسند الفردوس عن علي.

قال القرطبي : وفائدة هذا الحديث أن العود إلى الذنب وإن كان أقبح من ابتدائه لأنه انضاف إلى ملابسة الذنب نقض التوبة ، لكن العود إلى التوبة أحسن من ابتدائها لأنه انضاف إليها ملازمة الطلب من الكريم والإلحاح في سؤاله والاعتراف بأنه لا غافر للذنب سواه.

قال النووي في الحديث : إن الذنوب ولو تكررت مائة مرة بل ألفا وأكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته أو تاب عن الجميع توبة واحدة صحت توبته ، وقوله : " اعمل ما شئت " معناه ما دمت تذنب فتتوب غفرت لك ...ثم قال وذكر بعض

١٥٥

العلماء أن التوبة لا تتم إلا بالاستغفار لقوله تعالى (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) والمشهور أنه لا يشترط .اهـ

الحديث السادس: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا...)[1]

* أخرجه البخاري في-صلاة المسافرين- باب الدعاء في الصلاة اخر الليل.
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
(ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له)
وأخرج مثله مسلم في صلاة المسافرين/٧٥٨

*وأخرجه الترمذي في الصلاة- باب ماجاء في نزول الرب عز وجل .
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر) وأخرج أحمد وأبو داود نحو ماذكرنا** **الشرح والبيان:***قال النووي في شرح الحديث مختصرا:
قوله صلى الله عليه وسلم : (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول : من يدعوني فأستجيب له) هذا الحديث من أحاديث الصفات ، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان ومختصرهما أن أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين : أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق

١-اخرجه البخاري في الجمعة (١١٤٥) ، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٨) ، والترمذي في الصلاة (٤٤٦) ، وأبو داود في الصلاة (١٣١٥) ، وأبن ماجة في إقامة الصلاة (١٣٦٦) .

بالله تعالى ، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق ، وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق . والثاني : مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها. والله أعلم .اهـ
** **قلت**: وسبق أن ذكرنا أن عقيدة أهل السنة والجماعة عدم تأويل الصفات وأليك أخي القاريء ما قاله ا بن العثيمين عن صفة النزول في رده علي أكثر من سؤال في الفتاوي لفضيلته دون أختصار لأن البعض يلتبس عليهم كيفية النزول ويوسوس لهم الشيطان الأمر ويدفعهم إلي تأويل الصفة ، وفي رده رحمه الله تعالي الجواب الشافي لمن أراد حقاً معرفة الصواب دون الخروج عن عقيدة أهل السنة والجماعة والله المستعان .
**(سئل فضيلة الشيخ (تحت رقم٩٦) من الفتاوي :
عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له".
فأجاب بقوله : هذا الحديث حديث عظيم ذكر بعض أهل العلم أنه بلغ حد التواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا شك أنه حديث مستفيض مشهور، وقد شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بكتاب مستقل، لما فيه من الفوائد العظيمة، ففيه ثبوت النزول لله سبحانه وتعالى لقوله: "يتنزل ربنا" والنزول من صفات الله الفعلية، لأنه فعل وهذا النزول نزول الله نفسه حقيقة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أضافه إلى الله، ونحن نعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بالله، ونعلم كذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق، ونعلم كذلك أنه صلى الله عليه وسلم أصدق الخلق فيما يخبر به، فليس في كلامه شيء من الكذب، ولا يمكن أن يتقول على الله تعالى شيئاً لا في أسمائه، ولا في صفاته،

١٥٧

ولا في أفعاله، ولا في أحكامه، قال الله تعالى : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين .

ثم لقطعنا منه الوتين)[١]. ونعلم كذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنصح الخلق، وأنه، صلى الله عليه وسلم لا يساويه أحد من الخلق في النصحية للخلق، ونعلم كذلك أنه صلى الله عليه وسلم لا يريد من العباد إلا أن يهتدوا، وهذا من تمام نصحه أنه لا يريد منهم أن يضلوا، فهو عليه الصلاة والسلام، أعلم الخلق بالله، وأنصح الخلق للخلق، وأفصح الخلق فيما ينطق به، وكذلك لا يريد إلا الهداية للخلق فإذا قال: " ينزل ربنا " فإن أي إنسان يقول : خلاف ظاهر هذا اللفظ قد اتهم النبي صلى الله عليه وسلم إما بأنه غيرعالم، فمثلاً إذا قال: المراد ينزل أمره. نقول : أنت أعلم بالله من رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرسول يقول : " ينزل ربنا " وأنت تقول : ينزل أمره أأنت أعلم أم رسول الله؟ !

أو أنه اتهمه بأنه لا يريد النصح للخلق حيث عمى عليهم فخاطبهم بما يريد خلافه، ولا شك أن الإنسان الذي يخاطب الناس بما يريد خلافه غير ناصح لهم أو نقول : أنت الآن اتهمت الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه غير فصيح بل هو عيي يريد شيئاً ولكن لا ينطق به، يريد ينزل أمر ربنا ولكن يقول : ينزل ربنا لأنه لا يفرق بين هذا وهذا، فكلامك هذا لا يخلو من وصمة الرسول صلى الله عليه وسلم فعليك أن تتقي الله، وأن تؤمن بما قال الرسول صلى الله عليه وسلم من أن الله تعالى نفسه ينزل حقيقة.

وتحت رقم(٩٧) سئل فضيلته: هل يستلزم نزول الله عز وجل أن يخلو العرش منه أو لا؟.

---

[١] سورة الحاقة، الآية " ٤٤-٤٦ ".

١٥٨

فأجاب بقوله: نقول: أصل هذا السؤال تنطع، وإيراده غير مشكور عليه مورده، لأننا نسأل هل أنت أحرص من الصحابة على فهم صفات الله ؟ إن قال : نعم فقد كذب .
وإن قال : لا . قلنا: فليسعك ما وسعهم، فهم ما سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا : يا رسول الله إذا نزل هل يخلو منه العرش؟ وما لك ولهذا السؤال، قل : ينزل واسكت. يخلو منه العرش أو ما يخلو، هذا ليس إليك أنت مأمور بأن تصدق الخبر ولا سيما ما يتعلق بذات الله وصفاته، لأنه أمر فوق العقول فإذاً نقول :
هذا السؤال تنطع أصلاً لا يرد وكل إنسان يريد الأدب كما تأدب الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يورده، فإذا قدر أن شخصاً ابتلي بأن وجد العلماء بحثوا في هذا واختلفوا فيه، فمنهم من يقول : يخلو، ومنهم من يقول : لا يخلو، ومنهم من توقف، فالسبيل الأقوم في هذا هو التوقف، ثم القول بأنه لا يخلو منه العرش، وأضعف الأقوال القول بأنه يخلو منه العرش، فالتوقف أسلمها وليس هذا مما يجب علينا القول به، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبينه والصحابة لم يستفسروا عنه، ولو كان هذا مما يجب علينا أن نعتقده لبينه الله ورسوله بأي طريق، ونحن نعلم أنه أحياناً يبين الرسول صلى الله عليه وسلم الحق من عنده، وأحياناً يتوقف فينزل الوحي، وأحياناً يأتي أعرابي فيسأل عن شيء، وأحياناً يسأل الصحابة أنفسهم عن الشيء كل هذا لم يرد في هذا الحديث فإذاً لو توقفنا وقلنا : الله أعلم فليس علينا سبيل لأن هذا هو الواقع.

وتحت رقم(١٠٠) سئل : هل الذي ينزل هو الله عز وجل أو لا ؟

فأجاب بقوله: ذكرنا فيما سبق أن الذي ينزل هو الله نفسه، هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الخلق به، وأنصحهم، وأفصحهم مقالاً، وأصدقهم فيما يقول فهو أعلم، وأنصح، وأفصح، وأصدق، وكل هذه الصفات الأربع موجودة في كلامه عليه الصلاة والسلام، فو الله ما كذب في قوله: " **ينزل ربنا** " ولا غش الأمة ولا نطق بعي ولا نطق عن جهل **(وما ينطق عن الهوى)** [١].بل هو الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول : **" ينزل ربنا عز وجل "**. لكن قال بعض الناس :

إن الذي ينزل أمر الله وقال آخرون : الذي ينزل رحمة الله وقال آخرون : الذي ينزل ملك من ملائكة الله، سبحان الله هل الرسول صلى الله عليه وسلم ما يعرف أن يعبر هذا التعبير لا يعرف أن يقول : تنزل رحمة الله، أو ينزل أمر الله، أو ينزل ملك من ملائكة الله؟

الجواب: يعرف أن يعبر ولو كان المراد ينزل أمره أو رحمته' أو ملكه لكان الرسول عليه الصلاة والسلام، ملبساً على الأمة حين قال: "**ينزل ربنا**" ولم يكن مبيناً للأمة بل ملبساً عليهم، لأن الذي يقول : لك: "ينزل ربنا" وهو يريد ينزل أمره هل وضح لك وبين أو غشك ولبس عليك؟ الجواب: غشك ولبس عليك فإذاً الذي ينزل هو الرب عز وجل.

وهذا التحريف ولا نقول : هذا التأويل فالقول بأن مثل هذا التحريف تأويل تلطيف للمسألة، وكل تأويل لا يدل عليه دليل فهو تحريف، نقول : هذا التحريف لا شك أنه باطل فإذا قلنا : إن الذي ينزل أمر الله في ثلث الليل فمقتضاه:

أولاً : أنه في غير ثلث الليل لا ينزل أمر الله، وأمر الله نازل في كل لحظة **(يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه)** [٢].

---

[١] سورة النجم، الآية "٣".

[٢] سورة السجدة، الآية " ٥ " .

ثانياً : أمر الله ما ينتهي بالسماء الدنيا قال تعالى: **(يدبر الأمر من السماء إلى الأرض)** . وليس إلى السماء الدنيا فقط، فبطل هذا التحريف من جهة أن الأمر لا يختص بهذا الجزء من الليل، وأن الأمر لا ينتهي إلى السماء بل ينزل إلى الأرض.
ورحمة الله أيضاً نفس الشيء نقول رحمة الله عز وجل تنزل كل لحظة ولو فقدت رحمة الله من العالم لحظة لهلك فكل لحظة تنزل الرحمة وتنزل إلى الأرض، إذا ما الفائدة لنا بنزول الرحمة إلى السماء فقط، إذا لم تصلنا الرحمة فلا فائدة لنا منها، فبطل تفسيره بالرحمة بل ما يترتب على تفسيره بالأمر أو بالرحمة من اللوازم الفاسدة أعظم مما يتوهمه من صرف اللفظ إلى الأمر أو الرحمة من المفاسد في تفسيره بنزول الله نفسه.
ثالثاً: هل يمكن للأمر أو الرحمة أن تقول : من يدعوني فأستجيب له إلخ؟
الجواب: لا يمكن أن تقول رحمة الله : من يدعوني، ولا يمكن أن يقول أمر الله : من يدعوني، فالذي يقول هو الله عز وجل كذلك إذا قيل : إن الذي ينزل ملك من ملائكته نقول : الملك إذا نزل إلى السماء الدنيا لا يمكن أن يقول : من يدعوني. أبداً لو قال الملك : من يدعوني صار من دعاة الشرك لأن الذي يجيب الداعي إذا دعاه هو الله عز وجل فلا يمكن للملك أن يقول : هكذا، حتى لو فرض أن الله أمره أن يقول لقال :من يدعو الله فيستجيب له، ولا يمكن لملك من الملائكة وهم لا يعصون الله أن يقول : من يدعوني فأستجيب له، وبهذا بطل تحريف هذا الحديث إلى هذا المعنى أن يكون النازل ملكاً.
وتحريف نصوص الصفات من القرآن والسنة يجري فيها هذا المجرى، يعني أن كل التحريفات إذا تأملتها وجدت أنه يترتب عليها من المفاسد أضعاف ما يترتب على المفاسد التي توهموها لو أجروا اللفظ على ظاهره، ولهذا نجد الصحابة رضي الله عنهم سلموا من هذا فلا يوجد عنهم حرف واحد في تحريف

نصوص الصفات، لأنه ليس فيها إشكال عندهم يجرونها على ظاهرها، كما يجرون آيات الأحكام على ظاهرها، والغريب أن هؤلاء الذين يحرفون في نصوص الصفات وهم لا يستطيعون أن يعقلوها لو حرف أحد من نصوص الأحكام مع أن الأحكام مربوطة بالمصالح والمصالح للعقول فيها مدخل لو حرف أحد في نصوص الأحكام لأقاموا عليه الدنيا، وقالوا :

ما يمكن أن تخرج اللفظ عن ظاهره، مع أن الأحكام مربوطة بالمصالح والمصالح للعقل فيها مجال، لكن صفات الله غير مربوطة بهذا، صفات الله طريقها الخبر المجرد يعني ما فيه تلقٍّ في صفات الله نفياً، أو إثباتاً إلا من الكتاب والسنة، ومع ذلك نجد من يعلب بنصوص الكتاب والسنة فيما يتعلق بصفات الله ويحرفها حينما يرى أن العقل يقتضي ذلك، مع أن العقل الذي يدعي أنه يقتضي ذلك، عقل من؟ عقل زيد أو عمرو أو بكر.. كل واحد منهم له عقل يقول : هذا هو الحق ولهذا تجدهم يتناقضون، بل إن الواحد منهم ينقض كلامه بعضه بعضاً، يؤلف كتاباً فينقض به ما في الكتاب الأول وهكذا.

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

فهم يتناقضون لأنهم على غير برهان وعلى غير أساس، فلهذا نقول : الطريق السليم، والمنهج الحكيم هو: ما درج عليه السلف من إجراء هذه النصوص على ظاهرها.

فإذا قال قائل: ظاهرها التمثيل.

قلنا له: أخطأت ليس ظاهرها التمثيل، وكيف يكون ظاهرها التمثيل وهي مضافة إلى الله تعالى والله لا يماثله أحد في ذاته فكذلك في صفاته. فمثلاً قوله تعالى: **(ويبقى وجه ربك)**[1] إذا قال: أنا لا أثبت الوجه حقيقة لأن ظاهره التمثيل، نقول :

---

[1] سورة الرحمن، الآية " ٢٧ ".

أخطأت ليس ظاهره التمثيل لأن الله تعالى لم يذكر وجهاً مطلقاً حتى يحمل على المعهود، وإنما ذكر وجهاً مضافاً إلى ذاته **(ويبقى وجه ربك)** فإذا كان مضافاً إلى ذاته وأنت تؤمن بأن ذاته لا تماثل ذوات المخلوقين وجب أن يكون وجهه لا يماثل أوجه المخلوقين. والله أكبر عليك لو قيل : يد الفيل ما فهمت أنها كيد الهرة لأنها أضيفت إلى الفيل وليست يداً مطلقة حتى تقول : تشترك مع غيرها فلا يمكن أن تفهم من **قول القائل**: يد فيل أنه كقول القائل : يد هر، أبداً فيكف تفهم إذا قيل : يد الله بأنها كيد زيد أو عمرو؟

أبداً ما يمكن أن تفهم هذا، فكل من قال : إن ظاهر نصوص الصفات التمثيل فإنه كاذب سواء تعمد الكذب أم لم يتعمده، لأنه حتى الذي يقول عن تأويل خاطىء يسمي كاذباً أليس الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال لأبي السنابل لما أخبر بأن أبا السنابل قال لسبيعة الأسلمية: لن تنكحي حتى يمضي عليك أربعة أشهر وعشر، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " **كذب أبو السنابل** ". مع أنه ما تعمد الكذب لكنه قال قولاً خاطئاً فنحن نقول هذا كاذب سواء تعمد أم لم يتعمد فليس في نصوص الصفات ولله الحمد ما يقتضي التمثيل لا عقلاً ولا سمعاً ثم إن لدينا آية من كتاب الله عز وجل تمحو كل ما ادعي أن فيه تمثيلاً وهي قوله : **(ليس كمثله شيء)** [٢].

فأنت إذا جاءك نص إثبات فاقرنه بنص هذا النفي ولا تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض بل اقرنه به. فمثلاً قوله تعالى: **(ويبقى وجه ربك)** [٣] نقول : وليس كمثل وجه الله شيء لأن الله يقول: **(ليس كمثله شيء)** [٤] وعلى هذا فقس، والأمر ولله الحمد ظاهر جداً ولولا كثرة الناس الذين سلكوا هذا المسلك

---

[٢] سورة الشورى، الآية " ١١".
[٣] سورة الرحمن، الآية " ٢٧ ".
[٤] سورة الشورى، الآية " ١١ ".

أعني مسلك التأويل في قولهم والتحريف فيما نرى، لولا كثرتهم لكان الأمر غير مشكل على أحد إطلاقاً، لأنه واضح ليس فيه إشكال، فلهذا نقول: يجب علينا أن نؤمن بأن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا هو نفسه كما نؤمن بأنه هو نفسه الذي خلق السماوات وأضاف الخلق إليه، وينزل إلى السماء هو، لأن الإضافة في " **ينزل** " كالإضافة في "**خلق، ويخلق** "، ولا فرق فالنازل هو الله، والخالق هو الله، والرازق هو الله، والباسط هو الله، وهكذا ولا فرق بينهما، والإنسان المؤمن الذي يتقي الله عز وجل لا يمكن أن يحرف ما أضافه الله إلى نفسه ويضيفه إلى أمر آخر وإذا أداه اجتهاده إلى ذلك فإنه يكون معذوراً لا مشكوراً، لأن هناك فرقاً بين السعي المشكور وهو ما وافق الحق، وبين العمل المعذور وهو ما خالف الحق لكن نعرف من صاحبه النصح إلا أنه التبس عليه الحق، فإن في هؤلاء المؤولة الذين نرى أن عملهم تحريف فيهم من يعلم منه النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، وللمسلمين، لكن التبس عليهم الحق فضلوا الطريق في هذه المسألة.

وفي قوله: " فيقول : من يدعوني فأستجيب له" في هذا إثبات القول لله وأنه بحرف وصوت لأن أصل القول لابد أن يكون بصوت ولو كان قولاً بالنفس لقيده الله كما قال تعالى: **(ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله)** [(١)] فإذا أطلق القول فلابد أن يكون بصوت، ثم إن كان من بعد سمي نداء، وإن كان من قرب سمي نجاء.

فإذا قال قائل : نحن لا نسمع هذا القول؟

فنقول: أخبرنا به من قوله عندنا أشد يقيناً مما لو سمعنا وهو الرسول صلى الله عليه وسلم نعلم علم اليقين بأن الله يقول : بخبر أصدق الخلق صلى الله عليه وسلم ونحن لو سمعنا قولاً، لظننا أنه وجبة شيء سقط، أو حفيف أشجار من

[(١)] سورة المجادلة، الآية " ٨ ".

١٦٤

رياح فنتوهم فيما نسمع لكن ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نتوهم فيه فيكون خبر الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا بمنزلة ما سمعنا بآذاننا، بل أشد يقيناً، إذا صح عنه، وهذا الحديث قد صح عنه فهو متواتر أو هو مشهور مستفيض عند أهل السنة والحديث فلذلك نقول :

إن الله يقول هذا فينبغي لك وأنت تتهجد لله في هذا الزمن من الليل أن تشعر بأن الله ينادي يقول : من يدعوني فأستجيب له، فتدعو الله تعالى وأنت موقن بهذا والدعاء أن تقول: " يا رب" فهذا دعاء.

وقوله: " **من يسألني** " أي من يطلب مني شيئاً مثل أن تقول: (**يا رب أسألك الجنة**) فهذا سؤال، واجتمع في قول القائل : يا رب أسالك الجنة الدعاء والسؤال.

وقوله: " **من يستغفرني فأغفر له**" أي من يطلب مني المغفرة مثل أن تقول : يا رب اغفر لي فهذا استغفار، وإذا قال القائل: "اللهم إني أسالك الجنة" فقوله: "**اللهم**" دعاء لأن أصلها يا الله.

وقوله "**أسالك الجنة**" هذا سؤال فيكون فيه سؤال ودعاء وفي حديث أبي بكر الذي علمه إياه النبي صلى الله عليه وسلم : "**اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم** " .

فهذا متضمن لثلاثة ، الدعاء في قوله : " **اللهم** " ، والاستغفار في قوله : " **فاغفر لي** " ، وفي قوله : "**وارحمني** " دعاء بالرحمة.

قوله: "**من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له**"

"**من** " هنا اسم استفهام، والمراد به التشويق وليس المراد به الاستخبار، لأن الله عز وجل يعلم، لكن المراد به التشويق يشوق سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه،

١٦٥

وأن يدعوه، وأن يستغفروه وفي هذا غاية الكرم والجود من الله سبحانه وتعالى أنه هو الذي يشوق عباده إلى سؤاله، ودعائه، ومغفرته كقوله:

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) [١].انظر إلى هذا الخطاب الرفيق الشيق ففيه التشويق والرفق**(هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم)** [٢] ولم يقل : **" يا أيها الذين آمنوا بالله "** ما قال هكذا وإن كان قالها في آيات أخرى لكن في هذه الآية ما قال هكذا لأن المقام يقتضي ذلك فالسورة كلها سورة جهاد من أولها إلى آخرها { **فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين)** [٣]. المهم أن في هذا الحديث وأمثاله من كرم الله عز وجل ما هو ظاهر لمن تأمله، وأهم شيء فيما تكلمنا عليه مسألة الصفات فأنا أكرر أن تلتزموا فيها ما التزمه السلف، وأن لا تحيدوا يميناً ولا شمالاً، ولا تسألوا عما لم يسأله السلف، فإن هذا من التنطع والتكلف والابتداع في دين الله، وإني أقول لكم : إن الإنسان كلما تعمق في هذه الأمور فأخشى أن ينقص في قلبه من إجلال الله وعظمته بقدر ما حصل من هذا التعمق في البحث في هذه الأمور واسأل العامي، العامي إذا ذكرت الله عنده اقشعر جلده وإذا ذكرت نزوله إلى السماء الدنيا اقشعر جلده لكن أولئك الذين يتعمقون في الصفات ويحاولون أن يسألوا حتى عن الأظافر نسأل الله لنا ولهم الهداية هؤلاء إذا ذكر عندهم حديث النزول بدؤوا يوردون على أنفسهم أو على غيرهم كيف تكون الحال وثلث الليل يتنقل على الكرة الأرضية؟ وكيف تكون الحال حين نزوله بالنسبة للعلو وبالنسبة للعرش؟

ونحو ذلك من الأسئلة التي تشطح بهم عن تعظيم الله عز وجل وهؤلاء بلا شك سينقص من إجلال الله عز وجل في قلوبهم بقدر ما حاولوا من التعمق في هذه

---

[١] سورة الصف، الآية " ١٠ ".
[٢] سورة الصف، الآية " ١٠ ".
[٣] سورة الصف، الآية " ١٤ " .

الأمور، وليس إجلالنا لله عز وجل كإجلال الصحابة ولا قريباً منه، وليس حرصنا على العلم بصفات الله كحرص الصحابة وهم ما سألوا هذه الأسئلة ولذلك وأنا أنصحكم لله وأرجو منكم ألا تتعمقوا في هذه الأمور فتسألوا عن أشياء لم يسأل عنها الصحابة. خذوا ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واتركوا ما عدا ذلك لئلا يوقعكم الشيطان في أمر تعجزون عن التخلص منه قد يوقعكم في التمثيل ويلزمكم إلزاماً بأن تعتقدوا ذلك، لأن الإنسان الذي يتعمق إلى هذا الحد يخشى عليه، خذوا ما جاء في الكتاب وصحيح السنة واحمدوا الله على العافية واسلكوا سبيل السابقين والله أعلم .ا á

قلت بعد كل هذا البيان والتوضيح لأبن العثيمين- رحمه الله تعالي -لا أظن خيرأ ابدا فيمن يعاند ويكابر ويحرف صفة النزول بتأويل يخالف ماكان عليه السلف الصالح من قبول الصفات كما هي دون تحريفٍ أو تكييفٍ أو تمثيلٍ أوتعطيلٍ .

الحديث السابع : (كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد..)[1]

* أخرجه أبو داود في الأدب – باب في النهي عن البغي.

عن ضمضم بن جوس قال(قال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر

١- أخرجه أبو داود في الآداب (٤٩٠١) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٨٠٩٣)) وقالَ الألباني: صحيح (انظر صحيح الجامع: ٤٤٥٥).

فوجده يوما على ذنب فقال له أقصر فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالما أو كنت على ما في يدي قادرا وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر اذهبوا به إلى النار) قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته

* وأخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة – مسند أبي هريرة.

عن ضمضم بن جوس اليمامي قال(قال لي أبو هريرة يا يمامي لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة أبدا قلت يا أبا هريرة إن هذه لكلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب قال فلا تقلها فإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول كان في بني إسرائيل رجلان كان أحدهما مجتهدا في العبادة وكان الآخر مسرفا على نفسه فكانا متآخيين فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول يا هذا أقصر فيقول خلني وربي أبعثت علي رقيبا قال إلى أن رآه يوما على ذنب استعظمه فقال له ويحك أقصر قال خلني وربي أبعثت علي رقيبا قال فقال والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة أبدا قال أحدهما قال فبعث الله إليهما ملكا فقبض أرواحهما واجتمعا فقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للآخر أكنت بي عالما أكنت على ما في يدي خازنا اذهبوا به إلى النار قال فوالذي نفس أبي القاسم بيده لتكلم بالكلمة أوبقت دنياه وآخرته

الشرح والبيان :

جاء في عون المعبود في شرح سنن أبو داود للفيرو آبادي:

(متواخيين) أى متقابلين في القصد والسعي فهذا كان قاصدا وساعيا في الخير وهذا كان قاصدا وساعيا في الشر (أقصر) : من الإقصار وهو الكف عن الشيء مع القدرة عليه (أبعثت) : بهمزة الاستفهام وبصيغة المجهول (أوبقت

١٦٨

دنياه وآخرته) : في القاموس : أوبقه أهلكه أي أهلكت تلك الكلمة ما سعى في الدنيا وحظ الآخرة .اهـ

الحديث الثامن:(وَعِزَّتِي وجَلالِي لا أجمع لعَبْدِي أمنَيْنِ ولا خَوْفَين...)[1]

* أخرجه ابن حبان في صحيحه .
عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يروي عن ربه، جل وعلا، قال:
((وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا، أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة)).
* وأبو نعيم في الحلية بلفظ:
" قَالَ الله تعالى: وَعِزَّتِي وجَلالِي لا أجمع لعَبْدِي أمنَيْنِ ولا خَوْفَين، إن هو أمِنَنِي في الدُنيا أخَفْتُه يَوْمَ أجمَعُ عِبَادِي، وإن هُوَ خَافَنِي فِي الدُنيا أمَّنْتُه يَوْمَ أجمَعُ عِبَادِي."
الشرح والبيان :
قَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:

---

[1] -أخرجه ابن حبان- حديث رقم٦٤٠- و في شعب الايمان للبيهقي حديث رقم٧٧٧، وقَالَ الألباني: حسن (انظر صحيح الجامع: ٤٣٣٢).

-

١٦٩

(قَالَ الله تعالى وَعِزَّتِي وجلالي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين: إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي ، وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع عبادي) فمن كان خوفه في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر، وبالعكس، وذلك لأن من أُعْطِيَ علم اليقين في الدنيا طالَعَ الصراط وأهواله بقلبه، فذاق من الخوف وركب من الأهوال مَا لا يُوصَف، فيضعه عنه غداً ولا يُذيقه مرارته مرة ثانية، وهذا معنى قول بعض العارفين لأنه لما صَلَّى حَرَ مخالفة القوى في الدنيا لم يُذِقه الله كَرْبَ الحر في العقبى، قَالَ القرطبي: فمن استحى من الله في الدنيا مما يصنع استحى الله عن سؤاله في القيامة ولم يجمع عليه حياء ين كما لم يجمع عليه خوفين.

وقَالَ الحرالي: نار الحق في الدنيا للمعترف رحمة من عذاب النَّار تفديه من نار السطوة في الآخرة، ومحمد عليه الصلاة والسلام يُعطَى الأمن يوم القيامة حتى يتفرغ للشفاعة وما ذاك إلا من الخوف الذي كان علاه أيام الدنيا فلم يجتمع عليه خوفان، فكل من كان له حظٌ من اليقين فعاين منه مَا ذاق من الخوف سقط عنه من الخوف بقدر مَا ذاق.اه

الحديث التاسع :(قال إن ربك ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي...)[١]

*أخرجه الترمذي في الدعوات – باب ما يقول إذا ركب الناقة .

عن علي بن ربيعة قال شهدت عليا أتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله ثلاثا فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله ثم قال سبحان

١- أخرجه الترمذي في الدعوات (٣٤٤٦) ، وأبو داود في الجهاد (٢٦٠٢) ، وقال الألباني صحيح (أنظر صحيح الجامع (٢٠٦٩) .

الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاثا والله أكبر ثلاثا سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك قلت من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين قال(رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت ثم ضحك فقلت من أي شيء ضحكت يا رسول الله قال إن ربك ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب غيرك)

**** الشرح والبيان :**

- قال المباركفوري في تحفة الأحوزي :

قوله : (أتى) بصيغة المجهول أي جيء (فلما وضع رجله) أي أراد وضع رجله (فلما استوى على ظهرها) أي استقر على طهرها (قال الحمد لله) أي على نعمة الركوب وغيرها (ثم قال) أي قرأ ({ وما كنا له مقرنين }) أي مطيقين من أقرن للأمر إذا أطاقه وقوى عليه . أي ما كنا نطيق قهره واستعماله لو لا تسخير الله تعالى إياه لنا ({ وإنا إلى ربنا لمنقلبون }) أي لصائرون إليه يعد مماتنا وإليه سيرنا الأكبر ، وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي في قوله تعالى :

{ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى } وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى : { وريشا ولباس التقوى ذلك خير } (ثم ضحك) أي علي رضي الله عنه (صنع كما صنعت) ي كصنعي المذكور (ثم ضحك) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليعجب) بفتح الجيم (من عباده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي إلخ)

قال الطيبي أن يرتضي هذا القول ويستحسنه استحسان المتعجب انتهى .

وقال الجزري في النهاية في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : " عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة في السلاسل " أي عظم ذلك عنده وكبر لديه . أعلم الله أنه

١٧١

إنما يتعجب الآدمي من الشيء إذا عظم موقعه عنده وخفي عليه سببه فأخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع هذه الأشياء عنده .

وقيل معنى : عجب ربك أي رضي وأثاب فسماه عجبا مجازا وليس بعجب في الحقيقة ، والأول الوجه واطلاق التعجب على الله مجاز لأنه لا تخفي على الله أسباب الأشياء والتعجب مما خفي سببه ولم يعلم اهـ .

*وقَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:

(إن ربك) تعالى (ليعجب) من العجب ومعناه الحقيقي مستحيل عليه، تقدَّس وتعالى كما سبق، فيُؤَوَّل كما يليق بالمقام (من عبده إذا قَالَ) في دعائه (رب اغفر لي ذنوبي) فيقول الله تعالى: قَالَ عبدي ذلك (وهو) أي والحال أنه (يعلم أنه لا يغفر ب غيري) أي فإذا دعاني وهو يعتقد ذلك غفرت له ولا أبالي.ووجه التعجب هنا أن المؤمن أعرض عن الأسباب مع قربها منه، وقَصَرَ نَظَرَ عَيْنِ بصيرته على سببها، وجاهد النفس والشيطان في استدعائهما من طلب الغفران من الأوثان، فالعجب من صبره مع ضعفه على محاربة الأعداء حتى لم يشرك بعبادة ربه أحداً.اهـ

**الحديث العاشر : (ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا..)[١]

* أخرجه مسلم في الذكر والدعاء- باب فضل الذكر والدعاء.

عن أبي ذر قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر

١- أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٧) ، وابن ماجه في الآداب (٣٨٢١) ، والبخاري في التوحيد (٧٤٠٥) ، والترمذي في الدعوات (٣٦٠٣) ، وأحمد في مسند المكثرين (٧٣٧٤) .

١٧٢

ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة)
- وأخرجه ابن ماجة في الأدب- باب فضل العمل .
عن أبي ذر قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة ثم لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة)

الشرح والبيان :

قال النووي في شرح مسلم :
قوله تعالى { فله عشر أمثالها وأزيد } معناه : أن التضعيف بعشرة أمثالها لا بد بفضل الله ورحمته ووعده الذي لا يخلف ، والزيادة بعد بكثرة التضعيف إلى سبعمائة ضعف ، وإلى أضعاف كثيرة ، يحصل لبعض الناس دون بعض على حسب مشيئته سبحانه وتعالى .
قوله تعالى : { ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة } هو بضم القاف على المشهور ، وهو ما يقارب ملاها وحكي كسر القاف ، نقله القاضي وغيره . والله أعلم .اه
* وفي شرح السندي لسنن ابن ماجه قال :
قوله (وأزيد) على صيغة المتكلم أو على صيغة اسم التفضيل والثاني غير مناسب لقوله في مقابلة أو اغفر (ومن تقرب مني شبرا) المقصود أن إقبال الله على العبد إذا أقبل العبد عليه تعالى أكثر من إقبال العبد عليه وفي النهاية المراد بقرب العبد من الله تعالى القرب بالذكر والعمل الصالح لأقرب الذات والمكان

١٧٣

لأن ذلك من صفات الأجسام والله تعالى عن ذلك متقدس والمراد بقرب الله تعالى من العبد قرب نعمه والطافه منه وبره وإحسانه إليه وترادف مننه وفيض مواهبه عليه (بقراب) بكسر القاف في النهاية أي بما يقارب ملأها وهو مصدر قارب يقارب اهـ

الحديث الحادي عشر :(كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا..)[1]

* أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء – باب حديث الغار.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله فقال له هل من توبة قال لا فقتله فجعل يسأل فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا فأدركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقربي وأوحى الله إلى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب بشبر فغفر له)

* وأخرجه مسلم في التوبة – باب قبول توبة القاتل وأن كثر القتل .

عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال(كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها

١- أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٠) ، ومسلم في التوبة (٢٧٦٦) ، وابن ماجة في اليات (٢٦٢٦) ، وأحمد في مسند المكثرين (١٠٧٧٠) .

١٧٤

أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة) قال قتادة فقال الحسن ذكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره)

**الشرح والبيان :

قَالَ الإِمَامُ ابن حجر في فتح الباري:

قوله: (كان في بني إسرائيل رجل) لم أقف على اسمه ولا على اسم أحد من الرجال ممن ذكر في القصة، زاد مسلم من طريق هشام عن قتادة عند مسلم " فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب"قوله: (فأتى راهبا) فيه إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسى عليه السَّلام، لأن الرهبانية إنما ابتدعها أتباعه كما نص عليه في القرآن.وقال الإمام ابن حجر:

قوله: (فقَالَ له رجل ائت قرية كذا وكذا) زاد في رواية هشام " فإِنَّ بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا كان نصف الطريق أتاه ملك الموت، ووقعت لي تسمية القريتين المذكورتين من حديث عبد الله بن عمرو بن الع مرفوعا في " المعجم الكبير للطبراني " قَالَ فيه إن اسم الصالحة نصرة واسم القرية الأخرى كفرة.

قوله: (فناء) بنون ومد أي بعد، أو المعنى مال أو نهض مع تثاقل، فعلى هذا فالمعنى فمال إلى الأرض التي طلبها، هذا هو المعروف في هذا الحديث، وحكى بعضهم فيه فنأى بغير مد قبل الهمز، وبإشباعها بوزن سعى تقول نأى ينأى نأيا بعد، وعلى هذا فالمعنى فبعد على الأرض التيخرج منها.

١٧٥

ووقع في رواية هشام عن قتادة مَا يشعر بأن قوله " فناء بصدره " إدراج، فإنه قَالَ في آخر الحديث " قَالَ قتادة قَالَ الحسن: ذكر لنا أنه لما أتاه الموت ناء بصدره".قوله: (فاختصمت فيه) في رواية هشام من الزيادة " فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله.وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاه ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا مَا بين الأرضين أيهما كان أدني فهو لها".

قوله: (فأوحى الله إلى هذه أن تباعدي) أي إلى القرية التي خرج منها (وإلى هذه أن تقرَّبي) أي القرية التي قصدهاوفي رواية هشام " فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد".

قوله: (أقرب بشبر فغفر له) في رواية معاذ عن شعبة " فجعل من أهلها " وفي رواية هشام " فقبضته ملائكة الرحمة."وفي الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل الأنفس، ويحمل على أن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضا خصمه.اه

* وقال النووي في شرح مسلم مختصرا :

قوله صلى الله عليه وسلم : (إن رجلا قتل تسعا وتسعين نفسا ، ثم قتل تمام المائة ، ثم أفتاه العالم بأن له توبة) هذا مذهب أهل العلم ، وإجماعهم على صحة توبة القاتل عمدا ، ولم يخالف أحد منهم إلا ابن عباس .

وأما ما نقل عن بعض السلف من خلاف هذا ، فمراد قائله الزجر عن سبب التوبة ، لا أنه يعتقد بطلان توبته . وهذا الحديث ظاهر فيه ، وهو إن كان شرعا لمن قبلنا ، وفي الاحتجاج به خلاف فليس موضع الخلاف ، وإنما موضعه إذا لم يرد شرعنا بموافقته وتقريره ، فإن ورد كان شرعا لنا بلا شك ، وهذا قد ورد شرعنا به وهو قوله تعالى : { والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون } إلى

١٧٦

قوله : { إلا من تاب } الآية وأما قوله تعالى : { ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها } فالصواب في معناها :

أن جزاءه جهنم ، وقد يجازى به ، وقد يجازى بغيره وقد لا يجازى بل يعفى عنه ، فإن قتل عمدا مستحلا له بغير حق ولا تأويل ، فهو كافر مرتد ، يخلد به في جهنم بالإجماع ، وإن كان غير مستحل بل معتقدا تحريمه فهو فاسق عاص مرتكب كبيرة ، جزاؤه جهنم خالدا فيها ، لكن بفضل الله تعالى ثم أخبر أنه لا يخلد من مات موحدا فيها ، فلا يخلد هذا ، ولكن قد يعفى عنه ، فلا يدخل النار أصلا ، وقد لا يعفى عنه ، بل يعذب كسائر العصاة الموحدين ، ثم يخرج معهم إلى الجنة ، ولا يخلد في النار ، فهذا هو الصواب في معنى الآية ، ولا يلزم من كونه يستحق أن يجازى بعقوبة مخصوصة أن يتحتم ذلك الجزاء ، وليس في الآية إخبار بأنه يخلد في جهنم ، وإنما فيها أنها جزاؤه أي : يستحق أن يجازى بذلك ، وقيل :

إن المراد من قتل مستحلا ، قيل : وردت الآية في رجل بعينه ، وقيل : المراد بالخلود طول المدة لا الدوام ، وقيل : معناها هذا جزاؤه إن جازاه ، وهذه الأقوال كلها ضعيفة أو فاسدة لمخالفتها حقيقة لفظ الآية ، وأما هذا القول فهو شائع على ألسنة كثير من الناس ، وهو فاسد لأنه يقتضي أنه إذا عفي عنه خرج عن كونها كانت جزاء ، وهي جزاء له ، لكن ترك الله مجازاته عفوا عنه وكرما ، فالصواب ما قدمناه . والله أعلم .

قوله : (انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن فيها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء) قال العلماء : في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب ، والأخدان المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على حالهم ، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين ومن يقتدى بهم ، وينتفع بصحبتهم ، وتتأكد بذلك

١٧٧

توبته . قوله : (فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت) هو بتخفيف الصاد أي : بلغ نصفها .اهـ

**** الحديث الثاني عشر : (ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك..)**[١]

- أخرجه أحمد في مسند بني هاشم- مسند ابن عباس.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال(قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبا ونؤمن بك قال وتفعلون قالوا نعم قال فدعا فأتاه جبريل فقال إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبا فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة قال بل باب التوبة والرحمة) وقَالَ الشيخ أحمد شاكر: صحيح.

***** الشرح والبيان :**

قَالَ الإمَامُ ابن كثير في البداية والنهاية:

عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة رسول الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّم أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن يُنَحِّي عنهم الجبال فيزدرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأتي بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم الأمم، قال: لا بل أستأتي بهم، فانزل الله تعالى: " وما منعنا أن نرسل الآيات إلا أن كذب بها الأوَّلون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها.".اهـ

١- أخرجه أحمد في مسند بني هاشم (٢١٦٧) ، وقَالَ الألباني: صحيح (انظر صحيح الجامع: ٤٣١٥).

٢- أخرجه احمد في مسند المكثرين (٨٨٣٣) ، وأخرج نحوه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٥) ، والترمذي في الزهد عن رسول الله (٣٦٠٣)، والبخاري في التوحيد (٧٤٠٥)

الحديث الثالث عشر :(أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيرا فله وإن ظن شرا فله)٢

*أخرجه أحمد مسند المكثرين من الصحابة- مسند أبوهريرة.
عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن الله عز وجل قال أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيرا فله وإن ظن شرا فله)
- وأخرج نحوه البخاري ومسلم وسيأتي ذكر روايتهما في "باب ذكر الله وفضل القران " مما يعنينا عن تكرار روايتها هنا والله المستعان .

**** الشرح والبيان :**

- قَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:
(قَالَ الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي إن ظن) بي (خيراً فله) مقتضى ظنه (وإن ظن) بي (شراً) أي أني أفعل به شراً (فله) مَا ظنه، فالمعاملة تدور مع الظن؛ فإذا أحسن ظنه بربه وَفَّى له بما أمل وظن، والتطير سوءُ الظن بالله وهروبٌ عن قضائه فبة إليه سريعة والمقت له كائن.
وقَالَ الحكيم الترمذي: الظن مَا تردَد في الصدر، وإنما يحدث من الوهم والظن هاجسة النفس، وللنفس إحساسٌ بالأشياء، فإذا عُرِضَ أمرٌ دَبَر لها الحِسُ شأن الأمر العارض، فما خرج لها من التدبير فهو هواجس النفس، فأما المؤمن فله نور التوحيد في قلبه، فإذا هجست نفسه لعارِضٍ أضَاءَ النور فاستقرت النفس، فاطمأن القلب، فحَسُن ظنه؛ لأن ذلك النور يُرِيه من علائم التوحيد وشواهده مَا تُسكِن النفس إليه، وتُعلِمه أن الله كافيه وحسبه في كل أموره، وأنه كريمٌ رحيمٌ عطوفٌ به، فهذا حُسْنُ الظن بالله، وأما إذا غَلَبَ شره النفس وشهواتها فيفور دخان شهواتها كدخان الحريق، فيُظلِم القلب وتغلُب الظلمة على الضوء، فتحيا

١٧٩

النفس بهواجسها وأفكارها وتضطرب ويتزعزع القلب عن مستقره وتُفقَد الطمأنينة، وتَعمَى عين الفؤاد لكثرة الظلمة والدخان، فذلك سُوءُ الظن بالله.
فإذا أراد الله بعبدٍ خيراً أعطاه حُسنُ الظَن؛ بأن يزيده نوراً، يقذفه في قلبه ليقشع ظلمة الصدر كسحاب ينقشع عن ضوء القمر، ومن لم يُمْنَح ذلك فصدره مُظلِمٌ لما أتت به النفس من داخل شهواتها، والعبدُ مَلومٌ على تقوية الشهوات من استعمالها، فإذا استعملها فقد قوَّاها. اهـ

الحديثالرابع عشر : (أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها)١

- أخرجه مسلم في فضائل الصحابة- باب دعاء النبي لغفار وأسلم .
عن أبي ذر قال(قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ائت قومك فقل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها)
وأخرج نحوه البخاري وأحمد وغيرهما .

١٨٠

***** الشرح والبيان**

قال النووي في شرح مسلم :

قوله صلى الله عليه وسلم : (وأسلم سالمها الله) قال العلماء : من المسالمة وترك الحرب . قيل : هو دعاء ، وقيل : خبر . قال القاضي في المشارق : هو من أحسن الكلام ، مأخوذ من سالمته إذا لم تر منه مكروها ، فكأنه دعا لهم بأن يصنع الله بهم ما يوافقهم ، فيكون سالمها بمعنى سلمها ، وقد جاء فاعل بمعنى فعل كقاتله الله أي قتله .اهـ

و قَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:

(أسلم) قبيلة من خزاعة، وهو مبتدأ والخبر قوله (سالمها الله) وفي رواية: سلمها الله: أي صالحها، من المسالمة وهي ترك الحرب أو معنى سلمها (وغفار) قبيلة من كنانة ، وهو مبتدأ والخبر قوله (غفر الله لها) خبر أراد به الدعاء، أو هو خبر على بابه، وخصَها بالدعاء لأن غفاراً أسلموا قديماً، وأسلمَ سالموه عليه الصلاة والسلام. (أما) بالتخفيف (والله مَا أنا قلته) أي مَا قلت مَا ذُكِرَ من مناقب هاتين القبيلتين (ولكن الله قاله) وأمرني بتبليغه إليكم، فاعرفوا إليهم حقهم وأنزلوا الناس منازلهم.اهـ

الفوائد الجليلة المستخلصة من أحاديث الباب

***الفائدة الأولي : أن الله تعالي رحيمًا وكريمًا وأن رحمته غلبت غضبه لمن تاب وأناب إليه ولم يشرك به شيئا .**

- قال الفرطبي –رحمه الله تعالي في تفسير سورة الفاتحة عن قوله تعالى **"الرحمن الرحيم"** (١/ ص ١٨٤) مانصه:

قولـه تعـالى "الـرحمن الـرحيم" وصـف نفسـه تعـالى بعـد "رب العـالمين" ، بأنـه "الرحمن الرحيم" ، لأنه لما كـان فـي اتصـافه بــ "رب العـالمين" ترهيـب قرنـه بــ "الله الرحمن" ، لما تضـمن مـن الترغيـب ، ليجمـع فـي صـفاته بـين الرهبـة منـه ، والرغبة إليه ، فيكون أعون على طاعتـه وأمنـه ، كمـا قـال "نبـئ عبـادي أنـي أنـا الغفـور الـرحيم * وأن عـذابي هـو العـذاب الألـيم" . وقـال : "غـافر الـذنب وقابـل التوب شديد العقاب ذي الطول" . وفـي صـحيح مسـلم عـن ابـي هريـرة أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لـو يعلـم المؤمن مـا عنـد الله مـن العقوبـة مـا طمـع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد" . اهـ

وقال ابن كثير في تفسيرها :

{الرحمن الرحيم} اسمان مشتقان من الرحمة علـى وجـه المبالغـة، و{رحمـن} أشـد مبالغة من {رحيم} وزعم بعضهم أنه غير مشتق، قال القرطبي: والـدليل علـى أنـه مشتق ما روي في الحديث القدسي: "أنـا الـرحمن خلقـتُ الـرحم وشـققت لهـا اسـماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته" (أخرجـه الترمـذي وصـححه عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلـى الله عليـه وسـلم) قـال القرطبـي: وهـذا نصٌ فـي الإشـتقاق فـلا معنـى للمخالفـة والشـقاق، وإنكـار العـرب لاسـم {الـرحمن} لجهلهم باللّه وبما وجب له، وبنـاء فعـلان لـيس كفعيـل، فـإن (فعـلان) لا يقـع إلاّ علـى مبالغة الفعل نحو قولك (رجلٌ غضبان) للممتلـئْ غضـباً، و (فعيـل) قـد يكـون بمعنـى الفاعل والمفعول.

قال ابن جرير: {الرحمن} لجميع الخلق، {الرحيم} بالمؤمنين، ولهـذا قـال تعـالى {الرحمن علـى العـرش اسـتوى} فـذكر الاسـتواء باسـمه الـرحمن ليعـمّ جميـع خلقـه برحمته، وقـال: {وكـان بـالمؤمنين رحيمـا} فخصـهم باسـمه الـرحيم. فـدلّ علـى أن {الرحمن} أشد مبالغة في الرحمة لعمومهـا فـي الـدارين لجميـع خلقـه، و {الـرحيم} خاصـة بـالمؤمنين، واسـمه تعـالى {الـرحمن} خـاص لـم يسـم بـه غيـره، قـال تعـالى:

{قل ادعوا اللّه أو ادعوا الرحمن} وقال تعالى: {أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون}؟
ولما تجرأ مسيلمة الكذاب وتسمى برحمن اليمامة كساه اللّه جلباب الكذب وشهر به، فلا يقال إلا (مسيلمة الكذّاب) فصار يضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر والمدر.
وقد زعم بعضهم أن الرحيم أشد مبالغة من الرحمن لأنه أكّد به، والمؤكِّدُ لا يكون إلا أقوى من المؤكَّد، والجواب أن هذا ليس من باب التأكيد وإنما هو من باب النعت ولا يلزم ما ذكروه، فإن قيل: فإذا كان الرحمن أشد مبالغة فهلا اكتفى به عن الرحيم؟ فقد قيل: إنه لمّا تسمّى غيره بالرحمن جيء بلفظ الرحيم ليقطع الوهم بذلك، فإنه لا يوصف ب {الرحمن الرحيم} إلا اللّه تعالى، كذا رواه ابن جرير عن عطاء ووجّهه بذلك واللّه أعلم.
والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره كاسم (اللّه) و (الرحمن) و (الخالق) و (الرازق) ونحو ذلك، وأما (الرحيم) فإن اللّه وصف به غيره حيث قال في حق النبي: {بالمؤمنين رءوفٌ رحيم}، كما وصف غيره ببعض أسمائه فقال في حق الإنسان: {فجعلناه سميعا بصيرا}.اهـ

***الفائدة الثانية :أن الخلق جميعا يفتقرون إلي رحمة الله وكرمه.**

نعم ..لاريب أن كل المخلوقات تفتقر إلي الله تعالي وإلي رحمته وفضله وهو سبحانه أرحم الراحمين والإنسان مخلوق من هذه المخلوقات لاغني له عن رحمة الله وفي كتاب(طريق الهجرتين وباب السعادتين) لابن القيم رحمه الله تعالي فوائد جليلة عن هذا الموضوع اذكرها هنا والله المستعان
- قال رحمه الله تعالي :
قال الله سبحانه: " يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد " بين سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم لا ينفك عنهم، كما أن كونه

١٨٣

غنيا حميدا ذاتي له، فغناه حمده ثابت له لذاته لا أمر أوجبه وفقر من سواه إليه ثابت لذاته لا أمر أوجبه، فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان، بل هو ذاتي للفقير فحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعلة أوجبت تلك الحاجة، كما أن غنى الرب سبحانه لذاته لا لأمر أوجب غناه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

الفقر لي وصف ذات لازم أبدا   كما الغنى أبدا وصف له ذاتي

ثم قال – رحمه الله في رده على الفلاسفة والمتكلمين في علة احتياج العالم:-

فالخلق فقير محتاج إلى ربه لا بعلة، وكل ما يذكر ويقرر من أسباب الفقر والحاجة فهي أدلة على الفقر والحاجة لا علل لذلك، إذ ما بالذات لا يعلل، فالفقير بذاته محتاج إلى الغني بذاته، فما يذكر من إمكان وحدوث واحتياج فهي أدلة على الفقر لا أسباب له، لهذا كان الصواب في مسألة على احتياج العالم إلى الرب سبحانه غير القولين اللذين يذكرهما الفلاسفة والمتكلمون، فإن الفلاسفة قالوا: علة الحاجة الإمكان والمتكلمون قالوا:

علة الحاجة الحدوث، والصواب أن الإمكان والحدوث متلازمان، وكلاهما دليل الحاجة والافتقار، وفقر العالم إلى الله سبحانه أمر ذاتي لا يعلل، فهو فقير بذاته إلى ربه الغني بذاته، ثم يستدل بإمكانه وحدوثه وغير ذلك من الأدلة على هذا الفقر. والمقصود أنه سبحانه أخبر عن حقيقة العباد وذواتهم بأنها فقيرة إليه سبحانه، كما أخبر عن ذاته المقدسة وحقيقته أنه غني حميد، فالفقر المطلق من كل وجه ثابت لذواتهم وحقائقهم من حيث هي، والغنى المطلق من كل وجه ثابت لذاته تعالى وحقيقته من حيث هي، فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيرا، ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلا غنيا، كما أنه يستحيل أن يكون العبد إلا عبدا والرب إلا ربا.

ثم قسم رحمه الله فقر العباد إلي أقسام وقال :

١٨٤

إذا عرف هذا فالفقر فقران: فقر اضطراري: وهو فقر عام لا خروج لبر ولا فاجر عنه، وهذا الفقر لا يقتضي مدحا ولا ذما ولا ثوابا ولا عقابا، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقا ومصنوعا.

والفقر الثاني: فقر اختياري هو نتيجة علمين شريفين: أحدهما معرفة العبد بربه، والثاني معرفته بنفسه..

فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا فقرا هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته، وتفاوت الناس في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في هاتين المعرفتين، فمن عرف ربه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق، ومن عرف ربه بالقدرة التامة عرف نفسه بالعجز التام، ومن عرف ربه بالعز التام عرف نفسه بالمسكنة التامة، ومن عرف ربه بالعلم التام والحكمة عرف نفسه بالجهل، فالله سبحانه أخرج العبد من بطن أمه لا يعلم شيئا ولا يقدر على شيء، ولا يملك شيئا ولا يقدر على عطاء ولا منع ولا ضر ولا نفع ولا شيء البتة، فكان فقره في تلك الحال إلى ما به كماله أمرا مشهودا محسوسا لكل أحدا، ومعلوم أن هذا له من لوازم ذاته، وما بالذات دائم بدوامها. وهو لم ينتقل من هذه الرتبة إلى رتبة الربوبية

ثم ذكر رحمه الله تعالي حال الإنسان في الفقر والغنى فقال :

والغنى، بل لم يزل عبدا فقيرا بذاته إلى بارئه وفاطره. فلما أسبغ عليه نعمته، وأفاض عليه رحمته وساق إليه أسباب كمال وجوده ظاهرا وباطنا، وخلع عليه ملابس إنعامه، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، وعلمه وأقدره وصرفه وحركه، ومكنه من استخدام بني جنسه، وسخر له الخيل والإبل، وسلطه على دواب الماء، واستنزال الطير من الهواء وقهر الوحش العادية، وحفر الأنهار، وغرس الأشجار، وشق الأرض، وتعلية البناء، والتحليل على مصالحه، والتحرز والتحفظ لما يؤذيه، ظن المسكين أن له نصيبا من الملك، وادعى لنفسه ملكا مع

الله سبحانه، ورأى نفسه بغير تلك العين الأولى، ونسي ما كان فيه من حالة الإعدام والفقر والحاجة، حتى كأنه لم يكن هو ذلك الفقير المحتاج، بل كأن ذلك شخصا آخر غيره كما روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بسر بن جحاش القرشي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما في كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال:
"قال الله تعالى: يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة" ومن ههنا خذل من خذل ووفق من وفق، فحجب المخذول عن حقيقته ونسي نفسه فنسي فقره وحاجته وضرورته إلى ربه، فطغى وعتا فحقت عليه الشقوة، قال تعالى: " كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى " وقال: " فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره

الباب الخامس
ما جاء في محبة الله للعبد

الحديث الأول: (إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا ...)[١]

*أخرجه البخاري في بدء الخلق- باب ذكر الملائكة.

١- أخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢٠٩)-ومسلم في البر والصلة (٢٦٣٧)- والترمذي في التفسير (٣١٦١)- وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٧٥٧٠)-ومالك في الفجامع (١٧٧٨)

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحببه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض)
* وأخرجه مسلم في البر والصلة- باب إذا أحب الله عبدا حببه إلي عباده.
-عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول إني أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض)
* وأخرجه الترمذي في التفسير- باب ومن سورة مريم .
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(إذا أحب الله عبدا نادى جبريل إني قد أحببت فلانا فأحبه قال فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض فذلك قول الله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وإذا أبغض الله عبدا نادى جبريل إني أبغضت فلانا فينادي في السماء ثم تنزل له البغضاء في الأرض)

**** الشرح والبيان:**

قَالَ الإِمَامُ النووي في شرح صحيح مسلم:

قَالَ العلماء: محبة الله تعالى لعبده هي إرادته الخير له وهدايته وإنعامه عليه ورحمته، وبغضه إرادة عقابه أو شقاوته ونحوه، وحب جبريل والملائكة يحتمل وجهين

أحدهما: استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم،

١٨٧

والثاني: أن محبتهم على ظاهرها المعروف من المخلوقين، وهو ميل القلب إليه واشتياقه إلى لقائه.
وسبب حبهم إياه كونه مطيعاً لله تعالى محبوباً له.
ومعنى (يوضع له القبول في الأرض) أي الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه فتميل إليه القلوب وترضى عنه، وقد جاء في رواية فتوضع له المحبة.اهـ
*و قال المباركفوري في تحفة الأحوزي مختصرا :
قوله : (إذا أحب الله عبدا نادي جبريل) بالنصب على المفعولية (إني قد أحببت فلانا فأحبه) أمر من الإحباب ، أي أحبه أنت أيضا .
قال النووي : قال العلماء : محبة الله تعالى لعبده هي إرادته الخير له وهدايته وإنعامه عليه ورحمته وبغضه إرادة عقابه أو شقاوته ، ونحوه ، وحب جبريل والملائكة يحتمل وجهين .
أحدهما : استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم ،
والثاني : أن محبتهم على ظاهرها المعروف من المخلوقين وهو ميل القلب إليه واشتياق إلى لقائه وسبب حبهم إياه كونه مطيعا لله تعالى محبوبا له انتهى .
وقال الحافظ : وقع في بعض طرق الحديث بيان سبب هذه المحبة والمراد بها ، ففي حديث ثوبان أن العبد ليلتمس مرضاة الله تعالى ، فلا يزال كذلك حتى يقول : يا جبريل إن عبدي فلانا يلتمس أن يرضيني ألا وإن رحمتي غلبت عليه . الحديث ، أخرجه أحمد والطبراني ، ويشهد له حديث أبي هريرة الآتي في الرقاق ، ففيه : ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه . الحديث انتهى
(قال) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (فينادي) أي جبريل (في السماء) في حديث ثوبان : أهل السماوات السبع ، وفي رواية للشيخين : فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء (ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض) وفي رواية للشيخين ثم يوضع له القبول في الأرض .

١٨٨

قال النووي . أي الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه تميل إليه القلوب وترضى عنه (فذلك قول الله { إن الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا } .

قال ابن كثير في تفسير يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، وهي الأعمال التي ترضى الله لمتابعتها الشريعة المحمدية يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه اهـ

الحديث الثاني : (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه....)[1]

- أخرجه البخاري في الرقاق- باب التواضع.

-عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)

* وأخرجه أحمد في مسند الأنصار بلفظ:

عن عائشة قالت(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل من أذل لي وليا فقد استحل محاربتي وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء الفرائض وما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه إن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاته لأنه يكره الموت وأكره مساءته)

الشرح والبيان:

١-أخرجه البخاري في الرقاق(٦٥٠٢)-وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٢٥٦٦١)

-قال الحافظ بن حجر مختصرا:
قوله (من عادى لي وليا) المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته .
وقد استشكل وجود أحد يعاديه لأن المعاداة إنما تقع من الجانبين ومن شأن الولي الحلم والصفح عمن يجهل عليه ، وأجيب بأن المعاداة لم تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية مثلا بل قد تقع عن بغض ينشأ عن التعصب كالرافضي في بغضه لأبي بكر ، والمبتدع في بغضه للسنى ، فتقع المعاداة من الجانبين ، أما من جانب الولي فلله تعالى وفي الله ، وأما من جانب الآخر فلما تقدم . وكذا الفاسق المتجاهر ببغضه الولي في الله وببغضه الآخر لإنكاره عليه وملازمته لنهيه عن شهواته.
قوله (فقد آذنته) أي أعلمته ، والإيذان الإعلام ، ومنه أخذ الأذان . قوله (بالحرب) وفي حديث أبي أمامة وأنس " فقد بارزني " وقد استشكل وقوع المحاربة وهي مفاعلة من الجانبين مع أن المخلوق في أسر الخالق ، والجواب أنه من المخاطبة بما يفهم ، فإن الحرب تنشأ عن العداوة والعداوة تنشأ عن المخالفة وغاية الحرب الهلاك والله لا يغلبه غالب ، فكأن المعنى فقد تعرض لإهلاكي إياه . فأطلق الحرب وأراد لازمه أي أعمل به ما يعمله العدو المحارب .
قال الفاكهاني : في هذا تهديد شديد ، لأن من حاربه الله أهلكه ، وهو من المجاز البليغ ، لأن من كره من أحب الله خالف الله ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه ،
قوله (وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه) ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله .

١٩٠

قال الطوفي : الأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل في الأمرين وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب فكانت الفرائض أكمل ، فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقريبا ، وأيضا فالفرض كالأصل والأس والنفل كالفرع والبناء ، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الآمر وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل ، والذي يؤدي الفرائض قد يفعله خوفا من العقوبة ومؤدي النفل لا يفعله إلا إيثارا للخدمة فيجازي بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته .

قوله (وما زال يتقرب إلي) التقرب طلب القرب ، قال أبو القاسم القشيري : قرب العبد من ربه يقع أولا بإيمانه ، ثم بإحسانه . وقرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه ، وفي الآخرة من رضوانه ، وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه . ولا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعده من الخلق . قال : وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس ، وباللطف والنصرة خاص بالخواص ، وبالتأنيس خاص بالأولياء

قوله (بالنوافل حتى أحببته) ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل ، وقد استشكل بما تقدم أولا أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة ؟ والجواب أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ، ويؤيده أن في رواية أبي أمامة " ابن آدم . إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضت عليك " وقال الفاكهاني : معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى .

وأيضا فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدي ما عليه من خراج أو يقضى ما عليه من دين .

١٩١

وأيضا فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض كما صح في الحديث الذي أخرجه مسلم " انظروا هل لعبدي من تطوع فتكمل به فريضته " الحديث بمعناه فتبين أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لا من أخل بها كما قال بعض الأكابر : من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور . قوله (فكنت سمعه الذي يسمع وبصره الذي يبصر به) .. وقد استشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره إلخ ؟
والجواب من أوجه :

أحدها :أنه ورد على سبيل التمثيل ، والمعنى كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري فهو يجب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يجب هذه الجوارح

ثانيها: أن المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني ، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به .

ثالثها :المعنى أحصل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره إلخ .

رابعها: كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه .

خامسها :قال الفاكهاني وسبقه إلى معناه ابن هبيرة : هو فيما يظهر لي أنه على حذف مضاف ، والتقدير كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل استماعه ، وحافظ بصره كذلك إلخ .

سادسها: قال الفاكهاني : يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله ، وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه ، لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملى بمعنى مأمولي ، والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكري ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي ولا يأنس إلا بمناجاتي ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي ورجله كذلك

وقال الخطابي : هذه أمثال والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء ، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن

مواقعه ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره ، ومن البطش فيما لا يحل له بيده ، ومن السعي إلى الباطل برجله .

قوله (وإن سألني أعطيته) أي ما سأل .

قوله (ولئن استعاذني) والمعنى أعذته مما يخاف ، ،

قوله (وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن).

قال الخطابي : التردد في حق الله غير جائز ، والبداء عليه في الأمور غير سائغ، ولكن له تأويلان : أحدهما أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها ، فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله ، لأن الله قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه .

والثاني أن يكون معناه ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله كترديدي إياهم في نفس المؤمن ، كما روى في قصة موسى وما كان من لطمة عين ملك الموت وتردده إليه مرة بعد أخرى ، قال : وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه .

وقال الكلاباذي ما حاصله : أنه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات ، أي عن الترديد بالتردد ، وعبر ابن الجوزي عن الثاني بأن التردد للملائكة الذين يقبضون الروح وأضاف الحق ذلك لنفسه لأن ترددهم عن أمره ، قال : وهذا التردد ينشأ عن إظهار الكراهة . فإن قيل إذا أمر الملك بالقبض كيف يقع منه التردد ؟ فالجواب أنه يتردد فيما يحد له فيه الوقت .

كأن يقال لا تقبض روحه إلا إذا رضي . ثم ذكر جوابا ثالثا وهو احتمال أن يكون معنى التردد اللطف به كأن الملك يؤخر القبض ، فإنه إذا نظر إلى قدر

المؤمن وعظم المنفعة به لأهل الدنيا احترمه فلم يبسط يده إليه ، فإذا ذكر أمر ربه لم يجد بدا من امتثاله .

وجوابا رابعا وهو أن يكون هذا خطابا لنا بما نعقل والرب منزه عن حقيقته ، بل هو من جنس قوله " ومن أتاني يمشي أتيته هرولة " فكما أن أحدنا يريد أن يضرب ولده تأديبا فتمنعه المحبة وتبعثه الشفقة فيتردد بينهما ولو كان غير الوالد كالمعلم لم يتردد بل كان يبادر إلى ضربه لتأديبه فأريد تفيهمنا تحقيق المحبة للولي بذكر التردد .

قوله (يكره الموت وأنا أكره مساءته) وأسند البيهقي في " الزهد " عن الجنيد سيد الطائفة قال : الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت وصعوبته وكربه ، وليس المعنى أني أكره له الموت لأن الموت يورده إلى رحمة الله ومغفرته انتهى . وعبر بعضهم عن هذا بأن الموت حتم مقضى ، وهو مفارقة الروح للجسد ، ولا تحصل غالبا إلا بألم عظيم جدا كما جاء عن عمرو بن العاص أنه سئل وهو يموت فقال : " كأني أتنفس من خرم إبرة ، وكأن غصن شوك يجر به من قامتي إلى هامتي " وعن كعب أن عمر سأله عن الموت فوصفه بنحو هذا ، فلما كان الموت بهذا الوصف ، والله يكره أذى المؤمن ، أطلق على ذلك الكراهة .

ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة إلى طول الحياة لأنها تؤدي إلى أرذل العمر ، وتنكس الخلق والرد إلى أسفل سافلين . وجوز الكرماني أن يكون المراد أكره مكرهه الموت فلا أسرع بقبض روحه فأكون كالمتردد .

قال الشيخ أبو الفضل بن عطاء : في هذا الحديث عظم قدر الولي ، لكونه خرج عن تدبيره إلى تدبير ربه ، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له ، وعن حوله وقوته بصدق توكله . قال : ويؤخذ منه أن لا يحكم لإنسان آذى وليا ثم لم يعاجل بمصيبة في نفسه أو ماله أو ولده بأنه سلم من انتقام الله ، فقد تكون مصيبته في غير ذلك مما هو أشد عليه كالمصيبة في الدين مثلا . قال :

١٩٤

ويدخل في قوله " افترضت عليه " الفرائض الظاهرة فعلا كالصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات ، وتركا كالزنا والقتل وغيرهما من المحرمات ، والباطنة كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه وغير ذلك . وهي تنقسم أيضا إلى أفعال وتروك . قال : وفيه دلالة على جواز اطلاع الولي على المغيبات بإطلاع الله تعالى له ، ولا يمنع من ذلك ظاهر قوله تعالى { عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول } فإنه لا يمنع دخول بعض أتباعه معه بالتبعية لصدق قولنا ما دخل على الملك اليوم إلا الوزير ، ومن المعلوم أنه دخل معه بعض خدمه .

قلت الوصف المستثنى للرسول هنا إن كان فيما يتعلق بخصوص كونه رسولا فلا مشاركة لأحد من أتباعه فيه إلا منه ، وإلا فيحتمل ما قال ، والعلم عند الله تعالى .اهـ

---

* **قلت**:وكرامة أولياء الله حق ومن ينكرها فهو ينكر أمر متفق عليه بين أهل السنة والحماعة وقد كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "الفرقان بين اولياء الله واولياء الشيطان" كلام طيب أحب أن يطلع عليه القاريء الكريم هنا والله المستعان .

قال – رحمه الله- في كتابه سابق الذكر ١(/١٢٣)-تحت عنوان كرمات الصحابة والتابعين ما نصه :

(وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جدا، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج، وهي الملائكة نزلت لقرائته وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين، وكان سلمان و أبو الدرداء يأكلان في صحفة، فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها.

١٩٥

و"عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة، فأضاء لهما نور مثل طرف السوط، فلما افترقا، افترق الضوء معهما" رواه البخاري وغيره.
وقصة الصديق في الصحيحين " لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته، وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك. فنظر إليها أبو بكر وامرأته، فإذا هي أكثر مماكانت، فرفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا ".
وخبيب بن عدي كان أسيرا عند المشركين بمكة شرفها الله تعالى، وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة .
وعامر بن فهيرة قتل شهيدا، فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه، وكان لما كان قتل رفع، فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع. وقال عروة: فيرون الملائكة رفعته .
وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء، فكادت تموت من العطش، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة، سمعت حسا على رأسها، فرفعته فإذا دلو معلق، فشربت منه حتى رويت، وما عطشت بقية عمرها .
" وسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده ".
والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أبر قسمه، وكان الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون: يا براء! أقسم على ربك، فيقول: يا رب! أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم، فيهزم العدو، فلما كان يوم القادسية قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيدا .وخالد بن الوليد حاصر حصنا منيعا، فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضره.

١٩٦

وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة، ما دعا قط إلا استجيب له، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق .
وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشا أمر عليهم رجلا يسمى سارية، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر: يا سارية! الجبل، يا سارية الجبل الجبل، فقدم رسول الجيش فسأله، فقال يا أمير المؤمنين! لقيننا عدونا فهزمونا فإذا بصائح: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله .
ولما عذبت الزنيرة على الاسلام في الله، فأبت إلا الإسلام وذهب بصرها،قال المشركون: أصاب بصرها اللات والعزى، قالت: كلا والله، فرد الله عليها بصرها .
ودعا سعيد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعمى بصرها لما كذبت عليه، فقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت .
والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين وكان يقول في دعائه: يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم، فيستجاب له، ودعا الله بأن يسقوا ويتوضؤوا،لما عدموا الماء، والإسقاء لما بعدهم، فأجيب. ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم، فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات، فلم يجدوه في اللحد، وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني الذي ألقي في النار، فإنه مشى هو ومن معه من المعسكر على دجلة، وهي ترمي بالخشب من مدها، ثم التفت إلى أصحابه فقال: تفقدون من متاعكم شيئا حتى أدعو الله عز وجل فيه؟ فقال بعضهم: فقدت مخلاة، فقال:
اتبعني، فتبعته فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها، وطلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة، فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمد

١٩٧

رسول الله؟ قال: نعم، فأمر بنار فألقي فيها، فوجدوه قائما يصلي فيها، وقد صارت عليه بردا وسلاما.

وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله، ووضعت له جاريته السم في طعامه فلم يضره، وخببت امرأة عليه زوجته، فدعا عليها فعميت وجاءت وتابت، فدعا لها فرد الله عليها بصرها.

وكان عمر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ألفي درهم في كمه، ومايلقاه سائل في طريقه ألا أعطاه بغير عدد، ثم يجيء إلى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها. ومر بقافلة قد حبسهم الأسد، فجاء حتى مس بثيابه الأسد، ثم وضع رجله على عنقه وقال: إنما أنت كلب من كلاب الرحمن،وإني أستحيي من الله أن أخاف شيئا غيره، ومرت القافلة، ودعا الله تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء، فكان يؤتى بالماء له بخار، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة، فلم يقدر عليه.

وتغيب الحسن البصري عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه، ودعا على بعض الخوارج - كان يؤذيهم - فخر ميتا.

وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو، فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق علي منة.

ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال: يا بني خذ سرج الفرس فانه عارية، وأخذ سرجه فمات الفرس. وجاع مرة بالأهواز، فدعا الله عز وجل استطعمه، فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير، فأكل التمر، وبقي الثوب عند زوجته زمانا. وجاءه الأسد وهو يصلي في غيضه بالليل، فلما سلم قال له: اطلب الرزق من غير هذا الموضع، فولى الأسد وله زئير.

وكانسعيد ين المسيب في أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوقات الصلوات، وكان المسجد قد خلا، فلم يبقى غيره.
ورجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق، فقال له أصحابه: هلم نتوزع متاعك على رحالنا، فقال لهم: أمهلوني هنيهة، ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين، ودعا الله تعالى فأحيا له حماره، فحمل عليه متاعه.
ولما مات أويس القرني وجدوا في ثيابه أكفانا لم تكن معه قبل، ووجدوا له قبرا محفورا فيه لحد في صخرة، فدفنوه فيه وكفنوه، في تلك الأثواب.
وكان عمرو بن عقبة بن فرقد يصلي يوما في شدة الحر فأظلته غمامة وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه، لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أنه يخدمهم.
وكان مطرف بن الشخير إذا دخل بيته سبحت معه آنيته، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة، فأضاء لهما طرف السوط.
ولما مات الأحنف بن قيس، وقعت قلنسوة رجل في قبره، فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر.
وكان إبراهيم التميمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئا، وخرج يمتار لأهله طعاما فلم يقدر عليه، فمر بسهلة حمراء فأخذ منها، ثم رجع إلى أهله ففتحها فإذا هي حنطة حمراء، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حبا متراكبا.
وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال: صوتا حسنا، ودمعا غزيرا، وطعاما من غير تكلف. فكان إذا قرأ بكى وأبكى، ودموعه جارية دهره، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه.
وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج، فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء، فكانت وقت الوضوء تطلق له أعضاءه ثم تعود بعدها.

وهذا باب واسع.
(و) قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع.
وأما ما نعرفه نحن عيانا ونعرفه في هذا الزمان فكثير، ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الايمان أو المحتاج، أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنيا عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك، لعلو درجته وغناه عنها، لنقص ولايته. ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم، فهؤلاء أعظم درجة.اهـ

الحديث الثالث: (قال الله عز وجل هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟...)[١]

- أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة- باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب .
عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أنه أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين فقال أهل الكتابين أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن كنا أكثر عملا قال قال

١- أخرجه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٥٧) ، والترمذي في الأمثال (٢٨٧١) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٤٤٩٤) .

الله عز وجل هل ظلمتكم من أجركم من شيء قالوا لا قال فهو فضلي أوتيه من أشاء)
- وأخرجه الترمذي في الأمثال عن رسول الله ً **r** - باب ما جاء في مثل ابن ادم وأجله وأمله.
عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود على قيراط قيراط فقال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى على قيراط قيراط ثم أنتم تعملون من صلاة العصر إلى مغارب الشمس على قيراطين قيراطين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فإنه فضلي أوتيه من أشاء) وأخرج مثله أحمد

**** الشرح والبيان:**

- قال المباركفوري في تحفة الأحوذي في شرح حديث الترمذي :
قوله : (إنما أجلكم) قال الطيبي : الأجل المدة المضروبة للشيء ، قال تعالى { ولتبلغوا أجلا مسمى } ويقال للمدة المضروبة لحياة الإنسان أجل فيقال دنا أجله وهو عبارة من دنو الموت وأصله استيفاء الأجل أي مدة الحياة ، والمعنى ما أجلكم في أجل من مضى من الأمم السابقة في الطول والقصر إلا مقدار ما بين صلاة العصر إلى صلاة المغرب من الزمان (فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس) وفي رواية للبخاري :
" إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس " قال الحافظ : ظاهره أن بقاء هذه الأمة وقع في زمان الأمم السالفة وليس ذلك المراد قطعا وإنما معناه أن نسبة مدة هذه الأمة إلى مدة من تقدم من

الأمم مثل ما بين صلاة العصر وغروب الشمس إلى بقية النهار فكأنه قال إنما بقاؤكم بالنسبة إلى ما سلف إلى آخره ، وحاصله أن في بمعنى إلى وحذف المضاف وهو لفظ نسبة (وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى) أي مع الرب سبحانه وتعالى (كرجل استعمل عمالا) بضم فتشديد جمع عامل أي طلب منهم العمل (فقال) أي على طريق الاستفهام (من يعمل لي إلى نصف النهار) وهو من طلوع الشمس إلى زوالها
، فالمراد بالنهار العرفي لأنه عرف عمل العمال (على قيراط قيراط) أي نصف دانق على ما في الصحاح ، وقيل القيراط جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عشرة في أكثر البلاد والياء فيه بدل من الراء كما أنها بدل من النون في الدينار ويدل عليه جمعهما على دنانير وقراريط ، وكرر قيراط للدلالة على أن الأجر لكل واحد منهم قيراط لا أن مجموع الطائفة قيراط " ثم قال " أي الرجل المستعمل للعمال (فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء) أي قال أهل الكتاب ربنا أعطيت أمة محمد ثوابا كثيرا مع قلة أعمالهم . وأعطيتنا ثوابا قليلا مع كثرة أعمالنا ، ولعلهم يقولون ذلك يوم القيامة وقد حكى عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة الماضي لتحقق ذلك أو صدر عنهم مثل ذلك لما اطلعوا على فضائل هذه الأمة في كتبهم أو على السنة رسلهم ، وعلى كل تقدير ففي الحديث دليل على أن الثواب للأعمال ليس على قدر التعب ، ولا على جهة الاستحقاق لأن العبد لا يستحق على مولاه لخدمته أجرة بل المولى يعطيه من فضله ، وله أن يتفضل على من يشاء من العبيد على وجه المزيد .
فإنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . قال الطيبي :
لعل هذا تخييل وتصوير لا أن ثمة مقاولة ومكالمة حقيقية اللهم إلا أن يحمل ذلك على حصولها عند إخراج الذر فيكون حقيقة انتهى كذا في المرقاة (فقال هل ظلمتكم) أي هل نقصتكم (شيئا) مفعول به أو مطلق (قالوا) أي أهل الكتاب (

فإنه) أي الشأن (فضلي) أي عطائي الزائد (أوتيه من أشاء) أو التقدير فإن العطاء الكثير المدلول عليه بالسياق فضلي .
وقد استدل الحنفية بهذا الحديث لقول أبي حنيفة رحمه الله : إن أوله العصر بصيرورة ظل كل شيء مثليه . وقد تقدم في باب تأخير صلاة العصر جوابهم من وجوه مفصلا . اهـ

الحديث الرابع: (أين المتحابون بجلا لي اليوم أظلهم في ظلي..)[1]

* أخرجه مسلم في البر والصلة- باب فضل الحب في الله.
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلا لي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي) وأخرج نحوه مالك وأحمد والدرامي

**** الشرح والبيان:**
- قال النووي في شرح مسلم :
قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلا لي ؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي) فيه دليل لجواز قول الإنسان . الله يقول ، وهو الصواب الذي عليه العلماء كافة إلا ما قدمناه في كتاب الإيمان عن بعض السلف من كراهة ذلك ، وأنه لا يقال : يقول الله ، بل يقال : قال الله ، وقدمنا أنه جاء بجوازه القرآن في قوله تعالى : { والله يقول الحق } وأحاديث صحيحة كثيرة .

١- أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٦) ، وأحمد في مسند المكثرين (٧١٩٠) ، ومالك فيالجامع (١٧٧٦) ، والدارمي في الرقاق (٢٧٥٧) .

قولـه تعـالى : (المتحـابون بجلالـي) أي بعظمتـي وطـاعتي لا للـدنيا . وقولـه تعالى : (يوم لا ظل إلا ظلي) أي أنه لا يكون من له ظل مجازا كما في الدنيا .
وجاء في غير مسلم : ظل عرشي قال القاضي : ظاهره أنـه فـي ظلـه من الحر والشمس ، ووهج الموقف وأنفاس الخلق . قـال : وهـذا قـول الأكثـرين . وقـال عيسى بن دينار : ومعناه كفه عن المكاره ، وإكرامه ، وجعلـه فـي كنفـه وستره ، ومنه قولهم : السلطان ظل الله في الأرض .
وقيل : يحتمل أن الظل هنا عبـارة عن الراحـة والنعيم ، يقـال : هـو فـي عيش ظليل أي طيب .اهـ

* وقَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:
(إن الله تعالى يقـول يـوم القيامـة أيـن المتحـابون لجلالـي) أي لعظمتـي، أو فـيَّ، وخصَّ الجلال بالذكر لدلالتـه علـى الهيبـة والسطوة، أي المنزهـون عن شوائب الهوى والنفس والشيطان فـي المحبـة فـلا يتحـابون إلا لأجلـي ولـوجهي، لا لشـيء من أمور الدنيا (اليوم أظلهم في ظلي) أي ظل عرشي كما جاء مصرحاً به في خبر آخر وإضافة الظل إليه إضـافة تشريف، والمراد أنه في ظلـه من الحر ووهج الموقف، وقيل عبارةٌ عن الراحة والنعيم،
يُقال: هو في عيش ظليل أي طَيِّب.
وقولـه (يـوم لا ظـل إلا ظلـي) بـدل مـن اليـوم المتقـدم أي لا يكـون مـن لـه ظـل مجازاً كما في الدنيا.

الحديث الخامس :(قال الله إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه...)[١]

* أخرجه البخاري في التوحيد- باب قول الله تعالي : يريدون أن يبدلوا كلام الله.
عن أبي هريرة رضي الله تعالي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (قال الله إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه وإذا كره لقائي كرهت لقاءه) وأخرجه مسلم نحوه في الذكر والدعاء
*وأخرجه الترمذي في الجنائز– باب ماجاء فيمن أحب لقاء الله أحب الله لقائه.
عن عائشة أنها ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قالت فقلت يا رسول الله كلنا نكره الموت قال ليس ذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه) وأخرجه أحمد والنسائي بألفاظ متقاربة

الشرح والبيان:

* قال المباركفوري في تحفة الأحوزي :
قوله : (ليس كذلك) أي ليس الأمر كما ظننت يا عائشة (ولكن المؤمن إذا بشر) ي عند النزع وحضور الملائكة ففي رواية البخاري : ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله إلخ .
وفي حديث أبي هريرة عند مسلم : وليس بالذي تذهب إليه ولكن إذا شخص البصر ، وحشرج الصدر ، واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع ، فعند ذلك من أحب

١- أخرجه البخاري في التوحيد (٧٥٠٤) ، والترمذي في الجنائز (١٠٦٧) ، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٥) ، والنسائي في الجنائز (١٨٣٤) وأحمد في مسند المكثرين (٨٣٥١) ، ومالك في الجنائز (٥٦٧) .

لقاء الله إلخ . قال النووي في شرح مسلم : وهذا الحديث يفسر آخره أوله ، ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة : من أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله .

ومعنى الحديث أن الكراهة المعتبرة هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها ، فحينئذ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه ، وما أعد له ، ويكشف له عن ذلك .

فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله لينتقلوا إلى ما أعد لهم ، ويحب الله لقاءهم فيجزل لهم العطاء والكرامة ، وأهل الشقاوة يكرهون لقاءه لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه ، ويكره الله لقاءهم أي يبعدهم عن رحمته وكرامته ، ولا يريد ذلك بهم . وهذا معنى كراهته سبحانه لقاءهم .

وليس معنى الحديث أن سبب كراهة الله تعالى لقاءهم كراهتهم ذلك ، ولا أن حبه لقاء الآخرين حبهم ذلك . بل هو صفة لهم انتهى كلام النووي . اهـ

- وقَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:

(قَالَ الله تعالى إذا أحب عبدي لقائي) أي الموت، وقَالَ ابن الأثير: المصير إلى الآخرة وطلب مَا عند الله، وليس المراد الموت؛ لأن كلا يكرهه، فمَن ترك الدنيا وأبغضها أحبَّ لقاء الله، ومَن آثرها كره لقاءه.

وقَالَ الإمَامُ المناوي:

مَن أحبَّ لقاء الله أحبَّ التخلص إليه من الدار ذات الشوائب، كما قَالَ عليٌ كرَّم الله وجهه: لا أبالي سقطت على الموت أو سقط الموت عليَّ.

(وإذا كره لقائي كرهت لقاءه) قَالَ الزمخشري: مَثَّلَ حاله بحال عبدٍ قَدِمَ على سيده بعد عهدٍ طويل وقد اطَّلَعَ مولاه على مَا كان يأتي ويذر، فإما أن يلقاه ببِشْرٍ وترحيب لما رضي من أفعاله أو بضد ذلك لما سخط منها.اهـ

الحديث السادس:(وَجَبَت مَحَبَّتِي للمُتَحَابِّين فِيَّ والمُتَجَالِسِين فِي..)ً[١]

- أخرجه أحمد في مسند الأنصار- حديث معاذ بن جبل.
عن أبي إدريس الخولاني قال دخلت مسجد دمشق الشام فإذا أنا بفتى براق الثنايا وإذا الناس حوله إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه فسألت عنه فقيل هذا معاذ بن جبل فلما كان الغد هجرت فوجدت قد سبقني بالهجير وقال إسحاق بالتهجير ووجدته يصلي فانتظرته حتى إذا قضى صلاته جئته من قبل وجهه فسلمت عليه فقلت له والله إني لأحبك لله عز وجل فقال ألله فقلت ألله فقال ألله فقلت ألله فأخذ بحبوة ردائي فجبذني إليه وقال أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(قال الله عز وجل وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين في)- وأخرج نحوه الطبراني والحاكم .

الشرح والبيان :
- قال في المنتقي في شرح موطأ مالك مختصرا:
قوله فقلت : والله إني لأحبك لله قال : آلله فقلت : آلله دليل على أن الأيمان كانت تجري على ألسنتهم على معنى تحقيق الخبر ويؤكد بتكرارها واستدعاء تأكيدها والله أعلم

١- أخرجه أحمد في مسند الأنصار (٢١٥٢٥ ,وقال الألباني صحيح (أنظر صحيح الجامع (٤٣٣١) ، ومالك في الجامع (١٧٧٩) .

٢٠٧

وقوله فأخذ بحبوة ردائي يريد بما يحتبي به من الرداء وهو طرفاه وجبذني إلى نفسه على معنى التقريب له والتأنيس وإظهار القبول لما أخبر به وتبشيره بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لمن فعل ذلك

فقال : له أبشر يريد بما أنت عليه فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال : الله عز وجل على معنى إضافة ما يبشره إلى خبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق عن ربه تبارك وتعالى وهو أصدق القائلين لتحقيق أبي إدريس ما أخبره به وتثق نفسه به فتتأكد بصيرته ومذهبه في ذلك .

(فصل) وقوله عز وجل وجبت محبتي يريد ثبتت إرادتي لهم الثواب الجزيل للمتحابين والمتجالسين في يريد أن يكون جلوسهم في ذات الله عز وجل من التعاون على ذكر الله تعالى وإقامة حدوده والوفاء بعهده والقيام بأمره وبحفظ شرائعه واتباع أوامره واجتناب محارمه

وقوله تبارك وتعالى والمتزاورين في يريد - والله أعلم - أن يكون زيارة بعضهم لبعض من أجله وفي ذاته وابتغاء مرضاته من محبة لوجهه أو تعاون على طاعته وقوله تبارك وتعالى والمتباذلين في يريد يبذلون أنفسهم في مرضاته من الاتفاق على جهاد عدوه وغير ذلك مما أمروا به ويعطيه ماله إن احتاج إليه ، والله أعلم وأحكم .اهـ

*وقَالَ الإِمَامُ المناوي في فيض القدير مختصرا:

(قَالَ الله تعالى وجبت) وفي رواية حَقَّت (محبتي للمتحابين في والمتجالسين في) أي يتجالسون في محبتي بذكري.

وعن قوله (والمتباذلين في) أي بذل كل واحد منهم لصاحبه نفسه وماله في مهماته في جميع حالاته، كما فعل الصِّدِّيق رضي الله عنه ببذل نفسه ليلة الغار وماله.اهـ

الحديث السابع:(المُتحَابُّونَ في جلا لي لهم منابر من نور ...)[1]

- أخرجه الترمذي في الزهد – باب ماجاء في الحب في الله .
عن أبي مسلم الخولاني حدثني معاذ بن جبل قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء)

*****الشرح والبيان:**

- قال المباركفوري في تحفة الأحوذي مامختصره :
حدثنا أحمد بن منيع حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان حدثنا حبيب بن أبي مرزوق عن عطاء بن أبي رباح عن أبي مسلم الخولاني حدثني معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء وفي الباب عن أبي الدرداء وابن مسعود وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وأبي مالك الأشعري قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وأبو مسلم الخولاني اسمه عبد الله بن ثوب

- وقَالَ الإِمَامُ المناوي في فيض القدير:
(قَالَ الله تعالى: المتحابون في جلا لي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء) يعني أن حالهم عند الله يوم القيامة بمثابة لو غبط النبيون والشهداء يومئذ مع جلالة قدرهم ونباهة أمرهم حال غيرهم لغبطوهم.
ثم قَالَ:

١- أخرجه الترمذي في الزهد (٢٣٩١) ، وقال الألباني صحيح (أنظر صحيح الجامع (٤٣١٢)

تعقبه ابن شهبة بأن المتحابين في مقام الولاية، وهي أوَّل درجة النبي قبل النبوة، ولا يمكن أن يحصل للولي خصلة ليست للنبي، قال: والجواب المرضي عندي أنهم لا يغبطونهم على منابر النور والراحة، بل على المحبة، فإنَّ المحبة في الله محبة لله، وهو مقامٌ يُتَنَافَس به، فالغِبْطَة على محبة الله لا على مواهبه.اهـ

الحديث الثامن :(ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله ....)[1]

*أخرجه الترمذي في صفة الحنة- ما جاء في كلام الحور العين.
عن أبي ذر رضي الله تعالي عنه مرفوعا (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله فأما الذين يحبهم الله فرجل أتى قوما فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم فمنعوه فتخلف رجل بأعقابهم فأعطاه سرا لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يعدل به نزلوا فوضعوا رءوسهم فقام أحدهم يتملقني ويتلو آياتي ورجل كان في سرية فلقي العدو فهزموا وأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له والثلاثة الذين يبغضهم الله الشيخ الزاني والفقير المختال والغني الظلوم) - وأخرج النسائي و أحمد نحوه

الشرح والبيان :

- قال المباركفوري في تحفة الأحوذي :
قوله : (فأما الذين يحبهم الله فرجل) أي معطي رجل (أتى قوما فسألهم بالله) أي مستعطفا بالله قائلا : أنشدكم بالله أعطوني (ولم يسألهم لقرابة) أي ولم يقل

١- أخرجه الترمذي في صفة الجنة الجنة (٢٥٦٨) ، والنسائي في الزكاة (٢٥٧٠) وقال الترمذي صحيح وحسنه المنذري في الترغيب .

أعطوني بحق قرابة (فمنعوه) أي الرجل العطاء (فتخلف رجل بأعقابهم) قال القاري : الباء للتعدية ، أي بأشخاصهم وتقدم . وقيل أي تأخر رجل من بينهم إلى جانب حتى لا يروه بأعيانهم من أشخاصهم .

وقال الطيبي : أي ترك القوم المسئول عنهم خلفه فتقدم فأعطاه سرا ، والمراد من الأعيان الأشخاص أي سبقهم بهذا الخير فجعلهم خلفه ، وفي رواية الطبراني : فتخلف رجل عن أعيانهم ، وهذا أشبه معنى والأول أوثق سندا . والمعنى أنه تخلف عن أصحابه حتى خلا بالسائل فأعطاه سرا

(ولا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه) تقرير لمعنى السر (وقوم) أي وقائم قوم (أحب إليهم) أي ألذ وأطيب (مما يعدل به) أي من كل شيء يقابل ويساوي بالنوم (فوضعوا رءوسهم) أي فناموا (قام رجل) أي من النوم (يتملقني) أي يتواضع لدي ويتضرع إلي .

قال الطيبي : والملق بالتحريك الزيادة في التودد والدعاء والتضرع ، قيل دل أول الحديث على أنه من كلامه صلى الله عليه وسلم وآخره على أنه من كلامه تعالى ، ووجه بأن مقام المناجاة يشتمل على أسرار ومناجاة بين المحب والمحبوب . فحكى الله لنبيه ما جرى بينه وبين عبده فحكى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لا بمعناه إذ لا يقال يتملق الله وليس هذا من الالتفات في شيء كذا في المرقاة

(ويتلو آياتي) أي يقرأ ألفاظهم ويتبعها بالتأمل في معانيها (فهزموا) أي أصحابه (فأقبل بصدره) أي خلاف من ولي دبره بتولية ظهره (حتى يقتل أو يفتح له) أي حتى يفوز بإحدى الحسنيين

(الشيخ الزاني) يحتمل أن يراد بالشيخ الشيبة ضد الشاب وأن يراد به المحصن ضد البكر كما في الآية المنسوخة الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم

(والفقير المختال) أي المتكبر (والغني الظلوم) أي كثير الظلم في المطل وغيره ، وإنما خص الشيخ وأخويه بالذكر لأن هذه الخصال فيهم أشد مذمة وأكثر نكرة .اهـ

....

الفوائد الجليلة المستخلصة من أحاديث الباب

*** الفائدة الأولي : بيان أن محبة العبد لله دليلها التذلل والخضوع له وطاعته وخوفه منه وثمرة عبادته تلك هي محبة الله له ورحمته إياه.**

قال ابن تيمية في كتابه " العبودية ١/ ص٦"ما نصه :

الدين يتضمن معنى الخضوع والذل ، والعبادة أصل معناها الذل أيضاً والدين يتضمن معنى الخضوع والذل ، يقال دنته فدان أى أذللته فذل ، ويقال ندين الله وندين لله أي نعبد الله ونطيعه ونخضع له .

فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له ..

والعبادة أصل معناها الذل أيضاً ، يقال طريق معبد إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهى تتضمن غاية الذل ولله بغاية المحبة له ، فإن آخر مراتب الحب هو التتيم ، وأوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الصبابة لانصباب القلب إليه ، ثم الغرام وهو الحب

اللازم للقلب ، ثم العشق ، وآخرها التتيم يقال (تيم الله) أي عبد الله ، فالمتيم المعبد لمحبوبه ، ومن خضع لإنسان مع بغض له فلا يكون عابداً ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما قد يحب ولده وصديقه .

ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله ، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا لله فكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة وما عظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلاً ، قال تعالى [٢٤ التوبة] : " قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره " .

فجنس المحبة يكون لله ورسوله ، كالطاعة تكون لله ورسوله ، والإرضاء لله ورسوله " والله ورسوله أحق أن يرضوه " [٦٢ التوبة] . والإيتاء لله ورسوله " ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله " [٥٩ التوبة] . اهـ

وفي كتابه" مدارج السالكين (٣/ ص٢٧)" لشمس الدين المتوفي سنة ٧٥١/هـ كلام وفوائد جمة عن ألمحبه نذكرها هنا والله المستعان .

قال في فصل مراتب المحبة العشر وأسماؤها ومعانيها ما نصه :

أولها العلاقة وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب. قال الشاعر:

أعلاقةً أم الوليد بعيد ما أفنان رأسك كالثغام المخلس؟

الثانية الإرادة: وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

الثالثة الصبابة: وهي انصباب القلب إليه. بحيث لا يملكه صاحبه. كانصباب الماء في الحدور. فاسم الصفة منها صب والفعل صبا إليه يصبو صباً، وصبابة، فعاقبوا بين المضاعف والمعتل، وجعلوا الفعل من المعتل والصفة من

المضاعف. ويقال: صباً وصبوة، وصبابة. فالصبا: أصل الميل. والصبوة: فوقه، والصبابة: الميل اللازم. وانصباب القلب بكليته.

الرابعة الغرام: وهو الحب اللازم للقلب، الذي لا يفارقه. بل يلازمه كملازمة الغريم لغريمه. ومنه سمى عذاب النار غراماً للزومه لأهله. وعدم مفارقته لهم. قال تعالى "إن عذابها كان غراماً".

الخامسة الوداد: وهو صفو المحبة، وخالصها ولبها، و الودود من أسماء الرب تعالى. وفيه قولان.

أحدهما: أنه المودود. قال البخاري رحمه الله في صحيحه الودود الحبيب.

والثاني: أنه الواد لعباده. أي المحب لهم. وقرنه باسمه الغفور إعلاماً بأنه يغفر الذنب، ويحب التائب منه، ويوده. فحظ التائب: نيل المغفرة منه.

وعلى القول الأول الودود في معنى يكون سر الاقتران. أي اقتران الودود بالغفور استدعاء مودة العباد له، ومحبتهم إياه باسم الغفور.

السادسة الشغف: يقال شغف بكذا. فهو مشغوف به. وقد شغفه المحبوب. أي وصل حبه إلى شغاف قلبه. كما قال النسوة عن امرأة العزيز "قد شغفها حباً" وفيه ثلاثة أقوال.

أحدها: أنه الحب المستولي على القلب، بحيث يحجبه عن غيره. قال الكلبي: حجب حبه قلبها حتى لا تعقل سواه.

الثاني: الحب الواصل إلى داخل القلب. قال صاحب هذا القول: المعنى أحبته حتى دخل حبه شغاف قلبها، أي داخله.

لثالث: أنه الحب الواصل إلى غشاء القلب. و الشغاف غشاء القلب إذا وصل الحب إليه باشر القلب. قال السدي: الشغاف جلدة رقيقة على القلب. يقول: دخله الحب حتى أصاب القلب.

وقرأ بعض السلف شعفها بالعين المهملة. ومعناه: ذهب الحب بها كل مذهب. وبلغ بها أعلى مراتبه، ومنه: شعف الجبال، لرؤوسها.

السابعة العشق: وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه. وعليه تأول إبراهيم، ومحمد بن عبد الوهاب " ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به " قال محمد: هو العشق.

ورفع إلى ابن عباس شاب رضي الله عنهما -وهو يعرفه- قد صار كالخلال. فقال: ما به؟ قالوا: العشق. فجعل ابن عباس رضي الله عنهما عامة دعائه بعرفة: الاستعاذة من العشق.

وفي اشتقاقه قولان. أحدهما: أنه من العشقة -محركة- وهي نبت أصفر يلتوي على الشجر، فشبه به العاشق.

والثاني: أنه من الإفراط. وعلى القولين: فلا يوصف به الرب تبارك وتعالى، ولا العبد في محبة ربه. وإن أطلقه سكران من المحبة قد أفناه الحب عن تمييزه. كان في خفارة صدقه ومحبته.

الثامنة التتيم: وهو التعبد، والتذلل. يقال: تيمه الحب أي ذلله وعبده. وتيم الله: عبد الله. وبينه وبين اليتم -الذي هو الانفراد- تلاق في الاشتقاق الأوسط، وتناسب في المعنى. فإن المتيم المنفرد بحبه وشجوه. كانفراد اليتيم بنفسه عن أبيه، وكل منهما مكسور ذليل. هذا كسره يتم. وهذا كسره تتيم.

التاسعة التعبد: وهو فوق التتيم. فإن العبد هو الذي قد ملك المحبوب رقه فلم يبق له شيء من نفسه ألبتة. بل كله عبد لمحبوبه ظاهراً وباطناً. وهذا هو حقيقة العبودية. ومن كمل ذلك فقد كمل مرتبتها.

ولما كمل سيد ولد آدم هذه المرتبة: وصفه الله بها في أشرف مقاماته. مقام الإسراء، كقوله "سبحان الذي أسرى بعبده" ومقام الدعوة. كقوله "وأنه لما قام

٢١٥

عبد الله يدعوه" ومقام التحدي كقوله "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا" وبذلك استحق التقديم على الخلائق في الدنيا والآخرة.

وكذلك يقول المسيح عليه الصلاة والسلام لهم، إذا طلبوا منه الشفاعة -بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام- اذهبوا إلى محمد، عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: فحصلت له تلك المرتبة. بتكميل عبوديته لله تعالى، وكمال مغفرة الله له.

وحقيقة العبودية: الحب التام، مع الذل التام والخضوع للمحبوب. تقول العرب طريق معبد أي قد ذللته الأقدام وسهلته.

العاشرة مرتبة الخلة: التي انفرد بها الخليلان -إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم- كما صح عنه أنه قال "إن الله اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا" وقال "لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا. ولكن صاحبكم خليل الرحمن" والحديثان في الصحيح وهما يبطلان قول من قال الخلة لإبراهيم. و المحبة لمحمد، فإبراهيم خليله ومحمد حبيبه.

و الخلة هي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه، حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب، كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح مني ولذا سمى الخليل خليلا

وهذا هو السر الذي لأجله -والله أعلم- أمر الخليل بذبح ولده، وثمرة فؤاده وفلذة كبده. لأنه لما سأل الولد فأعطيه، تعلقت به شعبة من قلبه. و الخلة منصب لا يقبل الشركة والقسمة. فغار الخليل على خليله: أن يكون في قلبه موضع لغيره. فأمره بذبح الولد. ليخرج المزاحم من قلبه. فلما وطن نفسه على ذلك، وعزم عليه عزماً جازماً: حصل مقصود الأمر. فلم يبق في إزهاق نفس الولد مصلحة. فحال بينه وبينه. وفداه بالذبح العظيم. وقيل له " يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا " أي

عملت عمل المدق "إنا كذلك نجزي المحسنين" نجزي من بادر إلى طاعتنا، فنقر عينه كما أقررنا عينك بامتثال أوامرنا، وإبقاء الولد وسلامته "إن هذا لهو البلاء المبين" وهو اختبار المحبوب لمحبه، وامتحانه إياه ليؤثر مرضاته. فيتم عليه نعمه، فهو بلاء محنة ومنحة عليه معاً.
وهذه الدعوة إنما دعا إليها بها خواص خلقه، وأهل الألباب والبصائر منهم. فما كل أحد يجيب داعيها. ولا كل عين قريرة بها. وأهلها هم الذين حصلوا في وسط قبضة اليمين يوم القبضتين. وسائر أهل اليمين في أطرافها.اه

*** الفائدة الثانية: أن المتحابون في الدنيا في الله ولله تعالي هم أحب الخلق إلي الله وقد وعدهم بالثواب العظيم يوم القيامة .**

وقد دلت بعض أحاديث الباب عن ذلك فضلا عن أحاديث نبوية أخري صحيحة منها:
- ما أخرجه مسلم في الزكاة – باب فضل أخفاء الصدقة
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ بعبادة الله ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه) وأخرجه البخاري وغيره

- وقال النووي في شرح الحديث عن قوله صلى الله عليه وسلم :

٢١٧

(ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه) معناه : اجتمعا على حب الله وافترقا على حب الله ، أي كان سبب اجتماعهما حب الله ، واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما .

وفي هذا الحديث : الحث على التحاب في الله وبيان عظم فضله وهو من المهمات ، فإن الحب في الله والبغض في الله من الإيمان ، وهو بحمد الله كثير يوفق له أكثر الناس أو من وفق له . اهـ

- وما أخرجه مسلم أيضا في البر والصلة- باب فضل الحب في الله

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم(أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخا لي في هذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا غير أني أحببته في الله عز وجل قال فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)

قال النووي في شرح الحديث :

قوله صلى الله عليه وسلم : (فأرصد الله على مدرجته ملكا) معنى (أرصده) أقعده يرقبه . و (المدرجة) بفتح الميم والراء هي الطريق ، سميت بذلك لأن الناس يدرجون عليها ، أي يمضون ويمشون .

قوله : (لك عليه من نعمة تربها) أي تقوم بإصلاحها ، وتنهض إليه بسبب ذلك . قوله : (بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه) قال العلماء : محبة الله عبده هي رحمته له ، ورضاه عنه ، وإرادته له الخير ، وأن يفعل به فعل المحب من الخير . وأصل المحبة في حق العباد ميل القلب ، والله تعالى منزه عن ذلك . في هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى ، وأنها سبب لحب الله تعالى العبد ، وفيه فضيلة زيارة الصالحين والأصحاب ، وفيه أن الآدميين قد يرون الملائكة .اهـ

الباب السادس
ما جاء في الصبر على البلاء وثوابه

الحديث الأول : (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة..)[1]

* أخرجه البخاري في المرضي- باب فضل من ذهب بصره.
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال(سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن الله قال إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه) .
**الشرح والبيان:
- قال الحافظ بن حجرمختصرا:
قوله : (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه) بالتثنية ، وقد فسرهما آخر الحديث بقوله " يريد عينيه " ولم يصرح بالذي فسرهما ، والمراد بالحبيبتين المحبوبتان لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه ، لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به ، أو شر فيجتنبه .
قوله : (فصبر) والمراد أنه يصبر مستحضرا ما وعد الله به الصابر من الثواب ، لا أن يصبر مجردا عن ذلك ، لأن الأعمال بالنيات ، وابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه بل إما لدفع مكروه أو لكفارة ذنوب أو لرفع منزلة ، فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له المراد وإلا يصير كما جاء في حديث سلمان " أن

١- أخرجه البخاري في المرض (٥٦٥٣) ، والترمذي في الزهد (٢٤٠٠) ، وأحمد في مسند المكثرين (١٢٠٥٩) وقَالَ الألباني: صحيح (انظر صحيح الجامع: ٨١٤٠). .

مرض المؤمن يجعله الله له كفارة ومستعتبا ، وإن مرض الفاجر كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلا يدري لم عقل ولم أرسل " أخرجه البخاري في " الأدب المفرد " موقوفا .

قوله : (عوضته منهما الجنة) وهذا أعظم العوض ، لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بفناء الدنيا والالتذاذ بالجنة باق ببقائها ، وهو شامل لكل من وقع له ذلك بشرط المذكور . اه

والمراد أنه يصبر مستحضرا مَا وعد الله به الصابر من الثواب، لا أن يصبر مجردا عن ذلك، لأن الأعمال بالنيات، وابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه بل إما لدفع مكروه أو لكفارة ذنوب أو لرفع منزلة، فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له المراد.

* وأخرجه الترمذي في الزهد- باب ما جاء في ذهاب البصر.

عن أنس بن مالك قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يقول إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة)

وفي رواية أخري بلفظ:

(يقول الله عز وجل من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة) وأخرج أحمد نحوه.

الشرح والبيان :

- قال المباركفوري في تحفة الأحوزيفي شرح حديث الترمذى :

قوله : (إن الله يقول إذا أخذت كريمتي عبدي) أي أعمت عينيه الكريمتين عليه وإنما سميتا بها لأنه لا أكرم عند الإنسان في حواسه منها (لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة) أي دخولها مع السابقين أو بغير عذاب ، لأن العمى من أعظم البلايا ، وهذا قيده في حديث أبي هريرة الآتي بما إذا صبر واحتسب . اه

- وقَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:
(إن الله تعالى يقول إذا أخذت كريمتي عبدي) أي أعميت عينيه يعني جارحيته الكريمتين عليه وكل شيء يكرم عليك فهو كريمك وكريمتك والإضافة للتشريف، فيفيد أن الكلام في المؤمن وفي رواية عبدي المؤمن (في الدنيا لم يكن له جزاء عندي) يوم القيامة (إلا الجَنَّة) أي دخولها مع السابقين أو بغير عذاب، لأن فقد العينين من أعظم البلايا، ولذا سمَّاها في خبرٍ آخر حبيبتين لأن الأعمى كالميت يمشي على وجه الأرض وهذا مُقَيَّد بالصبر والاحتساب، وظاهر الأحاديث أنه يُحْشَر بصيراً وأما ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى فهو في عَمَى البَصيرة وما هنا في عَمَى البَصَر وأما خبر " من مات على شيء بعثه الله عليه " فالمراد من الأعمال والأحوال الصالحة والطالحة.اهـ

....

الحديث الثاني : (ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه...)[١]

*أخرجه البخاري في الرقاق- باب العمل الذي يبتغي به وجه الله.
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة) وأخرج أحمد نحوه .
. الشرح والبيان:**

١- أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤٢٤) ،وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٩١٢٧) .

قال الحافظ بن حجر مختصرا :
(ما لعبدي المؤمن عندي جزاء) أي ثواب. قوله (إذا قبضت صفيه) وهو الحبيب المصافي كالولد والأخ وكل من يحبه الإنسان ، والمراد بالقبض قبض روحه وهو الموت .
قوله (ثم احتسبه إلا الجنة) قال الجوهري احتسب ولده إذا مات كبيرا . فإن مات صغيرا قيل أفرطه ، وليس هذا التفصيل مرادا هنا بل المراد باحتسبه صبر على فقده راجيا الأجر من الله على ذلك ، وأصل الحسبة بالكسر الأجرة ، والاحتساب طلب الأجر من الله تعالى خالصا .
ووجه الدلالة من حديث الباب أن الصفي أعم من أن يكون ولدا أم غيره وقد أفرد وتب الثواب بالجنة لمن مات له فاحتسبه ، ويدخل هذا ما أخرجه أحمد والنسائي من حديث قرة بن إياس " أن رجلا كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابن له ، فقال : أتحبه ؟ قال : نعم . ففقده فقال ما فعل فلان ؟
قالوا : يا رسول الله مات ابنه ، فقال : ألا تحب أن لا تأتي بابا من أبواب الجنة ، إلا وجدته ينتظرك . فقال رجل : يا رسول الله أله خاصة أم لكلنا ؟ قال : بل لكلكم " وسنده على شرط الصحيح وقد صححه ابن حبان والحاكم .اه

**** الحديث الثالث : (...ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد)**[١]

- أخرجه الترمذي في الجنائز- باب فضل المصيبة إذا أحتسب.
عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم

١- أخرجه الترمذي في الجنائز (١٠٢١) ، وأحمد في مسند الكوفيين (١٩٢٢٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥)

فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد) وروي نحوه أحمد وابن حبان

*****الشرح والبيان :**

- قال المباركفوري في شرح الحديث :

(قال الله لملائكته) أي ملك الموت وأعوانه (قبضتم) على تقدير الاستفهام (ولد عبدي) أي روحه (فيقول قبضتم ثمرة فؤاده) أي يقول ثانيا إظهارا لكمال الرحمة كما أن الوالد العطوف يسأل الفصاد هل فصدت ولدي مع أنه بأمره ورضاه .

وقيل سمي الولد ثمرة فؤاده لأنه نتيجة الأب كالثمرة للشجرة (واسترجع) أي قال : إنا لله وإنا إليه راجعون (وسموه بيت الحمد) أضاف البيت إلى الحمد الذي قاله عند المصيبة لأنه جزاء ذلك الحمد ، قاله القاري .اه

- وقَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:

(إذا مات ولد العبد) أي الإنسان ولو أنثى (قَالَ الله لملائكته) الموكلين بقبض الأرواح (قبضتم ولد عبدي) أي روحه (فيقولون نعم فيقولك قبضتم ثمرة فؤاده) أي نتيجته كالثمرة تنتجها الشجرة (فيقولون نعم فيقول ماذا قَالَ عبدي فيقولون حمدك واسترجع) أي قَالَ إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

قَالَ الطيبي: رجع السؤال إلى تنبيه الملائكة على مَا أراد الله من التفضل على عبده الحامد لأجل تصبُّره على المصائب وعدم تشكِّيه، بل إعداده إيَّاها من النِّعَم المُوجِبَة للشكر ثم استرجاعه، وأن نفسه مِلْكٌ لله وإليه المصير ، وقَالَ أوَّلاً: ولد عبدي: أي فرع شجرته، ثم ترقَّى إلى ثمرة فؤاده أي نقاوة خُلاصته، فإنَّ خُلاصة المرء الفؤاد، وإنما يعتد به لمكان اللطيفة التي خُلِقَ لها، فحقيقٌ لمَن فقد تلك

النعمة فتلقَّاها بالحمد أن يكون هو محموداً حتى المكان الذي يسكنه، ولذلك قَالَ (فيقول الله تعالى) لملائكته أو لمن شاء من خلقه (ابنوا لعبدي بيتاً في الجَنَّة) يسكنه في الآخرة
(وسموه بيت الحمد) أُخِذَ من تسميته به أن الأسقام والمصائب لا يُثاب عليها، لأنها ليست بفعلٍ اختياري، بل هو على الصبر، وهو مَا عليه ابن عبد السَّلام وابن القيم، حيث قالا: فهو إنما نال ذلك البيت بحمده واسترجاعه، لا بمصيبته.اهـ

الحديث الرابع : (إنَّ العَبْدَ إذا مَرِضَ أوحَى الله إلى ملائكته...)[١]

*أخرجه أحمد في مسند الشاميين .
عن أبي الأشعث الصنعاني أنه راح إلى مسجد دمشق وهجر بالرواح فلقي شداد بن أوس والصنابحي معه فقلت أين تريدان يرحمكما الله قالا نريد هاهنا إلى أخ لنا مريض نعوده فانطلقت معهما حتى دخلا على ذلك الرجل فقالا له كيف أصبحت قال أصبحت بنعمة فقال له شداد أبشر بكفارات السيئات وحط الخطايا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(إن الله عز وجل يقول إني إذا ابتليت عبدا من عبادي مؤمنا فحمدني على ما ابتليته فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا ويقول الرب عز وجل أنا قيدت عبدي وابتليته وأجروا له كما كنتم تجرون له وهو صحيح
***** الشرح والبيان :**
قَالَ الإمَامُ جلال الدين السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور:

١- أخرجه أحمد في مسند الشاميين (١٦٦٦٩)وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٠٠) .

عن سعد بن أبي وقاص قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ قال: النبيون، ثم الأمثل من الناس، فما يزال بالعبد البلاء حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة.وعن معاوية: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّم يقول: "ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلا كفَّر الله عنه به من سيئاته".

وعن أبي سعيد الخدري قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "صداع المؤمن، أو شوكة يشاكها، أو شيء يؤذيه، يرفعه الله بها يوم القيامة درجة، ويُكَفِّر عنه بها ذنوبه".

وعن بريدة الأسلمي: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّم يقول: "ما أصاب رجلاً من المسلمين نكبةٌ فما فوقها - حتى ذكر الشوكة - إلا لإحدى خصلتين: إلا ليغفر الله من الذنوب ذنبا لم يكن ليغفر الله له إلا بمثل ذلك، أو يبلغ به من الكرامة كرامة لم يكن يبلغها إلا بمثل ذلك".\

وعن ابن مسعود قال: إن الوجع لا يُكْتَب به الأجر، إنما الأجر في العمل، ولكن يُكَفِّر الله به الخطايا.

وعن عبد الله بن إياس بن أبي فاطمة عن أبيه عن جده عن رسول الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّم قال:

"أيُّكم يحب أن يَصِحَّ فلا يَسْقَم ؟ قالوا: كلنا يا رسول الله، قال: أتحبون أن تكونوا كالحمير الضالة ؟! ، وفي لفظٍ: الصيالة، ألا تحبون أن تكونوا أصحاب بلاء، وأصحاب كفَّارات ؟! والذي نفسي بيده إن الله ليبتلي المؤمن، وما يبتليه إلا لكرامته عليه، وإن العبد لتكون له الدرجة في الجَنَّة لا يبلغها بشيء من عمله حتى يبتليه بالبلاء ليبلغ به تلك الدرجة".اهـ

الحديث الخامس: (هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا..)[1]

*أخرجه ابن ماجه في الطب – باب الحمي .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (أنه عاد مريضا ومعه أبو هريرة من وعك كان به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر فإن الله يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة) وأخرج مثله أحمد والحاكم

*** وأخرجه الترمذي في الطب – باب التداوي بالرماد**

عن أبي هريرة (أن النبي صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من وعك كان به فقال أبشر فإن الله يقول هي ناري أسلطها على عبدي المذنب لتكون حظه من النار)

***** الشرح والبيان :**

قَالَ الإِمَامُ القرطبي في الجامع لأحكام القرآن:

و الحُمَّى التي تصيب المؤمن في دار الدنيا، وهي حظ المؤمن من النَّار فلا يَرِدْهَا.ا **á**

***الحديث السادس(إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده...)[2]**

* أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة- مسند أنس بن مالك .

١- أخرجه ابن ماجه في الطب (٣٤٧٠) ، والترمذي في الطب (٢٠٨٨) ، وأحمد في مسند المكثرين (٩٣٨٤) وقَالَ الألباني: صحيح (انظر صحيح الجامع: ٣٢).

٢- أخرجه أحمد في مسند المكثرين (١٣٣٠١) ،وصححة الألباني في صحيح الجامع (٤٣٠١).

عن أنس بن مالك قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده قال الله اكتب له صالح عمله الذي كان يعمله فإن شفاه غسله وطهره وإن قبضه غفر له ورحمه)

*****الشرح والبيان :**

قَالَ الإِمَامُ جلال الدين السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور:

عن أبي قلابة قال: إذا مرض الرجل على عمل صالح أجرِي له مَا كان يعمل في صحته.وعن عكرمة قال: إذا مرض الرجل رُفِعَ له كل يومٍ مَا كان يعمل.

وعن ثابت بن مسلم بن يسار قال: إذا مرض العبد كُتِبَ له أحسن مَا كان يعمل في صحته.اهـ

الفوائد الجليلة من أحاديث الباب

أهم ما يستفاد منه في هذا الباب من فوائد جليلة هو الصبرعلي البلاء في النفس أو الجسد أو المال أوغير ذلك والرضا به لأنه أختبار من الله للعبد ليري وهو تعالي أعلم به أيشكر ويصبر وله الأجر أم يتكبر ويسخط وعليه الوزر.

قال تعالي :

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ{١٥٥} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ{١٥٦} أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)(البقرة ١٥٥/١٥٧)

وقال تعالي : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ {١٠/ الزمر })

....

- وفي كتاب " تسلية أهل المصائب ١/ ص١٨"لمحمد بن محمد المنبجي التوفي سنة/٧٨٥هـ - فوائد جليلة عن فضل الصبر علي البلاء أذكرها هنا لأهميتها :

- قال في فصل ـ تسلية أهل المصائب بالعلاج الإلهي و النبوي ما نصه:

فالإلهي : قوله تعالى : " وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون " وآيات الصبر كثيرة جداً .

و النبوي ، " قوله صلى الله عليه و سلم : ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله به : " إنا لله وإنا إليه راجعون " ، اللهم اؤجرني في مصيبتي و أخلف لي خيراً منها ، إلا آجره الله في مصيبته و أخلف الله له خيراً منها " ، و قد تقدم . و أمثال ذلك من الأحاديث .

و قد تضمنت هذه الكلمة :" إنا لله و إنا إليه راجعون " علاجاً من الله و رسوله لأهل المصائب . فإنها من أبلغ علاج المصائب و أنفعه للعبد في عاجله و آجله ، فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما و تسلى عن مصيبته .

ثم قال :

أحد الأصلين : أن يتحقق العبد أن نفسه و أهله و ماله و ولده ملك لله عز و جل حقيقةً ، و قد جعله الله عند العبد عارية فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ عاريته من المستعير ، و أيضاً : فإنه محفوف بعدمين عدم قبله و عدم بعده ، و ملك العبد له متعة معارة في زمن يسير ، وأيضاً : فإنه ليس هو الذي أوجده من عدم ، حتى يكون ملكه حقيقةً و لا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده فليس له فيه تأثير و لا ملك حقيقي . و أيضاً فإنه متصرف فيه بالأمر ، تصرف العبد المأمور المنهي ، لا تصرف الملاك ، و لهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي

٢٢٨

والثاني : أن مصير العبد و مرجعه الى الله مولاه الحق ، و لابد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ، و يأتي ربه يوم القيامة فرداً ، كما خلقه أول مرة ، بلا أهل و لا مال و لا عشيرة ، و لكن يأتيه بالحسنات و السيئات . فإذا كانت هذه بداية العبد و ما خوله ، و نهايته و حاله فيه فكيف يفرح العبد بولد أو مال أو غير ذلك من متاع الدنيا ؟ .

أم كيف يأسى على مفقود ؟ ففكرة العبد في بدايته و نهايته من أعظم علاج المصائب ، ومن علاجه أن يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، و ما أخطأه لم يكن ليصيبه . قال تعالى : " ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير* لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور " ، و من تأمل هذه الآية الكريمة وجد فيها شفاء أو دواء المصائب . و كل ما ذكرناه في هذا الفصل ، فهو في هذه الآية ، فتدبر ذلك . اهـ

الباب السابع
ما جاء في الظلم وحقوق المسلمين

الحديث الاول:(تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس..)[١]

*أخرج مسلم في البر والصلة- باب النهي عن الشحناء والتهاجر.
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا أنظروا هذين حتى يصطلحا) وأخرج نحوه أحمد
* وأخرجه الترمذي في البر والصلة- باب ما جاء في المتهاجرين .

١- أخرجه مسلم في البروالصلة (٢٥٦٥)، والترمذي في البر والصلة (٢٠٢٣) ، وأبو داود في الآداب (٤٩١٦) ، ومالك في الجامع (١٦٨٦) ، وابن ماجه في الصيام (١٧٤٠) ، وأحمد في مسند المكثرين (٨٩٤٦) .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر فيهما لمن لا يشرك بالله شيئا إلا المهتجرين يقال ردوا هذين حتى يصطلحا)
* وأخرجه أبو داود في الادب- باب فيمن يهجر أخاه المسلم.
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(تفتح أبواب الجنة كل يوم اثنين وخميس فيغفر في ذلك اليومين لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا من بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا)
قال أبو داود النبي صلى الله عليه وسلم هجر بعض نسائه أربعين يوما وابن عمر هجر ابنا له إلى أن مات قال أبو داود إذا كانت الهجرة لله فليس من هذا بشيء وإن عمر بن عبد العزيز غطى وجهه عن رجل.اه
* وأخرجه مالك في الجامع- باب ماجاء في المهاجرة .
(تعرض أعمال الناس كل جمعة مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبدا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال اتركوا هذين حتى يفيئا أو اركوا هذين حتى يفيئا)
*****الشرح والبيان:**
* قال النووي في شرح مسلم :
قوله صلى الله عليه وسلم : (تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس . . الحديث) قال القاضي : قال الباجي : معنى (فتحها) كثرة الصفح والغفران ورفع المنازل ، وإعطاء الثواب الجزيل .
قال القاضي : ويحتمل أن يكون على ظاهره ، وأن فتح أبوابها علامة لذلك .
و (انظروا هذين) بقطع الهمزة أخروهما حتى يفيئا أي يرجعا إلى الصلح والمودة اه .
* وقال المباركفوري في شرح سنن الترمذي:

٢٣١

قوله : (تفتح أبواب الجنة) أي حقيقة ، لأن الجنة مخلوقة الآن وفتح أبوابها ممكن ، أو هو بمعنى إزالة المانع ورفع الحجب وفي شرح مسلم قال القاضي قال الباجي معنى فتحها كثرة الصفح والغفران ورفع المنازل وإعطاء الثواب الجزيل قال القاضي : ويحتمل أن يكون على ظاهره وأن فتح أبوابها علامة لذلك انتهى

قلت : هذا الاحتمال هو الظاهر ، فالأولى أن يحمل الحديث على ظاهره (يوم الاثنين والخميس) أي لكثرة الرحمة النازلة فيهما الباعثة على الغفران " إلا المهتجرين " أي المتقاطعين " يقول ردوا " وفي رواية مسلم " انظروا " : أي أمهلوا أي لا تعطوا منها أنصباء هذين المتهاجرين المتعاديين ، وأخروا مغفرتهما من ذنوبهما مطلقا ، زجرا لهما أو من ذنب الهجران فقط (حتى يصطلحا) أي يتصالحا ويزول عنهما الشحناء فلا يفيد التصالح للسمعة والرياء .

والظاهر أن مغفرة كل واحد متوقفة على صفاته وزوال عداوته سواء صفا لصاحبه أم لا قال الطيبي وأتى باسم الإشارة بدل الضمير لمزيد التمييز والتعيين.

وقال ابن حجر في تعليقه علي الحديث :

ولا ينافي هذا رفعها في شعبان فقال إنه شهر ترفع فيه الأعمال وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم ، لجواز رفع أعمال الأسبوع مفصلة وأعمال العام مجملة . كذا في المرقاة . قلت : حديث رفع الأعمال في شعبان أخرجه النسائي وأبو داود وصححه ابن خزيمة من حديث أسامة قال : قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال " ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم " ونحوه من حديث عائشة عند أبي يعلى كذا في النيل .اه

* وفي شرح المنتقي لموطأ مالك قال :

٢٣٢

قوله صلى الله عليه وسلم تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس يريد والله أعلم أنه يصفح في هذين اليومين عن الذنوب العظيمة ، ويثبت فيها لكثير من الناس الدرجة الرفيعة فتكون بمنزلة فتح أبوابها ، وقد يعبر بفتح الأبواب عن الإقبال على الأمر والإنعام فيقال فتح فلان باب طعامه وباب عطائه فلا يغلقه عن أحد ، ويقال في مشاهدة حرب العدو قد فتحت أبواب الجنة معناه والله أعلم وجدت أسباب دخولها وغفران الذنوب المانعة منها.

وفي الحديث الآخر تعرض أعمال العباد في هذين اليومين فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبدا كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فاقتضى ذلك أن عرض أعمال المؤمن بما أراده الله من الغفران له فهو يعبر عنه بأن أبواب الجنة قد فتحت ، ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنة علامة على الغفران والإحسان في ذلك اليوم ، ويبين هذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم فيغفر لكل عبد مسلم لا يشرك بالله شيئا يريد والله أعلم أن هذا الغفران الذي يكون بمعنى فتح أبواب الجنة ، ويكون فتح أبواب الجنة علامة عليه تعم كل مسلم إلا من كانت بينه وبين أخيه شحناء تحذيرا من بقاء الشحناء ، وهي العداوة بين المسلمين وحضا على الإقلاع عن ذلك والرجوع عنه إلى التودد والمؤاخاة.

قال الله عز وجل "إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم "الحجرات/١٠

وقال تعالى" فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم" . الأنفال/١

وقوله صلى الله عليه وسلم فقال أنظروا هذين حتى يصطلحا يعني والله أعلم أخروا الغفران لهما حتى يصطلحا ، وقال في الحديث الآخر اتركوا هذين حتى يفيئا أي يرجعا إلى الصلح ، أو اتركوا هذين يحتمل أن يكون تبيينا من الراوي ومعنى اتركوا أخروا يقال تركت الشيء أخرته وتركت في الأمر أخرت قاله صاحب الأفعال اه

الحديث الثاني : (يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين...)[١]

*أخرجه مسلم في البر والصلة- باب فضل عيادة المريض.
عن أبي هريرة قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي)
* وأخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة – مسند أبو هريرة .
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أنه قال(مرضت فلم يعدني ابن آدم وظمئت فلم يسقني ابن آدم فقلت أتمرض يا رب قال يمرض العبد من عبادي ممن في الأرض فلا يعاد فلو عاده كان ما يعوده لي ويظمأ في الأرض فلا يسقى فلو سقي كان ما سقاه لي)
***** الشرح والبيان:**
*قال النووي في شرح مسلم :
قوله عز وجل : (مرضت فلم تعدني قال : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لوعدته لوجدتني عنده ؟) قال العلماء : إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى

١- أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٩) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٨٩٨٩) .

، والمراد العبد تشريفا للعبد وتقريبا له . قالوا : ومعنى (وجدتني عنده) أي وجدت ثوابي وكرامتي ، ويدل عليه قوله تعالى في تمام الحديث : " لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ، لو أسقيته لوجدت ذلك عندي " أي ثوابه . والله أعلم .اه

الحديث الثالث : (خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم..)[١]

*أخرجه مسلم في البر والصلة – باب صلة الرحم وتحريم قطعها .
عن أبي هريرة قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرءوا إن شئتم" فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها") وأخرج البخاري مثله قي التفسير.
*** و للبخاري رواية أخري في الأدب – باب من وصل الله وصله الله .**
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(إن الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته) وأخرج أحمد نحوه
***** الشرح والبيان :**
قال النووي في شرح الحديث :

١- أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٥٤) ، والبخاري في تفسير القرآن (٤٨٣٢,٥٩٨٨) ، وأحمد في مند المكثرين (٨١٦٧) .

٢٣٥

قوله صلى الله عليه وسلم : (قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى . قال : فذلك لك)

وفي رواية أخرى : (الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله) قال القاضي عياض : الرحم التي توصل وتقطع وتبر إنما هي معنى من المعاني ، ليست بجسم ، وإنما هي قرابة ونسب تجمعه رحم والدة ، ويتصل بعضه ببعض ، فسمي ذلك الاتصال رحما . والمعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام ، فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل ، وحسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك ، والمراد تعظيم شأنها ، وفضيلة واصليها ، وعظيم إثم قاطعيها بعقوقهم ، لهذا سمي العقوق قطعا ، والعق الشق كأنه قطع ذلك السبب المتصل .

قال : ويجوز أن يكون المراد قام ملك من الملائكة وتعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بأمر الله تعالى . هذا كلام القاضي . والعائذ المستعيذ ، وهو المعتصم بالشيء الملتجئ إليه المستجير به .

قال العلماء : وحقيقة الصلة العطف والرحمة ، فصلة الله سبحانه وتعالى عبارة عن لطفه بهم ، ورحمته إياهم ، وعطفه بإحسانه ونعمه ، أو صلتهم بأهل ملكوته الأعلى ، وشرح صدورهم لمعرفته وطاعته . قال القاضي عياض : ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة ، وقطيعتها معصية كبيرة . قال : والأحاديث في الباب تشهد لهذا ، ولكن الصلة درجات بعضها أرفع من بعض ، وأدناها ترك المهاجرة ، وصلتها بالكلام ولو بالسلام ، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة ، فمنها واجب ، ومنها مستحب ، ولو وصل بعض الصلة وثم يصل غايتها لا يسمى قاطعا ، ولو قصر عما يقدر عليه وينبغي له لا يسمى

واصلا . قال : واختلفوا في حد الرحم التي تجب صلتها ، فقيل : هو كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى حرمت مناكحتهما .
فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام ولا أولاد الأخوال ، واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ونحوه ، وجواز ذلك في بنات الأعمام والأخوال . وقيل : هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث ، يستوي المحرم وغيره ، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : " ثم أدناك أدناك " هذا كلام القاضي . وهذا القول الثاني هو الصواب ، ومما يدل عليه الحديث السابق في أهل مصر : " فإن لهم ذمة ورحما " وحديث " إن أبر البر أن يصل أهل ود أبيه " مع أنه لا محرمية . والله أعلم .اهـ
*وقال ابن حجر في شرح الرواية الأخري للبخاري:
قوله : (الرحم شجنة) بكسر المعجمة وسكون الجيم بعدها نون ، وجاء بضم أوله وفتحه رواية ولغة . وأصل الشجنة عروق الشجر المشتبكة ، والشجن بالتحريك واحد الشجون وهي طرق الأودية ، ومنه قولهم : " الحديث ذو شجون " أي يدخل بعضه في بعض .
وقوله : " من الرحمن " أي أخذ اسمها من هذا الاسم كما في حديث عبد الرحمن بن عوف في السنن مرفوعا " أنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي " والمعنى أنها أثر من آثار الرحمة مشتبكة بها ؛ فالقاطع لها منقطع من رحمة الله .
وقال الإسماعيلي : معنى الحديث أن الرحم اشتق اسمها من اسم الرحمن فلها به علقة ، وليس معناه أنها من ذات الله . تعالى الله عن ذلك . قال القرطبي : الرحم التي توصل عامة وخاصة ، فالعامة رحم الدين وتجب مواصلتها بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة .

٢٣٧

وأما الرحم الخاصة فتزيد للنفقة على القريب وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلاتهم . وتتفاوت مراتب استحقاقهم في ذلك كما في الحديث الأول من كتاب الأدب " الأقرب فالأقرب " وقال ابن أبي جمرة : تكون صلة الرحم بالمال ، وبالعون على الحاجة ، وبدفع الضرر ، وبطلاقة الوجه ، وبالدعاء .

والمعنى الجامع إيصال ما أمكن من الخير ، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة ، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة ، فإن كانوا كفارا أو فجارا فمقاطعتهم في الله هي صلتهم ، بشرط بذل الجهد في وعظهم ، ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق ، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى . قوله : (فقال الله) زاد الإسماعيلي في روايته " لها " وهذه الفاء عاطفة على شيء محذوف ، وأحسن ما يقدر له ما في الحديث الذي قبله " فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، فقال الله إلخ " .اهـ

الحديث الرابع : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما...)[١]

* أخرجه مسلم في البر والصلة- باب تحريم الظلم.

عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال(يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا

١- أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧) ، والترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٥) ، وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٧) ، وأحمد في مسند الأنصار (٢٠٨٦٠) .

٢٣٨

فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)

*وأخرجه الترمذي في صفة القيامة .

عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى(يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فسلوني الهدى أهدكم وكلكم فقير إلا من أغنيت فسلوني أرزقكم وكلكم مذنب إلا من عافيت فمن علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا أبالي ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناح بعوضة ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته فأعطيت كل سائل منكم ما سأل ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ثم رفعها إليه ذلك بأني جواد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون)

* وأخرجه ابن ماجه في الزهد – باب ذكر التوبة.

عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(إن الله تبارك وتعالى يقول يا عبادي كلكم مذنب إلا من عافيت فسلوني المغفرة فأغفر لكم ومن علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني بقدرتي غفرت له وكلكم ضال إلا من هديت فسلوني الهدى أهدكم وكلكم فقير إلا من أغنيت فسلوني أرزقكم ولو أن حيكم وميتكم وأولكم وآخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فكانوا على قلب أتقى عبد من عبادي لم يزد في ملكي جناح بعوضة ولو اجتمعوا فكانوا على قلب أشقى عبد من عبادي لم ينقص من ملكي جناح بعوضة ولو أن حيكم وميتكم وأولكم وآخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فسأل كل سائل منهم ما بلغت أمنيته ما نقص من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بشفة البحر فغمس فيها إبرة ثم نزعها ذلك بأني جواد ماجد عطائي كلام إذا أردت شيئا فإنما أقول له كن فيكون) وأخرج أحمد نحوه في أكثر من رواية

*****الشرح والبيان:**

*قال النووي في شرح مسلم :

قوله تعالى : { إني حرمت الظلم على نفسي } قال العلماء : معناه تقدست عنه وتعاليت ، والظلم مستحيل في حق الله سبحانه وتعالى . كيف يجاوز سبحانه حدا وليس فوقه من يطيعه ؟ وكيف يتصرف في غير ملك ، والعالم كله في ملكه وسلطانه ؟ وأصل التحريم في اللغة المنع ، فسمى تقدسه عن الظلم تحريما لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء . قوله تعالى : { وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا } هو بفتح التاء أي لا تتظالموا ، والمراد لا يظلم بعضكم بعضا ، وهذا توكيد لقوله تعالى : { يا عبادي وجعلته بينكم محرما } وزيادة تغليظ في تحريمه

قوله تعالى : { كلكم ضال إلا من هديته } قال المازري : ظاهر هذا أنهم خلقوا على الضلال إلا من هداه الله تعالى .

٢٤٠

وفي الحديث المشهور " كل مولود يولد على الفطرة " قال : فقد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنهم لو تركوا وما في طباعهم من إيثار الشهوات والراحة وإهمال النظر لضلوا . وهذا الثاني أظهر .
وفي هذا دليل لمذهب أصحابنا وسائر أهل السنة أن المهتدي هو من هداه الله ، وبهدى الله اهتدى ، وبإرادة الله تعالى ذلك ، وأنه سبحانه وتعالى إنما أراد هداية بعض عباده وهم المهتدون ، ولم يرد هداية الآخرين ، ولو أرادها لاهتدوا ، خلافا للمعتزلة في قولهم الفاسد : أنه سبحانه وتعالى أراد هداية الجميع . جل الله أن يريد ما لا يقع ، أو يقع ما لا يريد .
قوله تعالى : { ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر } المخيط بكسر الميم وفتح الياء هو الإبرة : قال العلماء : هذا تقريب إلى الأفهام ، ومعناه لا ينقص شيئا أصلا كما قال في الحديث الآخر : " لا يغيضها نفقة " أي لا ينقصها نفقة ؛ لأن ما عند الله لا يدخله نقص ، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني ، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه ، وهما صفتان قديمتان لا يتطرق إليهما نقص ، فضرب المثل بالمخيط في البحر ، لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة ، والمقصود التقريب إلى الإفهام بما شاهدوه ؛ فإن البحر من أعظم المرئيات عيانا ، وأكبرها ، والإبرة من أصغر الموجودات ، مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء . والله أعلم . قوله تعالى : (يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار) الرواية المشهورة (تخطئون) بضم التاء ، وروي بفتحها وفتح الطاء ، يقال : خطئ يخطأ إذا فعل ما تأثم به فهو خاطئ ، ومنه قوله تعالى : { استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين } ويقال في الإثم أيضا : أخطأ ، فهما صحيحان .اهـ
* وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي في شرح حديث الترمذي :

٢٤١

قوله : (يا عبادي) قال الطيبي : الخطاب للثقلين لتعاقب التقوى والفجور فيهم ، ويحتمل أن يعم الملائكة فيكون ذكرهم مدرجا في الجن لشمول الاجتنان لهم وتوجه هذا الخطاب لا يتوقف على صدور الفجور ولا على إمكانه انتهى . قلت : والظاهر هو الاحتمال الأول (إلا من هديت) قيل المراد به وصفهم بما كانوا عليه قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لا أنهم خلقوا في الضلالة . والأظهر أن يراد أنهم لو تركوا بما في طباعهم لضلوا ، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام : إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره .

وهو لا ينافي قوله عليه الصلاة والسلام : (كل مولود يولد على الفطرة) ، فإن المراد بالفطرة التوحيد والمراد بالضلالة جهالة تفصيل أحكام الإيمان وحدود الإسلام ومنه قوله تعالى : { ووجدك ضالا } (وكلكم مذنب) بل أي كلكم يتصور منه الذنب (إلا من عافيت) أي من الأنبياء والأولياء ، أي عصمت وحفظت ، وإنما قال عافيت تنبيها على أن الذنب مرض ذاتي ، وصحته عصمة الله تعالى وحفظه منه أو كلكم مذنب بالفعل .

وذنب كل بحسب مقامه إلا من عافيته بالمغفرة والرحمة والتوبة (ولا أبالي) أي لا أكترث (ولو أن أولكم وآخركم) يراد به الإحاطة والشمول (وحيكم وميتكم) أكيد لإرادة الاستيعاب كقوله (ورطبكم ويابسكم) أي شبابكم وشيوخكم أو عالمكم وجاهلكم أو مطيعكم وعاصيكم . قال الطيبي هما عبارتان عن الاستيعاب التام كما في قوله تعالى { ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين } والإضافة إلى ضمير المخاطبين تقتضي أن يكون الاستيعاب في نوع الإنسان فيكون تأكيدا للشمول بعد تأكيد الاستيعاب وتقريرا بعد تقرير انتهى (اجتمعوا على أتقى قلب عبد من عبادي) وهو نبينا صلى الله عليه وسلم (ما زاد ذلك) أي الاجتماع (اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادي) وهو إبليس اللعين (اجتمعوا في صعيد واحد) أي أرض واسعة مستوية (ما بلغت أمنيته) بضم

٢٤٢

الهمزة وكسر النون وتشديد الياء ، أي مشتهاه وجمعها المنى والأماني ، يعني كل حاجة تخطر بباله (ما نقص ذلك) أي الإعطاء أو قضاء حوائجهم (فغمس) فتح الميم أي أدخل (إبرة) بكسر الهمزة وسكون الموحدة وهي المخيط (ذلك) أي عدم نقص ذلك من ملكي (بأني جواد) أي كثير الجود (واجد) هو الذي يجد ما يطلبه ويريده وهو الواجد المطلق لا يفوته شيء (ماجد) هو بمعنى المجيد ، كالعالم بمعنى العليم من المجد وهو سعة الكرم (إنما أمري لشيء إذا أردت أن أقول له كن فيكون) بالرفع والنصب ، أي من غير تأخير عن أمري . وهذا تفسير ل قوله : (عطائي كلام وعذابي كلام) .

قال القاضي يعني ما أريد إيصاله إلى عبد من عطاء أو عذاب لا أفتقر إلى كد ومزاولة عمل بل يكفي لحصوله ووصوله تعلق الإرادة به وكن من كان التامة أي أحدث فيحدث اهـ.

الحديث الخامس:(...بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة)[1]

أخرجه البخاري في احاديث الانبياء- باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

عن الحسن حدثنا جندب بن عبد الله في هذا المسجد وما نسينا منذ حدثنا وما نخشى أن يكون جندب كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينا فحز بها يده فما رقأ الدم حتى مات قال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة)

* وأخرجه مسلم في الايمان- باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

١- أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٣) ، ومسلم في الإيمان (١١٣) ، وأحمد في مسند الكوفيين (١٨٣٢٨) .

عن شيبان قال سمعت الحسن يقولا(إن رجلا ممن كان قبلكم خرجت به قرحة فلما آذته انتزع سهما من كنانته فنكأها فلم يرقأ الدم حتى مات قال ربكم قد حرمت عليه الجنة ثم مد يده إلى المسجد فقال إي والله لقد حدثني بهذا الحديث جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد و حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال سمعت الحسن يقول حدثنا جندب بن عبد الله البجلي في هذا المسجد فما نسينا وما نخشى أن يكون جندب كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج برجل فيمن كان قبلكم خراج فذكر نحوه)
*وأخرجه أحمد في مسند الكوفيين- حديث جندب البجلي.
عن عمران يعني القطان قال(سمعت الحسن يحدث عن جندب أن رجلا أصابته جراحة فحمل إلى بيته فآلمت جراحته فاستخرج سهما من كنانته فطعن به في لبته فذكروا ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال فيما يروي عن ربه عز وجل سابقني بنفسه)

الشرح والبيان :*

*قال الحافظ بن حجر في شرح الحديث مختصرا :
قوله : (كان فيمن كان قبلكم رجل) لم أقف على اسمه . قوله : (به جرح) بضم الجيم وسكون الراء بعدها مهملة ، ووقع في رواية مسلم " أن رجلا خرجت به قرحة " وهي بفتح القاف وسكون الراء : حبة تخرج في البدن ، وكأنه كان به جرح ثم صار قرحة .
قوله : (فجزع) أي فلم يصبر على ألم تلك القرحة . قوله : (فأخذ سكينا فحز بها يده) السكين تذكر وتؤنث ، وقوله : " حز " بالحاء المهملة والزاي هو القطع بغير إبانة ، ووقع في رواية مسلم " فلما آذته انتزع سهما من كنانته فنكأها " وهو بالنون والهمز أي نخس موضع الجرح ، ويمكن الجمع بأن يكون فجر

الجرح بذبابة السهم فلم ينفعه فحز موضعه بالسكين ، ودلت رواية البخاري على أن الجرح كان في يده .

قوله : (فما رقأ الدم) بالقاف والهمز أي لم ينقطع . قوله : (قال الله عز وجل : بادرني عبدي بنفسه) هو كناية عن استعجال المذكور الموت

قوله : " بادرني بنفسه " وقوله : " حرمت عليه الجنة " لأن الأول يقتضي أن يكون من قتل فقد مات قبل أجله لما يوهمه سياق الحديث من أنه لو لم يقتل نفسه كان قد تأخر عن ذلك الوقت وعاش ، لكنه بادر فتقدم ، والثاني يقتضي تخليد الموحد في النار . والجواب عن الأول أن المبادرة من حيث التسبب في ذلك والقصد له والاختيار ، وأطلق عليه المبادرة لوجود صورتها ، وإنما استحق المعاقبة لأن الله لم يطلعه على انقضاء أجله فاختار هو قتل نفسه فاستحق المعاقبة لعصيانه .

لا وقال القاضي أبو بكر : قضاء الله مطلق ومقيد بصفة ، فالمطلق يمضي على الوجه بلا صارف ، والمقيد على الوجهين ، مثاله أن يقدر لواحد أن يعيش عشرين سنة إن قتل نفسه وثلاثين سنة إن لم يقتل وهذا بالنسبة إلى ما يعلم به المخلوق كملك الموت مثلا ، وأما بالنسبة إلى علم الله فإنه لا يقع إلا ما علمه . ونظير ذلك الواجب المخير فالواقع منه معلوم عند الله والعبد مخير في أي الخصال يفعل ، والجواب عن الثاني من أوجه :

أحدها : أنه كان استحل ذلك الفعل فصار كافرا .

ثانيها : كان كافرا في الأصل وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفره .

ثالثها : أن المراد أن الجنة حرمت عليه في وقت ما كالوقت الذي يدخل فيه السابقون أو الوقت الذي يعذب فيه الموحدون في النار ثم يخرجون .

رابعها : أن المراد جنة معينة كالفردوس مثلا .

خامسها : أن ذلك ورد على سبيل التغليظ والتخويف وظاهره غير مراد .

٢٤٥

سادسها : أن التقدير حرمت عليه الجنة إن شئت استمرار ذلك .
سابعها : قال النووي يحتمل أن يكون ذلك شرع من مضى أن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها . وفي الحديث تحريم قتل النفس سواء كانت نفس القاتل أم غيره ، وقتل الغير يؤخذ تحريمه من هذا الحديث بطريق الأولى . وفيه الوقوف عند حقوق الله ورحمته بخلقه حيث حرم عليهم قتل نفوسهم وأن الأنفس ملك الله . وفيه التحديث عن الأمم الماضية وفضيلة الصبر على البلاء وترك التضجر من الآلام لئلا يفضي إلى أشد منها . وفيه تحريم تعاطي الأسباب المفضية إلى قتل النفس . وفيه التنبيه على أن حكم السراية على ما يترتب عليه ابتداء القتل . وفيه الاحتياط في التحديث وكيفية الضبط له والتحفظ فيه بذكر المكان والإشارة إلى ضبط المحدث لمن حدثه ليركن السامع لذلك ، والله أعلم .اهـ

**** الحديث السادس:(إن الله عز وجل ليدعو بصاحب الدين يوم القيامة)**[١]

*أخرجه أحمد في مسند العشرة المبشرون- حد يث عبد الرحمن بن أبي بكر.
عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل ليدعو بصاحب الدين يوم القيامة فيقيمه بين يديه فيقول أي عبدي فيم أذهبت مال الناس فيقول أي رب قد علمت أني لم أفسده إنما ذهب في غرق أو حرق أو سرقة أو وضيعة فيدعو الله عز وجل بشيء فيضعه في ميزانه فترجح حسناته) وقَالَ الشيخ أحمد شاكر: حسن.
**** الشرح والبيان:**
قَالَ الإِمَامُ الشوكاني في نيل الأوطار:

١- أخرجه أحمد في مسند الصحابة (١٧٠٩) .

لقد ورد في الأحاديث مَا يدل على أن اللّه تعالى يقضي عن صاحب الدين، بل ثبت أن مجرد محبة المديون عند موته للقضاء موجبة لتولي اللّه سبحانه لقضاء دينه، وإن كان له مال ولم يقضِ منه الورثة، أخرجه الطبراني عن أبي أمامة مرفوعاً: (من دان بدين في نفسه وفاؤه تجاوز اللّه عنه وأرضى غريمه بما شاء ومن دان بدين وليس في نفسه وفاؤه ومات اقتص اللّه لغريمه منه يوم القيامة).

**** الحديث السابع: (ثلاثةلا يُكَلِّمُهُمْ اللَّه يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ...)[1]**

* أخرجه البخاري في التوحيد- باب قول الله تعالي : وجوه يومئذ ناضرة إلي ربها ناظرة.

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم رجل حلف على سلعة لقد أعطى بها أكثر مما أعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماء فيقول الله يوم القيامة اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك) وأخرج نحوه مسلم والنسائي وغيرهما

***** الشرح والبيان :**

قَالَ الإِمَامُ المناوي في فيض القدير:

(ثلاثة لا يكلمهم الله) كلاماً يسرهم بل بنحو اخسأوا فيها (يوم القيامة) استهانة بهم وغضباً عليهم بما انتهكوا من حرمته (ولا ينظر إليهم) نظر رحمة (رجل) خبر مبتدأ محذوف (حلف على سلعته لقد أعطى بها أكثر مما أعطى

١- أخرجه البخاري في التوحيد (٧٤٤٦) ، ومسلم في الإيمان (١٠٨) ، والترمذي في السير عن رسول الله (١٥٩٥) ، والنسائي في البيوع (٤٤٦٢) ، وأبو داود في البيوع (٣٤٧٤) ، وابن ماجه في التجارات (٢٣٠٧) وأحمد في مسند المكثرين (٩٨٦٦) .

٢٤٧

) بالبناء للفاعل أي حلف أنه دفع لبائعها أكثر مما أعطى فيها أو للمفعول أي أعطاني من يريد شراءها أكثر (وهو كاذب) أي والحال أنه كاذب في إخباره بذلك وكلمة قد هنا للتحقيق (ورجل حلف على يمين) بزيادة حرف الجر (كاذبة) أي محلوف يمين، فسمَّاه يميناً مجازاً للملابسة بينهما، والمراد مَا شأنه أن يكون محلوفاً عليه (بعد العصر) خصَّه لشرفه بكونه وقت ارتفاع الأعمال وقول البعض لاجتماع ملائكة الليل والنهار حينئذ.

وقوله (ليقتطع بها مال رجل مسلم) أي ليأخذ قطعة من ماله.

(ورجل منع فضل مائه) الزائد على حاجته عن المحتاج.

(فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ اليوم) أي يوم القيامة (أمنعك) بضم العين (فضلي) الذي لا ينجي في ذلك اليوم غيره (كما منعت فضل مَا لم تعمله يداك) وظاهر قوله فضل مائه بالإضافة أن الكلام في بئرٍ حفرها، وفضُل عن حاجته مَا يحتاجه غيره، وأما مَا حُفِرَ للمارة فيجب بذله فضلاً وأصلاً فإنَّ الحافرَ فيه كواحدٍ من المارة، فظاهرُ قوله آخراً (مَا لم تعمل يداك) أن الكلام في المياه المُبَاحَة النابعة في موضع لا يختص بأحد ولا صنع للآدميين في انبساطها وإجرائها كماء الأودية والعيون.

ثم إن الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة لا ينحصرون في الثلاثة؛ لأن العدد لا ينفي الزائد.

**** الحديث الثامن : (قال الله ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة..)**[١]

*خرجه البخاري في البيوع – باب أثم من باع حراً.

١- أخرجه البخاري في البيوع (٢٢٢٧) ، وابن ماجه في الأحكام (٢٤٤٢) ، وأحمد في مسند المكثرين (٨٤٧٧) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(قال الله ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعط أجره) وأخرج نحوه أحمد وابن ماجه .

*** الشرح والبيان :

- قَالَ الإِمَامُ ابن حجر في فتح الباري:

قوله: (ثلاثة: أنا خصمهم) قَالَ ابن التين: هو سبحانه وتعالى خَصمٌ لجميع الظالمين إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح، والخصم يطلق على الواحد وعلى الاثنين وعلى أكثر من ذلك.

قوله: (أعطى بي ثم غدر) كذا للجميع على حذف المفعول والتقدير أعطى يمينه بي أي عاهد عهدا وحلف عليه بالله نقضه. وقوله: (باع حرا فأكل ثمنه) خص الأكل بالذكر لأنه أعظم مقصود.

ووقع عند أبي داود من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا " ثلاثة لا تقبل منهم صلاة " فذكر فيهم " ورجل اعتبد محررا " وهذا أعم من الأوَّل في الفعل وأخص منه في المفعول به، قَالَ الخطابي: اعتباد الحر يقع بأمرين: أن يعتقه ثم يكتم ذلك أو يجحد، والثاني أن يستخدمه كرها بعد العتق، والأوَّل أشدهما.

والحديث هنا أشد؛ لأن فيه مع كتم العتق أو جحده العمل بمقتضى ذلك من البيع وأكل الثمن، فمن ثم كان الوعيد عليه أشد، قَالَ المهلب: وإنما كان إثمه شديدا لأن المسلمين أكفاء في الحرية، فمن باع حرا فقد منعه التصرف فيما أباح الله له وألزمه الذل الذي أنقذه الله منه.

وقوله: (ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره) هو في معنى من باع حرا وأكل ثمنه لأنه استوفى منفعته بغير عوض وكأنه أكلها، ولأنه استخدمه بغير أجرة وكأنه استعبده.اهـ

٢٤٩

**** الحديث التاسع : (اللهَ تَعَالَى أوْحَى إلَيَّ: أنْ تَوَاضَعُوا ..)[١]**

*خرجه ابن ماجة في الزهد- باب البغي .
عن أنس بن مالك قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أوحى إلي أن تواضعوا ولا يبغي بعضكم على بعض)
**** الشرح والبيان :**
- قَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:
(إن الله تعالى أوحى إليَّ) وحيُ إرسالٍ، وزُعِمَ أنه وحيُ إلهامٍ، خلاف الأصل والظاهر بلا دليل، والوحي إعلامٌ في خفاء (أن) أي بأن (تواضعوا) بخفض الجناح ولين الجانب وأن مُفَسِّرَوقوله (ولا يبغي) بنصبه عطفاً على تواضعوا، أي لا يجوز ولا يتعدَّى أحدٌ منكم على أحد، ولو ذِمِّياً أو معاهداً أو مؤمَناً ، والبغي مجاوزة الحد في الظلم.
قَالَ الطيبي: المراد أن الفخر والبغي شحناء الكبير لأن المتكبر هو الذي يرفع نفسه فوق منزلته فلا ينقاد لأحد.
قَالَ المجد ابن تيمية: نهى الله على لسان نبيه عن نوعي الاستطالة على الخلق وهي الفخر والبغي لأن المستطيل إن استطال بحق فقد افتخر أو بغير حق فقد بغى فلا يحل هذا ولا هذا.اه

**** الحديث العاشر : (الكِبرياءُ ردَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِي ردَائِي قصَمْتُه)[٢]**

١- أخرجه ابن ماجه في الزهد (٤٢١٤) ، وقَالَ الألباني: صحيح (انظرصحيح الجامع: ١٧٢٦).
١- (أخرجه أبو داود (٤٠٩٠)- والحاكم في المستدرك الحاكم (٢٠٣)) ،وابن ماجه في الزهد (٤١٧٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٠٩) .

* أخرجه أبو داود في اللباس – باب ماجاء في الكبر .
عن أبي هريرة قال هناد قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار)
* وأخرجه ابن ماجة في الزهد – باب البراء من الكبر والتواضع.
عن أبي هريرة قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم)
* أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظ :
عن أبي هريرة(قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قَالَ الله تَعَالَى: الكِبرِياءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِي رِدَائِي قَصَمْتُه.)
*****الشرح والبيان :**
- قال المباركفوري في تحفة الأحوزي في شرح حديث أبو داود :
(الكبرياء ردائي والعظمة إزاري) : قال الخطابي : معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه واختص بهما لا يشركه أحد فيهما ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل .
وضرب الرداء والإزار مثلا في ذلك يقول والله أعلم كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق (فمن نازعني واحدا منهما) : أي من الوصفين . ومعنى نازعني تخلق بذلك فيصير في معنى المشارك (قذفته) : أي رميته من غير مبالاة به .

....

٢٥١

قال المنذري : وأخرجه ابن ماجه وأخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه وفيه عذبته مكان قذفته في النار .اá
وقَالَ الإِمَامُ المناوي في فيض القدير:
(قَالَ الله تعالى: الكبرياء ردائي فمن نازعني ردائي قصمته) أي أذلَلْتُه وأهنته أو قرَّبْتُ هلاكه.قَالَ الزمخشري: هذا واردٌ عن غضب شديد ومنادٍ على سخط عظيم ، لأن القصم أفظع الكسر وهو الكسر الذي بين تلازم الأجزاء بخلاف الكسر. وقَالَ القاضي: والكبرياء أي الكِبر: وهو الترفع على الغير بأن يرى لنفسه
عليه شرفاً.اه

....

**** الحديث الحادي عشر : (وَعِزَّتِي وجَلالي لأنصُرَنَّكَ وَلَو بَعْدَ حِيْن.")**[١]

* أخرجه الترمذي في الدعوات – باب العفو والعافية .
عن أبي هريرة قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين).

١- أخرجه الطبراني في الكبير حديث (٣٧١٨) والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨) وابن حبان(٨٧٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٧

* وأخرجه ابن حبان بلفظ:
((دعوة المظلوم تحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السماوات، ويقول الرب تبارك وتعالى: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين))وأخرج الطبراني نحوه.

***** الشرح والبيان :**

- قَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:
(اتقوا دعوة المظلوم) أي اجتنبوا دعوة من تظلمونه وذلك مستلزم لتجنب جميع أنواع الظلم على أبلغ وجه وأوجز إشارة وأفصح عبارة؛ لأنه إذا اتقى دعاء المظلوم فهو أبلغ من قوله لا تظلم، وهذا نوع شريف من أنواع البديع يسمى تعليقاً، ثم بيَّن وجه النهي بقوله: (فإنها تُحمَل على الغمام) أي يأمر الله برفعها حتى تجاوز الغمام أي السحاب الأبيض حتى تصل إلى حضرته تقدَّس وتعالى.
وقيل الغمام شيءٌ أبيض فوق السَّمَاء السابعة فإذا سقط لا تقوم به السماوات السبع بل يتشققن قَالَ الله تعالى ويوم تشقق السَّمَاء بالغمام ، وعلى هذا فالرفع والغمام حقيقة ولا مانع من تجسيم المعاني.
لكن الذي صار إليه القاضي الحمل على المجاز، حيث قَالَ استأنف لهذه الجملة لفخامة شأن دعاء المظلوم واختصاصه بمزيد قبوله ورفعه على الغمام وفتح أبواب السَّمَاء له مجازٌ عن إثارة الآثار العلوية وجمع الأسباب السماوية على انتصاره بالانتقام من الظالم وإنزال البأس عليه.
وقوله: (يقول الله وَعِزَّتِي وجلالي لأنصُرَنَّكَ) بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة وفتح الكاف أي لأستخلصن لك الحق ممن ظلمك.
(ولو بعد حين) أي أمدٍ طويل، بل دَلَّ به سبحانه على أنه يُمهِل الظالم ولا يُهمِله وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد .

وقد جاء في بعض الآثار أنه كان بين قوله تعالى (قد أُجِيبَت دعوتكما) وغرق فرعون أربعون عاماً.
ووقوع العفو عن بعض أفراد الظَلَمَة يكون مع تعويض المظلوم، فهو نصرٌ أيضاً.
وفي الحديث تحذيرٌ شديد من الظلم وأن مراتعه وخيمة ومصائبه عظيمة.
والحين: الزمان قلَّ أو كَثُر، والمراد هنا الزمان المطلق نحو ولتعلمن نبأه بعد حين .اهـ

الحديث الثاني عشر : ا(بن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه..)[١]

* أخرجه أحمد في مسند الشاميين .
عن بسر بن جحاش القرشي (أن النبي صلى الله عليه وسلم بصق يوما في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال قال الله ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة)
* وأخرجه ابن ماجة في الوصايا – باب النهي عن الأمساك في الحياة والتبذير عند الموت .
عن بسر بن جحاش القرشي قال(بزق النبي صلى الله عليه وسلم في كفه ثم وضع أصبعه السبابة وقال يقول الله عز وجل أنى تعجزني ابن آدم وقد خلقتك من مثل هذه فإذا بلغت نفسك هذه وأشار إلى حلقه قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة)

١- أخرجه أحمد في مسند الشاميين (١٧٣٨٧) ، وابن ماجه في الوصايا (٢٧٠٧) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٤٤) .

***** الشرح والبيان :**
قَالَ الإمَامُ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري:
يقول الله " أنَّـي يُعجِزنـي ابن آدم، وقد خلقتك من قبل من مثل هذه، فإذا بلغت نفسك إلى هذه - وأشار إلى حلقه - قلت أتصدق، وأني أوان الصدقة ".
في الحديث أن تنجيز وفاء الدين والتصدق في الحياة وفي الصحة أفضل منه بعد الموت وفي المرض.
وأشار صَلَّى الله عليه وَسَلَّم إلى ذلك بقوله: " وأنت صحيح حريص تأمل الغنى . . إلخ " لأنه في حال الصحة يصعُب عليه إخراج المال غالباً لما يخوفه به الشيطان ويزين له من إمكان طول العمر والحاجة إلى المال، كما قَالَ تعالى: (الشيطان يَعِدُكُم الفَقْرَ) ، وأيضاً فإنَّ الشيطان ربما زين له الحيف في الوصية أو الرجوع عن الوصية فيتمحض تفضيل الدقة الناجزة.
قَالَ بعض السلف عن بعض أهل الترف: يعصون الله في أموالهم مرتين: يبخلون بها وهي في أيديهم يعني في الحياة، ويُسرفُون فيها إذا خرجت عن أيديهم، يعني بعد الموت.اهـ

**** الحديث الثالث عشر:(ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان)**[1]

*أخرجه البخاري في الزكاة – باب الصدقة قبل الرد.
عن محل بن خليفة الطائي قال سمعت عدي بن حاتم رضي الله عنه يقول(كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجلان أحدهما يشكو العيلة

١- أخرجه البخاري في الزكاة (١٤٣١) وأحمد في مسند الكوفيين (١٧٧٨٢) ، والترمذي في صفة القيامة (٢٤١٥) ، وابن ماجه في المقدمة (١٨٠) .

والآخر يشكو قطع السبيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما قطع السبيل فإنه لا يأتي عليك إلا قليل حتى تخرج العير إلى مكة بغير خفير وأما العيلة فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له ثم ليقولن له ألم أوتك مالا فليقولن بلى ثم ليقولن ألم أرسل إليك رسولا فليقولن بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة)

***** الشرح والبيان :**

َ- قالَ الإمَامُ البخاري في صحيحه:

(قطع السبيل) منع الطريق من عصابة يترصدون المارين، لأخذ مالهم أو قتلهم أو إرعابهم، (قليل) من الزمن، (العير) الإبل المحملة بالتجارة، (خفير) المجير الذي يكون الناس في ضمانه وذمته، (العيلة) الفقر، (يطوف) يدور، (حجاب) حاجز يحجب عنا نوره، بل تقوى أبصارنا على مشاهدته سبحانه، (ترجمان) هو من ينقل الكلام من لغة إلى أخرى، والمعنى أنه سبحانه يخاطبنا بالمباشرة، (فليتَّقينَّ) فليحفظن نفسه، (بشق) بنصف، (فبكلمة طيبة) جميلة، يَرُدُ بها السائل ويُطَيبُ قلبه.

- وقَالَ الإمَامُ ابن حجر في فتح الباري:

قَالَ ابن التين: إنما يقع ذلك بعد نزول عيسى حين تُخْرِجُ الأرض بركاتها حتى تُشْبِعَ الرمانة أهل البيت، ولا يبقى في الأرض كافر.

وفي الحديث الحث على الصدقة بما قل وما جل، وأن لا يحتقر مَا يتصدق به، وأن اليسير من الصدقة يستر المتصدق من النار.اهـ

....

بيان أن الظلم عواقبه وخيمة في الدنيا والأخرة ولهذا حذر الله تعالي ورسوله r المؤمنين من الوقوع فيه بأنواعه المختلفة وهي :

١- ظلم العبد لربه:

بالشرك به بعد أن هداه إليه وأنعم عليه بنعمه التي لا تحصي ولا تعد ولهذا وصف الله هذا الظلم بقوله تعالي : **(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)(لقمان/١٣)**

قال القرطبى في تفسير الآية(١٤ ص٥٨) مامختصره:

" في صحيح مسلم وغيره عن عبد الله قال: لم نزلت "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" الأنعام:٨٢

شق على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لا يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم.

واختلف في قوله: "إن الشرك لظلم عظيم" فقيل: إنه من كلام لقمان. وقيل: هو خبر من الله تعالى منقطعاً من كلام لقمان متصلاً به في تأكيد المعنى، ويؤيد هذا الحديث المأثور أنه لما نزلت: "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" أشفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لم يظلم، فأنزل الله تعالى: "إن الشرك لظلم عظيم" فسكن إشفاقهم، وإنما يسكن إشفاقهم بأن يكون خبراً من الله تعالى، وقد يسكن الإشفاق بأن يذكر الله ذلك عن عبد قد وصفته بالحكمة والسداد. وإذ في موضع نصب بمعنى اذكر.اه

***ظلم العبد لغيره :**

٢٥٧

وثبت عن النبي **r** في ذلك أحاديث كثيرة ويكفي حديث واحد لأثبات هذا الظلم وخطورته في الدني والأخرة الذي أخرجه البخاري في كتاب الرقاق –باب القصاص يوم القيامة -

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها فإنه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه)

قال الحافظ بن حجر في شرحه للحديث :

والمراد بالحسنات الثواب عليها وبالسيئات العقاب عليها ، وقد استشكل إعطاء الثواب وهو لا يتناهى في مقابلة العقاب وهو متناه ، وأجيب بأنه محمول على أن الذي يعطاه صاحب الحق من أصل الثواب ما يوازي العقوبة عن السيئة وأما ما زاد على ذلك بفضل الله فإنه يبقى لصاحبه ، قال البيهقي سيئات المؤمن على أصول أهل السنة متناهية الجزاء وحسناته غير متناهية الجزاء لأن من ثوابها الخلود في الجنة ، فوجه الحديث عندي والله أعلم أنه يعطى خصماء المؤمن المسيء من أجر حسناته ما يوازي عقوبة سيآته فإن فنيت حسناته أخذ من خطايا خصومه فطرحت عليه ثم يعذب إن لم يعف عنه ، فإذا انتهت عقوة تلك الخطايا أدخل الجنة بما كتب له من الخلود فيها بإيمانه ولا يعطى خصماؤه ما زاد من أجر حسناته على ما قابل عقوبة سيئاته يعني من المضاعفة ، لأن ذلك من فضل الله يختص به من وافى يوم القيامة مؤمنا والله أعلم .اهـ

٣- ظلم العبد لنفسه :

وذلك بأ{تكابه الذنوب والمعاصي التي نهي الله تعالي ورسوله عنها فيوردها موارد التهلكة لمل ينتظرها من عذاب الله تعالي في الاخرة وغضبه وسخطه عليها في الدنيا

قال تعالي : (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {١١٨/ النحل}

وفي النسة الصحية ما يدل علي ذلك فقد أخرج مسلم في البر والصلة- باب تحريم الظلم.
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(أتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار)

وقال النووي في شرح الحديث :
قوله صلى الله عليه وسلم : (إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا , إلى آخره) معناه أن هذا حقيقة المفلس ، وأما من ليس له مال ، ومن قل ماله ، فالناس يسمونه مفلسا ، وليس هو حقيقة المفلس ؛ لأن هذا أمر يزول ، وينقطع بموته ، وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته ، وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام ، والمعدوم الإعدام المقطع ، فتؤخذ حسناته لغرمائه ، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم ، فوضع عليه ، ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه .
قال المازري وزعم بعض المبتدعة أن هذا الحديث معارض لقوله تعالى : { ولا تزر وازرة وزر أخرى } صلى الله عليه وسلم وهذا الاعتراض غلط منه وجهالة بينة ؛ لأنه إنما عوقب بفعله ووزره وظلمه ، فتوجهت عليه حقوق لغرمائه ، فدفعت إليهم من حسناته ، فلما فرغت وبقيت بقية قوبلت على حسب ما

اقتضته حكمة الله تعالى في خلقه ، وعدله في عباده ، فأخذ قدرها من سيئات خصومه ، فوضع عليه ، فعوقب به في النار .
فحقيقة العقوبة إنما هي بسبب ظلمه ، ولم يعاقب بغير جناية وظلم منه ، وهذا كله مذهب أهل السنة . والله أعلم اهـ.

الباب الثامن
ما جاء في ذكر الله تعالي

الحديث الأول :(... صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي)[1]

*أخرجه بن ماجة في الأدب- باب فضل لا إله إلا الله .
عن الأغر أبي مسلم أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال يقول الله عز وجل صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال العبد لا إله إلا الله وحده قال صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي وإذا قال لا إله إلا الله لا شريك له قال صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال صدق عبدي لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي)
* وأخرجه الترمذي في الدعوات- باب ما يقول العبد إذا مرض.
عن أبي إسحق عن الأغر أبي مسلم قال أشهد على أبي سعيد وأبي هريرة أنهما شهدا على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من قال لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه فقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر وإذا قال لا إله إلا الله وحده قال يقول الله لا إله إلا أنا وحدي وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال الله لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله قال لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي وكان يقول من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار) وأخرج نحوه ا النسائي وابن حبان والحاكم

*****الشرح والبيان:**

١- أخرجه ابن ماجه في الآداب (٣٧٩٤) ، و الترمذي في الدعوات (٣٤٣٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٣) .

* قال المباركفوري في تحفة الاحوزي مختصرا :
. قوله : (صدقه ربه وقال) أي وقال الرب بيانا لتصديقه أي قرره بأن قال (لا إله إلا أنا وأنا أكبر) وهذا أبلغ من أن يقول صدقت (وإذا قال) أي العبد (قال يقول الله) أي قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تصديقا لعبده وحذف صدقه ربه هنا للعلم به مما قبله وعبر هنا بقول وممة وفيما يأتي يقال تقننا { وكان يقول } أي النبي صلى الله عليه وسلم (من قالها) أي هذه الكلمات من دون الجوابات (ثم مات) أي من ذلك المرض (لم تطعمه النار)
قال الطيبي : أي لم تأكله ، استعار الطعم للإحراق مبالغة . اه

الحديث الثاني : (أنا عند ظن عبدي وأنا معه حين يذكرني...)[1]

*أخرجه مسلم في الذكر والدعاء- باب الحث علي ذكر الله تعالي .
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منه وإن اقترب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن اقترب إلي ذراعا اقتربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة) وأخرجه البخاري والترمذي وأحمد نحو مارواه مسلم
* وفي رواية أخري لمسلم:
عن أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله قال إذا تلقاني عبدي بشبر تلقيته بذراع وإذا تلقاني بذراع تلقيته بباع وإذا تلقاني بباع أتيته بأسرع)

١- أخرجه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٥) ، و البخاري في التوحيد (٧٤٠٥) ، والترمذي في الدعوات عن رسول الله (٣٦٠٣) ، وابن ماجه في المقدمة (٣٨٢٢) ، وأحمد في مسند المكثرين (٧٣٧٤) .

*****الشرح والبيان :**

*قال النووي في شرح مسلم :

قوله عز وجل : { أنا عند ظن عبدي بي } قال القاضي : قيل : معناه بالغفران له إذا استغفر ، والقبول إذا تاب ، والإجابة إذا دعا ، والكفاية إذا طلب الكفاية . وقيل : المراد به الرجاء وتأميل العفو ، وهذا أصح .

قوله تعالى : { وأنا معه حين يذكرني } أي معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية .

وأما قوله تعالى : { وهو معكم أينما كنتم } فمعناه بالعلم والإحاطة . قوله تعالى : { إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي } قال المازري : النفس تطلق في اللغة على معان : منها الدم ، ومنها نفس الحيوان ، وهما مستحيلان في حق الله تعالى ، ومنها الذات ، والله تعالى له ذات حقيقة ، وهو المراد بقوله تعالى : { في نفسي } ومنها الغيب ، وهو أحد الأقوال في قوله تعالى : { تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك } أي ما في غيبي ، فيجوز أن يكون أيضا مراد الحديث ، أي إذا ذكرني خاليا أثابه الله ، وجازاه عما عمل بما لا يطلع عليه أحد .

قوله تعالى : { وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإهم خير منهم } هذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، واحتجوا أيضا بقوله تعالى : { ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا } فالتقييد بالكثير احتراز من الملائكة ، ومذهب أصحابنا وغيرهم أن الأنبياء أفضل من الملائكة لقوله تعالى في بني إسرائيل : { وفضلناهم على العالمين } والملائكة من العالمين .

ويتأول هذا الحديث على أن الذاكرين غالبا يكونون طائفة لا نبي فيهم ، فإذا ذكره الله في خلائق من الملائكة ، كانوا خيرا من تلك الطائفة . قوله تعالى : {

وإن تقرب مني شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة } هذا الحديث من أحاديث الصفات ، ويستحيل إرادة ظاهره ، وقد سبق الكلام في أحاديث الصفات مرات ، ومعناه من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة ، وإن زاد زدت ، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة ، أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود ، والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه .اه

** الحديث الثالث: (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر..)[١]

*أخرجه البخاري في الدعوات – باب فضل ذكر الله تعالي .

عن أبي هريرة قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم ما يقول عبادي قالوا يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال فيقول هل رأوني قال فيقولون لا والله ما رأوك قال فيقول وكيف لو رأوني قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وتحميدا وأكثر لك تسبيحا قال يقول فما يسألوني قال يسألونك الجنة قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها قال يقول فكيف لو أنهم رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون قال يقولون من النار قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يا رب ما رأوها قال

١- أخرجه البخاري في الدعوات (٦٤٠٨) ، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٩) ، والترمذي في الدعوات عن رسول الله (٣٦٠٠٠) ، واحمد في مسند المكثرين (٧٣٧٦) .

٢٦٤

يقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم

*وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء- باب فضل مجالس الذكر .
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا يتتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء قال فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وماذا يسألوني قالوا يسألونك جنتك قال وهل رأوا جنتي قالوا لا أي رب قال فكيف لو رأوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال ومم يستجيرونني قالوا من نارك يا رب قال وهل رأوا ناري قالوا لا قال فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال فيقولون رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم قال فيقول وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) .. وأخرج نحوه الترمذي في الدعوات

*****الشرح والبيان :**
* قال ابن حجر في شرح حديث البخاري ما مختصره :
قوله (إن لله ملائكة يطوفون) قَالَ العلماء ومعناه على جميع الروايات أنهم زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق لا وظيفة لهم إلا حَلَقَ الذكر.

٢٦٥

ثم قال :
المراد بمجالس الذكر أنها التي تشتمل على ذكر الله بأنواع الذكر الواردة من تسبيح وتكبير وغيرهما وعلى تلاوة كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى الدعاء بخيري الدنيا والآخرة.
وفي دخول قراءة الحديث النبوي ومدارسة العلم الشرعي ومذاكرته والاجتماع على صلاة النافلة في هذه المجالس نظر، والأشبه اختصاص ذلك بمجالس التسبيح والتكبير ونحوهما والتلاوة حسب، وإن كانت قراءة الحديث ومدارسة العلم والمناظرة فيه من جملة مَا يدخل تحت مسمى ذكر الله تعالى
ثم قال :
قوله (لا يشقى جليسهم) في هذه العبارة مبالغة في نفي الشقاء عن جليس الذاكرين، فلو قيل لسعد بهم جليسهم لكان ذلك في غاية الفضل، لكن التصريح بنفي الشقاء أبلغ في حصول المقصود.
وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين؛ وفضل الاجتماع على ذلك، وأن جليسهم يندرج معهم في جميع مَا يتفضل الله تعالى به عليهم إكراما لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر.
- وقال النووي في شرح مسلم :
قوله صلى الله عليه وسلم : (إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا يبتغون مجالس الذكر) أما السيارة فمعناه : سياحون في الأرض ، وأما (فضلا) قال العلماء : معناه على جميع الروايات : أنهم ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق ، فهؤلاء السيارة لا وظيفة لهم ، إنما مقصودهم حلق الذكر ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (يبتغون) فضبطوه على وجهين :
أحدهما : بالعين المهملة من التتبع وهو البحث عن الشيء والتفتيش .

والثـاني : (يبتغـون) بـالغين المعجمـة مـن الابتغـاء ، وهـو الطلـب وكلاهمـا صحيح .
قوله صلى الله عليه وسلم : (فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم ، وحف بعضهم بعضا) هكذا هو في كثير من نسخ بلادنا (حف) بالفاء ، وفي بعضها (حض) بالضاد المعجمة أي : حث على الحضور والاستماع ، وحكى القاضي عن بعض رواتهم (وحط) بالطاء المهملة واختاره القاضي ، قال : ومعناه أشار بعضهم إلى بعض بالنزول ، ويؤيد هذه الرواية قوله بعده في البخاري (هلموا إلى حاجتكم) ويؤيد الرواية الأولى وهي (حف) قوله في البخاري : (يحفونهم بأجنحتهم ، ويحدقون بهم ويستديرون حولهم ، ويحوف بعضهم بعضا) .
قوله : (ويستجيرونك من نارك) أي : يطلبون الأمان منها . قوله : (عبد خطاء) أي : كثير الخطايا . وفي هذا الحديث : فضيلة الذكر ، وفضيلة مجالسه ، والجلوس مع أهله ، وإن لم يشاركهم ، وفضل مجالس الصالحين وبركتهم . والله أعلم . قال القاضي عياض - رحمه الله - :
وذكر الله تعالى ضربان : ذكر بالقلب ، وذكر باللسان ، وذكر القلب نوعان . أحدهما : وهو أرفع الأذكار وأجلها الفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سماواته وأرضه ، ومنه الحديث : " خير الذكر الخفي " والمراد به هذا . والثاني : ذكره بالقلب عند الأمر والنهي ، فيمتثل ما أمر به ويترك ما نهي عنه ، ويقف عما أشكل عليه .
وأما ذكر اللسان مجردا فهو أضعف الأذكار ، ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث ، قال : وذكر ابن جرير الطبري وغيره اختلاف السلف في ذكر القلب واللسان أيهما أفضل ؟ قال القاضي : والخلاف عندي إنما يتصور في مجرد ذكر القلب تسبيحا وتهليلا وشبههما ، وعليه يدل كلامهم لا أنهم مختلفون في الذكر الخفي الذي ذكرناه ، وإلا فذلك يقاربه ذكر اللسان ، فكيف يفاضله ،

وإنما الخلاف ذكر القلب بالتسبيح المجرد ونحوه ، والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب ، فإن كان لاهيا فلا ، واحتج من رجح ذكر القلب بأن عمل السر أفضل ، ومن رجح اللسان قال : لأن العمل فيه أكثر ، فإن زاد باستعمال اللسان اقتضى زيادة أجر ، قال القاضي : واختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب ؟ فقيل : تكتبه ويجعل الله تعالى لهم علامة يعرفونه بها ، وقيل : لا يكتبونه ؛ لأنه لا يطلع عليه غير الله ، قلت : الصحيح أنهم يكتبونه ، وأن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل من القلب وحده . والله أعلم ا **á**

****الحديث الرابع: (أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه)**[1]

* أخرجه أحمد في المكثرين من الصحابة.
عن كريمة ابنة الحسحاس المزنية قالت سمعت أبا هريرة يقول في بيت أم الدرداء قال(رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه) وأخرج الحاكم وابن ماجه نحوه
*** الشرح والبيان :
- قَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:
إن الله تعالى يقول: (أنا مع عبدي) بالرحمة والتوفيق والهداية (مَا ذكرني) أي مدة ذكره لي في نفسه، فما مصدرية ظرفية (و) مَا (تحركت بي) أي بذكري (شفتاه) فهو مع من يذكره بقلبه ومع من يذكره بلسانه لكن معيته مع الذكر القلبي أتم، وخصَّ السانهامه دخول الأعلى بالأولى لكن محبته وذكره لما استولى على قلبه وروحه صار معه وجليسه.

١- أخرجه أحمد في المكثرين (١٠٥٩٢) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٠٦) .

٢٦٨

ولزوم الذكر عند أهل الطريق من الأركان الموصلة إلى الله تعالى، وهو ثلاثة أقسام:
ذكر العوام باللسان، وذكر الخواص بالقلب، وذكر خواص الخواص بفنائهم عند مشاهدة مذكورهم، حتى يكون الحق مشهوداً لهم في كل حال. اهـ

.الحديث الخامس:(ألا أدُلُّك على كَلِمَةٍ مِن تَحْتِ العَرْشِ، مِن كَنْزِ الجَنَّة ؟)**[١]

- أخرجه الحاكم في المستدرك)
عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ألا أعلمك - أو قال : ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة تقول : لا حول و لا قوة إلا بالله ، فيقول الله عز و جل أسلم عبدي واستسلم .)وأخرج أحمد والنسائي نحوه .
**** الشرح والبيان :**
قَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:

١-أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٤) أخرجه وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة- (٧٩٠٦) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦١٤) .

(ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجَنَّة) الكنز نوعان: المتعارَف وهو المال الكثير المحفوظ، وغيره وهو هذه الكلمة الجامعة (تقول لا حول ولا قوة إلا بالله) أي أجرها مُدَخَرٌ لقائلها كالكنز وثوابها مُعَدٌ له.
(فيقول الله أسلم عبدي واستسلم) أي فوَّض أمر الكائنات إلى الله وانقاد بنفسه لله مخلصاً، فإنَّ لا حول دَلَّ على نفي التدبير للكائنات وإثباته لله، والعرش منصة التدبير ثم استوى على العرش يدبر الأمر فقول الله جزاءَ شرطٍ محذوف أي إذا قَالَ العبد هذه الكلمة يقول الله ذلك.اهـ

الحديث السادس :(قال الرب وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني)[1]

- أخرجه أحمد في مسند المكثري من الصحابة .
عن أبي سعيد الخدري (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قال وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم قال الرب وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني)

***** الشرح والبيان :**
قَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:
(قَالَ وعزتك) أي وقوتك وشدتك (يا رب لا أبرح أغوي) أي لا أزال أضل (عبادك) الآدميين المكلفين يعني لأجتهدن في إغوائهم بأي طريق ممكن (مَا دامت أرواحهم في أجسادهم) أي مدة دوامها فيهم (فقَالَ الرب وَعِزَّتِي

٢- أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٢٧٦٢٧) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٥٠) .

وجلالي لا أزال أغفر لهم مَا استغفروني) أي طلبوا مني الغفران أي الستر لذنبهم مع الندم على مَا كان منهم والإقلاع والخروج من المظالم والعزم على عدم العود إلى الاسترسال مع اللعن، وظاهر الخبر أن غير المخلصين ناجون من الشيطان وليس في آية لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين مَا يدل على اخصاص النجاة بهم كما وُهِم، لأن قيد قوله تعالى:

ممن اتبعك أخرج العاصين المستغفرين إذ معناه ممن اتبعك واستمر على المتابعة ولم يرجع إلى الله ولم يستغفر، ثم في إشعار الخبر توهينٌ لكيد الشيطان ووعدٌ كريم من الرَّحْمَن بالغفران.

الفوائد الجليلة المستخلصة من أحاديث الباب

***الفائدة الأولي :أن الذاكر لله تعالي قريباً من ربه وفي جناب رحمته وكرمه تستغفر له ملائكته وينبغي أن يلتزم بأداب الذكروشروطه ليكون مقبولاً عند الله تعالي .**

- قال النووي في كتابه " الأذكار(١/ ص ١٠) "- فصل آداب الذكر- مانصه:

الذكر يكون بالقلب ، و يكون باللسان ، و الأفضل منه ما كان بالقلب و اللسان جميعاً ، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل ، ثم لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء ، بل يذكر بهما جميعاً و يقصد به وجه الله تعالى ، و قد قدمنا عن الفضيل بن عياض رحمه الله أن ترك العمل لأجل الناس رياء ، و لو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس ، و الاحتراز من

تطرق ظنونهم الباطلة لانسد عليه أكثر أبواب الخير ، و ضيع على نفسه شيئاً عظيماً كثيراً من مهمات الدين ، و ليس هذا طريقة العارفين .
و روينا في صحيحي البخاري و مسلم رضي الله عنهما ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : نزلت هذه الآية : " و لا تجهر بصلاتك و لا تخافت بها " في الدعاء .
ثم قال – رحمه الله تعالي :
اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح و التهليل و التحميد و التكبير و نحوها ، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى ، كذا قاله سعيد بن جبير رضي الله عنه و غيره من العلماء .
و قال عطاء رحمه الله : مجالس الذكر هي مجالس الحلال و الحرام ، كيف تشتري و تبيع و تصلي و تصوم و تنكح و تطلق و تحج و أشباه هذا .
ثم قال : قال الله تعالى : " إن المسلمين و المسلمات " إلى قوله تعالى : " و الذاكرين الله كثيراً و الذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة و أجراً عظيماً " .
و روينا في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال " سبق المفردون " قالوا : و ما المفردون يا رسول الله ؟ قال : " الذاكرون الله كثيراً و الذاكرات " .
قلت : روي المفردون بتشديد الراء و تخفيفها ، و المشهور الذي قاله الجمهور التشديد .
و اعلم أن هذه الآية الكريمة مما ينبغي أن يهتم بمعرفتها صاحب هذا الكتاب . و قد اختلف في ذلك ، فقال الإمام أبو الحسن الواحدي : قال ابن عباس رضي الله عنهما : المراد يذكرون الله في أدبار الصلوات ، و غدروا و عشياً ، و في المضاجع ، و كلما استيقظ من نومه ، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى

. و قال مجاهد : لا يكون من الذاكرين الله تعالى كثيراً و الذاكرات ، حتى يذكر الله تعالى قائماً و قاعداً و مضطجعاً .
و قال عطاء : من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله الله تعالى : " و الذاكرين الله كثيراً و الذاكرات " هذا نقل الواحدي .
ثم قال : و قد جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ، أو صلى ركعتين جميعاً كتبا في الذاكرين الله كثيراً و الذاكرات " . هذا حديث مشهور رواه أبو داود و النسائي و ابن ماجه في سننهم .
و سئل الشيخ الإمام أبو عمر بن الصلاح رحمه الله عن القدر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيراً و الذاكرات ، فقال : إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحاً و مساء و في الأوقات و الأحوال المختلفة ليلاً و نهاراً ، و هي مبينة في كتاب عمل اليوم و الليلة ، كان من الذاكرين الله كثيراً و الذاكرات ، و الله أعلم .
ثم قال : أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب و اللسان للمحدث و الجنب و الحائض و النفساء ، و ذلك في التسبيح و التهليل و التحميد و التكبير و الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم و الدعاء و غير ذلك . و لكن قراءة القرآن حرام على الجنب و الحائض و النفساء ، سواء قرأ من القرآن قليلاً أو كثيراً حتى بعض آية ، و يجوز لهم إجراء القرآن على القلب من غير لفظ ، أو كذلك النظر في المصحف ، و إمراره على القلب .
قال أصحابنا : و يجوز للجنب و الحائض أن يقولا عند المصيبة : " إنا لله و إنا إليه راجعون " و عند ركوب الدابة : " سبحان الذي سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين " و عند الدعاء : " ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة و قنا عذاب النار " إذا لم يقصدا به القرآن ، و لهما أن يقولا : " بسم الله " ، " سبحان

الله " و " الحمد لله " ، إذا لم يقصد القرآن ، سواء قصدا الذكر أو لم يكن لهما قصد ، و لا يأثمان إلا إذا قصد القرآن .
ثم قال –رحمه الله تعالي :
و يجوز لهما قراءة ما نسخت تلاوته : كـ " الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما " .
و أما إذا قالا لإنسان : " خذ الكتاب بقوة " أو قالا : " ادخلوها بسلام آمنين " و نحو ذلك ، فإن قصدا غير القرآن لم يحرم .
و إذا لم يجدا الماء تيمما و جاز لهما القراءة ، فإن أحدث بعد ذلك لم تحرم عليه القراءة كما لو اغتسل ثم أحدث . ثم لا فرق بين أن يكون تيممه لعدم الماء في الحضر أو في السفر ، فله أن يقرأ القرآن بعده و إن أحدث .
و قال بعض أصحابنا : إن كان في الحضر صلى به و قرأ به في الصلاة ، و لا يجوز أن يقرأ خارج الصلاة ، و الصحيح جوازه كما قدمناه ، لأن تيممه قام مقام الغسل . و لو تيمم الجنب ثم رأى ماء يلزمه استعماله ، فإنه يحرم عليه القرأة و جميع ما يحرم على الجنب حتى يغسل .
و لو تيمم و صلى و قرأ ثم أراد التيمم لحدث أو لفريضة أخرى أو لغير ذلك لم تحرم عليه القراءة . و هذا هو المذهب الصحيح المختار ، و فيه وجه لبعض أصحابنا أنه يحرم ، و هو ضعيف .
أما إذا لم يجد الجنب ماء و لا تراباً فإنه يصلي لحرمة الوقت على حساب حاله ، و تحرم عليه القراءة خارج الصلاة ، و يحرم عليه أن يقرأ في الصلاة ما زاد على الفاتحة .
و هل تحرم عليه الفاتحة ؟ فيه وجهان : أصحها لا تحرم بل تجب ، فإن الصلاة لا تصح إلا بها ، و كما جازت الصلاة للضرورة تجوز القراءة .

٢٧٤

و الثاني تحرم بل يأتي بالأذكار التي يأتي بها من لا يحسن شيئاً من القرآن . و هذه فروع رأيت إثباتها هنا لتعلقها بما ذكرته ، فذكرتها مختصرة ، و إلا فلها تتمات و أدلة مستوفاة في كتب الفقه ، و الله أعلم .
فصل : ينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات ، فإن كان جالساً في موضع استقبل القبلة و جلس متخشعاً متذللاً بسكينة و وقار مطرقاً رأسه ، و لو ذكر على غير هذه الأحوال جاز و لا كراهة في حقه ، لكن إن كان بغير عذر كان تاركاً للأفضل . و الدليل على عدم الكراهة قول الله تعالى : " إن في خلق السماوات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون في خلق السماوات و الأرض " .
ثم قال :
و ثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : " كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يتكىء في حجري و أنا حائض فيقرأ القرآن " رواه البخاري و مسلم . و في رواية : " ورأسه في حجري و أنا حائض " .
ـ و جاء عن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت : " إني لأقرأ حزبي و أنا مضطجعة على السرير " .
ثم قال : و ينبغي أن يكون الموضع الذي يذكر فيه خالياً نظيفاً ، فإنه أعظم في احترام الذكر و المذكور ، و لهذا مدح الذكر في المساجد و المواضع الشريفة .
و جاء عن الإمام الجليل أبي ميسرة رضي الله عنه قال : لا يذكر الله تعالى إلا في مكان طيب . و ينبغي أيضاً أن يكون فمه نظيفاً ، فإن كان فيه تغير أزاله بالسواك ، و إن كان فيه نجاسة أزالها بالغسل بالماء ، فإن ذكر و لم يغسلها فهو مكروه و لا يحرم ، و لو قرأ القرآن و فمه نجس كره ، و في تحريمه وجهان لأصحابنا : أصحهما أنه لا يحرم .

٢٧٥

ثم قال :
اعلم أن الذكر محبوب في جميع الأحوال إلا في أحوال ورد الشرع باستثنائها نذكر منها هنا طرفاً إشارة إلى ما سواه مما سيأتي في أبوابه إن شاء الله تعالى :
فمن ذلك أنه يكره الذكر حالة الجلوس على قضاء الحاجة ، و في حالة الجماع ، و في حالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب ، و في القيام في الصلاة ، بل يشتغل بالقراءة ، و في حالة النعاس . و لا يكره في الطريق و لا في الحمام و الله أعلم .
ثم قال : المراد من الذكر حضور القلوب ، فينبغي أن يكون هو مقصود الذاكر فيحرص على تحصيله ، و يتدبر ما يذكر ، و يتعقل معناه : فالتدبر في الذكر مطلوب كما هو مطلوب في القراءة لاشتراكهما في المعنى المقصود ، و لهذا كان المذهب الصحيح المختار استحباب مد الذاكر قوله : لا إله إلا الله ، لما فيه من التدبر ، و أقوال السلف و أئمة الخلف في هذا مشهورة ، و الله أعلم .اهـ

***الفائدة الثانية : بيان أن ذكر لله تعالي له فوائد عظيمة في صلاح النفس والقلب في الدنيا والثواب العظيم في الاخرة.**
ولقد بين الله تعالي في كتابه العزيز فضل الذكر في كثير من الايات منها :
وقال تعالى " إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح "(فاطر ١٠)
وقال تعالى " فاذكروني أذكركم واشكروا لي " (البقرة ١٥٢)
وقال تعالى " اذكروا الله ذكرا كثيرا " (الأحزاب ٤١)
وقال تعالى " والذاكرين الله كثيرا والذاكرات " (الأحزاب ٣٥)
وقال تعالى " الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم " (آل عمران ١٩٠)
وقال تعالى " إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا "(لأنفال ٤٤) وقال تعالى "فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا " (البقرة ٢٠٠)

وقال تعالى " لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله "
وقال تعالى " رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة " (المنافقون ٩)
وقال تعالى " واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين " (الأعراف ٢٠٥)

- وقال ابن القيم – رحمه الله تعالي – في الوابل الطيب من الكلم الطيب(١/ ص٥٦عن فوائد الذكر مامختصره :

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما ، وجلاؤه بالذكر ، فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء . فإذا ترك صدئ ، فإذا جلاه . وصدأ القلب بأمرين بالغفلة والذنب ، وجلاؤه بشيئين بالاستغفار والذكر .
فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه ، وصدأه بحسب غفلته ، وإذا صدئ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل ، لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه . فإذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه ، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً . وهذا أعظم عقوبات القلب .
وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره ، قال تعالى : " ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً " .
فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر : هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين ؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي .
فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطاً . ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع ، أي أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه ، وفسر بالاسراف أي قد أفرط ، وفسر بالإهلاك ،

وفسر بالخلاف للحق . وكلها أقوال متقاربة ، والمقصود أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات ، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه فإن وجده كذلك فليبعد منه .

وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى عز وجل واتباع السنة وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليستمسك بغرزه ، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر ، فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت . وفي المسند مرفوعاً "أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال مجنون".

ثم ذكر رحمه الله تعالي- عشرات من فوائد ذكر الله تعالي والتي فيها صلاح القلوب والنفوس نذكر بعضها هنا والله المستعان :

١-أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره

٢-أنه يرضي الرحمن عز وجل

٣-أنه يزيل الهم والغم عن القلب

٤-أنه يجلب الرزق

٥-أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة

٦- أنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة . وقد جعل الله لكل شيء سبباً وجعل سبب المحبة دوام الذكر . فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فإنه الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم ، فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم .

٧-أنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الاحسان ، فيعبد الله كأنه يراه ، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان ، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت .

٢٧٨

٨-أنه يورثه الإنابة ، وهي الرجوع إلى الله عز وجل ، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه في كل أحواله ، فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه ، وملاذه ومعاذه ، وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا .
٩-أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله ، لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى ، بخلاف الغافل فإن حجاب الهيبة رقيق في قلبه .
١٠-أنه يورثه ذكر الله تعالى له كم قال تعالى : " فاذكروني أذكركم " ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفاً ، وقال صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى "من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم".
١١-أنه يحط الخطايا ويذهبها . فإنه من أعظم الحسنات ، والحسنات يذهبن السيئات .
١٢- أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل . فإن العبد لا بد له من أن يتكلم . فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها ، ولا سبيل الى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى .
والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك ، فمن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو ، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .
١٣-أنه غراس الجنة ، فقد روى الترمذي في جامعه من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لقيت ليلة أسرى بي إبراهيم الخليل عليه السلام فقال : يا محمد أقرئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " قال الترمذي حديث حسن غريب من حديث أبن مسعود .

وفي الترمذي من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة " قال الترمذي حديث حسن صحيح .

١٤- أن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال . ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه . ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر ". وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ".

وفي الترمذي من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من قال حين يصبح أو يمسي : اللهم إني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك ، أنك أنت الله لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك ، أعتق الله ربعه من النار . ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار . ومن قالها أربعاً أعتقه الله تعالى من النار ". وفيه عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من قال حين يمسي وإذا أصبح : رضيت بالله رباً ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ، كان حقاً على الله أن يرضيه " وفي الترمذي "من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحي ويميت ، وهو حي لا يموت ،

بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة " .
١٥- أن الذكر قريب من مذكوره ، ومذكوره معه . وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة، فهي معية بالقرب والولاية والمحبة النصرة والتوفيق ، كقوله تعالى : " إن الله مع الذين اتقوا " . " والله مع الصابرين " . " وإن الله لمع المحسنين " .   " لا تحزن إن الله معنا " وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر كما في الحديث الإلهي أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وفي أثر آخر وأهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل شكري أهل زيارتي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي : إن تابوا فأنا حبيبهم ، فأني أحب التوابين وأحب المتطهرين . وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من المعايب .
والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شئ ، وهي أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي ، وهي معية لا تدركها العبارة ولا تنالها الصفة وإنما تعلم بالذوق ، وهي مزلة أقدام إن لم يصحب العبد فيها تمييز بين القديم والمحدث ، بين الرب والعبد ، بين الخالق والمخلوق ، بين العابد والمعبود ، وإلا وقع في حلول يضاهي به النصارى ، أو اتحاد يضاهي به القائلين بوحدة الوجود وأن وجود الرب عين وجود هذه الوجودات ، بل ليس عندهم رب وعبد ، ولا خلق و*/حق ، بل الرب هو العبد والعبد هو الرب والخلق المشبه هو الحق المنزه ، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً . والمقصود أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة وإلا فإذا استولى عليه سلطان الذكر وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه ولج باب الحلول والاتحاد ولا بد .اهـ

الباب التاسع
ماجاء في الصلاة والصيام

الحديث الاول : (...لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك)[١]

*أخرجه البخاري في الصوم – باب فضل الصوم.

(عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها).

*وأخرجه مسلم في الصيام- باب حفظ لسان الصائم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه رواية قال(إذا أصبح أحدكم يوما صائما فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم.)

*وأخرجه الترمذي في الصوم-باب ماجاء في فضل الصوم .

١-أخرجه البخاري في الصوم (١٨٩٤) ، ومسلم في الصيام (١١٥١) ، والترمذي في الصوم (٧٦٤) ، والنسائي في الصيام (٢٢١٥) ، وابن ماجه في الصيام (١٦٣٨٠) ، وأحمد ي مسند المكثرين (٧١٥٤) .

عن أبي هريرة قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربكم يقول كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف والصوم لي وأنا أجزي به الصوم جنة من النار ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وإن جهل على أحدكم جاهل وهو صائم فليقل إني صائم)
* وأخرجه النسائي في الصيام- باب ذكر الأختلاف .
عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(قال ما من حسنة عملها ابن آدم إلا كتب له عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف قال الله عز وجل إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي الصيام جنة للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.)
الشرح والبيان:
*قال النووي في شرح الحديث:
قوله : (الصيام جنة) والجنة بضم الجيم الوقاية والستر . وقال القرطبي : جنة أي سترة ، يعني بحسب مشروعيته ، فينبغي للصائم أن يصونه مما يفسده وينقص ثوابه ، وإليه الإشارة بقوله " فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث إلخ " ، ويصح أن يراد أنه ستره بحسب فائدته وهو إضعاف شهوات النفس ، وإليه الإشارة بقوله " يدع شهوته إلخ " ، ويصح أن يراد أنه سترة بحسب ما يحصل من الثواب وتضعيف الحسنات . وقال عياض في " الإكمال " : معناه سترة من الآثام أو من النار أو من جميع ذلك ، وبالأخير جزم النووي . وقال ابن العربي : إنما كان الصوم جنة من النار لأنه إمساك عن الشهوات ، والنار محفوفة بالشهوات .
فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترا له من النار في الآخرة .

قوله : (فلا يرفث) أي الصائم ، كذا وقع مختصرا ، وفي الموطأ " الصيام جنة ، فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث إلخ " ويرفث بالضم والكسر ويجوز في ماضيه التثليث ، والمراد بالرفض هنا وهو بفتح الراء والفاء ثم المثلثة الكلام الفاحش ، وهو يطلق على هذا وعلى الجماع وعلى مقدماته وعلى ذكره مع النساء أو مطلقا ، ويحتمل أن يكون لما هو أعم منها .ثم قال :

قوله : (ولا يجهل) أي لا يفعل شيئا من أفعال أهل الجهل كالصياح والسفه ونحو ذلك . ولسعيد ابن منصور من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه " فلا يرفث ولا يجادل " قال القرطبي : لا يفهم من هذا أن غير الصوم يباح فيه ما ذكر ، وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم .

قوله : (وإن امرؤ) بتخفيف النون (قاتله أو شاتمه) وقد استشكل ظاهره بأن المفاعلة تقتضي وقوع الفعل من الجانبين والصائم لا تصدر منه الأفعال التي رتب عليها الجواب خصوصا المقاتلة ، والجواب عن ذلك أن المراد بالمفاعلة التهيؤ لها ، أي إن تهيأ أحد لمقاتلته أو مشاتمته فليقل إني صائم ، فإنه إذا قال ذلك أمكن أن يكف عنه ، فإن أصر دفعه بالأخف فالأخف كالصائل ، هذا فيمن يروم
مقاتلته حقيقة ، فإن كان المراد بقوله " قاتله " شاتمه لأن القتل يطلق على اللعن واللعن من جملة السب - ويؤيده ما ذكرت من الألفاظ المختلفة فإن حاصلها يرجع إلى الشتم - فالمراد من الحديث أنه لا يعامله بمثل عمله بل يقتصر على قوله " إني صائم "

ثم قال : قوله : (والذي نفسي بيده) أقسم على ذلك تأكيدا . قوله : (لخلوف) واتفقوا على أن المراد به تغير رائحة فم الصائم بسبب الصيام .

قوله : (فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك) اختلف في كون الخلوف أطيب عند الله من ريح المسك - مع أنه سبحانه وتعالى منزه عن استطابة

الروائح ، إذ ذاك من صفات الحيوان ، ومع أنه يعلم الشيء على ما هو عليه - على أوجه . قال المازري : هو مجاز لأنه جرت العادة بتقريب الروائح الطيبة منا فاستعير ذلك للصوم لتقريبه من الله ، فالمعنى أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم أي يقرب إليه أكثر من تقريب المسك إليكم ، وإلى ذلك أشار ابن عبد البر ، وقيل المراد أن ذلك في حق الملائكة وأنهم يستطيبون ريح الخلوف أكثر مما يستطيبون ريح المسك ، وقيل المعنى أن حكم الخلوف والمسك عند الله على ضد ما هو عندكم ، وهو قريب من الأول .

وقيل المراد أن الله تعالى يجزيه في الآخرة فتكون نكهته أطيب من ريح المسك كما يأتي المكلوم وريح جرحه تفوح مسكا . وقيل المراد أن صاحبه ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك لا سيما بالإضافة إلى الخلوف حكاهما عياض . وقال الداودي وجماعة : المعنى أن الخلوف أكثر ثوابا من المسك المندوب إليه في الجمع ومجالس الذكر ، ورجح النووي هذا الأخير ، وحاصله حمل معنى الطيب على القبول والرضا ، فحصلنا على ستة أوجه .

قوله : (يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي)، والمراد بالشهوة في الحديث شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب ، ويحتمل أن يكون من العام بعد الخاص . ووقع في رواية الموطأ بتقديم الشهوة عليها فيكون من الخاص بعد العام

قوله : (الصيام لي وأنا أجزي به) كذا وقع بغير أداة عطف ولا غيرها ، وفي الموطأ " فالصيام " بزيادة الفاء وهي للسببية أي سبب كونه لي أنه يترك شهوته لأجلي .

ثم قال :

وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالى " الصيام لي وأنا أجزي به " مع أن الأعمال كلها له وهو الذي يجزي بها على أقوال : أحدها أن الصوم لا يقع فيه

٢٨٥

الرياء كما يقع في غيره فنرى والله أعلم أنه إنما خص الصيام لأنه ليس يظهر من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب
وقال القرطبى : لما كانت الأعمال يدخلها الرياء والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه الله إلى نفسه ، ولهذا قال في الحديث " يدع شهوته من أجلي " وقال ابن الجوزي : جميع العبادات تظهر بفعلها وقل أن يسلم ما يظهر من شوب ، بخلاف الصوم . وارتضى هذا الجواب المازري وقرره القرطبي بأن أعمال بني آدم لما كانت يمكن دخول الرياء فيها أضيفت إليهم ، بخلاف الصوم فإن حال الممسك شبعا مثل حال الممسك تقربا يعني في الصورة الظاهرة . قلت : معنى النفي في قوله " لا رياء في الصوم " أنه لا يدخله الرياء بفعله ، وإن كان قد يدخله الرياء بالقول كمن يصوم ثم يخبر بأنه صائم فقد يدخله الرياء من هذه الحيثية ، فدخول الرياء في الصوم إنما يقع من جهة الإخبار ، بخلاف بقية الأعمال فإن الرياء قد يدخلها بمجرد فعلها .
ثانيها أن المراد بقوله " وأنا أجزي به " أني أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته . وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس . قال القرطبي : معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله ، إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير . ويشهد لهذا السياق الرواية الأخرى يعني رواية الموطأ ، وكذلك رواية الأعمش عن أبي صالح حيث قال " كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله - قال الله - إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به " أي أجازي عليه جزاء كثيرا من غير تعيين لمقداره ، وهذا كقوله تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) انتهى .
والصابرون الصائمون في أكثر الأقوال .

ثالثها معنى قوله " الصوم لي " أي أنه أحب العبادات إلي والمقدم عندي ، وقد تقدم قول ابن عبد البر : كفى بقوله " الصوم لي " فضلا للصيام على سائر العبادات . لكن يعكر على هذا الحديث الصحيح " واعلموا أن خبر أعمالكم الصلاة " .

رابعها : الإضافة إضافة تشريف وتعظيم كما يقال بيت الله وإن كانت البيوت كلها لله . قال الزين بن المنير : التخصيص في موضع التعميم في مثل هذا السياق لا يفهم منه إلا التعظيم والتشريف .

خامسها : أن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب جل جلاله ، فلما تقرب الصائم إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه . وقال القرطبي : معناه أن أعمال العباد مناسبة لأحوالهم إلا الصيام فإنه مناسب لصفة من صفات الحق ، كأنه يقول إن الصائم يتقرب إلي بأمر هو متعلق بصفة من صفاتي .

سادسها : أن المعنى كذلك ، لكن بالنسبة إلى الملائكة لأن ذلك من صفاتهم .

سابعها : أنه خالص لله وليس للعبد فيه حظ ، قاله الخطابي ، هكذا نقله عياض وغيره ، فإن أراد بالحظ ما يحصل من الثناء عليه لأجل العبادة رجع إلى المعنى الأول ، وقد أفصح بذلك ابن الجوزي فقال : المعنى ليس لنفس الصائم فيه حظ بخلاف غيره فإن له فيه حظا لثناء الناس عليه لعبادته .

ثامنها : سبب الإضافة إلى الله أن الصيام لم يعبد به غير الله ، بخلاف الصلاة والصدقة والطواف ونحو ذلك . واعترض على هذا بما يقع من عباد النجوم وأصحاب الهياكل والاستخدامات ، فإنهم يتعبدون لها بالصيام . وأجيب بأنهم لا يعتقدون إلهية الكواكب ، وإنما يعتقدون أنها فعالة بأنفسها ، وهذا الجواب عندي ليس بطائل ، لأنهم طائفتان ، إحداهما كانت تعتقد إلهية الكواكب وهم من كان قبل ظهور الإسلام ، واستمر منهم من استمر على كفره .

٢٨٧

والأخرى من دخل منهم في الإسلام واستمر على تعظيم الكواكب وهم الذين أشير إليهم .

تاسعها : أن جميع العبادات توفى منها مظالم العباد إلا الصيام ، روى ذلك البيهقي من طريق إسحاق بن أيوب بن حسان الواسطي عن أبيه عن ابن عيينة قال : إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من عمله حتى لا يبقى له إلا الصوم ، فيتحمل الله ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة .

قال القرطبي : قد كنت استحسنت هذا الجواب إلى أن فكرت في حديث المقاصة فوجدت فيه ذكر الصوم في جملة الأعمال حيث قال " المفلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصدقة وصيام ، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأكل مال هذا " الحديث وفيه " فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار " فظاهره أن الصيام مشترك مع بقية الأعمال في ذلك .

قلت : إن ثبت قول ابن عيينة أمكن تخصيص الصيام من ذلك ، فقد يستدل له بما رواه أحمد من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رفعه " كل العمل كفارة إلا الصوم ، الصوم لي وأنا أجزي به " وكذا رواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن شعبة عن محمد بن زياد ولفظه " قال ربكم تبارك وتعالى : كل العمل كفارة إلا الصوم " ورواه قاسم بن أصبغ من طريق أخرى عن شعبة بلفظ " كل ما يعمله ابن آدم كفارة له إلا الصوم " وقد أخرجه المصنف في التوحيد عن آدم عن شعبة بلفظ يرويه " عن ربكم قال : لكل عمل كفارة والصوم لي وأنا أجزي به " فحذف الاستثناء ، وكذا رواه أحمد عن غندر عن شعبة لكن قال " كل العمل كفارة " وهذا يخالف رواية آدم لأن معناها إن لكل عمل من المعاصي كفارة من الطاعات ، ومعنى رواية غندر كل عمل من

٢٨٨

الطاعات كفارة للمعاصي ، وقد بين الإسماعيلي الاختلاف فيه في ذلك على شعبة ، وأخرجه من طريق غندر بذكر الاستثناء فاختلف فيه أيضا على غندر ، والاستثناء المذكور يشهد لما ذهب إليه ابن عيينة ، لكنه وإن كان صحيح السند فإنه يعارضه حديث حذيفة " فتنة الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة والصيام والصدقة " ولعل هذا هو السر في تعقيب البخاري لحديث الباب بباب الصوم كفارة وأورد فيه حديث حذيفة .

عاشرها : أن الصوم لا يظهر فتكتبه الحفظة كما تكتب سائر الأعمال ، واستند قائله إلى حديث واه جدا أورده ابن العربي في " المسلسلات " ولفظه " قال الله الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحب لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده " ويكفي في رد هذا القول الحديث الصحيح في كتابة الحسنة لمن هم بها وإن لم يعملها . فهذا ما وقفت عليه من الأجوبة ، وقد بلغني أن بعض العلماء بلغها إلى أكثر من هذا وهو الطالقاني في " حظائر القدس " له ولم أقف عليه ، واتفقوا على أن المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصي قولا وفعلا .

ونقل ابن العربي عن بعض الزهاد أنه مخصوص بصيام خواص الخواص فقال : إن الصوم على أربعة أنواع : صيام العوام وهو الصوم عن الأكل والشرب والجماع ، وصيام خواص الخواص وهو هذا مع اجتناب المحرمات من قول أو فعل ، وصيام الخواص وهو الصوم عن غير ذكر الله وعبادته ، وصيام خواص الخواص وهو الصوم عن غير الله فلا فطر لهم إلى يوم القيامة .

وهذا مقال عال لكن في حصر المراد من الحديث في هذا النوع نظر لا يخفى .

ثم قالب النووي بعد طرح كل التفسيرات :

وأقرب الأجوبة التي ذكرتها إلى الصواب الأول والثاني ويقرب منهما الثامن والتاسع . وقال البيضاوي في الكلام على رواية الأعمش عن أبي صالح التي

بينتها قبل : لما أراد بالعمل الحسنات وضع الحسنة في الخبر موضع الضمير الراجع إلى المبتدأ ، وقوله " إلا الصيام " مستثنى من كلام غير محكي دل عليه ما قبله ، والمعنى أن الحسنات يضاعف جزاؤها من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فلا يضاعف إلى هذا القدر بل ثوابه لا يقدر قدره ولا يحصيه إلا الله تعالى ، ولذلك يتولى الله جزاءه بنفسه ولا يكله إلى غيره . قال : والسبب في اختصاص الصوم بهذه المزية أمران ، أحدهما :

أن سائر العبادات مما يطلع العباد عليه ، والصوم سر بين العبد وبين الله تعالى يفعله خالصا ويعامله به طالبا لرضاه ، وإلى ذلك الإشارة بقوله " فإنه لي " .

والآخر : أن سائر الحسنات راجعة إلى صرف المال أو استعمال للبدن ، والصوم يتضمن كسر النفس وتعريض البدن للنقصان ، وفيه الصبر على مضض الجوع والعطش وترك الشهوات ، وإلى ذلك أشار بقوله " يدع شهوته من أجلي " . قال الطيبي : وبيان هذا أن قوله " يدع شهوته إلخ " جملة مستأنفة وقعت موقع البيان لموجب الحكم المذكور ، وأما قول البيضاوي : إن الاستثناء من كلام غير محكي ، ففيه نظر ، فقد يقال : هو مستثنى من كل عمل وهو مروي عن الله لقوله في أثناء الحديث " قال الله تعالى " ولما لم يذكره في صدر الكلام أورده في أثنائه بيانا ، وفائدته تفخيم شأن الكلام وأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى .

قوله : (والحسنة بعشر أمثالها) كذا وقع مختصرا عند البخاري ، وقد قدمت البيان بأنه وقع في " الموطأ " تاما ، وقد رواه أبو نعيم في " المستخرج " من طريق القعنبي شيخ البخاري فيه فقال بعد قوله وأنا أجزي به " كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به "

فأعاد قوله " وأنا أجزي به " في آخر الكلام تأكيدا ، وفيه إشارة إلى الوجه الثاني . اهـ

الحديث الثاني :(.... فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي..)[1]

*أخرجه البخاري في الصلاة- باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء

عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال هل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم فقال أرسل إليه قال نعم فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال أنس فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس قال مرحبا

١- أخرجه البخاري في الصلاة (٣٤٩) ، ومسلم في الإيمان (١٦٣) ، والترمذي مختصراً في الصلاة (٢١٣) ، و النسائي بعضه في الصلاة (٤٤٩) ، وأحمد في مسند الأنصار (٢٠٧٨١) .

٢٩١

بالنبي الصالح والأخ الصالح فقلت من هذا قال هذا إدريس ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هذا إبراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم ففرض الله عز وجل على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله لك على أمتك قلت فرض خمسين صلاة قال فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعت فوضع شطرها فرجعت إلى موسى قلت وضع شطرها فقال راجع ربك فإن أمتك لا تطيق فراجعت فوضع شطرها فرجعت إليه فقال ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعته فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت استحييت من ربي ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك)

* وأخرجه مسلم في الايمان – باب الإسراء برسول الله إلي السموات .

عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لخازن السماء الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال هل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فأرسل إليه قال نعم ففتح

٢٩٢

قال فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم صلى الله عليه وسلم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح قال فقال له خازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح فقال أنس بن مالك فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وعيسى وموسى وإبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه قد وجد آدم عليه السلام في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بإدريس صلوات الله عليه قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا فقال هذا إدريس قال ثم مررت بموسى عليه السلام فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال قلت من هذا قال هذا موسى قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال هذا عيسى ابن مريم قال ثم مررت بإبراهيم عليه السلام فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من هذا قال هذا إبراهيم قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمتي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى أمر بموسى فقال موسى عليه السلام ماذا فرض ربك على أمتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى عليه السلام فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت إلى موسى عليه السلام فأخبرته قال راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك

٢٩٣

قال فراجعت ربي فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي قال فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى نأتي سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك)
وأخرج نحوه الترمذي وأحمد والنسائي
***** الشرح والبيان:**
*قال النووي في شرح الحديث مختصرا:
قوله : (جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري) قد قدمنا لغات الطست وأنها مؤنثة فجاء ممتلئ على معناها وهو الإناء وأفرغها على لفظها وقد تقدم بيان في أول كتاب الإيمان ، وبيان الحكمة في حديث " الحكمة يمانية " والضمير في أفرغها يعود على الطست كما ذكرناه وحكى صاحب التحرير أنه يعود على الحكمة . وهذا القول وإن كان له وجه فالأظهر ما قدمناه لأن عوده على الطست يكون تصريحا بإفراغ الإيمان والحكمة وعلى قوله يكون إفراغ الإيمان مسكوتا عنه . والله أعلم .
وأما جعل الإيمان والحكمة في إناء وإفراغهما مع أنهما معنيان وهذه صفة الأجسام فمعناه والله أعلم أن الطست كان فيها شيء يحصل به كمال الإيمان والحكمة وزيادتهما فسمي إيمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من أحسن المجاز . والله أعلم .
قوله صلى الله عليه وسلم : (فإذا رجل عن يمينه أسودة) فسر الأسودة في الحديث بأنها نسم بنيه . أما (الأسودة) فجمع سواد كقذال وأقذلة ، وسنام وأسنمة ، وزمان وأزمنة ، وتجمع الأسودة على أسواد . وقال أهل اللغة : السواد الشخص . وقيل : السواد الجماعات . وأما (النسم) فبفتح النون والسين والواحدة نسمة قال الخطابي وغيره هي نفس الإنسان والمراد أرواح بني آدم .

قال القاضي عياض رحمه الله : في هذا الحديث أنه صلى الله عليه وسلم وجد آدم ونسم بنيه من أهل الجنة والنار ، وقد جاء أن أرواح الكفار في سجين قيل في الأرض السابعة ، وقيل تحتها ، وقيل في سجن . وأن أرواح المؤمنين منعمة في الجنة فيحتمل أنها تعرض على آدم أوقاتا فوافق وقت عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم .

ويحتمل أن كونهم في النار والجنة إنما هو في أوقات دون أوقات بدليل قوله تعالى : { النار يعرضون عليها غدوا وعشيا } وبقوله صلى الله عليه وسلم في المؤمن " عرض منزله من الجنة عليه وقيل له هذا منزلك حتى يبعثك الله إليه " . ويحتمل أن الجنة كانت في جهة يمين آدم عليه السلام والنار في جهة شماله وكلاهما حيث شاء الله والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسل (إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى) فيه شفقة الوالد على ولده وسروره بحسن حاله وحزنه وبكاؤه لسوء حاله . قوله في هذه الرواية : (وجد إبراهيم صلى الله عليه وسلم في السماء السادسة) وتقدم في الرواية الأخرى أنه في السابعة فإن كان الإسراء مرتين فلا إشكال فيه ، ويكون في كل مرة وجده في سماء وإحداهما موضع استقراره ووطنه والأخرى كان فيها غير مستوطن .

وإن كان الإسراء مرة واحدة فلعله وجده في السادسة ثم ارتقى إبراهيم أيضا إلى السابعة والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم في إدريس صلى الله عليه وسلم : (قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح) قال القاضي عياض رحمه الله : هذا مخالف لما يقوله أهل النسب والتاريخ من أن إدريس أب من آباء النبي صلى الله عليه وسلم . وأنه جد أعلى لنوح صلى الله عليه وسلم ، وأن نوحا هو ابن لامك بن متوشلخ بن

خنوخ ، وهو عندهم إدريس بن بردة بن مهلاييل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام .
ولا خلاف عندهم في عدد هذه الأسماء وسردها على ما ذكرناه وإنما يختلفون في ضبط بعضها وصورة لفظه . وجاء جواب الآباء هنا إبراهيم وآدم مرحبا بالابن الصالح . وقال إدريس : مرحبا بالأخ الصالح كما قال موسى وعيسى وهارون ويوسف ويحيى وليسوا بآباء صلوات الله وسلامه عليهم . وقد قيل عن إدريس إنه إلياس وإنه ليس بجد لنوح فإن إلياس من ذرية إبراهيم وإنه من المرسلين وإن أول المرسلين نوح عليه السلام كما جاء في حديث الشفاعة هذا كلام القاضي عياض رحمه الله .
وليس في هذا الحديث ما يمنع كون إدريس عليه السلام أبا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن قوله الأخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تلطفا وتأدبا وهو أخ وإن كان ابنا فالأنبياء إخوة والمؤمنون إخوة والله أعلم . قوله : (أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري يقولان) أبو حبة بالحاء المهملة والباء الموحدة هكذا ضبطناه هنا وفي ضبطه واسمه اختلاف فالأصح الذي عليه الأكثرون (حبة) بالباء الموحدة كما ذكرنا وقيل (حية) بالياء المثناة تحت وقيل (حنة) بالنون وهذا قول الواقدي وروى عن ابن شهاب والزهري .
وقد اختلف في اسم أبي حبة فقيل : عامر . وقيل : مالك . وقيل : ثابت . وهو بدري باتفاقهم ، واستشهد يوم أحد . وقد جمع الإمام أبو الحسن بن الأثير الجزري رحمه الله الأقوال الثلاثة في ضبطه والاختلاف في اسمه في كتابه (معرفة الصحابة رضي الله عنهم) وبينها بيانا شافيا رحمه الله . قوله صلى الله عليه وسلم : (حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام) معنى ظهرت علوت والمستوى بفتح الواو . قال الخطابي : المراد به المصعد ، وقيل : المكان المستوي و (صريف الأقلام) بالصاد المهملة تصويتها حال الكتابة . قال

الخطابي هو صوت ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه ، وما ينسخونه من اللوح المحفوظ ، أو ما شاء الله تعالى .

من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده من أمره وتدبيره . قال القاضي في هذا حجة لمذهب أهل السنة في الإيمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ وما شاء بالأقلام التي هو تعالى يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات من كتاب الله تعالى ، والأحاديث الصحيحة وأن ما جاء من ذلك على ظاهره لكن كيفية ذلك وصورته وجنسه مما لا يعلمه إلا الله تعالى ، أو من أطلعه على شيء من ذلك من ملائكته ورسله ، وما يتأول هذا ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان إذا جاءت به الشريعة المطهرة .

ودلائل العقول لا تحيله ، والله تعالى يفعل ما يشاء ، ويحكم كما يريد ، حكمة من الله تعالى وإظهارا لما يشاء من غيبه لمن يشاء من ملائكته وسائر خلقه ، وإلا فهو غني عن الكتب والاستذكار سبحانه وتعالى . قال القاضي رحمه الله : وفي علو منزلة نبينا صلى الله عليه وسلم وارتفاعه فوق منازل سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبلوغه حيث بلغ من ملكوت السموات دليل على علو درجته وإبانة فضله وقد ذكر البزار خبرا في الإسراء عن علي كرم الله وجهه وذكر مسير جبريل عليه السلام على البراق حتى أتى الحجاب وذكر كلمة وقال خرج ملك من وراء الحجاب فقال جبريل : والذي بعثك بالحق إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت وإني أقرب الخلق مكانا .

وفي حديث آخر فارقني جبريل وانقطعت عني الأصوات هذا آخر كلام القاضي رحمه الله والله تعالى أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم : (ففرض الله تعالى على أمتي خمسين صلاة إلى قوله صلى الله عليه وسلم فراجعت ربي فوضع شطرها وبعده فراجعت ربي فقال : هي خمس وهي خمسون) وهذا المذكور هنا لا يخالف الرواية المتقدمة أنه صلى الله عليه وسلم قال : حط عني

٢٩٧

خمسا إلى آخره فالمراد بحط الشطر هنا أنه حط في مرات بمراجعات وهذا هو الظاهر . وقال القاضي عياض رحمه الله : المراد بالشطر هنا الجزء وهو الخمس ، وليس المراد به النصف .
وهذا الذي قاله محتمل ، ولكن لا ضرورة إليه فإن هذا الحديث الثاني مختصر لم يذكر فيه كرات المراجعة . والله أعلم .
واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء قبل فعله . والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم : (ثم انطلق بي حتى نأتي سدرة المنتهى) هكذا هو في الأصول حتى (نأتي) بالنون في أوله . وفي بعض الأصول حتى (أتي) وكلاهما صحيح .
قوله صلى الله عليه وسلم : (ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ) أما (الجنابذ) فبالجيم المفتوحة وبعدها نون مفتوحة ثم ألف ثم باء موحدة ثم ذال معجمة وهي القباب واحدتها جنبذة ووقع في كتاب الأنبياء من صحيح البخاري كذلك ، ووقع في أول كتاب الصلاة منه (حبائل) بالحاء المهملة والباء الموحدة وآخره لام . قال الخطابي وغيره : هو تصحيف . والله أعلم .
وأما (اللؤلؤ) فمعروف وفيه أربعة أوجه بهمزتين وبحذفهما وبإثبات الأولى دون الثانية وعكسه . والله أعلم . وفي هذا الحديث دلالة لمذهب أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان وأن الجنة في السماء .

الحديث الثالث(قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل...)[١]
*أخرجه مسلم في الصلاة- باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة .
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام فقال

١-أخرجه مسلم في الصلاة (٣٩٥) ، والترمذي في التفسير (٢٩٥٣) .

٢٩٨

اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى علي عبدي وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة فوض إلي عبدي فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)

* وأخرجه الترمذي في التفسير – باب ومن سورة فاتحة الكتاب .

عن أبي هريرة(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج هي خداج غير تمام قال قلت يا أبا هريرة إني أحيانا أكون وراء الإمام قال يا ابن الفارسي فاقرأها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل يقرأ العبد فيقول الحمد لله رب العالمين فيقول الله تبارك وتعالى حمدني عبدي فيقول الرحمن الرحيم فيقول الله أثنى علي عبدي فيقول مالك يوم الدين فيقول مجدني عبدي وهذا لي وبيني وبين عبدي إياك نعبد وإياك نستعين وآخر السورة لعبدي ولعبدي ما سأل يقول اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

وأخرج أحمد نحوهفي مسند المكثرين

***** الشرح والبيان :**

* قال النووي في شرح مسلم :

قوله سبحانه وتعالى : (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين) الحديث قال العلماء : المراد بالصلاة هنا الفاتحة سميت بذلك لأنها لا تصح إلا بها كقوله

صلى الله عليه وسلم : " الحج عرفة " ففيه دليل على وجوبها بعينها في الصلاة قال العلماء : والمراد قسمتها من جهة المعنى لأن نصفها الأول تحميد لله تعالى .

وتمجيد وثناء عليه ، وتفويض إليه ، والنصف الثاني سؤال وطلب وتضرع وافتقار ، واحتج القائلون بأن البسملة ليست من الفاتحة بهذا الحديث ، وهو من أوضح ما احتجوا به قالوا : لأنها سبع آيات بالإجماع ، فثلاث في أولها ثناء أولها الحمد لله ، وثلاث دعاء أولها اهدنا الصراط المستقيم ، والسابعة متوسطة وهي إياك نعبد وإياك نستعين .

قالوا : ولأنه سبحانه وتعالى قال قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد : (الحمد لله رب العالمين) فلم يذكرالبسملة ، ولو كانت منها لذكرها ، وأجاب أصحابنا وغيرهم ممن يقول أن البسملة آية من الفاتحة بأجوبة أحدها أن التنظيف عائد إلى جملة الصلاة لا إلى الفاتحة ، هذا حقيقة اللفظ ، والثاني أن التنصيف عائد إلى ما يختص بالفاتحة من الآيات الكاملة ، والثالث معناه فإذا انتهى العبد في قراءته إلى الحمد لله رب العالمين .

قال العلماء : وقوله تعالى : حمدني عبدي وأثنى علي ومجدني إنما قاله لأن التحميد الثناء بجميل الفعال ، والتمجيد الثناء بصفات الجلال ، ويقال : أثنى عليه في ذلك كله ، ولهذا جاء جوابا للرحمن الرحيم ، لاشتمال اللفظين على الصفات الذاتية والفعلية .

وقوله : وربما قال : (فوض إلي عبدي) وجه مطابقة هذا لقوله (مالك يوم الدين) أن الله تعالى هو المنفرد بالملك ذلك اليوم وبجزاء العباد وحسابه . والدين الحساب ، وقيل : الجزاء ، ولا دعوى لأحد ذلك اليوم ، ولا مجاز ، وأما في الدنيا فلبعض العباد ملك مجازي ، ويدعي بعضهم دعوى باطلة ، وهذا كله ينقطع في ذلك اليوم ، هذا معناه ، وإلا فالله سبحانه وتعالى هو المالك والملك

على الحقيقة للدارين وما فيهما ومن فيهما ، وكل من سواه مربوب له عبد مسخر ، ثم في هذا الاعتراف من التعظيم والتمجيد وتفويض الأمر ما لا يخفى .
وقوله تعالى : (فإذا قال العبد اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة فهذا لعبدي هكذا هو في صحيح مسلم ، وفي غيره فهؤلاء لعبدي ، وفي هذه الرواية دليل على أن اهدنا وما بعده إلى آخر السورة ثلاث آيات لا آيتان ، وفي المسألة خلاف مبني على أن البسملة من الفاتحة أم لا ؛ فمذهبنا ومذهب الأكثرين أنها من الفاتحة ، وأنها آية ، واهدنا وما بعده آيتان ، ومذهب مالك وغيره ممن يقول إنها ليست من الفاتحة يقول : اهدنا وما بعده ثلاث آيات ، وللأكثرين أن يقولوا قوله هؤلاء المراد به الكلمات لا الآيات .
بدليل رواية مسلم : فهذا لعبدي وهذا أحسن من الجواب بأن الجمع محمول على الاثنين لأن هذا مجاز عند الأكثرين فيحتاج إلى دليل على صرفه عن الحقيقة إلى المجاز والله أعلم .اهـ
*وقال المباركفوري في تحفة الأحوزي :
قوله : (من صلى) إماما كان أو مقتديا أو منفردا (صلاة) جهرية كانت أو سرية ، فريضة أو نافلة (لم يقرأ فيها بأم القرآن) ، أي بفاتحة الكتاب
. قال النووي : أم القرآن اسم الفاتحة ، وسميت أم القرآن لأنها فاتحته كما سميت مكة أم القرى لأنها أصلها (فهي خداج) أي ناقص نقص فساد وبطلان ، وقد تقدم معنى الخداج في باب ما جاء أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب (غير تمام) بيان خداج أو بدل منه . قال القاري في المرقاة : هو صريح فيما ذهب إليه علماؤنا من نقصان صلاته ، فهو مبين لقوله عليه السلام : " لا صلاة " ، أن المراد بها نفي الكمال لا نفي الصحة ، فبطل قول ابن حجر ، والمراد بهذا الحديث أنها غير صحيحة وبنفي لا صلاة نفي صحتها لأنها موضوعه ، ثم قال :

٣٠١

ودليل ذلك أحاديث لا تقبل تأويلا ، منها خبر ابن خزيمة وابن حبان والحاكم في صحاحهم بإسناد صحيح : " لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب " ، ورواه الدارقطني بإسناد حسن ، وقال النووي : رواته كلهم ثقات ، وفيه أنه محمول على الإجزاء الكامل ، انتهى ما في المرقاة .

قلت : حديث ابن خزيمة وابن حبان والحاكم بلفظ : " لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب " ، دليل صحيح صريح واضح على أن المراد بالخداج في حديث أبي هريرة نقصان الذات ، أعني نقصان الفساد والبطلان ، وأن المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة نفي الصحة ، وأما قول القاري إنه محمول على الإجزاء الكامل فغلط مردود عليه فإنه ليس بعد الإجزاء إلا الفساد والبطلان ، فماذا بعد الحق إلا الضلال .

وقد سبق تحقيق هذه المسألة في محلها ، وبسطنا الكلام فيها في كتابنا " أبكار المنن في نقد آثار السنن " (إني أحيانا أكون وراء الإمام) أي فهل أقرأ أم لا (قال يا ابن الفارسي) لعله كان فارسي النسل (فأقرأها في نفسك) أي سرا غير جهر (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين) قال العلماء : المراد بالصلاة هنا الفاتحة سميت بذلك لأنها لا تصح إلا بها ، كقوله صلى الله عليه وسلم : " الحج عرفة " ، ففيه دليل على وجوبها بعينها في الصلاة .

قال العلماء : والمراد قسمتها من جهة المعنى ، لأن نصفها الأول تحميد لله تعالى وتمجيده وثناء عليه وتفويض إليه ، والنصف الثاني سؤال وطلب وتضرع وافتقار (حمدني عبدي)

قال النووي : قوله تعالى : حمدني عبدي وأثنى علي ومجدني إنما قاله لأن التحميد الثناء بجميل الفعال ، والتمجيد الثناء بصفات الجلال ، ويقال أثنى عليه في ذلك كله ، ولهذا جاء جوابا للرحمن الرحيم لاشتمال اللفظين على الصفات الذاتية والفعلية (وبيني وبين عبدي { إياك نعبد وإياك نستعين }

قال القرطبي : إنما قال الله تعالى هذا لأن في ذلك تذلل العبد لله تعالى وطلبه الاستعانة منه ، وذلك يتضمن تعظيم الله وقدرته على ما طلب منه (وآخر السورة لعبدي) يعني من قوله { اهدنا الصراط المستقيم } إلخ (ولعبدي ما سأل) أي غير هذا (يقول { اهدنا الصراط المستقيم }) أي ثبتنا على دين الإسلام أو طريق متابعة الحبيب عليه الصلاة والسلام { صراط الذين أنعمت عليهم } من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين { غير المغضوب عليهم } أي اليهود { ولا الضالين } أي النصارى .اهـ

الحديث الرابع : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...)[١]

*أخرجه مسلم في المساجد- باب فضل صلاة الصبح والعصر .

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون) وأخرج نحوه البخاري وأحمد والنسائي ومالك في الموطأ

***** الشرح والبيان :**

*قال النووي في شرح مسلم :

قوله صلى الله عليه وسلم : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر) فيه : دليل لمن قال من النحويين : يجوز إظهار ضمير الجمع والتثنية في الفعل إذا تقدم ، وهو لغة بني الحارث ،

١- أخرجه مسلم في المساجد (٦٣٢) ، والبخاري في مواقيت الصلاة (٥٥٥) والنسائي في الصلاة (٤٨٥) ، وأحمد في مسند المكثرين (٧٤٤٠) .

وحكوا فيه قولهم : أكلوني البراغيث ، وعليه حمل الأخفش ومن وافقه قول الله تعالى : { وأسروا النجوى الذين ظلموا } وقال سيبويه وأكثر النحويين :
لا يجوز إظهار الضمير مع تقدم الفعل ، ويتأولون كل هذا ويجعلون الاسم بعده بدلا من الضمير ولا يرفعونه بالفعل كأنه لما قيل : وأسروا النجوى قيل : من هم ؟ قيل : الذين ظلموا ، وكذا يتعاقبون ونظائره .
ومعنى (يتعاقبون) تأتي طائفة بعد طائفه ، ومنه تعقب الجيوش ؛ وهو أن يذهب إلى ثغر قوم ويجيء آخرون . وأما اجتماعهم في الفجر والعصر فهو من لطف الله تعالى بعباده المؤمنين وتكرمة لهم أن جعل اجتماع الملائكة عندهم ومفارقتهم لهم في أوقات عباداتهم واجتماعهم على طاعة ربهم ، فيكون شهادتهم لهم بما شاهدوه من الخير .
وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟) فهذا السؤال على ظاهره ، وهو تعبد منه لملائكته ، كما أمرهم بكتب الأعمال ، وهو أعلم بالجميع . قال القاضي عياض رحمه الله : الأظهر وقول الأكثرين : أن هؤلاء الملائكة هم الحفظة الكتاب قال : وقيل : يحتمل أن يكونوا من جملة الملائكة بجملة الناس غير الحفظة .اه

الحديث الخامس: (ابن آدم اركع لي من أول النهار أربع ركعات أكفك آخره)[1]
*أخرجه الترمذي في الصلاة- باب ماجاء في صلاة الضحي .

١- أخرجه الترمذي في الصلاة (٤٧٥) ، وأبو داود في الصلاة (١٢٨٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٤٢) .

عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء أو أبي ذر(عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أنه قال ابن آدم اركع لي من أول النهار أربع ركعات أكفك آخره) وأخرج مثله أحمد

***** الشرح والبيان :**

*قال المباركفوري في تحفة الاحوذي:

قوله : (ابن آدم) أي يا ابن آدم (اركع) أي صل (لي) أي خالصا لوجهي (من أول النهار) قيل المراد صلاة الضحى وقيل صلاة الإشراق . وقيل سنة الصبح وفرضه لأنه أول فرض النهار الشرعي ، قلت : حمل المؤلف وكذا أبو داود هذه الركعات على صلاة الضحى ولذللك أدخلا هذا الحديث في باب صلاة الضحى (أكفك) أي مهماتك (آخره) أي النهار .

قال الطيبي أي أكفك شغلك وحوائجك وأدفع عنك ما تكرهه بعد صلاتك إلى آخر النهار : والمعنى أفرغ بالك بعبادتي في أول النهار أفرغ بالك في آخره بقضاء حوائجك انتهى

****الحديث السادس:(... يا محمد قلت لبيك رب قال فيم يختصم الملأ الأعلى..)**[١]

*أخرجه الترمذي في التفسير- باب ومن سورة ص.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال (احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجوز في صلاته فلما سلم دعا بصوته فقال لنا على مصافكم كما أنتم ثم انفتل إلينا ثم قال أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة أني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي فنعست

٢- أخرجه الترمذي في التفسير (٣٢٣٥) ، وأحمد في مسند الأنصار (٢١٦٠٤) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩) .

في صلاتي فاستثقلت فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال يا محمد قلت لبيك رب قال فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أدري رب قالها ثلاثا قال فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد قلت لبيك رب قال فيم يختصم الملأ الأعلى قلت في الكفارات قال ما هن قلت مشي الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء في المكروهات قال ثم فيم قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام قال سل قل اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب إلى حبك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها حق فادرسوها ثم تعلموها)
* وأخرجه أحمد في مسند الأنصار – حديث معاذ بن جبل.
عن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل قال(احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا فثوب بالصلاة وصلى وتجوز في صلاته فلما سلم قال كما أنتم على مصافكم ثم أقبل إلينا فقال إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أدري يا رب قال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أدري رب فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى قلت في الكفارات قال وما الكفارات قلت نقل الأقدام إلى الجمعات وجلوس في المساجد بعد الصلاة وإسباغ الوضوء عند الكريهات قال وما الدرجات قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام قال سل قلت اللهم إني أسألك فعل الخيرات

وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها حق فادرسوها وتعلموها)

***** الشرح والبيان :**

*** قال المباركفوري في تحفة الاحوذي في شرح حديث الترمذي : وقَالَ

قوله : (أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة) لظاهر أن إتيانه تعالى كان في المنام يدل على ذلك قول الراوي أحسبه في المنام ويدل على ذلك أيضا حديث معاذ بن جبل الآتي ففيه " فنعست في صلاتي فاستثقلت فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة " .

قال القاري في المرقاة : إذا كان هذا في المنام فلا إشكال فيه إذ الرائي قد يرى غير المتشكل متشكلا والمتشكل بغير شكله ثم لم يعد ذلك بخلل في الرؤيا ولا في خلد الرائي بل له أسباب أخر تذكر في علم المنام أي التعبير ، ولو لا تلك الأسباب لما افتقرت رؤيا الأنبياء عليهم السلام إلى تعبير وإن كان في اليقظة وعليه ظاهر ما روى أحمد بن حنبل فإن فيه " فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة " . الحديث

فذهب السلف في أمثال هذا الحديث إذا صح أن يؤمن بظاهره ولا يفسر بما يفسر به صفات الخلق بل ينفي عنه الكيفية ويوكل علم باطنه إلى الله تعالى فإنه يرى رسوله ما يشاء من وراء أستار الغيب بما لا سبيل لعقولنا إلى إدراكه ، لكن ترك التأويل في هذا الزمان مظنة الفتنة في عقائد الناس لفشو اعتقادات الضلال وإن تأول بما يوافق الشرع على وجه الاحتمال لا القطع حتى لا يحمل على ما لا يجوز شرعا فله وجه ، فقوله في (أحسن صورة) يحتمل أن يكون معناه رأيت ربي حال كوني في أحسن صورة وصفة من غاية إنعامه ولطفه علي .

أو حال كون الرب في أحسن صورة وصورة الشيء ما يتميز به عن غيره سواء كان عين ذاته أو جزئه المميز له عن غيره أو صفته المميزة ، وكما يطلق ذلك في الجثة يطلق في المعاني ، يقال في صورة المسألة كذا وصورة الحال كذا ، فصورته تعالى والله أعلم ذاته المخصوصة المنزهة عن مماثلة ما عداه من الأشياء البالغة إلى أقصى مراتب الكمال أو صفته المخصوصة به أي كان ربي أحسن إكراما ولطفا من وقت آخر ، كذا نقله الطيبي والتوربشتي انتهى ما في المرقاة .

قلت : الظاهر الراجح أنه كان في المنام فإن رواية الترمذي الآتية أرجح من رواية أحمد . قال ابن حجر المكي : والظاهر أن رواية حتى استيقظت تصحيف فإن المحفوظ من رواية أحمد والترمذي حتى استثقلت انتهى .

وقال الحافظ ابن كثير بعد نقل هذا الحديث عن مسند الإمام أحمد وهو حديث المنام المشهور : " ومن جعله يقظة فقد غلط " انتهى .

وعلى تقدير كون ذلك في اليقظة فمذهب السلف في مثل هذا من أحاديث الصفات إمراره كما جاء من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والإيمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن أمثاله مع الاعتقاد بأن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ؛ ومذهب السلف هذا هو المتعين ولا حاجة إلى التأويل

وأما القول بأن ترك التأويل في هذا الزمان مظنه الفتنة في عقائد الناس لفشو اعتقادات الضلال فمما لا التفات إليه

** **قلت : لينتبه** القارئ **الكريم عما جاء بتأويل صفة أتيان الله لنبيه r في أحسن صورة ولا تعليق لنا فقد أرحنا وأثلج صدورنا** ما ذكره **الشارح أنفا ولله الحمد والمنة .**

ثم قال المباركفوري رحمه الله تعالي :-

(فيم) أي في أي شيء (يختصم) أي يبحث (الملأ الأعلى) أي الملائكة المقربون والملأ هم الأشراف الذين يملئون المجالس والصدور عظمة وإجلالا ووصفوا بالأعلى إما لعلو مكانهم وإما لعلو مكانتهم عند الله تعالى .
واختصامهم إما عبارة عن تبادرهم إلى إثبات تلك الأعمال والصعود بها إلى السماء وإما عن تقاولهم في فضلها وشرفها وإما عن اغتباطهم الناس بتلك الفضائل لاختصاصهم بها وتفضلهم على الملائكة بسببها مع تهافتهم في الشهوات ، وإنما سماه مخاصمة لأنه ورد مورد سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة عليه (قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم " فوضع " أي ربي " يده " أي كفه " بين كتفي " بتشديد الياء وهو كناية عن تخصيصه إياه بمزيد الفضل عليه وإيصال الفيض إليه فإن من شأن المتلطف بمن يحنو عليه أن يضع كفه بين كتفيه تنبيها على أنه يريد بذلك تكريمه وتأييده قاله القاري قلت : قد عرفت مذهب السلف في مثل هذا وهو المعتمد " بين ثديي " بالتثنية والإضافة إلى ياء المتكلم أي قلبي أو صدري (أو قال " في نحري ") شك من الراوي
(نعم الكفارات) أي يختصمون في الكفارات (والكفارات) مبتدأ وخبره المكث في المسجد إلخ وسميت هذه الخصال الكفارات لأنها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه (المكث) في القاموس المكث مثلثا ويحرك أي اللبث (في المسجد) وفي بعض النسخ في المساجد (وإسباغ الوضوء) أي إكماله (في المكاره) أي في مدة البرد (ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير)
قال الله تعالى { من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون } (وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه) أي فيه بفتح يوم قال الطيبي ؟ مبني على الفتح لإضافته إلى الماضي وإذا

أضيف إلى المضارع اختلف في بنائه ؛ أي كان مبرأ كما كان مبرأ يوم ولدته أمه (إذا صليت) أي فرغت من الصلاة (فعل الخيرات) بكسر الفاء وقيل بفتحها وقيل الأول اسم والثاني مصدر والخيرات ما عرف من الشرع من الأقوال الحميدة والأفعال السعيدة

(وترك المنكرات) هي التي لم تعرف من الشرع من الأقوال القبيحة والأفعال السيئة (وإذا أردت بعبادك فتنة) أي ضلالة أو عقوبة دنيويه (فاقبضني) بكسر الموحدة أي توفني (غير مفتون) أي غير منال أو غير معاقب (قال) ي النبي صلى الله عليه وسلم (والدرجات) مبتدأ أي ما ترفع به الدرجات (إفشاء السلام) أي بذله على من عرفه ومن لم يعرفه وإنما عدت هذه الأشياء من الدرجات لأنها فضل منه على منه وجب عليه فلا جرم استحق بها فضلا وهو على الدرجات (والناس نيام) جمع نائم والجملة حالية .اه

الحديث السابع(يقول يعجب ربك من راعي غنم...)[1]

* أخرجه النسائي في الأذان- باب الأذان لمن يصلي وحده .

عن عقبة بن عامر قال(سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظية الجبل يؤذن بالصلاة ويصلي فيقول الله عز وجل انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة) وأخرج أحمد وأبو داود نحوه.

***** الشرح والبيان :**

- قال السيوطي في شرحه للحديث :

١- أخرجه النسائي في الأذان (٦٦٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠١٢) ، وأخرج نحوه أبو داود في الصلاة (١٢٠٣) ، وأحمد في مسند الشاميين (١٦٩٨٩) .

قوله (يعجب ربك) كيسمع أي يرضى منه ويثيبه عليه (في رأس شظية الجبل) بفتح الشين وكسر الظاء المعجمتين وتشديد الياء المثناة التحتية قطعة مرتفعة في رأس الجبل (وأدخلته الجنة) أي حكمت به أو سأدخله الجنة .

- وقال الفيروز أبادي:

(يعجب ربك) : أي يرضى . قال النووي : التعجب على الله محال إذ لا يخفى عليه أسباب الأشياء والتعجب إنما يكون مما خفي سببه ، فالمعنى عظم ذلك عنده وكبر ، وقيل معناه الرضا والخطاب إما للراوي أو لواحد من الصحابة غيره . وقيل الخطاب عام (من راعي غنم) : اختار العزلة من الناس (في رأس شظية بجبل) : بفتح الشين المعجمة وكسر الظاء المعجمة وتشديد التحتانية أي قطعة من رأس الجبل ، وقيل هي الصخرة العظيمة الخارجة من الجبل كأنها أنف الجبل (يؤذن للصلاة ويصلي) : وفائدة تأذينه إعلام الملائكة والجن بدخول الوقت فإن لهم صلاة أيضا ، وشهادة الأشياء على توحيده ومتابعة سنته والتشبه بالمسلمين في جماعتهم .

وقيل إذا أذن وأقام تصلي الملائكة معه ويحصل له ثواب الجماعة والله أعلم (فيقول الله عز وجل) : أي لملائكته وأرواح المقربين عنده ، (انظروا إلى عبدي هذا) : تعجيب للملائكة من ذلك الأمر بعد التعجب لمزيد التفخيم وكذا تسميته بالعبد وإضافته إلى نفسه والإشارة بهذا تعظيم على تعظيم (يخاف مني) : أي يفعل ذلك خوفا من عذابي لا ليراه أحد .

وفي الحديث دليل على استحباب الأذان والإقامة للمنفرد (قد غفرت لعبدي) : فإن الحسنات يذهبن السيئات (وأدخلته الجنة) : فإنها دار المثوبات قال المنذري : رجال إسناده ثقات .

٣١١

**** الحديث الثامن:(إني قد فَرَضْتُ على أمَّتِكَ خَمْسَ صلواتٍ...)** [١]

*أخرجه أبو داود في الصلاة – باب في المحافظة علي وقت الصلاة .

عن سعيد بن المسيب إن أبا قتادة بن ربعي أخبره قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إني فرضت على أمتك خمس صلوات وعهدت عندي عهدا أنه من جاء يحافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي)وأخرج نحوه ابن حبان والطيالسي وغيرهما.

*****الشرح والبيان :**

المحافظة علي الصلوات الخمس التي يلتقي فيها العبد بربه فيقف بين يديه عابدا وخاشعا وراكعا وساجدا يدعوه في إنكسار وذلة يرجو رحمته وعفوه ويسأله الفلاح في الدنيا والنجاة والفوز العظيم في الأخرة أمر يجب أن لا يغفل عنه العبد لأن الصلاة من أعظم العبادات وأول مايحاسب عليه يوم القيامة .

وللشوكاني – رحمه الله تعالي المتوفي سنة ١٢٥٠/ **á** كلام نفيس في " نيل الأوطار(١/٢٨٣)."

قال رحمه الله تعالي :

" وعن عبد الله بن عمرو بن العاص "عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال:من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاةً. وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف". رواه أحمد".

الحديث أخرجه أيضاً الطبراني في الكبير والأوسط. وقال في مجمع الزوائد رجال أحمد ثقات.

١- أخرجه أبو داود في (٤٣٠) وابن حبان(١٤٤٧) وقال الألباني رحمه الله تعالي صحيح .(صحيح الجامع: ٧٧)..

وفيه أنه لا انتفاع للمصلي بصلاته إلا إذا كان محافظاً عليها، لأنه إذا انتفى كونها نوراً وبرهاناً ونجاة مع عدم المحافظة انتهى نفعها.
قوله" وكان يوم القيامة مع قارون") إلخ يدل على أن تركها كفر متبالغ، لأن هؤلاء المذكورين هم أشد أهل النار عذاباً. وعلى تخليد تاركها في النار كتخليد من جعل منهم في العذاب، فيكون هذا الحديث مع صلاحيته للاحتجاج مخصصاً لأحاديث خروج الموحدين. وقد ورد من هذا الجنس شيء كثير في السنة، ويمكن أن يقال مجرد المعية والمصاحبة لا يدل على الاستمرار والتأييد لصدق المعنى اللغوي بلبثه معهم مدة. لكن لا يخفى أن مقام المبالغة يأبى ذلك.اهـ

****الحديث التاسع (أبْشِرُوا،هذا رَبُكُم قد فتحَ باباً من أبوابِ السماءِ ...)**[١]

- أخرجه ابن ماجه في المساجد- باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة.
عن عبد الله بن عمرو قال (صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب فرجع من رجع وعقب من عقب فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرعا قد حفزه النفس وقد حسر عن ركبتيه فقال أبشروا هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة يقول انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى)

***** الشرح والبيان :**

قال السندي في شرح الحديث :

قوله (وعقب من عقب) في الصحاح التعقيب في الصلاة الجلوس بعد أن يقضيها لدعاء أو مسألة وفي الحديث من عقب في الصلاة فهو في الصلاة وقال

١- أخرجه ابن ماجه في المساجد (٨٠١) وصححه اللباني في صحيح الجامع (٣٦) وأخرج نحوه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٦٩٠٧) .

السيوطي التعقيب في المساجد انتظار الصلوات بعد الصلاة قوله (قد حفزه) بحاء مهملة وفاء وزاي أي أعجله النفس بفتحتين (قد حسر) كشف وفيه دليل على أن الركبة ليست بعورة وفي الزوائد هذا إسناده صحيح ورجاله ثقات .

**** الحديث العاشر: (عجب ربنا عز وجل من رجلين....)**[1]

- أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابه.

عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (عجب ربنا عز وجل من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحيه إلى صلاته فيقول ربنا أيا ملائكتي انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطائه ومن بين حيه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله عز وجل فانهزموا فعلم ما عليه من الفرار وما له في الرجوع فرجع حتى أهريق دمه رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي فيقول الله عز وجل لملائكته انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ورهبة مما عندي حتى أهريق دمه)

* وأخرجه أبوداود في الجهاد – باب في الرجل يشري نفسه.

عن عبد الله بن مسعود قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا عز وجل من رجل غزا في سبيل الله فانهزم يعني أصحابه فعلم ما عليه فرجع حتى أهريق دمه فيقول الله تعالى لملائكته انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه)

***** الشرح والبيان:**

١- أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٣٩٣٩) ، وأبو داود في الجهاد (٢٥٣٦) ، وصححه الألباني وحسنه في صحيح الترغيب .

٣١٤

قَالَ الفيروزآبادي في عون المعبود:
(عجب ربنا) قَالَ الإمَامُ المناوي: أي رضي واستحسن، وقَالَ في النهاية: أي عظُم عنده وكبُر لديه.
(فعلم مَا عليه) قَالَ الإمَامُ المناوي: من حُرْمَة الفرار (حتى أُهريق) بضم الهمزة وفتح الهاء الزائدة أي أُرِيق (دمه) نائب الفاعل (فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ لملائكته) أي مباهياً به (فيما عندي) أي من الثواب (وشفقة) أي خوفاً (مما عندي) أي من العقاب.
قَالَ العلقمي: في الحديث دليلٌ على أن الغازي إذا انهزم أصحابه وكان في ثباته للقتال نكاية للكفار فيستحب الثبات لكن لا يجب كما قاله السبكي، وأما إذا كان الثبات مُوَجِهَاً للهلاك المحض من غير نكاية فيجب الفرار قطعاً.
وقَالَ الإمَامُ ابن كثير في البداية والنهاية:
قَالَ عطاء الخراساني: قيام الليل محياةٌ للبدن ونورٌ في القلب وضياءٌ في الوجه وقوةٌ في البصر والأعضاء كلها، وإن الرجل إذا قام بالليل أصبح فَرِحَاً مسرورا، وإذا نام عن حزبه أصبح حزينا مكسور القلب كأنه قد فقد شيئاً، وقد فقد أعظم الأمور له نفعا.
وعن بلال قال:
قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قُربةٌ إلى الله تعالى ومنهاةٌ عن الإثم وتكفيرٌ عن السيئات ومَطرَدَةٌ للشيطان عن الجسد".
وقَالَ عبد الرَّحْمَن الجزيري في الفقه على المذاهب الأربعة:
أما التولّي يوم الزحف فهو من أكبر الكبائر، وأفحش الأمور؛ لأنه يدل على الجبن والضعف والخور، والإسلام يربي المسلم على الشجاعة والثبات والعزة، ولأن الفرار أمام الأعداء عند اللقاء يسلب الأمة عزتها وكرامتها وشرفها،

ويجعل السلطة لأعداء الإسلام والدين، وذلك موتٌ أدبي للأمة، فإما أن نعيش كراماً أعزاء، وإما أن نموت أحراراً شهداء، والاستشهاد في سبيل الله حياةٌ كريمة، قَالَ تعالى: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون لهذا أمرنا الله تعالى بالثبات أمام الأعداء مهما كانت عدتهم، وقدرتهم، ونهانا عن الفرار من الزحف، وعَدَه من أعظم الكبائر التي تجلب غضب الله تعالى، وتحبط الأعمال، وتودي بصاحبها في نار جهنم وبئس القرار فقَالَ تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال، أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير وقَالَ تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون.

فأمر الله المجاهدين بالصبر والثبات أمام الأعداء، لأن التولي فيه إضعافٌ لصفوف المسلمين، وتثبيطٌ لعزائم المقاتلين، وإحداثُ فُرقةٍ بين صفوفهم، وفي ذلك صَدٌ عن سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ وتقويةٌ للعدو، وكفى بذلك إثماً وعاراً في الدنيا والآخرة، لذلك أمرنا بالصبر، وذكر الله تعالى أنه يعاقب الفارين بأشد أنواع العذاب، وأنه يُكرِم الشهداء في سبيله أعظم أنواع الإكرام والعِزَّة.ا **á**

**** الحديث الحادي عشر: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة..)**[١]

- أخرجه مسلم في الحج- باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفه .

١- أخرجه مسلم في الحج (١٣٤٨) ، والنسائي في مناسك الحج (٣٠٠٣) ، وابن ماجه في المناسك(٣٠١٤).

عن ابن المسيب قال قالت عائشة(إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء) وأخرج نحوه النسائي وابن ماجه

*** الشرح والبيان :

قال النووي في شرح الحديث:

قوله صلى الله عليه وسلم : (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وأنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول : ما أراد هؤلاء) هذا الحديث ظاهر الدلالة في فضل يوم عرفة ، وهو كذلك ، ولو قال رجل : امرأتي طالق في أفضل الأيام ، فلأصحابنا وجهان : أحدهما : تطلق يوم الجمعة ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : " خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة " ، كما سبق في صحيح مسلم ، وأصحهما : يوم عرفة ؛ للحديث المذكور في هذا الباب ، ويتأول حديث يوم الجمعة على أنه أفضل أيام الأسبوع ،

قال القاضي عياض : قال المازري : معنى (يدنو) في هذا الحديث : أي تدنو رحمته وكرامته ، لا دنو مسافة ومماسة .اهـ

**** الحديث الثاني عشر :(...انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا)[1]**

-وأخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص(أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إن الله عز وجل يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة فيقول انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا)

***** الشرح والبيان :**

....

٢- أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦٨) .

قَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:
(إن الله تعالى يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة) أي الواقفين بها ثم بيَّن تلك المُبَاهَات بقوله (يقول انظروا إلى عبادي) أي تأملوا حالهم وهيئتهم (أتوني) أي جاؤوا إلى بيتي إعظاماً لي وتقرباً لما يقربهم مني (شعثاً) أي متغيري الأبدان والشعور والملابس لقلة تعهدهم بالأدهان والإصلاح، والشعث الوسخ في بدن أو شعر (غبراً) أي من غير استحداد ولا تنظف قد ركبهم غبار الطريق.
قَالَ في المطامح: وذا يقتضي الغفران وعموم التكفير، لأنه لا يباهي بالحاج إلا وقد تَطَهَّر من كل ذنب، إذ لا تُباهَى الملائكة وهم مُطَهَّرُون إلا بمُطَهَّر فينتج أن الحج يكفر حق الحق وحق الخلق حتى الكبائر والتَّبِعَات، ولا حَجْرَ على الله في فضله ولا حق بالحقيقة لغيره.اهـ

الحديث الثالث عشر: (إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف..)[1]

* أخرجه مسلم في صلاة المسافرين- باب بيان أن القران علي سبعة أحرف
عن أبي بن كعب قال(كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل

١- أخرجه مسلم في صلاة المسافرين (٨٢٠) ، والنسائي في الأفتتاح (٩٣٩) وأبو داود مختصراً في الصلاة (١٤٧٨) ، وأحمد في مسند الأنصار (٢٠٦٤٦) .

٣١٨

آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا فقال لي:

يا أبي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثانية اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم) وأخرج مثله أحمد في مسند البصريين

* وأخرجه النسائي في الأفتتاح – باب جامع ماجاء في القران .

عن أبي بن كعب قال (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف قال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم أتاه الثانية فقال إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين قال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا)

***** الشرح والبيان :**

- قال النووي في شرح مسلم :

قوله :(فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية) معناه : وسوس لي الشيطان تكذيبا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية ؛ لأنه في الجاهلية كان غافلا أو متشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب .

قال القاضي عياض : معنى قوله : (سقط في نفسي) أنه اعترته حيرة ودهشة . قال : وقوله : (ولا إذ كنت في الجاهلية) معناه : أن الشيطان نزغ في نفسه تكذيبا لم يعتقده . قال : وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها لا يؤاخذ بها . قال القاضي : قال المازري : معنى هذا أنه وقع في نفس أبي بن كعب نزعة من الشيطان غير مستقرة ، ثم زالت في الحال حين ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده في صدره ففاض عرقا .

قوله : (فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا) قال القاضي : ضربه صلى الله عليه وسلم في صدره تثبتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم .

قوله صلى الله عليه وسلم (أرسل إلي أن اقرأ على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثانية أن اقرأ على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي إلى الثالثة اقرأه على سبعة أحرف) هكذا وقعت هذه الرواية الأولى في معظم الأصول ، ووقع في بعضها زيادة : (قال أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثانية اقرأه على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف) .

ووقع في الطريق الذي بعد هذا من رواية ابن أبي شيبة أن قال اقرأه على حرف ، وفي المرة الثانية على حرفين ، وفي الثالثة على ثلاثة ، وفي الرابعة على سبعة . هذا مما يشكل معناه والجمع بين الروايتين . وأقرب ما يقال فيه أن قوله في الرواية الأولى (فرد إلى الثالثة) المراد بالثالثة الأخيرة وهي الرابعة فسماها ثالثة مجازا ، وحملنا على هذا التأويل تصريحه في الرواية الثانية أن الأحرف السبعة إنما كانت في المرة الرابعة وهي الأخيرة ، ويكون قد حذف في الرواية الأولى أيضا بعض المرات .

قوله تعالى : (ولك بكل ردة رددتها) وفي بعض النسخ (رددتكها) هذا يدل على أنه سقط في الرواية الأولى ذكر بعض الردات الثلاث وقد جاءت مبينة في الرواية الثانية . قوله سبحانه وتعالى : (ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها) معناه : مسألة مجابة قطعا . وأما باقي الدعوات فمرجوة ليست قطعية .اه

- وقال الفيروز أبادي في عون المعبود:

قيل: نزل القرآن على لغة قريش، فلما عَسُرَ على غيرهم أُذِنَ في القراءة بسَبْعِ لغاتٍ للقبائل المشهورة، وذلك لا ينافي زيادة القراءات على سبع؛ للاختلاف في لغة كل قبيلة، وإن كان قليلاً.

ثم قال :

قَالَ العلماء: إن القراءات، وإن زادت على سبع ـ والمتواتر أنها عشر قراءات ـ فإنها راجعة إلى سبعة أوجهٍ من الإختلافات: الأوَّل: اختلاف الكلمة في نفسها بالزيادة والنقصان، كقوله تعالى: (ننشزها، ننشرها) الأوَّل بالزاي المعجمة والثاني بالراء المهملة، وقوله: (سارعوا، وسارعوا) فالأوَّل بحذف الواو العاطفة قبل السين والثاني بإثباتها.

الثاني: التغيير بالجمع والتوحيد، ككتبه وكتابه.

الثالث: بالاختلاف في التذكير والتأنيث، كما في يكن وتكن.

الرابع: الاختلاف التصريفي، كالتخفيف والتشديد نحو (يَكذِبون، ويُكَذِّبون) والفتح والكسر نحو(يقنَط، ويقنِط).

الخامس: الاختلاف الإعرابي، كقوله تعالى ذو العرش المجيد برفع الدال وجرها.

السادس: اختلاف الأداة، نحو لكن الشياطين بتشديد النون وتخفيفها.

السابع: اختلاف اللغات، كالتفخيم والإمالة.

فلا يُوجَد في القرآن كلمةٌ تُقرَأ على سبعة أوجه إلا القليل، مثل (عبد الطاغوت) و (ولا تقل أف لهما)، وهذا كله تيسيرٌ على الأمة المرحومة.اه

٣٢١

**** الحديث الرابع عشر :(يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة..)[١]**

- أخرجه الترمذي في فضائل القران – باب ماجاء كيف كانت قراءة النبي **r** .

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له اقرأ وارق وتزاد بكل آية حسنة)

***** الشرح والبيان :**

قال المباركفوري في تحفة الأحوزي :

قوله : (يا رب حله) الظاهر أنه أمر من التحلية ، يقال حليته ، أحليه تحلية إذا ألبسته الحلية . والمعنى يا رب زينه (اقرأ) أمر من القراءة أي أتل (وارق) أمر من رقأ يرقأ رقأ أي اصعد . قال في القاموس .

رقأ في الدرجة صعد وهي المرقأة وتكسر . أي يقال لصاحب القرآن اقرأ القرآن واصعد على درجات الجنة .اه

****الحديث الخامس عشر: (ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن.)[٢]**

*أخرجه الترمذي في التفسير- باب ومن سورة الحجر.

....

١- أخرجه الترمذي في فضائل القرآن (٢٩١٥) ، وصححه الذهبي وأخرج الدارمي نحوه في فضائل القرآن (٣٣١١) .

٢- أخرجه الترمذي في التفسير (٣١٢٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٦٠) ، وأخرجه أحمد في مسند المكثرين (٨٤٦٧) ، والدارمي في فضائل القرآن (٣٣٧٣) .

عن أبي بن كعب قال(قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل)

***** الشرح والبيان :**

قال المباركفوري في تحفة الأحوزي:

(أم القرآن) يعني الفاتحة وسميت بها لاحتوائها واشتمالها على مَا في القرآن إجمالاً، أو المراد بالأم الأصل فهي أصل قواعد القرآن ويدور عليها أحكام الإيمان.

وعن قوله (وهي السبع المثاني) في هذا تصريح بأن المراد بقوله تعالى: ولقد آتيناك سبعاً من المثاني هي الفاتحة، وقد روى النسائي بإسناد صحيح عن ابن عباس أن السبع المثاني هي السبع الطوال أي السور من أوَّل البقرة إلى آخر الأعراف ثم براءة وقيل يونس، وعلى الأوَّل فالمراد بالسبع الآي لأن الفاتحة سبع آيات وهو قول سعيد بن جبير، واختُلِفَ في تسميتها مثاني فقيل: لأنها تثنى في كل ركعة أي تُعَاد، وقيل: لأنها يثنى بها على الله تعالى، وقيل: لأنها استثنيت لهذه الأمة، فلم تنزل على من قبلها.اهـ

....

الفوائد الجليلة المستخلصة من أحاديث الباب

***الفائدة الأولي : بيان عظمة الصلاة وثواب المحافظة عليها جماعة في بيوت الله تعالي والترهيب والوعيد لتاركها أوالمتكاسل عنها.**

الصلاة هي عماد الدين وذروة سنامه ولايتركها ألاجاحد كافر ولا يتكاسل عنها ألا فاسق غافل وسواء كان من تركها كسلاً أو تعمدًا فالأمر سيان لأن المصيبة واحدة فترك الصلاة ترك لأعظم شعائر الإسلام .

***عقوبة تارك الصلاة في الدنيا والآخرة:**

يقول تعالى جل شأنه { فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا{٥٩} إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا {٦٠} (مريم ٥٩ ــ ٦٠).

- قال بن كثير في تفسيره ما مختصرة: { فخلف من بعدهم خلف} أي قرون أخر، {أضاعوا الصلاة}، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غياً، أي خساراً يوم القيامة، وقد اختلفوا في المراد بإضاعة الصلاة ههنا، فقال البعض: المراد بإضاعتها تركها بالكلية ، وقال غيرهم كالأوزاعي: إنما أضاعوا المواقيت ولو كان تركاً كان كفراً. وقال الأوزاعي: قرأ عمر بن عبد العزيز: {فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة}، ثم قال: لم تكن إضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت، وقال مجاهد: ذلك عند قيام الساعة، وذهاب صالحي أمة محمد صلى اللّه عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في الأزقة، وقال الحسن البصري: عطّلوا المساجد ولزموا الضيعات) انظر تفسيرابن كثير (١٢٥/٣).

***وقال تعالي: { مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ {٤٢} قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ {٤٣} وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ {٤٤} وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ {٤٥} وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ {٤٦} حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ {٤٧ }فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ {٤٨} (المدثر/٤٢-٤٨)**

** وفي السنة الصحيحة عشرات من الأدلة فيها من التحذير والوعيد الشديدين ما يجعل ترك الصلاة كبيرة من اعظم الكبائر التي تؤدي بصاحبها إلي النار والعياذ بالله الرحيم منها من ذلك :-
* ما رواه ابن ماجة والترمذى بسند صحيح عن بريدة قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)

*ماروواه مسلم عن جابر بن عبد الله قال(سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) ..

وقال النووي في شرح الحديث ما مختصره:- (ومعنى بينه وبين الشرك ترك الصلاة أن الذي يمنع من كفره كونه لم يترك الصلاة ، فإذا تركها لم يبق بينه وبين الشرك حائل ، بل دخل فيه . وأما تارك الصلاة فإن كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين ، خارج من ملة الإسلام إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه ، وإن كان تركه تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس فقد اختلف العلماء فيه ، فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب وإلا قتلناه حدا كالزاني المحصن ، ولكنه يقتل بالسيف . وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر..) انتهي

أما من يتكاسل عنها حتي يخرج وقتها نذكره بكلام نفيس فيه فصل الخطاب في هذا الصدد لشيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في رده علي سؤال في الفتاوي الكبري (٢/ص ٣٣) : عمن ترك صلاة واحدة عمداً بنية أنه يفعلها بعد خروج وقتها قضاء ، فهل يكون فعله كبيرة من الكبائر ؟

فقال – رحمه الله تعالي :

الحمد لله . نعم تأخير الصلاة عن غير وقتها الذي يجب فعلها فيه عمداً من الكبائر ، بل قد قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- الجمع بين الصلاتين من غير عذر من الكبائر ، وقد رواه الترمذي مرفوعاً عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من جمع بين الصلاتين من غير عذر ، فقد أتى باباً من أبواب الكبائر".

ورفع هذا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان فيه نظر . فإن الترمذي قال : العمل على هذا عند أهل العلم ، والأثر معروف ، وأهل العلم ذكروا ذلك مقرين له ، لا منكرين له .

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من فاتته صلاة العصر فقد حبط عمله" وحبوط العمل لا يتوعد به إلا على ما هو من أعظم الكبائر . وكذلك تفويت العصر أعظم من تفويت غيرها ، فإنها الصلاة الوسطى المخصوصة بالأمر بالمحافظة عليها ، وهي التي فرضت على من كان قبلنا فضيعوها ، فمن حافظ عليها فله الأجر مرتين ، وهي التي لما فاتت سليمان فعل بالخيل ما فعل .

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً أنه قال : "من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله". والموتور أهله وماله يبقى مسلوباً ليس له ما ينتفع به من الأهل والمال ، وهو بمنزلة الذي حبط عمله .

وأيضاً فإن الله تعالى يقول : " فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون " فتوعد بالويل لمن يسهو عن الصلاة حتى يخرج وقتها وإن صلاها بعد ذلك ، وكذلك قوله تعالى : " فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ". وقد سألوا ابن مسعود عن إضاعتها فقال : هو تأخيرها حتى يخرج وقتها ، فقالوا : ما كنا نرى ذلك إلا تركها ، فقال : لو تركوها لكانوا كفاراً . وقد كان ابن مسعود يقول عن بعض أمراء الكوفة في زمانه : ما فعل خلفكم ؟ لكونهم كانوا يؤخرون الصلاة عن وقتها . وقوله : " اتبعوا الشهوات " يتناول

كل من استعمل ما يشتهيه عن المحافظة عليها في وقتها ، سواء كان المشتهى من جنس المحرمات : كالمأكول المحرم ، والمشروب المحرم ، والمنكوح المحرم ، والمسموع المحرم أو كان من جنس المباحات لكن الاسراف فيه ينهى عنه ، أو غير ذلك ، فمن اشتغل عن فعلها في الوقت بلعب أو لهو أو حديث مع أصحابه ، أو تنزه في بستانه ، أو عمارة عقاره ، أو سعى في تجارته ، أو غير ذلك فقد أضاع تلك الصلاة ، واتبع ما يشتهيه .
وقد قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون " . ومن ألهاه ماله وولده عن فعل المكتوبة في وقتها دخل في ذلك ، فيكون خاسراً . وقال تعالى في ضد هؤلاء : " يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ".
فإذا كان سبحانه قد توعد بلقي الغي من يضيع الصلاة عن وقتها ويتبع الشهوات ، والمؤخر لها عن وقتها مشتغلاً بما يشتهيه هو مضيع لها متبع لشهوته . فدل ذلك على أنه من الكبائر ، إذ هذا الوعيد لا يكون إلا على كبيرة ، ويؤيد ذلك جعله خاسراً ، والخسران لا يكون بمجرد الصغائر المكفرة باجتناب الكبائر .
وأيضاً فلا ... أحداً من صلى بلا طهارة ، أو إلى غير القبلة عمداً ، وترك الركوع والسجود أو القراءة أو غير ذلك متعمداً ، أنه قد فعل بذلك كبيرة ، بل قد يتورع في كفره إن لم يستحل ذلك ، وأما إذا استحله فهو كافر بلا ريب .
ومعلوم أن الوقت للصلاة مقدم على هذه الفروض وغيرها ، فإنه لا نزاع بين المسلمين أنه إذا علم المسافر العادم للماء أنه يجده بعد الوقت لم يجز له تأخير الصلاة ليصليها بعد الوقت بوضوء ، أو غسل : بل ذلك هو الفرض وكذلك العاجز عن الركوغ والسجود والقراءة إذا استحله فهو كافر بلا ريب .

٣٢٧

ومعلوم أنه إن علم أنه بعد الوقت يمكنه أن يصلي بإتمام الركوع والسجود والقراءة كان الواجب عليه أن يصلي في الوقت لإمكانه.
وأما قول بعض أصحابنا : إنه لا يجوز تأخيرها عن وقتها إلا لناو لجمعها أو مشتغل بشرطها، فهذا لم يقله قبله أحد من الأصحاب، بل ولا أحد من سائر طوائف المسلمين ، إلا أن يكون بعض أصحاب الشافعي ، فهذا أشك فيه . ولا ريب أنه ليس على عمومه وإطلاقه بإجماع المسلمين ، وإنما فيه صورة معروفة ، كما إذا أمكن الواصل إلى البئر أن يضع حبلاً يستقي ، ولا يفرغ إلا بعد الوقت ، وإذا أمكن العريان أن يخيط له ثوباً ولا يفرغ إلا بعد الوقت ، ونحو هذه الصور ، ومع هذا فالذي قاله في ذلك خلاف المذهب المعروف عن أحمد وأصحابه ، وخلاف قول جماعة علماء المسلمين من الحنفية والمالكية وغيرهم .
وما أعلم من يوافقه على ذلك إلا بعض أصحاب الشافعي . ومن قال ذلك فهو محجوج بإجماع المسلمين على أن مجرد الاشتغال بالشرط لا يبيح تأخير الصلاة عن وقتها المحدود شرعاً ، فإنه لو دخل الوقت وأمكنه أن يطلب الماء وهو لا يجده إلا بعد الوقت لم يجز له التأخير باتفاق المسلمين وإن كان مشتغلاً بالشرط . وكذلك العريان لو أمكنه أن يذهب إلى قرية ليشتري له منها ثوباً، وهو لا يصلي إلا بعد خروج الوقت لم يجز له التأخير بلا نزاع .
والأمي كذلك إذا أمكنه تعلم الفاتحة وهو لا يتعلمها حتى يخرج الوقت ، كان عليه أن يصلي في الوقت ، وكذلك العاجز عن تعلم التكبير والتشهد إذا ضاق الوقت صلى بحسب الإمكان ، ولم ينتظر . وكذلك المستحاضة لو كان دمها ينقطع بعد الوقت لم يجز لها أن تؤخر وكذلك المستحاضة لو كان دمها ينقطع بعد الوقت لم يجز لها أن تؤخر الصلاة لتصلي بطهارة بعد الوقت ، بل تصلي في الوقت بحسب الإمكان .

٣٢٨

وأما حيث جاز الجمع فالوقت واحد ، والمؤخر ليس بمؤخر عن الوقت الذي يجوز فعلها فيه ، بل في أحد القولين أنه لا يحتاج الجمع إلى النية ، كما قال أبو بكر .
وكذلك القصر ، وهو مذهب الجمهور : كأبي حنيفة ومالك .
وكذلك صلاة الخوف تجب في الوقت ، مع إمكان أن يؤخرها فلا يستدبر القبلة ، ولا يعمل عملاً كثيراً في الصلاة ، ولا يتخلف عن الإمام بركعة ، ولا يفارق الإمام قبل السلام ، ولا يقضي ما سبق به قبل السلام ، ونحو ذلك مما يفعل في صلاة الخوف ، وليس ذلك إلا لأجل الوقت ، وإلا ففعلها بعد الوقت ولو بالليل ممكن على الإكمال .
وكذلك من اشتبهت عليه القبلة ، وأمكنه تأخير الصلاة إلى أن يأتي مصراً يعلم فيه القبلة لم يجز له ذلك ، وإنما نازع من نازع إذا أمكنه تعلم دلائل القبلة ، ولا يتعلمها حتى يخرج الوقت .
وهذا النزاع هو القول المحدث الشاذ الذي تقدم ذكره وأما النزاع المعروف بين الأئمة في مثل ما إذا استيقظ النائم في آخر الوقت ولم يمكنه أن يصلي قبل الطلوع بوضوء : هل يصلي بتيمم ؟ أو يتوضأ ويصلي بعد الطلوع ؟ على قولين مشهورين :
الأول : قول مالك : مراعاة للوقت .
الثاني : قول الأكثرين كأحمد والشافعي وأبي حنيفة .
وهذه المسألة هي التي توهم من توهم أن الشرط مقدم على الوقت، وليس كذلك، فإن الوقت في حق النائم هو من حين يستيقظ ، كما ثبت في الصحيح ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها فإن ذلك وقتها". فجعل الوقت الذي أوجب الله على العبد فيه هو وقت الذكر والانتباه ، وحينئذ فمن فعلها في هذا الوقت بحسب ما يمكنه من الطهارة الواجبة

فقد فعلها في الوقت ، وهذا ليس بمفرط ولا مضيع لها ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : "ليس في النوم تفريط ، إنما التفريط في اليقظة".
بخلاف المتنبه من أول الوقت فإنه مأمور أن يفعلها في ذلك الوقت ، بحيث لو أخرها عنه عمداً كان مضيعاً مفرطاً ، فإذا اشتغل عنها بشرطها وكان قد أخرها عن الوقت الذي أمر أن يفعلها فيه ، ولولا أنه مأمور بفعلها في ذلك الوقت لجاز تأخيرها عن الوقت ، إذا كان مشتغلاً بتحصيل ماء الطهارة ، أو ثوب الاستعارة ، بالذهاب إلى مكانه ونحو ذلك ، وهذا خلاف إجماع المسلمين . بل المستيقظ في آخر الوقت إنما عليه أن يتوضأ كما يتوضأ المستيقظ في الوقت ، فلو أخرها لأنه يجد الماء عند الزوال ونحو ذلك لم يجز له ذلك .
وأيضاً فقد نص العلماء على أنه إذا جاء وقت الصلاة ولم يصل فإنه يقتل ، وإن قال أنا أصليها قضاء . كما يقتل إذا قال : أصلي بغير وضوء ، أو إلى غير القبلة ، وكل فرض من فرائض الصلاة المجمع عليها إذا تركه عمداً فإنه يقتل بتركه . كما أنه يقتل بترك الصلاة .
فإن قلنا : يقتل بضيق الثانية والرابعة ، فالأمر كذلك ، وكذلك إذا قلنا : يقتل بضيق الأولى ، وهو الصحيح ، أو الثالثة ، فإن ذلك مبني على أنه : هل يقتل بترك صلاة ، أو بثلاث ؟ على روايتين .
وإذا قيل بترك صلاة ، فهل يشترط وقت التي بعدها ، أو يكفي ضيق وقتها ؟ على وجهين . وفيها وجه ثالث : وهو الفرق بين صلاتي الجمع وغيرها . ولا يعارض ما ذكرناه أنه يصح بعد الوقت ، بخلاف بقية الفرائض : لأن الوقت إذا فات لم يمكن استداركه ، فلا يمكنه أن يفعلها إلا فائتة ، ويبقى إثم التأخير من باب الكبائر التي تمحوها التوبة ونحوها ، وأما بقية الفرائض فيمكن استدراكها بالقضاء .اهـ

الفائدة الثانية: بيان فضل الحج لبيت الله بصفة عامة وفضيلة يوم عرفة بصفة خاصة.

ويحتاج المسلم لأداء مناسك الحج إلي الألمام بأركانه ووجباته ليؤديها علي الوجه الصحيح

و في كتاب " منار السبيل لابن ضويان- رحمه الله - المتوفي سنة /١٣٥٣هـ"(١/ ص ١٨١)- باب أركان الحج و واجباته البيان الشافي لذلك قال رحمه الله :

- أركان الحج أربعة :

" الأول : الإحرام . وهو مجرد النية ، فمن تركه لم ينعقد حجه " لحديث " إنما الأعمال بالنيات "

" الثاني : الوقوف بعرفة " لحديث : " الحج عرفة " رواه أبو داود .

" ووقته من طلوع فجر يوم عرفة إلى طلوع فجر يوم النحر " لقول جابر : " لا يفوت الحج حتى يطلع الفجر من ليلة جمع . قال أبو الزبير : فقلت له : أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذلك ؟ قال : نعم " رواه الأ ثرم .

" فمن حصل في هذا الوقت بعرفة لحظة واحدة وهو أهل ، ولو ماراً أو نائماً أو حائضاً أو جاهلاً أنها عرفة ، صح حجه "" لعموم حديث عروة بن مضرس بن أوس بن حارثة بن لام الطائي قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالمزدلفة حين خرج إلى الصلاة فقلت : يا رسول الله ، إني جئت من جبلي طيئ أكللت راحلتي وأتعبت نفسي والله ما تركت من حبل إلا وقفت عليه ، فهل لي من حج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من شهد صلاتنا هذه ، ووقف معنا حتى ندفع وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً أو نهاراً ، فقد تم حجه وقضى تفثه "رواه الخمسة ، وصححه الترمذي . قال المجد : وهو حجة في أن نهار عرفة كله وقت للوقوف . وقال صلى الله عليه وسلم : " الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك " رواه الخمسة .

" لا إن كـان سـكراناً أو مجنونـاً أو مغمًـى عليـه " لأنـه لـيس مـن أهـل العبـادات بخلاف النائم .

" ولو وقف النـاس كلهم ، أو كلهم إلا قليلاً فـي اليوم الثـامن ، أو العاشر خطـأ أجزأهم " نص عليهما ، لأنه لا يؤمن وقوع مثـل ذلـك فـي القضـاء فيشـق . وهل هو يوم عرفة باطناً ؟ فيه خلاف في مذهب أحمد . قاله الشيخ تقي الدين ، ورجح أنه يوم عرفة باطناً وظاهراً ، وإن فعل ذلك نفر قليل منهم فاتهم الحج لتفريطهم . وقد روي "أن عمر قال لهبار بن الأسود ، لما حج من الشام وقدم يوم النحر : ما حبسك ؟ قال : حسبت أن اليوم عرفة ، فلم يعذر بذلك " رواه الأ ثرم .

" الثالث : طواف الإفاضة " لقولـه تعـالى :" وليطوفـوا بالبيـت العتيـق " [الحـج : ٢٩] وعـن عائشـة قالـت : " حاضـت صـفية بنـت حيـي بعـد مـا أفاضـت ، قالـت : فذكرت ذلك لرسول الله صـلى الله عليـه وسلم ، فقـال : أحابستنا هـي ؟ قلت : يـا رسول الله ، إنها قد أفاضت ، وطافت بالبيت ، ثم حاضـت ، بعد الإفاضـة قـال : فلتنفر إذاً " متفق عليه . فدل على أن هذا الطواف لا بد منه ، وأنه حابس لمن لم يأت به .

" ووقته من نصف ليلة النحر لمن وقف ، وإلا فبعد الوقوف " لوجوب المبيت بمزدلفة إلى بعد نصف الليل .

" ولا حد لآخره " وفعله يوم النحـر أفضـل ، لقول ابـن عمـر : " أفـاض رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم النحر" متفق عليه .

" الرابع : السعي بين الصفا والمروة " لقول عائشة : " طـاف رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ، وطـاف المسـلمون- تعنـي بـين الصـفا والمـروة - فكانـت سـنة ، فلعمري ما أتم الله حج من لم يطف بـين الصـفا والمـروة "رواه مسـلم . ولحـديث : " اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي" رواه أحمد وابن ماجه .

" واجباتـه سـبعة " وقيـل سـتة ، لأن طـواف الـوداع واجـب علـى كـل مـن أراد الخروج من مكة .
" ١ - الإحرام من الميقات " لما تقدم .
" ٢ - الوقوف إلى الغروب لمن وقف نهاراً " " لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقف إلى الغروب " وقد قال : " خذوا عني مناسككم " .
" ٣ - المبيت ليلـة النحر بمزدلفة إلى بعد نصف الليل " " لأنـه صلى الله عليـه وسلم بات بها وقال : لتأخذوا عني مناسككم " وعن ابن عباس :" كنت فيمن قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، في ضعفة أهله من مزدلفـة إلـى منـى " متفق عليـه . وعـن عائشـة قالـت : " أرسـل رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ، بـأم سـلمة ليلـة النحر ، فرمت الجمرة قبل الفجر ، ثم أفاضت " رواه أبو داود .
" ٤ - المبيت بمنى في ليالي التشريق " لقول عائشة : " ثم رجع إلى منـى فمكث بهـا ليـالي أيـام التشـريق" الحديث . رواه أحمد وأبـو داود ، ولمفهـوم حـديث ابـن عباس قال : " استأذن العبـاس رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم ، أن يبيت بمكـة ليالي منى من أجل سقايته ، فأذن لـه " متفق عليـه . وعـن عاصـم بـن عـدي " أن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ، رخـص لرعـاء الإبـل فـي البيتوتـة عـن منـى يرمون يوم النحر ، ثم يرمون من الغد ، ومن بعد الغد ليومين ، ثم يرمـون يـوم النفر" رواه الخمسة ، وصححه الترمذي .
" ٥ - رمي الجمار مرتباً " فيرمي يوم النحـر جمـرة العقبـة بسـبع حصـيات " لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، بدأ بها " ولأنها تحيـة منـى ويرمـي الجمـرات الـثلاث في أيام التشريق ، كل يوم بعد الزوال ، كل جمرة بسـبع حصـيات ، يبدأ بـالجمرة الأولـى : وهي أبعدها من مكة وتلي مسجد الخيف ، ثم الوسطى ، ثم جمرة العقبـة ، لحديث عائشة " أن النبي صلى الله عليه وسلم ، رجع إلى منى فمكث بهـا ليـالي أيام التشريق يرمي الجمرة إذا زالـت الشمس ، كل جمرة بسبع حصيات ، يكبر

مع كل حصاة ، يقف عند الأولى والثانية ، فيطيل القيام ويتضرع ، ويرمي الثالثة ولا يقف عندها " رواه أبو داود .
" ٦ - الحلق أو التقصير " لأنه تعالى وصفهم بذلك ، وامتن به عليهم فقال : " محلقين رؤوسكم ومقصرين "[الفتح : ٢٧] " ولأن النبي صلى الله عليه وسلم ، أمر به فقال : فليقصر ثم ليحلل ، ودعا للمحلقين ثلاثاً ، وللمقصرين مرة " متفق عليه . وفي حديث أنس" أن النبي صلى الله عليه وسلم ، أتى منى فأتى الجمرة فرماها ، ثم أتى منزله بمنى ونحر ، ثم قال للحلاق : خذ : وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر وجعل يعطيه الناس " رواه أحمد ومسلم . وقال ابن المنذر : أجمعوا على إجزاء التقصير إلا أنه يروى عن الحسن إيجاب الحلق في الحجة الأولى ، ولا يصح للآية . ويستحب لمن لا شعر له إمرار الموسى على رأسه . روي ذلك عن ابن عمر ، وبه قال مالك والشافعي ، ولا نعلم فيه خلافاً . قاله في الشرح .
" ٧ - طواف الوداع " لحديث ابن عباس :" أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض " متفق عليه .
" وأركان العمرة ثلاثة : الإحرام " وهو نية الدخول فيها ، لحديث " إنما الأعمال بالنيات " .
" والطواف . والسعي " لقوله تعالى : " وليطوفوا بالبيت العتيق " الآية[الحج : ٢٩] " إن الصفا والمروًة من شعائر الله " الآية [البقرة : ١٥٨] .
ولحديث " اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي" وعن ابن عمر" أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : من لم يكن معه هدي فليطف بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، وليقصر وليحلل " متفق عليه . وأمره يقتضي الوجوب .

" وواجباتها شيئان : الإحرام بها من الحل " " لأمره صلى الله عليه وسلم عائشة أن تعتمر من التنعيم " وقال في الشرح : ومن أراد العمرة من أهل الحرم خرج إلى الحل ، فأحرم منه ، وكان ميقاتاً له . لا نعلم فيه خلافاً .
" والحلق أو التقصير " لقوله " وليقصر وليحلل " .
" والمسنون كالمبيت بمنى ليلة عرفة " " لأنه صلى الله عليه وسلم ، بات بها ليلة عرفة " رواه مسلم عن جابر .
" وطواف القدوم والرمل في الثلاثة أشواط الأول منه ، والاضطباع فيه " لحديث عائشة " أن النبي صلى الله عليه وسلم ، حين قدم مكة توضأ ، ثم طاف بالبيت " متفق عليه . وعن ابن عباس " أن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه اعتمروا من الجعرانة ، فرملوا بالبيت ، وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم ، ثم قذفوها على عواتقهم اليسرى" رواه أبو داود . وفي حديث جابر : " حتى أتينا البيت معه استلم الركن ، فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً " .
" وتجرد الرجل من المخيط عند الإحرام ، ولبس إزار ورداء أبيضين نظيفين " لحديث ابن عمر مرفوعاً : " وليحرم أحدكم في إزار ورداء ونعلين " رواه أحمد .
" والتلبية من حين الإحرام إلى أول الرمي " في الحج ، وأما في العمرة فإلى استلام الحجر ، لحديث ابن عمر" أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان إذا استوت به راحلته قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهل فقال : لبيك اللهم لبيك . . " الحديث متفق عليه . وعن الفضل ابن عباس قال : " كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ، من جمع إلى منى ، فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة " رواه الجماعة ، وعن ابن عباس مرفوعاً قال : " يلبي المعتمر حتى يستلم الحجر " رواه أبو داود .
" فمن ترك ركناً لم يتم حجه إلا به " لما تقدم .

٣٣٥

" ومن ترك واجباً فعليه دم وحجه صحيح " لقول ابن عباس : من ترك نسكاً فعليه دم وهو مقيس على دم الفوات . كما في الشرح .
" ومن ترك مسنوناً فلا شئ عليه " لعدم النص في ذلك .اهـ

***الفائدة الثالثة: بيان نزول القران علي سبع أحرف رحمة من الله لهذه الأمة وبيان ما في تلاوته من الثواب العظيم في الدنيا والاخرة :**

وأما عن ثواب الله لحملة القران فنذكر قول النووي – رحمه الله في كتابه " التبيان في اداب حملة القران - باب : في أطراف من فضيلة تلاوة القرآن وحملته

قال رحمه الله تعالي :

قال الله عز وجل " إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور * ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور " وروينا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " رواه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري في صحيحه الذي هو أصح الكتب بعد القرآن

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مر السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران " رواه البخاري و أبو الحسين مسلم القشيري النيسابوري في صحيحهما

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو

،ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر " رواه البخاري و مسلم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى يرفع بهذا الكلام أقواما ويضع به آخرين " رواه مسلم .

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه " رواه مسلم ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل آناء النهار ، ورجل آتاه الله ملا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار "رواه البخاري و مسلم

وروينا أيضا من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ " لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله ملا فسلطه على هلكته في الحق وجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها " . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألام حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف " رواه أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " يقول الله سبحانه وتعالى :

من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله سبحانه وتعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه " رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الذي ليس في جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب " رواه الترمذي ،

وقال حديث حسن صحيح ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها " رواه أبو داود و الترمذي و النسائي ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا فما ظنكم بالذي عمل بهذا " رواه أبو داود . وروى الدارمي باسناده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " اقرؤوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن ، وإن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن ، ومن أحب القرآن فليبشر " . وعن الحميدي الجمالي قال : سألت سفيان الثوري عن الرجل يغزو أحب إليك أو يقرأ القرآن ؟ فقال يقرأ القرآن لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال " خيركم من تعلم القرآن وعلمه" .

ثم ذكر رحمه الله تعالي في الباب السادس من كتابه سابق الذكر ماينبغي لحامل القران أن يفعله من اداب عند قرأته للقران نذكرها هنا لتعم الفائدة علي القاريء الكريم والله المستعان .

قال –رحمه الله محتصرا:

وينبغي إذا أراد القراءة أن ينظف فاه بالسواك وغيره ، ، والإختيار في السواك أن يكون بعود من أراك ، ويجوز بسائر العيدان وبكل ما ينظف كالخرقة الخشنة والأشنان وغير ذلك

ثم قال :

يستحب أن يقرأ وهو على طهارة ، فإن قرأ محدثا جاز بإجماع المسلمين ، والأحاديث فيه كثيرة معروفة . قال إمام الحرمين : ولا يقال ارتكب مكروها

٣٣٨

بل هو تارك للأفضل ، فإن لم يجد الماء تيمم ، والمستحاضة في الزمن المحكوم بأنه طهر حكمها حكم المحدث .

وأما الجنب والحائض فإنه يحرم عليهما قراءة القرآن ، سواء كان آية أو أقل منها ، ويجوز لهما إجراء القرآن على قلبهما من غير تلفظ به ، ويجوز لهما النظر في المصحف وإمراره على القلب ، وأجمع المسلمون على جواز التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الأذكار للجنب والحائض .

ثم قال :

ويستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف مختار ، ولهذا استحب جماعة من العلماء القراءة في المسجد ، لكونه جامعا للنظافة وشرف البقعة ومحصلا لفضيلة أخرى وهي الإعتكاف ، فإنه ينبغي لكل جالس في المسجد الإعتكاف سواء أكثر في جلوسه أو أقل ، بل ينبغي أول دخوله المسجد أن ينوي الإعتكاف ، وهذا الأدب ينبغي أن يعتنى به ويشاع ذكره ويعرفه الصغار والعوام ، فإنه مما يغفل عنه .

ثم قال –رحمه الله تعالي :

يستحب للقارئ في غير الصلاة أن يستقبل القبلة ، فقد جاء في الحديث " خير المجالس ما استقبل به القبلة" ويجلس متخشعا بسكينة ووقار ، مطرقا رأسه ويكون جلوسه وحده في تحسين أدبه وخضوعه كجلوسه بين يدي معلمه ، فهذا هو الأكمل ، ولو قرأ قائما ، أو مضطجعا ، أو في فراشه ، أو على غير ذلك من الأحوال جاز ، وله أجر ، ولكن دون الأول . قال الله عز وجل " إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض " وثبت في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت " كان رسول الله صلى الله عليه

٣٣٩

وسلم يتكئ في حجري وأنا حائض ويقرأ القرآن " رواه البخاري و مسلم ، وفي رواية " يقرأ القرآن ورأسه في حجري " وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : إني أقرأ القرآن في صلاتي وأقرأ على فراشي . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إني لا أقرأ حزبي وأنا مضطجعة على السرير .

ثم قال :

فإن أراد الشروع في القراءة استعاذ فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، هكذا قال الجمهور من العلماء . وقال بعض العلماء : يتعوذ بعد القراءة ، لقوله تعالى " فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم " ، وتقدير الآية عند الجمهور : إذا أردت القراءة فاستعذ ، ثم صيغة التعوذ كما ذكرناه ، وكان جماعة من السلف يقولون أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ولا بأس بهذا ، ولكن الإختيار هو الأول ، ثم إن التعوذ مستحب وليس بواجب ، وهو مستحب لكل قارئ ، سواء كان في الصلاة أو في غيرها ثم قال :

وينبغي أن يحافظ على قراءة بسم الله الرحمان الرحيم في أول كل سورة سوى براءة ، فإن أكثر العلماء قالوا إنها آية ، حيث تكتب في المصحف وقد كتبت في أوائل السور سوى براءة ، فإذا قرأها كان متيقنا قراءة الختمة أو السورة ، فإذا أخل بالبسملة كان تاركا لبعض القرآن عند الأكثرين ، فإذا كانت القراءة في وظيفة عليها جعل كالأسباع والأجراء التي عليها أوقاف وأرزاق كان الإعتناء بالبسملة أكثر لتيقن قراءة الختمة ، فإنه أذا تركها لم يستحق شيئا من الوقف عند من يقول البسملة آية من أول السورة ، وهذه دقيقة يتأطد الإعتناء بها وإشاعتها .

ثم قال :

فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبير عند القراءة ، و والدلائل عليه أكثر من أن تحصر ، وأشهر وأظهر من أن تذكر ، فهو المقصود المطلوب ، وبه تنشرح الصدور ، وتستنير القلوب ،قال الله عز وجل " أفلا يتدبرون

٣٤٠

القرآن " وقال تعالى " كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته " . والأحاديث فيه كثيرة ، وأقاويل السلف فيه مشهورة ، وقد بات جماعة من السلف يتلون آيه واحدة يتدبرونها ويرددونها إلى الصبح ، وقد صعق جماعة من السلف عند القراءة ، ومات جماعات حال القراءة ، وروينا عن بهز بن حكيم أن زرارا بن أوفى التابعي الجليل رضي الله عنه أمهم في صلاة الفجر فقرأ حتى بلغ " فإذا نقر في الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير " خر ميتا . قال بهز : وكنت فيمن حمله . وكان احمد بن أبي الحواري رضي الله عنه ، وهو ريحانة الشام كما قال أبو القاسم الجنيد رحمه الله إذا قرئ عنده القرآن يصيح ويصعق .

ثم قال :

وقد قدمنا في الفصل قبله الحث على التدبر ، وبيان موقعه ، وتأثر السلف . وروينا عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال " قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية يرددها حتى أصبح والآية " إن تعذبهم فإنهم عبادك " الآية" رواه النسائي و ابن ماجه . وعن تميم الداري رضي الله تعالى عنه أنه كرر هذه الآية حتى أصبح " أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات " الآية ، وعن عبادة بن حمزة قال : دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ " فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم " فوقفت عندها فجعت تعيدها وتدعو ، فطال علي ذلك ، فذهبت إلى السوق ، فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو ، ورويت هذه القصة عن عائشة رضي الله تعالى عنها ، وردد ابن مسعود رضي الله عنه " رب زدني علما " وردد سعيد بن جبير " واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله " وردد أيضا " فسوف يعلمون * إذ الأغلال في أعناقهم " الآية ، وردد أيضا " ما غرك بربك الكريم " وكان الضحاك إذا تلا قوله تعالى " لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل " رددها إلى السحر .

٣٤١

(فصل) في البكاء عند قراءة القرآن قد تقدم في الفصلين المتقدمين بيان ما يحمل البكاء في حال القراءة ، وهو صفة العارفين ، وشعار عباد الله الصالحين . قال الله تعالى " ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا " وقد وردت فيه أحاديث كثيرة وآثار السلف . فمن ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم " اقرؤوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا " وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف ، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته . وفي رواية : أنه كان في صلاة العشاء فتدل على تكريرة منه ، وفي رواية : أنه بكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف . وعن أبي رجاء قال : رأيت ابن عباس وتحت عينيه مثل الشراك البالي من الدموع .

وعن أبي صالح قال : قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فجعلوا يقرؤون ويبكون ، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : هكذا كنا . وعن هشام قال : ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في الليل وهو في الصلاة والآثار في هذا كثيرة لا يمكن حصرها ، وفيما أشرنا إليه ونبهنا عليه كفاية ، والله أعلم . قال الإمام أبو حامد الغزالي : البكاء مستحب مع القراءة وعنها . وطريقه في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في ذلك ، فإن لم يحضره حزن وبكاء يحضر الخواص فليبك على فقد ذلك فإنه من أعظم المصائب.

ثم قال :

وينبغي أن يرتل قراءته ، وقد اتفق العلماء رضي الله عنهم على استحباب الترتيل . قال الله تعالى " ورتل القرآن ترتيلا " وثبت عن أم سلمة رضي الله عنها " نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة مفسرة حرفا حرفا " رواه أبو داود و النسائي و الترمذي . قال الترمذي حديث حسن صحيح

٣٤٢

وعن معاوية ابن قرة رضي الله عنه عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح يرجع في قراءته " رواه البخاري و مسلم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله . وعن مجاهد أنه سئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما واحد سواء ؟ فقال: الذي قرأ البقرة وحدها أفضل ، وقد نهي عن الإفراط في الإسراع ، ويسمى الهذرمة ، فثبت عن عبد الله بن مسعود أن رجلا قال له : إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة ، فقال عبد الله بن مسعود : " هكذا هكذا الشعر ، إن أقواما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع " ، رواه البخاري و مسلم ، وهذا لفظ مسلم في إحدى رواياته . قال العلماء : والترتيل مستحب للتدبير ولغيره .

قالوا : يستحب الترتيل للعجمي الذي لا يفهم معناه ، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والإحترام ، وأشد تأثيرا في القلب .

ثم قال :

ويستحب إذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله من الشر ومن العذاب ،أو يقول : اللهم إني أسألك العافية أو أسألك المعافاة من كل مكروه أو نحو ذلك ، وإذا مر بآية تنزيه لله تعالى نزه فقال : سبحانه وتعالى ، أو تبارك وتعالى ، أو جلت عظمة ربنا ، فقد صح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : " صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة ، فقلت يركع عند المائة ثم مضى ، فقلت يصلي بها في ركعة فمضى ، فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقراها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ ترسلا ، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ " رواه مسلم في صحيحه ، وكانت سورة

النساء في ذلك الوقت مقدمة على آل عمران . قال أصحابنا رحمهم الله تعالى : ويستحب هذا السؤال والاستعاذة والتسبيح لكل قارئ سواء كان في الصلاة أو خارجا منها قالوا : ويستحب ذلك في صلاة الإمام والمنفرد والمأموم ، لأنه دعاء فاستووا فيه كالتأمين عقب الفاتحة ، وهذا الذي ذكرناه من استحباب السؤال والاستعاذة ، هو مذهب الشافعي رضي الله عنه وجماهير العلماء رحمهم الله . قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى : ولا يستحب ذلك بل يكره في الصلاة ، والصواب قول الجماهير لما قدمناه .

ثم قال رحمه الله تعالي :

ومما يعتنى به ويتأكد الأمر به احترام القرآن من أمور قد يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين . فمن ذلك اجتناب الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة إلا كلاما يضطر إليه ، وليمتثل قول الله تعالى " وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون " وليقتد بما رواه ابن أبي داود عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا قرأ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ منه ، ذكره في كتاب التفسير في قوله تعالى " نساؤكم حرث لكم " ومن ذلك العبث باليد وغيرها فإنه يناجي ربه سبحانه وتعالى فلا يعبث بين يديه ، ومن ذلك النظر إلى ما يلهي ويبدد الذهن ثم قال :

لا تجوز قراءة القرآن بالعجمية سواء أحسن العربية أو لم يحسنها سواء كان في الصلاة أم في عيرها ، فإن بها في الصلاة لم تصح صلاتة ، هذا مذهبنا ومذهب مالك وأحمد وداود وأبو بكر بن المنذر . قال أبو حنيفة : يجوز ذلك لمن لم يحسن العربية ، ولا يجوز لمن يحسنها .

ثم قال:

وتجوز قراءة القرآن بالقرآآت السبع المجمع عليها ، ولا يجوز بغير السبع ولا بالروايات الشاذة المنقولة عن القراء السبعة ، وسيأتي في الباب السابع إن شاء

الله تعالى بيان اتفاق الفقهاء على استتابة من أقرأ الشواذ أو قرأبها .وقال أصحبنا وغيرهم : لو قرأ بالشواذ في الصلاة بطلت صلاته إن كان عالما ، وإن كان جاملا لم تبطل ولم تحسب له تلك القراءة ، وقد نقل الإمان أبو عمر بن عبد البر الحافظ إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذ، وأنه لا يصلى خلف من يقرأ بها . قال العلماء : من قرأ الشاذ إن كان جاهلا به أو بتحريمه عرف بذلك ، فإن عاد إليه أو كان عالما به عزز تعزيرا بليغا إلى أن ينتهي عن ذلك ، ويجت على كل متمكن من الانكار عليه ومنعه ، الانكار والمنع .

ثم قال :

إذا ابتدأ بقرأءة أحد القراو ، فينبغي أن يستمر على القراءة بها ما دام الكلام كرنب ، فإذا انقضى ارتباطه فله أن يقرأ بقراءة أحد من السبعة ، والأولى دوامه على الأولى في هذا المجلس .

ثم قال –رحمه الله تعالي :

قال العلماء : الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف فيقرأ الفاتحة ، ثم البقرة ، ثم آل عمران ، ثم ما بعدها على الترتيب وسواء قرأ في الصلاة أو في غيرها حتى قال بعض أصحابنا : إذا قرأ في الركعة الأولى سورة قل أعوذ برب الناس يقرأفي الثانية بعد الفاتحة من البقرة . قال بعض أصحابنا : ويستحب إذا قرأ سورة أن يقرأ بعدها التي تليها ، ودليل هذا أن ترتيب المصحف إنما جعل هكذا الحكمة ، فينبغي أن يحافظ عليها إلا فيما ورد المشرع باستثنائه كصلاة الصبح يوم الجمعة يقرأ في الأولى سورة السجدة ، وفي الثانية هل أتى على الانسان وصلاة العيد في الأولى قاف ، وفي الثانية اقتربت الساعة ، وركعتي سنة الفجر في الأولى قل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية قل هو الله أحد ، وركعات الوتر في الأولى سبح اسم ربك الأعلى ، وفي الثانية قل يا أيها الكافرون ، وفي الثالث قل هو الله أحد المعوذتين ، ولو خالف الموالاة فقرأ سورة لا تلي الأولى أو

٣٤٥

خالف الترتيب فقرأ سورة ، ثم قرأ سورة قبلها جاز ، فقد جاء بذلك آثاركثيرة ، وقد قرأعمر بن الخطاب رضي الله عنه في الركعة الأولى من الصبح بالكهف ، وفي الثانية بيوسف وقد كره جماعة مخالفة ترتيب المصحف ، وروى ابن أبي داود عن الحسن : أنه كان يكره أن يقرأالقرآن إلا على تأليفه في المصحف ، وباسناده الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قيل له : إن فلانا يقرأ القرآن منكوسا ؟ فقال ذلك منكوس القلب وأما قراءة السورة من آخرها إلى أولها فممنوع منعا متأكدا ، فإنه يذهب بعض ضروب الاعجاز ويزيل حكمة ترتيب الآيات ، وقد روى ابن أبي داود عن ابراهيم النخعي الإمام التابعي الجليل والامام مالك بن أنس أنهمات كرها ذلك ، وان مالكا كان يعيبه ، ويقول هذا عظيم وأما بعليم الصبيان من آخر المصحف إلاى أوله فحسن ليس هذا من هذا الباب ، فإن ذلك قراءة متفاضلة في أيام متعددة مع ما فيه من تسهيل الحفظ عليهم ، والله أعلم .

ثم قال :

قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب ، لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة فتجتمع القراءة والنظر هكذا . قال القاضي حسين من اصحابنا وأبو حامد الغزالي وجمعات من السلف ، ونقل الغزالي في الاحياء ان كثيرين من الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقرءون من المصحف ، وبكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف وروى ابن أبي داود القراءة في المصحف عن كثيرين من السلف ، ولم أر فيه خلافا ، ولو قيل إنه يختلف باختلاف الأشخاص ، فيختار القراءة في المصحف لمن استوى خشوعه وتدبيره في حالتي القراءة في المصحف وعن ظهرالقلب ، ويختار القراءة عن ظهر القلب لمن لم يكمل بذلك خشوعه ، ويزيد على خشوعه وتدبية لو قرأمن

المصحف لكان هذا قولا حسنا ، والظاهر أ، كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل .

ثم قال :

في استحباب قراءة الجماعة مجتمعين ، وفضل القايئين من الجماعة والسامعين وبيان فضلة من جمعهم عليها وحرضهم وندبهم إليها . أعلم أن قراءة الجماعة مجتمعين مستحبة بالدلائل الظاهرة وأفعال السلف والخلف المتظاهر .

فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من" رواية أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ، انه قا ل ما من قوم يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده " قال الترمذي : حديث حسن صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده" رواه مسلم وأبوداود باسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم وعن معاوية رضي الله عنه " أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال ما سجلكم ؟ قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده لما هدانا للاسلام ، ومن علينا به فقا ل: أتاني جبريل عليه السلام فاخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة" رواه الترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، والأحاديث في هذا كثيرة

وأما فضيلة من يجمعهم على القراءة ففيها يصوص كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم " الدال على الخير كفاعله " قوله صلى الله عليه وسلم " لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم " والأحاديث فيه كثير مشهورة ، وقد قال الله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى " ولا شك في عظم أجر الساعي في ذلك .اهـ

٣٤٧

الفائدة الرابعة : بيان فضل الصوم عن سائر العبادات التي خصها الله تعالي إليه.

ولذلك من ظلم الأنسان لنفسه أن يفطر في رمضان بغير عذر .
وقد سئل ابن تيمية في الفتاوي الكبري (٢/ ص ٤٧٣) عمن يفطر في رمضان من غير عذر فقال رحمه الله تعالي :

فأجاب : إذا أفطر في رمضان مستحلاً لذلك ، وهو عالم بتحريمه استحلالاً له ، وجب قتله ، وإن كان فاسقاً عوقب عن فطره في رمضان بحسب ما يراه الإمام ، وأخذ منه حد الزنا ، وإن كان جاهلاً عرف بذلك ، وأخذ منه حد الزنا ، ويرجع في ذلك إلى اجتهاد الإمام ، والله أعلم .اه

٣٤٨

الباب العاشر
ماجاء في الجهاد والشهادة

الحديث الأول :(قال انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه..)[١]
*أخرجه البخاري في الايمان – باب الجهاد من الإيمان
عن أبو زرعة بن عمرو بن جرير قال سمعت أبا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل)
* وأخرجه مسلم في الأمارة- باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله .
عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي وإيمانا بي وتصديقا برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله

١- أخرجه البخاري في الايمان (٣٦) ، ومسلم في الامارة (١٨٧٦) ، والنسائي في الجهاد (٣١٢٢) ، وأحمد في مسند المكثرين (٧١١٧) ، ومالك مختصراً في الجهاد (٩٩٩) ، والدارمي في الجهاد (٢٣٩١) .

٣٤٩

أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل)

***** الشرح والبيان:**

* قال النووي في شرح مسلم:

قوله صلى الله عليه وسلم : (تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهادا - إلى قوله : - أن أدخله الجنة) وفي الرواية الأخرى : (تكفل الله) ومعناهما : أوجب الله تعالى له الجنة بفضله وكرمه سبحانه وتعالى ، وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى : { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . . . } الآية . قوله سبحانه وتعالى : (لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي) هكذا هو في جميع النسخ (جهادا) بالنصب ، وكذا قال بعده (وإيمانا بي وتصديقا) وهو منصوب على أنه مفعول له وتقديره : لا يخرجه المخرج ويحركه المحرك إلا للجهاد والإيمان والتصديق . قوله : (لا يخرجه إلا جهادا في سبيلي وإيمانا بي وتصديقا برسلي) معناه : لا يخرجه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى .

قوله في الرواية الأخرى : (وتصديق كلمته) أي : كلمة الشهادتين ، وقيل : تصديق كلام الله في الإخبار بما للمجاهد من عظيم ثوابه . قوله تعالى : (فهو علي ضامن) ذكروا في (ضامن) هنا وجهين : أحدهما : أنه بمعنى : مضمون ، كماء دافق ومدفوق ، والثاني : أنه بمعنى : ذو ضمان .

قوله تعالى : (أن أدخله الجنة) قال القاضي : يحتمل أن يدخل عند موته كما قال تعالى في الشهداء : { أحياء عند ربهم يرزقون } وفي الحديث : " أرواح الشهداء في الجنة " قال : ويحتمل أن يكون المراد دخوله الجنة عند دخول

السابقين والمقربين بلا حساب ولا عذاب ولا مؤاخذة بذنب ، وتكون الشهادة مكفرة لذنوبه كما صرح به في الحديث الصحيح .

قوله : (أو أرجعه إلى مسكنه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة) قالوا : معناه ما حصل له من الأجر بلا غنيمة إن لم يغنم أو من الأجر والغنيمة معا إن غنموا وقيل : إن (أو) هنا بمعنى الواو ، أي : من أجر وغنيمة ، وكذا وقع بالواو في رواية أبي داود ، وكذا وقع في مسلم في رواية يحيى بن يحيى التي بعد هذه بالواو . ومعنى الحديث : أن الله تعالى ضمن أن الخارج للجهاد ينال خيرا بكل حال ، فأما أن يستشهد فيدخل الجنة ، وإما أن يرجع بأجر ، وإما أن يرجع بأجر وغنيمة .

قوله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفس محمد بيده ، ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم ، لونه لون دم وريحه مسك) أما (الكلم) بفتح الكاف وإسكان اللام ، فهو : الجرح ، ويكلم بإسكان الكاف ، أي : يجرح ، وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره ، والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته ، وبذله نفسه في طاعة الله تعالى ، وفيه : دليل على جواز اليمين وانعقادها بقوله : (والذي نفسي بيده) ونحو هذه الصيغة ، من الحلف بما يدل على الذات ، ولا خلاف في هذا ، قال أصحابنا : اليمين تكون بأسماء الله تعالى وصفاته ، أو ما دل على ذاته ، قال القاضي : واليد هنا بمعنى القدرة والملك . قوله : (والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله) أي : خلفها وبعدها . وفيه : ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الشفقة على المسلمين والرأفة بهم ، وأنه كان يترك بعض ما يختاره للرفق بالمسلمين ، وأنه إذا تعارضت المصالح بدأ بأهمها .

٣٥١

وفيه : مراعاة الرفق بالمسلمين ، والسعي في زوال المكروه والمشقة عنهم . قوله : (لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) فيه : فضيلة الغزو والشهادة ، وفيه : تمني الشهادة والخير ، وتمني ما لا يمكن في العادة من الخيرات ، وفيه : أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين اهـ

الحديث الثاني . (...لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم)[١]

*أخرجه البخاري في المغازي- باب فضل من شهد بدرا.
عن علي رضي الله عنه قال(بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام وكلنا فارس قال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا الكتاب فقالت ما معنا كتاب فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنجردنك فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجته فانطلقنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على ما صنعت قال حاطب والله ما بي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق

١- أخرجه البخاري في المغازي (٣٩٨٣) ، ومسلم في الفضائل (٢٤٩٤) ، والترمذ في تفسير القرآن عن رسول الله (٣٣٠٥) ، وأبو داود في الجهاد (٢٦٥٠) ، وأحمد في مسند العشرة (٦٠١) .

ولا تقولوا له إلا خيرا فقال عمر إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه فقال أليس من أهل بدر فقال لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم)
* وأخرجه مسلم في الفضائل – باب في فضائل أهل بدر .
عن عمرو عن الحسن بن محمد أخبرني عبيد الله بن أبي رافع وهو كاتب علي قال (سمعت عليا رضي الله عنه وهو يقول بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال ائتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا فإذا نحن بالمرأة فقلنا أخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا قال لا تعجل علي يا رسول الله إني كنت امرأ ملصقا في قريش قال سفيان كان حليفا لهم ولم يكن من أنفسها أكان ممن كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عز وجل " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء" وليس في حديث أبي بكر وزهير ذكر الآية وجعلها إسحق في روايته من تلاوة سفيان)
**** الشرح والبيان :**
* قال النووي في شرح مسلم:

٣٥٣

قوله : (روضة خاخ) هي بخاءين معجمتين . هذا هو الصواب الذي قاله العلماء كافة في جميع الطوائف ، وفي جميع الروايات والكتب . ووقع في البخاري من رواية أبي عوانة : (وحاج) بحاء مهملة والجيم ، واتفق العلماء على أنه غلط أبي عوانة ، وإنما اشتبه عليه بذات حاج بالمهملة والجيم ، وهي موضع بين المدينة والشام على طريق الحجيج . وأما (روضة خاخ) فبين مكة والمدينة بقرب المدينة . قال صاحب المطالع : وقال الصائدي : هي بقرب مكة ، والصواب الأول

قوله صلى الله عليه وسلم (فإن بها ظعينة معها كتاب) الظعينة هنا الجارية ، وأصلها الهودج ، وسميت بها الجارية ؛ لأنها تكون فيه . واسم هذه الظعينة سارة مولاة لعمران بن أبي صيفي القرشي . وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه هتك أستار الجواسيس بقراءة كتبهم سواء كان رجلا أو امرأة ، وفيه هتك ستر المفسدة إذا كان فيه ومصلحة أو كان في الستر مفسدة وإنما يندب الستر إذا لم يكن فيه مفسدة ، ولا يفوت به مصلحة ، وعلى هذا تحمل الأحاديث الواردة في الندب إلى الستر . وفيه أن الجاسوس وغيره من أصحاب الذنوب الكبائر لا يكفرون بذلك ، وهذا الجنس كبيرة قطعا لأنه يتضمن إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو كبيرة بلا شك بقوله تعالى : { إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله } الآية وفيه أنه لا يحد العاصي ، ولا يعزر إلا بإذن الإمام . وفيه إشارة جلساء الإمام والحاكم بما يرونه كما أشار عمر بضرب عنق حاطب . ومذهب الشافعي وطائفة أن الجاسوس المسلم يعزر ، ولا يجوز قتله .

وقال بعض المالكية : يقتل إلا أن يتوب . وبعضهم يقتل ، وإن تاب . وقال مالك : يجتهد فيه الإمام .

قوله : (تعادى بنا خلينا) هو بفتح التاء أي تجري . قوله : (فأخرجته من عقاصها) هو بكسر العين أي شعرها المضفور ، وهو جمع عقيصة . قوله

صلى الله عليه وسلم : (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم) قال العلماء : معناه الغفران لهم في الآخرة ، وإلا فإن توجه على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه في الدنيا . ونقل القاضي عياض الإجماع على إقامة الحد ، وأقامه عمر على بعضهم . قال : وضرب النبي صلى الله عليه وسلم مسطحا الحد وكان بدريا . قوله : (عن علي رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام) ، وفي الرواية السابقة : (المقداد) بدل (أبي مرثد) . ولا منافاة ، بل بعث الأربعة عليا والزبير والمقداد وأبا مرثد .اهـ

وقَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير: (إن الله اطلع على أهل بدر) الذين حضروا مع المصطفى صَلَّى الله عليه وَسَلَّم بقصد إعلاء كلمة الجبار، وهم ثلاثمائة وثلاثة أو أربعة عشر رجل، يعني نظر الله إليهم نظرةَ رحمةٍ وعطف، وقد ارتقوا إلى مقام يقتضي الإنعام عليهم بمغفرة ذنوبهم السابقة واللاحقة.

(فقَالَ) لهم (اعملوا مَا شئتم) أن تعملوا (فإني قد غفرت لكم) ذنوبكم أي سترتها فلا أؤاخذكم بها، لبذلكم مُهَجكم في الله ونصر دينه.

والمراد إظهار العناية بهم وإعلاء رتبتهم والتنويه بإكرامهم والإعلام بتشريفهم وإعظامهم، لا الترخيص لهم في كل فعلٍ كما يُقَالُ للمحب: افعل مَا شئت، أو هو على ظاهره والخطاب لقومٍ منهم على أنهم لا يُقَارِفُون بعد بدر ذنباً، وإن قَارَفُوه لم يُصِرُوا بل يُوَفَّقُون لتوبةٍ نَصوح، فليس فيه تخييرهم فيما شاؤوا، وإلا لما كان أكابرهم بعد ذلك أشدَ خوفاً وحذراً مما كانوا قبله.

وقَالَ القرطبي: هذا خطابُ إكرامٍ وتشريف تضمَن أن هؤلاء حصُلَت لهم حالةٌ غُفِرَت بها ذنوبهم السابقة، وتأهَلوا أن يُغْفَرَ لهم مَا يُستَأنَف من الذنوب اللاحقة، ولا يلزم من وجود الصلاحية للشيء وقوعه، فقد أظهر الله صدق رسوله صَلَّى الله عليه وَسَلَّم في كل مَا أخبر عنه بشيء من ذلك، فإنهم لم يزالوا على أعمال

أهل الجَنَّة إلى أن فارقوا الدنيا، وإنْ قُدِرَ صُدُورُ شيءٍ من أحدهم لبادر إلى التوبة.اهـ

الحديث الثالث: (...يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى)[1]

*أخرجه مسلم في الامارة- باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة .
عن مسروق قال(سألنا عبد الله عن هذه الآية "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون" قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا)
* وأخرجه الترمذي في التفسير- باب ومن سورة ال عمران .
عن مسروق (عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن قوله "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون" فقال أما إنا قد سألنا عن ذلك فأخبرنا أن أرواحهم في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش فاطلع إليهم ربك اطلاعة فقال هل تستزيدون شيئا فأزيدكم قالوا ربنا وما نستزيد ونحن في الجنة نسرح حيث شئنا ثم اطلع إليهم الثانية فقال هل تستزيدون شيئا فأزيدكم فلما رأوا أنهم لم يتركوا قالوا تعيد أرواحنا في أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا فنقتل في سبيلك مرة أخرى)

١- أخرجه مسلم في الإمارة (١٨٨٧) ، والترمذي في التفسير (٣٠١١) ، وابن ماجه في الجهاد (٢٨٠١) ، والدارامي في الجهاد (٢٤١٠) .

*****الشرح والبيان :**
*قال النووي في شرح الحديث مختصرا:
قوله: سألنا عبد الله عن هذه الآية : { ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون } ، أما إنا قد سألنا عن ذلك ، فقال : أرواحهم في جوف طير خضر). وهذا الحديث مرفوع لقوله : إنا قد سألنا عن ذلك فقال : يعني : النبي صلى الله عليه وسلم .
قوله صلى الله عليه وسلم في الشهداء : (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل) فيه : بيان أن الجنة مخلوقة موجودة ، وهو مذهب أهل السنة ، وهي التي أهبط منها آدم ، وهي التي ينعم فيها المؤمنون في الآخرة . هذا إجماع أهل السنة ، وقالت المعتزلة وطائفة من المبتدعة أيضا وغيرهم : إنها ليست موجودة ، وإنما توجد بعد البعث في القيامة ، قالوا :
والجنة التي أخرج منها آدم غيرها ، وظواهر القرآن والسنة تدل لمذهب أهل الحق . وفيه : إثبات مجازاة الأموات بالثواب والعقاب قبل القيامة ، قال القاضي : وفيه : أن الأرواح باقية لا تفنى فينعم المحسن ويعذب المسيء ، وقد جاء به القرآن والآثار ، وهو مذهب أهل السنة خلافا لطائفة من المبتدعة قالت : تفنى ، قال القاضي : وقال هنا : (أرواح الشهداء) ، وقال في حديث مالك : (إنما نسمة المؤمن) ، والنسمة تطلق على ذات الإنسان جسما وروحا ، وتطلق على الروح مفردة ، وهو المراد بهذا التفسير في الحديث الآخر بالروح ، ولعلمنا بأن الجسم يفنى ويأكله التراب ، ولقوله في الحديث : (حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم القيامة) قال القاضي : وذكر في حديث مالك رحمه الله تعالى : (

نسمة المؤمن) وقال هنا : (الشهداء) لأن هذه صفتهم لقوله تعالى : { أحياء عند ربهم يرزقون } وكما فسره في هذا الحديث .

وأما غيرهم فإنما يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، كما جاء في حديث ابن عمر ، وكما قال في آل فرعون : { النار يعرضون عليها غدوا وعشيا } قال القاضي : وقيل : بل المراد جميع المؤمنين الذين يدخلون الجنة بغير عذاب فيدخلونها الآن ، بدليل عموم الحديث ، وقيل : بل أرواح المؤمنين على أفنية قبورهم . والله أعلم .اه

قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث : (في جوف طير خضر) وفي غير مسلم (بطير خضر) وفي حديث آخر : (بحواصل طير) وفي الموطأ : (إنما نسمة المؤمن طير) وفي حديث آخر عن قتادة : (في صورة طير أبيض) قال القاضي : قال بعض المتكلمين على هذا : الأشبه صحة قول من قال : طير ، أو صورة طير ، وهو أكثر ما جاءت به الرواية لا سيما مع قوله : (تأوي إلى قناديل تحت العرش) . قال القاضي : واستبعد بعضهم هذا ، ولم ينكره آخرون ، وليس فيه ما ينكر ، ولا فرق بين الأمرين ، بل رواية طير ، أو جوف طير ، أصح معنى ، وليس للأقيسة والعقول في هذا حكم ، وكله من المجوزات ، فإذا أراد الله أن يجعل هذه الروح إذا خرجت من المؤمن أو الشهيد في قناديل ، أو أجواف طير ، أو حيث يشاء كان ذلك ووقع ، ولم يبعد ، لا سيما مع القول بأن الأرواح أجسام ، قال القاضي : وقيل : إن هذا المنعم أو المعذب من الأرواح جزء من الجسد تبقى فيه الروح ، هو الذي يتألم ويعذب ويلتذ وينعم ، وهو الذي يقول : رب ارجعون ، وهو الذي يسرح في شجر الجنة ، فغير مستحيل أن يصور هذا الجزء طائرا أو يجعل في جوف طائر ، وفي قناديل تحت العرش ، وغير ذلك مما يريد الله عز وجل ، قال القاضي : وقد اختلف الناس في الروح - ما هي ؟ اختلافا لا يكاد يحصر ، فقال كثير من أرباب المعاني وعلم الباطن

٣٥٨

المتكلمين : لا تعرف حقيقته ، ولا يصح وصفه ، وهو مما جهل العباد علمه ، واستدلوا بقوله تعالى : { قل الروح من أمر ربي } وغلت الفلاسفة فقالت بعدم الروح ، وقال جمهور الأطباء : هو البخار اللطيف الساري في البدن ، وقال كثيرون من شيوخنا : هو الحياة ، وقال آخرون : هي أجسام لطيفة مشابكة للجسم يحيى لحياته ، أجرى الله تعالى العادة بموت الجسم عند فراقه ، وقيل : هو بعض الجسم ، ولهذا وصف بالخروج والقبض وبلوغ الحلقوم ، وهذه صفة الأجسام لا المعاني ، وقال بعض مقدمي أئمتنا : هو جسم لطيف متصور على صورة الإنسان داخل الجسم ، وقال بعض مشايخنا وغيرهم : إنه النفس الداخل والخارج ، وقال آخرون : هو الدم ، هذا ما نقله القاضي ، والأصح عند أصحابنا : أن الروح أجسام لطيفة متخللة في البدن ، فإذا فارقته مات . قال القاضي : واختلفوا في النفس والروح فقيل : هما بمعنى ، وهما لفظان لمسمى واحد . وقيل : إن النفس هي النفس الداخل والخارج ، وقيل : هي الدم ، وقيل : هي الحياة . والله أعلم . قال القاضي : وقد تعلق بحديثنا هذا وشبهه بعض الملاحدة القائلين بالتناسخ وانتقال الأرواح وتنعيمها في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ، وزعموا أن هذا هو الثواب والعقاب ، وهذا ضلال بين ، وإبطال لما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر ، والجنة والنار ، ولهذا قال في الحديث : (حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه) يعني : يوم يجيء بجميع الخلق . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (فقال لهم الله تعالى : هل تشتهون شيئا . . .) إلخ هذا مبالغة في إكرامهم وتنعيمهم إذ قد أعطاهم الله ما لا يخطر على قلب بشر ، ثم رغبهم في سؤال الزيادة ، فلم يجدوا مزيدا على ما أعطاهم ، فسألوه حين رأوا أنه لا بد من سؤال أن يرجع أرواحهم إلى أجسادهم ليجاهدوا ، أو يبذلوا أنفسهم في سبيل الله تعالى ، ويستلذوا بالقتل في سبيل الله . والله أعلم .اهـ

الحديث الرابع :(أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك...)[١]

* أخرجه الترمذي في التفسير- باب ومن سورة ال عمران .

عن طلحة بن خراش قال سمعت جابر بن عبد الله يقول: (لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا جابر ما لي أراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد وترك عيالا ودينا قال أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك قال قلت بلى يا رسول الله قال ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحا فقال يا عبدي تمن علي أعطك قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية قال الرب عز وجل إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون قال وأنزلت هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية)

***** الشرح والبيان:**

* قال المباركفوري في تحفة الأحوذي :

(فكلمه كفاحا) أي مواجهة ليس بيهما حجاب ولا رسول (تحييني) من الإحياء مضارع بمعنى الأمر أي أحيني (ثانية) أي مرة ثانية (قال الرب تبارك تعالى : إنه قد سبق مني { أنهم لا يرجعون } زاد في رواية ابن مردويه قاله أي رب فأبلغ من ورائي .اهـ

* وقَالَ الإمَامُ القرطبي في الجامع لأحكام القرآن:

١- أخرجه الترمذي في التفسير (٣٠١٠) ، وابن ماجه في المقدمة (١٩٠) . وقَالَ الألباني: صحيح (انظر الجامع: ٧٩٠٥).

لقد أخبر الله تعالى عن الشهداء أنهم أحياء في الجَنَّة يرزقون، ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب، وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين، وفضلوا بالرزق في الجَنَّة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم.
وقد اختلف العلماء في هذا المعنى، فالذي عليه المعظم هو أن حياة الشهداء محققة، ثم منهم من يقول: تُرَدُ إليهم الأرواح في قبورهم فينعمون، كما يحيا الكفار في قبورهم فيعذبون، وقَالَ مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة، أي يجدون ريحها وليسوا فيها، وصار قوم إلى أن هذا مجاز، والمعنى أنهم في حكم الله مستحقون للتنعم في الجنة.

الفوائد الجليلة المستخلصة من أحاديث الباب

دلت أحاديث الباب عن بيان فضل ثواب الله تعالي للشهداء والمجاهدين في سبيله في سبيله وفي القران الكريم قال تعالي : -
(وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ {١٦٩} فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)(ال عمران/١٦٩-١٧٠)
- قال القرطبي (٢٦٠/٤) في تفسير الأية: ما نصه:
لما بين الله تعالى أن ما جرى يوم أحد كان امتحاناً يميز المنافق من الصادق ، بين أن من لم ينهزم فقتل له الكرامة والحياة عنده ، والآية في شهداء أحد ، وقيل : نزلت في شهداء بئر معونة ، وقيل : بل هي عامة في جميع الشهداء ، وفي مصنف أبي داود بإسناد صحيح عن ابن عباس قال " قال رسول الله صلى الله

٣٦١

عليه وسلم : لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله سبحانه أنا أبلغهم عنكم "، قال : فأنزل الله " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا " إلى آخر الآيات .

وروى بقي بن مخلد ، " عن جابر قال : لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا جابر ما لي أراك منكساً مهتماً ؟ قلت : يا رسول الله ، استشهد أبي وترك عيالاً وعليه دين ، فقال : ألا أبشرك بما لقي الله عز وجل به أباك ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحاً ، وما كلم أحداً قط إلا من وراء حجاب فقال له يا عبدي تمن أعطك قال يا رب فردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب تبارك وتعالى إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون قال يا رب فأبلغ من ورائي " ، فأنزل الله عز وجل " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله " الآية ، أخرجه ابن ماجة في سننه ، و الترمذي في جامعه وقال : هذا حديث حسن غريب ، وروى وكيع عن سالم بن الأفطس عن سعيد بن جبير " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء " قال : لما أصيب حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ورأوا ما رزقوا من الخير قالوا : ليت إخواننا يعلمون ما أصابنا من الخير يزدادوا في الجهاد رغبة ، فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله تعالى : " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا " إلى قوله : " لا يضيع أجر المؤمنين " وقال أبو الضحى : نزلت هذه الآية في أهل أحد خاصة ، والحديث الأول يقتضي صحة هذا القول ، وقال بعضهم : نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً ، ثمانية من الأنصار ، وستة من المهاجرين ، وقيل : نزلت في شهداء بئر معونة ، وقصتهم مشهورة ذكرها محمد بن إسحاق وغيره ، وقال آخرون : إن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم

نعمة وسرور تحسروا وقالوا : نحن في النعمة والسرور ، وآباؤنا وإخواننا في القبور ، فأنزل الله تعالى هذه الآية تنفيساً عنهم وإخباراً عن حال قتلاهم .

قلت : وبالجملة وإن كان يحتمل أن يكون النزول بسبب المجموع فقد أخبر الله تعالى فيها عن الشهداء أنهم أحياء في الجنة يرزقون ، ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب ، وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين ، وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم .

وقد اختلف العلماء في هذا المعنى ، فالذي عليه المعظم هو ما ذكرناه ، وأن حياة الشهداء محققة ، ثم منهم من يقول : ترد إليهم الأرواح في قبورهم فينعمون كما يحيا الكفار في قبورهم فيعذبون ، وقال مجاهد : يرزقون من ثمر الجنة ، أي يجدون ريحها وليسوا فيها ، وصار قوم إلى أن هذا مجاز ، والمعنى أنهم في حكم الله مستحقون للتنعم في الجنة ، وهو كما يقال : ما مات فلان ، أي ذكره حي ، كما قيل :

موت التقي حياة لا فناء لها قد مات قوم وهم في الناس أحياء

فالمعنى أنهم يرزقون الثناء الجميل ، وقال آخرون : أرواحهم في أجواف طير خضر وأنهم يرزقون في الجنة ويأكلون ويتنعمون ، وهذا هو الصحيح من الأقوال ، لأن ما صح به النقل فهو الواقع ، وحديث ابن عباس نص يرفع الخلاف ، وكذلك حديث ابن مسعود خرجه مسلم ، وقد أتينا على هذا المعنى مبيناً في كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ، الحمد لله .

وقد ذكرنا هناك كم للشهداء ، وأنهم مختلفوا الحال ، وأما من تأول في الشهداء أنهم أحياء بمعنى أنهم سيحيون فبعيد يرده القرآن والسنة ، فإن قوله تعالى : " بل أحياء " دليل على حياتهم ، وأنهم يرزقون ولا يرزق إلا حي وقد قيل : إنه يكتب لهم في كل سنة ثواب غزوة ، ويشركون في ثواب كل جهاد كان بعدهم إلى يوم القيامة ، لأنهم سنوا أمر الجهاد ، نظيره قوله تعالى : " من أجل ذلك كتبنا على

بني إسرائيل أنه من قتل نفسا " [المائدة : ٣٢] ، على ما يأتي بيانه هناك إن شاء الله تعالى ، وقيل : لأن أرواحهم تركع وتسجد تحت العرش إلى يوم القيامة ، كأرواح الأحياء المؤمنين الذين باتوا على وضوء ، وقيل : لأن الشهيد لا يبلى في القبر ، ولا تأكله الأرض ، وقد ذكرنا هذا المعنى في التذكرة وأن الأرض لا تأكل الأنبياء والشهداء والعلماء والمؤذنين المحتسبين وحملة القرآن .

الثانية : إذا كان الشهيد حياً حكماً فلا يصلى عليه ، كالحي حساً ، وقد اختلف العلماء في غسل الشهداء والصلاة عليهم ، فذهب مالك و الشافعي و أبو حنيفة و الثوري إلى غسل جميع الشهداء والصلاة عليهم ، إلا قتيل المعترك في قتال العدو خاصة لحديث جابر قال " قال النبي صلى الله عليه وسلم : ادفنوهم بدمائهم " ، يعني يوم أحد ولم يغسلهم ، رواه البخاري ، وروى أبو داود عن ابن عباس قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلى أحد أن ينزع عنهم الحديد والجلود وأن يدفنوا بدمائهم وثيابهم ،وبهذا قال أحمد و إسحاق و الأوزاعي و داود بن علي وجماعة فقهاء الأمثار وأهل الحديث و ابن علية وقال سعيد بن المسيب و الحسن : يغسلون قال أحدهما : إنما لم تغسل شهداء أحد لكثرتهم والشغل عن ذلك ، قال أبو عمر : ولم يقل بقول سعيد و الحسن هذا أحد من فقهاء الأمصار إلا عبيد الله بن الحسن العنبري ، وليس ما ذكروا من الشغل عن غسل شهداء أحد علة ، لأن كل واحد منهم كان له ولي يشتغل به ويقوم بأمره ، والعلة في ذلك والله أعلم : ما جاء في الحديث في دمائهم .

" أنها تأتي يوم القيامة كريح المسلك " ، فبان أن العلة ليست الشغل كما قال من قال في ذلك ، وليس لهذه المسألة مدخل في القياس والنظر ، وإنما هي مسألة اتباع للأثر الذي نقله الكافة في قتلى أحد لم يغسلوا ، وقد احتج بعض المتأخرين ممن ذهب مذهب الحسن بقوله عليه السلام في شهداء أحد : " أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة " ، قال : وهذا يدل على خصوصهم وأنه لا يشركهم في ذلك

٣٦٤

غيرهم ، قال أبو عمر : وهذا يشبه الشذوذ ، والقول بترك غسلهم أولى ، لثبوت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قتلى أحد وغيرهم ، وروى أبو داود عن جابر قال : رمي رجل بسهم في صدره أو في حلقه فمات فأدرج في ثيابه كما هو قال : ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .
الثالثة : وأما الصلاة عليهم فاختلف العلماء في ذلك أيضاً ، فذهب مالك و الليث و الشافعي و أحمد و داود إلى أنه لا يصلى عليهم ، لحديث جابر قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول : أيهما أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال : أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة ، وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم " ، وقال فقهاء الكوفة والبصرة والشام : يصلى عليهم ، ورووا آثاراً كثيرة أكثرها مراسيل .
أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على حمزة وعلى سائر شهداء أحد .
الرابعة : وأجمع العلماء على أن الشهيد إذا حمل حياً ولم يمت في المعترك وعاش وأكل فإنه يصلى عليه ، كما قد صنع بعمر رضي الله عنه .
واختلفوا فيمن قتل مظلوماً كقتيل الخوارج وقطاع الطريق وشبه ذلك ، فقال أبو حنيفة و الثوري : كل من قتل مظلوماً لم يغسل ، ولكنه يصلى عليه وعلى كل شهيد ، وهو قول سائر أهل العراق ، ورووا من طرق كثيرة صحاح عن زيد بن صوحان ، وكان قتل يوم الجمل : لا تنزعوا عني ثوباً ولا تغسلوا عني دماً ، وثبت عن عمار بن ياسر أنه قال مثل قوم زيد بن صوحان ، وقتل عمار بن ياسر بصفين ولم يغسله علي ، ولـ الشافعي قولان ، أحدهما ، يغسل كجميع الموتى إلا من قتله أهل الحروب ، وهذا قول مالك ، قال مالك : لا يغسل من قتله الكفار ومات في المعترك ، وكل مقتول غير قتيل المعترك قتيل الكفار فإنه يغسل ويصلي عليه ، وهذا قول أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، والقول الآخر

لـ الشافعي : لا يغسل قتيل البغاة ، وقول مالك أصح ، فإن غسل الموتى قد ثبت بالإجماع ونقل الكافة ، فواجب غسل كل ميت إلا من أخرجه إجماع أو سنة ثابتة ، وبالله التوفيق .
الخامسة : العدو إذا صبح قوماً في منزلهم ولم يعلموا به فقتل منهم فهل يكون حكمه حكم قتيل المعترك ، أو حكم سائر الموتى ، وهذه المسألة نزلت عندنا بقرطبة أعادها الله : أغار العدو قصمه الله ، صبيحة الثالث من رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وستمائة والناس في أجرانهم على غفلة فقتل وأسر ، وكان من جملة من قتل والدي رحمه الله ، فسألت شيخنا المقرئ الأستاذ أبا جعفر أحمد المعروف بـ أبي حجة فقال ، غسله وصل عليه ، فإن أباك لم يقتل في المعترك بين الصفين ، ثم سألت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع بن أبي فقال : إن حكمه حكم القتلى في المعترك ثم سألت قاضي الجماعة أبا الحسن علي بن قطرال وحوله جماعة من الفقهاء فقالوا : غسله وكفنه وصل عليه ، ففعلت ، ثم بعد ذلك وقفت على المسألة في التبصرة لـ أبي الحسن اللخمي وغيرها ، ولو كان ذلك قبل ما غسلته ، وكنت دفنته بدمه في ثيابه .
السادسة : هذه الآية تدل على عظيم ثواب القتل في سبيل الله والشهادة فيه حتى أنه يكفر الذنوب ، كما " قال صلى الله عليه وسلم : القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين كذلك قال لي جبريل عليه السلام آنفاً " ، قال علماؤنا ذكر الدين تنبيه على ما في معناه من الحقوق المتعلقة بالذمم ، كالغصب وأخذ المال بالباطل وقتل العمد وجراحه وغير ذلك من التبعات ، فإن كل هذا أولى ألا يغفر بالجهاد من الدين فإنه أشد ، والقصاص في هذه كله بالحسنات والسيئات حسبما وردت به السنة الثابتة .
" روى عبد الله بن أنيس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر الله العباد أو قال الناس شك همام ، وأومأ بيده إلى الشام عراة غرلاً بهماً

قلنا : ما بهم ؟ قال : ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من قرب ومن بعد أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة ، قال قلنا :

كيف وإنما نأتي الله حفاة عراة غرلاً ، قال : بالحسنات والسيئات " ، أخرجه الحارث بن أبي أسامة ، وفي صحيح مسلم ، " عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار " ، و " قال صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ثم أحيي ثم قتل ثم أحيي ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضي عنه " ، وروى أبو هريرة قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نفس المؤمن معلقة ما كان عليه دين " ، وقال أحمد بن زهير : سئل يحيى بن معين عن هذا الحديث فقال : هو صحيح فإن قيل : فهذا يدل على أن بعض الشهداء لا يدخلون الجنة من حين القتل ، ولا تكون أرواحهم في جوف طير كما ذكرتم ، ولا يكونون في قبورهم فأين يكونون ؟ قلنا : قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أرواح الشهداء على نهر بباب الجنة يقال له بارق يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً ، فلعلهم هؤلاء " ، والله أعلم .

ولهذا قال الإمام أبو محمد بن عطية : وهؤلاء طبقات وأحوال مختلفة يجمعها أنهم (يرزقون) وقد أخرج الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني

في سننه " عن سليم بن عامر قال : سمعت أبا أمامة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

شهيد البحر مثل شهيدي البر والمائد في البحر كالمتشحط في دمه في البر وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله وإن الله عز وجل وكل ملك الموت بقبض الأرواح إلا شهداء البحر فإنه سبحانه يتولى قبض أرواحهم ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين ويغفر لشهيد البحر الذنوب كلها والدين " .

السابعة : الدين الذي يحبس به صاحبه عن الجنة ، والله أعلم ، هو الذي قد ترك له وفاء ولم يوص به ، أو قدر على الأداء فلم يؤده ، أو أدانه في سرف أو في سفه ومات ولم يوفه ، وأما أدان في حق واجب لفاقة وعسر ومات ولم يترك وفاء فإن الله لا يحبسه عن الجنة إن شاء الله ، لأن على السلطان فرضاً أن يؤدي عنه دينه ، إما من جملة الصدقات ، أو من سهم الغارمين ، أو من الفيء الراجع على المسلمين ، " قال صلى الله عليه وسلم :

من ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله ومن ترك مالاً فلورثته " ، وقد زدنا هذا الباب بياناً في كتاب التذكرة والحمد لله .

الثامنة : قوله تعالى : " عند ربهم يرزقون " فيه حذف مضاف تقديره عند كرامة ربهم و (عند) تقتضي غاية القرب ، فهي كـ(لدى) ولذلك لم تصغر فيقال ! عنيد ، قاله سيبويه ، فهذه عندية الكرامة لا عندية المسافة والقرب ، و (يرزقون) هو الرزق المعروف في العادات ، ومن قال : هي حياة الذكر قال : يرزقون الثناء الجميل ، والأول الحقيقة ، وقد قيل :

إن الأرواح تدرك في تلك الحال التي يسرحون فيها من روائح الجنة وطيبها ونعيمها وسرورها ما يليق بالأرواح ، مما ترتزق وتنتعش به ، وأما اللذات الجسمانية فإذا أعيدت تلك الأرواح إلى أجسادها استوفت من النعيم جميع ما أعد الله لها ، وهذا قول حسن ، وإن كان فيه نوع من المجاز فهو الموافق لما اخترناه

٣٦٨

، والموفق الإلـه و " فـرحين " نصـب فـي موضـع الحـال مـن المضـمر فـي (يرزقون) ويجوز في الكلام (فرحون) على النعت لأحياء ، وهو من الفرح بمعنى السرور ، والفضل في هذه الآية هو النعيم المذكور ، وقرأ ابن السميقع (فارحين) بالألف وهما لغتان كالفره والفاره ، والحذر والحاذر ، والطمع والطامع ، والبخل والباخل ، قال النحاس : ويجوز في غير القرآن رفعه ، يكون نعتاً لأحياء . اهـ

.الباب الحادي عشر
ماجاء في الفتن

الحديث الأول :(إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها...)[١]

*أخرجه مسلم في الفتن- باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.

عن ثوبان قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا) وأخرج مثله الترمذي وأبو داود وغيرهما

*وأخرجه ابن ماجه في الفتن بزيادة – باب ما يكون من الفتن . :

١- أخرجه مسلم في الفتن (٢٨٨٩) ، وابن ماجه في الفتن (٣٩٥٢) ، والترمذي في الفتن (٢١٧٦) ، وأبو داود في الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، وأحمد في مسند الأنصار (٢١٩٤٦) .

عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال زويت لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأعطيت الكنزين الأصفر أو الأحمر والأبيض يعني الذهب والفضة وقيل لي إن ملكك إلى حيث زوي لك وإني سألت الله عز وجل ثلاثا أن لا يسلط على أمتي جوعا فيهلكهم به عامة وأن لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض وإنه قيل لي إذا قضيت قضاء فلا مرد له وإني لن أسلط على أمتك جوعا فيهلكهم فيه ولن أجمع عليهم من بين أقطارها حتى يفني بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا وإذا وضع السيف في أمتي فلن يرفع عنهم إلى يوم القيامة وإن مما أتخوف على أمتي أئمة مضلين وستعبد قبائل من أمتي الأوثان وستلحق قبائل من أمتي بالمشركين وإن بين يدي الساعة دجالين كذابين قريبا من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي ولن تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله عز وجل) .

***** الشرح والبيان :**

*قال النووي في شرح مسلم :

قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله قد زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض) أما (زوي) فمعناه جمع ، وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة ، وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به صلى الله عليه وسلم قال العلماء : المراد بالكنزين الذهب والفضة ، والمراد كنزي كسرى وقيصر ملكي العراق والشام .

فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب ، وهكذا وقع .

وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب ، وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى . قوله صلى الله عليه وسلم : (فيستبيح بيضتهم) أي جماعتهم

وأصلهم ، والبيضة أيضا العز والملك . قوله (سبحانه وتعالى : وإني قد أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة) أي لا أهلكهم بقحط يعمهم ، بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام . فلله الحمد والشكر على جميع نعمه .

* وقال السندي في شرح سنن أبن ماجه:

قوله (زويت) لى بناء المفعول من زوي كرمي أي جمعت وضم بعضها إلى بعض وهو يحتمل أن بكون حقيقة ويحتمل أنه الإدراك فيكون مجازا فإنه لما أدرك جميعها صار كأنه جمعت له حتى رآها والمراد من الأرض ما سيبلغها ملك الأمة لا كلها يدل عليه ما بعده (مشارقها) إلى البلاد المشرقة منها وكذا مغاربها (وأعطيت) على بناء المفعول وقد أعطاه الله تعالى مفاتيح الخزائن المفتوحة على الأمة (الاصفر) وفي بعض النسخ الأحمر والمراد الذهب (والأبيض) أي الفضة (فيهلكهم) من الإهلاك (به) الجوع (عامة) أي حال كون الجوع سنة عامة أي شاملة لكل الأمة (وأن لا يلبسهم) ولا يخلطهم.

(شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض) بالمحاربة أي لا يجمعهم متحاربين قوله (من بين أقطارها) أي أقطار الأرض عدوا من غيرهم (وإذا وضع) هذا من كلامه صلى الله عليه وسلم أي إذا ظهرت الحرب فيهم تبقى إلى يوم القيامة وقد وضع السيف بقتل عثمان فلم يزل إلى الآن (أئمة مضلين) أي داعين الخلق إلى البدع (والأحوال الصالحة والطالحة.اه

* وجاء في فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد ٢٥/١ مختصرا :

قوله : عن ثوبان هو مولى النبي صلى الله عليه وسلم صحبه . ولازمه . ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة أربع وخمسين ..

قوله : زوى لي الأرض قال التوربشتى : زويت الشئ جمعته وقبضته ، يريد تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه إطلاعه على القريب . وحاصله أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره .

قال الطيبي : أي جمعها ، حتى بصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها .

قوله : وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها قال القرطبي : هذا الخبر وجد مخبره كما قال ، وكان ذلك من دلائل نبوته ، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة ـ بالنون والجيم ـ الذي هو منتهى عمارة المغرب ، إلى أقصى المشرق مما هو وراء خراسان والنهر ، وكثير من بلاد السند والهند والصغد ، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال . وذلك لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه .

قوله : زوى لي منها يحتمل أن يكون مبيناً للفاعل ، وأن يكون مبنياً للمفعول .

قوله : وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض قال القرطبي : عني به كنز كسرى ، وهو ملك الفرس ، وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما . وقد قال صلى الله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله " وعبر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كالذهب ، وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة . ووجد ذلك في خلافة عمر . فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت أمواله ، وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها ، وكذلك فعل الله بقيصر والأبيض والأحمر منصوبان على البدل .

قوله : وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة هكذا ثبت في أصل المصنف رحمه الله بعامة بالباء وهي رواية صحيحة في صحيح مسلم وفي بعضها بحذفها . قال القرطبي : وكأنها زائدة لأن عامة : صفة السنة ، والسنة

الجدب الذي يكون به الهلاك العام ، ويسمى الجدب والقحط : سنة . يجمع على سنين ، كما قال تعالى : ' الأعراف : ١٣٠ ' " ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين " أي الجدب المتوالى .

قوله : من سوى أنفسهم أي من غيرهم من الكفار من إهلاك بعضهم بعضاً ، وسبى بعضهم بعضاً ، كما هو مبسوط في التاريخ فيما قيل . وفي زماننا هذا ، نسأل الله العفو والعافية .

قوله : فيستبيح بيضتهم قال الجوهري : بيضة كل شئ جوزته . وبيضة القوم ساحتهم ، وعلى هذا فيكون معنى الحديث : إن الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض ، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض وهي جوانبها . وقيل : بيضتهم معظمهم وجماعتهم ، وإن قلوا .

قوله : حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبى بعضهم بعضاً والظاهر أن حتى عاطفة ، أو تكون لانتهاء الغاية ، أي إن أمر الأمة ينتهي إلى أن يكون بعضهم يهلك بعضاً . وقد سلط بعهضم على بعض كما هو الواقع ، وذلك لكثرة اختلافهم وتفرقهم .

قوله : وإن ربي قال : يا محمد ، إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد قال بعضهم : أي إذا حكمت حكماً مبرماً نافذاً فإنه لا يرد بشئ، ولا يقدر أحد على رده ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ولا راد لما قضيت .

قوله : وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين أي الأمراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم ، كما قال تعالى : ' الاحزاب : ٦٧ ' " وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا " وكان بعض هؤلاء يقول لأصحابه : من كان له حاجة فليأت إلى قبري فإني أقضيها له ولا خير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب ، ونحو هذا . وهذا هو الضلال البعيد، يدعو

٣٧٤

أصحابه إلى أن يعبدوه من دون الله ويسألوه ما لا يقدر عليه من قضاء حاجاتهم وتفريج كرباتها ، وقد قال تعالى : ' الحج : ١٢ ، ١٣ ' " يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد * يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير " وقال تعالى : ' الفرقان : ٣ ' " واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً " وقال تعالى : ' العنكبوت : ١٧ ' " فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون " وأمثال هذا في القرآن كثير ، يبين الله تعالى به الهدى من الضلال .

ومن هذا الضرب : من يدعى أنه يصل مع الله إلى حال تسقط فيها عنه التكاليف ، ويدعى أن الأولياء يدعون ويستغاث بهم في حياتهم ومماتهم ، وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة ، وأنه يطلع على اللوح المحفوظ ، يعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم ، ويجوز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وإيقادها بالسرج ونحو ذلك من الغلو والإفراط والعبادة لغير الله . فما أكثر هذا الهذيان والكفر والمحادة لله ولكتابه ولرسوله .اهـ

....

الحديث الثاني :(إنَّ نَبيَّاً فِيمَن كَانَ قبْلَكُم أعجَبَتْهُ كَثْرَةُ أُمَتِهِ...)[١]

*أخرجه أحمد في مسند الكوفيين .

عن صهيب(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أيام حنين يحرك شفتيه بعد صلاة الفجر بشيء لم نكن نراه يفعله فقلنا يا رسول الله إنا نراك تفعل شيئا لم

١- أخرجه أحمد في مسند الكوفيين (١٨٤٦١) ، وانظر السلسة الصحيحة للألباني وأخرج نحوه الترمذي في تفسير القرآن (٣٣٤٠) .

تكن تفعله فما هذا الذي تحرك شفتيك قال إن نبيا فيمن كان قبلكم أعجبته كثرة أمته فقال لن يروم هؤلاء شيء فأوحى الله إليه أن خير أمتك بين إحدى ثلاث إما أن نسلط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيحهم أو الجوع وإما أن أرسل عليهم الموت فشاورهم فقالوا أما العدو فلا طاقة لنا بهم وأما الجوع فلا صبر لنا عليه ولكن الموت فأرسل عليهم الموت فمات منهم في ثلاثة أيام سبعون ألفا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا أقول الآن حيث رأى كثرتهم اللهم بك أحاول وبك أصاول وبك أقاتل)

***** الشرح والبيان :**

قَالَ المباركفوري في تحفة الأحوذي:

عن صهيب قال: كان رسول الله صَلَّى الله عليه وَسَلَّم إذا صَلَّى همس شيئاً لا أفهمه ولا يخبرنا به، قال: أفطنتم لي ؟ قلنا: نعم، قال: إني ذكرت نَبِيًّاَ من الأنبياء أعطى جنوداً من قومه فقال: من يكافيء هؤلاء أو من يقوم لهؤلاء ؟! أو غيرها من الكلام، فأوحى إلي أن اختر لقومك إحدى ثلاث: إما أن نسلط عليهم عدواً من غيرهم أو الجوع أو الموت، فاستشار قومه في ذلك، فقالوا: أنت نبي الله فكل ذلك إليك اختر لنا، فقام إلى الصلاة وكانوا إذا فزعوا فزعوا إلى الصلاة، فَصَلَّى مَا شاء الله، ثم قال: أي رب، أما عدو من غيرهم فلا، أو الجوع فلا، ولكن الموت فسَلِّط عليهم الموت، فمات منهم سبعون ألفاً، فهمسي الذي ترون أني أقول: اللهم بك أقاتل وبك أصاول ولا حول ولا قوة إلا بالله.

" أصاول " أي أسطو وأقهر، و " أحاول " أي المُحاولة وطَلَب الشيء بحِيلة، وقيل: أحْتَال، وقيل أدْفع وأمَنع، من حالَ بين الشَيئين إذا مَنع أحدَهما عن الآخر.اهـ

....

**** الحديث الثالث (إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا..)[١]**

*أخرجه أحمد في مسند الكوفيين .

عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبر وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير وهو يلحد له فقال أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرار ثم قال(إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا تنزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد كفن وحنوط فجلسوا منه مد البصر حتى إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وفتحت له أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم فإذا عرج بروحه قالوا رب عبدك فلان فيقول أرجعوه فإني عهدت إليهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه فيأتيه آت فيقول من ربك ما دينك من نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينتهره فيقول من ربك ما دينك من نبيك وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فذلك حين يقول الله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فيقول له صدقت ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول أبشر بكرامة من الله ونعيم مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بخير من أنت فيقول أنا عملك الصالح كنت

١- أخرجه أحمد في مسند الكوفيين (١٨١٤١) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٢) .

٣٧٧

والله سريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار فيقال هذا كان منزلك لو عصيت الله أبدلك الله به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي فيقال له اسكن وإن الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزلت عليه ملائكة غلاظ شداد فانتزعوا روحه كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل وتنزع نفسه مع العروق فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء وتغلق أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن لا تعرج روحه من قبلهم فإذا عرج بروحه قالوا رب فلان بن فلان عبدك قال أرجعوه فإني عهدت إليهم أني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه قال فيأتيه آت فيقول من ربك ما دينك من نبيك فيقول لا أدري فيقول لا دريت ولا تلوت ويأتيه آت قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بهوان من الله وعذاب مقيم فيقول وأنت فبشرك الله بالشر من أنت فيقول أنا عملك الخبيث كنت بطيئا عن طاعة الله سريعا في معصية الله فجزاك الله شرا ثم يقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان ترابا فيضربه ضربة حتى يصير ترابا ثم يعيده الله كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين) قال البراء بن عازب ثم يفتح له باب من النار ويمهد من فرش النار .) وأخرج نحوه أبوداود

***** الشرح والبيان :**

جاء في شرح العقيدة الطحاوية لأبي العزالحنفي- رحمه الله ٣٩٦/١:

وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث ، وله شواهد من الصحيح . " فذكر البخاري رحمه الله عن سعيد عن قتادة عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه

٣٧٨

أصحابه ، إنه ليسمع قرع نعالهم ، فيأتيه ملكان ، فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ، محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقول له : انظر الى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، فيراهما جميعا " . قال قتادة : وروي لنا أنه يفسح له في قبره ، وذكر الحديث .

وفي الصحيحين " عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين ، فقال : إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرىء من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، فدعا بجريدة رطبة ، فشقها نصفين ، وقال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا " .

وفي صحيح أبي حاتم " عن أبي هريرة ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا قبر أحدكم ، أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما المنكر ، وللآخر : النكير " ، وذكر الحديث إلخ . .

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً ، وسؤال الملكين ، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ، ولا تتكلم في كيفيته ، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته ، لكونه لا عهد له به في هذا الدار ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول . فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا ، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا . فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق ، متغايرة الأحكام : أحدها : تعلقها به في بطن الأم جنيناً .

الثاني : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض . الثالث : تعلقها به في حال النوم ، فلها به تعلق من وجه ، ومفارقة من وجه . الرابع : تعلقها به في البرزخ ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة ، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم ، وورد أنه يسمع خفق نعالهم

٣٧٩

حين يولون عنه . وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة .
الخامس : تعلقها به يوم بعث الأجساد ، وهو أكمل أنواع تعلقها البدن ، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه ، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً ، فالنوم أخو الموت . فتأمل هذا يزح عنك إشكالات كثيرة .

وليس السؤال في القبر للروح وحدها ، كما قال ابن حزم وغيره ، وأفسد منه قول من قال : إنه للبدن بلا روح ! والأحاديث الصحيحة ترد القولين . وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً ، باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به .

واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه ، [قبر أو لم يقبر] ، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء ، أو صلب أو غرق في البحر- وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور. وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك - فيجب أن يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من [غير] غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله ، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان ، فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله . بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام ، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول ، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد . والله المستعان .

فالحاصل أن الدور ثلاث : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار . وقد جعل الله لكل دار أحكاما تخصها ، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس ، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان ، والأرواح تبع لها ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح ، والأبدان تبع لها ، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم - صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً . فإذا تأملت هذا المعنى

٣٨٠

حق التأمل ، ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل ، وأنه حق لا مرية فيه ، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم .

ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم ، ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها ، وإن كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى يكون أعظم حراً من جمر الدنيا ، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها . بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه ، وهذا في حفرة من النار، وهذا في روضة من رياض الجنة ، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره ، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه . وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب ، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما .

وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير. وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه وغيبه عن غيره ، ولو اطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب ، ولما تدافن الناس ، كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : " لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع " .

ر ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعته وأدركته . وللناس في سؤال منكر ونكير : هل هو خاص بهذه الأمة أم لا ثلاثة أقوال : الثالث التوقف ، وهو قول جماعة، منهم أبو عمر بن عبد البر ، فقال : وفي " حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : إن هذه الأمة تبتلى في قبورها " - منهم من يرويه تسأل ، وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة قد خصت بذلك ،

وهذا أمر لا يقطع به ، ويظهر عدم الاختصاص ، والله أعلم .

وكذلك اختلف في سؤال الأطفال أيضاً : وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع ؟ جوابه أنه نوعان : منه ما هو دائم ، كما قال تعالى : "النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب" . وكذلك في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر : " ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة " ، رواه الإمام أحمد في بعض طرقه

والنوع الثاني : أنه مدة ثم ينقطع ، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم ، فيعذب بحسب جرمه ، ثم يخفف عنه ، كما تقدم ذكره [في] الممحصات العشرة

وقد اختلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة : فقيل : أرواح المؤمنين في الجنة ، وأرواح الكافرين في النار ، وقيل : إن أرواح المؤمنين بفناء الجنة على بابها ، يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها . وقيل : على أفنية قبورهم . وقال مالك : بلغني أن الروح مرسلة ، تذهب حيث شاءت . وقالت طائفة : بل أرواح المؤمنين عند الله عز وجل ، ولم يزيدوا على ذلك .

وقيل : إن أرواح المؤمنين بالجابية من دمشق ، وأرواح الكافرين ببرهوت بئر بحضرموت ! وقال كعب : أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة ، وأرواح الكافرين في سجين في الأرض السابعة تحت خد إبليس ! وقيل : أرواح المؤمنين ببئر زمزم ، وأرواح الكافرين ببئر برهوت . وقيل : أرواح المؤمنين عن يمين آدم ، وأرواح الكفار عن شماله . قال ابن حزم وغيره : مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها .

وقال أبو عمر بن عبد البر : أرواح الشهداء في الجنة ، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم . وعن ابن شهاب أنه قال : بلغني أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش ، تغدو وتروح إلى رياض الجنة ، تأتي ربها كل يوم تسلم عليه . وقالت فرقة : مستقرها العدم المحض . وهذا قول من يقول :

٣٨٢

إن النفس عرض من أعراض البدن ، كحياته وإدراكه ! وقولهم مخالف للكتاب والسنة . وقالت فرقة : مستقرها بعد الموت أبدان أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها ، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح ! وهذا قول التناسخية منكري المعاد ، وهو قول خارج عن أهل الاسلام كلهم .

ويضيق هذا المختصر عن بسط أدلة هذه الأقوال والكلام عليها .

ويتلخص من أدلتها : أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت ، فمنها : أرواح في أعلى عليين ، في الملأ الأعلى ، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ، وهم متفاوتون في منازلهم . ومنها أرواح في حواصل طير خضر ، تسرح في الجنة حيث شاءت ، وهي أرواح بعض الشهداء ، لا كلهم ، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه . كما في المسند عن " عبد الله بن جحش : أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله : مالي إن قتلت في سبيل الله ؟ قال : الجنة ، فلما ولى ، قال : إلا الدين ، سارني به جبرائيل آنفا " . ومن الأرواح من يكون محبوساً على باب الجنة ، كما في الحديث [الذي] " قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة " ومنهم من يكون محبوساً في قبره ، ومنهم من يكون في الارض ، ومنها أرواح في تنور الزناة والزواني ، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة ، كل ذلك تشهد له السنة ، والله أعلم . وأما الحياة التي اختص بها الشهيد وامتاز بها عن غيره ، في قوله تعالى : "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون" ، وقوله تعالى : "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون" - [فهي] : أن الله تعالى جعل أرواحهم في أجواف طير خضر .

كما في " حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أصيب إخوانكم ، يعني يوم أحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب مظلة في ظل العرش " ، الحديث رواه الإمام أحمد و أبو داود ، وبمعناه في حديث ابن مسعود ، رواه مسلم . فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداؤه فيه ، أعاضهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها ، تكون فيها إلى يوم القيامة ، ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان ، أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها . ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير ، أو كطير ، ونسمة الشهيد في جوف طير . وتأمل لفظ الحديثين ، ففي الموطأ " أن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ، حتى يرجعه [الله] الى جسده يوم يبعثه "

فقوله نسمة المؤمن تعم الشهيد وغيره ، ثم خص الشهيد بأن " قال : هي في جوف طير خضر " ، ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير، فتدخل في عموم الحديث الآخر بهذا الإعتبار ، فنصيبهم من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم ، وإن كان الميت أعلى درجة من كثير منهم ، فلهم نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه ، والله أعلم . وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، كما روي في السنن . وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدد من دفنه كما هو لم يتغير ، فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره ، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة ، والله أعلم . وكأنه - والله أعلم - كلما كانت الشهادة أكمل ، والشهيد أفضل ، كان بقاء جسده أطول .اهـ

....

الفوائد الجليلة المستخلصة من أحاديث الباب

*** الفائدة الأولي :أن الفتن لا مفر من موجهتها لأن وجودنا في الدنيا في حد ذاتها من أخطر الفتن علي الأنسان وهي دار أمتحان وبلاء وليس دار جزاء وثواب ، ولايقدر علي النجاة من فتنتها إلا من هده الله إلي سبل النجاة ولا يكون ذلك إلا بالورع والتقوي والزهد فيهاوالبعد عما يغضب رب العباد سبحانه**

.

وفي كتاب (الفوائد ١/ ص ٥٥)لابن القيم وجدت فوائد جلية ونفيسة في كيفية موجهةالعبد للفتن ووسائل نجاته منها .

قال – رحمه الله :

لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأهلها وخداع الأمل لأربابه ، وتملك الشيطان وقيادة النفوس رأوا الدولة للنفس الأمارة لجأوا إلى حصن التضرع والإلتجاء كما يأوي العبد المذعور إلى حرم سيده .

شهوات الدنيا كلعب الخيال ، ونظر الجاهل مقصور على الظاهر ، فأما ذو العقل فيرى ما وراء الستر .

لاح لهم المشتهى فلما مدوا أيدي التناول بأن لأبصار البصائر خيط الفخ فطاروا بأجنحة الحذر وصوبوا إلى الرحيل الثاني " يا ليت قومي يعلمون " تلمح القوم الوجود ففهموا المقصود فأجمعوا الرحيل قبل الرحيل وشمروا للسير في سواء السبيل فالناس مشتغلون بالفضلات وهم في قطع الفلوات وعصافير الهوى في وثاق الشبكة ينتظرون الذبح .

وقع ثعلبان في شبكة ، فقال أحدهما للآخر : أين الملتقى بعد هذا ؟ فقال : بعد يومين في الدباغة .

تالله ما كانت الأيام إلا مناماً فاستيقظوا وقد حصلوا على الظفر .

٣٨٥

ما مضى من الدنيا أحلاماً وما بقي منها أماني والوقت ضائع بينهما .
كيف يسلم من له زوجة لا ترحمه وولد لا يعذره وجار لا يأمنه وصاحب لا ينصحه وشريك لا ينصفه وعدو لا ينام عن معاداته ونفس أمارة بالسوء ودنيا متزينة وهوى مرد وشهوة غالبة له وغضب قاهر وشيطان مزين وضعف مستول عليه ، فإن تولاه الله وجذبه إليه انقهرت له هذه كلها ، وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه اجتمعت عليه فكانت الهلكة .

لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما ، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان ، وأقوال الشيوخ ، عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم وظلمة في قلوبهم وكدر في أفهامهم ومحق في عقولهم ،
وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم حتى ربي فيها الصغير ، وهرم عليها الكبير ، فلم يروها منكراً ، فجاءتهم دولة أخرى قامت فيها البدع مقام السنن ، والنفس مقام العقل ، والهوى مقام الرشد ، والضلال مقام الهدى ، والمنكر مقام المعروف ، والجهل مقام العلم ، والرياء مقام الاخلاص ، والباطل مقام الحق ، والكذب مقام الصدق ، والمداهنة مقام النصيحة ، والظلم مقام العدل ، فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور وأهلها هم المشار إليهم ، وكانت قبل ذلك لأضدادها ، وكان أهلها هم المشار إليهم .

فإذا رأت دولة هذه الأمور قد أقبلت ، وراياتها قد نصبت ، وجيوشها قد ركبت ، فبطن الأرض والله خير من ظهرها ، وقلل الجبال خير من السهول ، ومخالطة الوحش أسلم من مخالطة الناس .
اقشعرت الأرض وأظلمت السماء ، وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة ، وذهبت البركات وقلت الخيرات وهزلت الوحوش ، وتكدرت الحياة من فسق الظلمة . وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة ،

وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش وغلبة المنكرات والقبائح ، وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه ، ومؤذن بليل بلاء قد أدلهم ظلامه ، فاعزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح ما دامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح ، وكأنكم بالباب وقد أغلق ، وبالرهن وقد غلق ، وبالجناح وقد علق " وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون " .

اشتر نفسك اليوم فإن السوق قائمة والثمن موجود والبضائع رخيصة . وسيأتي على تلك السوق والبضائع يوم لا تصل فيها إلى قليل ولا كثير . ذلك يوم التغابن ، يوم يعض الظالم على يديه.

ثم قال رحمه الله :

كن من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا فإن الولد يتبع الأم .

الدنيا لا تساوي نقل أقدامك إليها فكيف تعدو خلفها .

الدنيا جيفة والأسد لا يقع على الجيف .

الدنيا مجاز والآخرة وطن والأوطار إنما تطلب في الأوطان .

الاجتماع بالاخوان قسمان : أحدهما اجتماع على مؤانسة الطمع وشغل الوقت ، فهذا مضرته أرجح من منفعته ، وأقل ما فيه أنه يفسد القلب ويضيع الوقت . والثاني الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر . فهذا من أعظم الغنيمة وأنفعها . ولكن فيه ثلاث آفات : إحداها تزين بعضهم لبعض . الثانية الكلام والخلطة أكثر من الحاجة . الثالثة أن يصير ذلك شهوة وعادة ينقطع بها عن المقصود .

وبالجملة فالاجتماع والخلطة لقاح أما للنفس الأمارة وأما للقلب والنفس المطمئنة ، والنتيجة مستفادة من اللقاح ، فمن طاب لقاحه طابت ثمرته . وهكذا الأرواح الطيبة لقاحها من الملك والخبيثة لقاحها من الشيطان . وقد جعل الله سبحانه بحكمته الطيبات للطيبين . والطيبين للطيبات . وعكس ذلك .اه

٣٨٧

*** الفائدة الثانية : بيان أن الأنسان يتعرض إلي فتنة أشد من فتنة الدنيا بعد موته ألا وهي فتنته القبر وسؤال الملكين له ، ولايثبت الله علي كلمة الحق إلا أهل الأيمان والتقوي و من كرم الله وفضله إنه استسني بعض خلقه من التعرض لفتنة القبركالشهداء والأنبياء .**

وفي شرح العقيدة الواسطية لأبن تيمية كلام نفيس عن فتنة القبر فيه الكفاية من البيان والتوضيح اذكره هنا والله المستعان .

قال – رحمه الله تعالي :

أولاً: أما الأنبياء ؛ فلا تشملهم الفتنة ، ولا يسئلون ، وذلك لوجهين :

الأول: أن الأنبياء أفضل من الشهداء ، وقد أخبر النبي e أن الشهيد يوقي فتنة القبر ، وقال: " كفي ببارقة السيوف على رأسة فتنة القبر " ؛ أخرجه النسائى .

الثانى: أن الأنبياء يسأل عنهم ؛ فيقال للميت: من نبيك ؟ فهم مسؤول عنهم ،وليسوا مسؤولين ، ولهذا قال النبي e :" إنة أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم " ، والخطاب للأمة المرسل إليهم ؛ فلا يكون الرسول داخلاً فيهم. ثانياً: وأما الصديقون ؛ فلا يسألون ؛ لأن مرتبة الصديقين أعلي من مرتبة الشهداء ؛ فإذا كان الشهداء ؛ لا يسألون ؛ فالصديقون من باب أولى ، ولأن الصديق على وصفه مصدق وصادق ، فهو قد علم دقه ، فلا حاجة إلى اختباره ؛ فلا حاجة تدعو لسؤاله ، وذهب بعض العلماء إلى أنهم يسألون ؛ لعموم الأدلة ، والله أعلم .

ثالثاً : وأما الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله ؛ فإنهم لا يسألوان ؛ لظهور صدق إيمانهم بجهادهم : قال الله تعالى : { إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {١١١}} (التوبة : ١١١) .

وقال : { وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ {١٦٩} } (آل عمران : ١٦٩) .

وقال النبي **e** : " كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة " .

وإذا كان المرابط ؛ إذا مات ؛ أمن الفتان ؛ لظهور صدقه ؛ فهذا الذي قتل في المعركة مثله أولى منه ؛ لأنه بذل وعرض رقبته لعدو الله ؛ إعلاءً لكلمة اله ، وانتصاراً لدينه ، وهذا من أكبر الأدلة على صدق إيمانه .

رابعاً : وأما المرابطون ؛ فإنهم لا يفتنون ؛ ففي " صحيح مسلم " ؛ أن رسول الله **e** قال : " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات ؛ جرى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان " .

خامساً : الصغار والمجانين ؛ هل يفتنون أو لا يفتنون ؟ .

قال بعض العلماء : إنهم يفتنون ؛ لدخولهم في العموم ،ولأنهم إذا سقط التكليف عنهم في حال الحياة ؛ فإن حال الممات تخالف حال الحياة .

وقال بعض العلماء : إن المجانين والصغار لا يسألون ؛ لأنهم غير مكلفين ؛ وإذا كانوا غير مكلفين ؛ فإنه لا حساب عليهم ؛ إذا لا حساب إلا على منمكلفاً يعاقب على العاصي ، وهؤلاء لا يعاقبون ، وليس لهم إلا الثواب ؛ إن عملوا عملاً صالحاً يثابون عليه . اهـ

الباب الثاني عشر
ما جاء في الحساب يوم القيامة

الحديث الأول : (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد....)[١]

*أخرجه مسلم في الامارة- باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار
عن أبي هريرة فقال له ناتل أهل الشام أيها الشيخ حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول(إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه

١- أخرجه مسلم في الامارة(١٩٠٥) ، والترمذي في الزهد(٢٣٨٢)

٣٩٠

فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار)

*وأخرجه الترمذي في الزهد- باب ما جاء في الرياء والسمعة.

عن أبي هريرة قال (حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل يقتتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال إن فلانا قارئ فقد قيل ذاك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له في ماذا قتلت فيقول أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذاك ثم ضرب رسول الله

٣٩١

صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة)

الشرح والبيان :

* قال المباركفوري في تحفة الأحوزي :

(وكل أمة جاثية) قال في القاموس : جثا كدعا ورمى جثوا وجثيا بضمهما جلس على ركبتيه أو قام على أطراف أصابعه انتهى (يدعو) أي الله تعالى (به) الضمير راجع إلى من (رجل جمع القرآن) أي حفظه (قتل) بصيغة المجهول (فماذا عملت) من العمل (فيما علمت) من العلم (كنت أقوم به) أي بالقرآن (آناء الليل وآناء النهار) أي ساعاتهما .

قال الأخفش : واحدها إني مثل معى ، وقيل واحدها إني وأنو وأنو ، يقال مضى من الليل أنوان وإنيان (فقد قيل ذلك) أي ذلك القول فحصل مقصودك وغرضك (ألم أوسع عليك) أي ألم أكثر مالك (حتى لم أدعك) أي لم أتركك من ودع يدع (جواد) أي سخي كريم (جريئي) فعيل من الجرة فهو مهموز ، وقد يدغم أي شجاع (تسعر) من التسعير أي توقد . والحديث دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال تعالى : { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين } وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد وإنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصا ، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصا اهـ

*وقال السندي في شرحه لسنن النسائي :

قوله (ثلاثة) أي ثلاثة أنواع لا ثلاثة أشخاص (استشهد) على بناء المفعول أي قتل شهيدا صورة في اعتقاد الناس (فعرفه) من التعريف (كذبت) أي في دعوى كون القتال فيك (فقد قيل) هذا مبني على أن العادة حصول هذا القول

٣٩٢

وإلا فحبط العمل لا يتوقف على هذا القول بل يكفي فيه أنه نوى الرياء والله تعالى أعلم .

الحديث الثاني:(... فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار...)[١]

*أخرجه مسلم في الايمان-معرفة طريق الرؤية.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (أن ناسا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا قال فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى

١- أخرجه مسلم في الايمان/١٨٣

جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر

٣٩٤

فيها خيرا وكان أبو سعيد الخدري يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا)

**** الشرح والبيان :**

*قال النووي في شرح مسلم مختصرا:

قوله صلى الله عليه وسلم : (ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما) معناه : لا تضارون أصلا كما لا تضارون في رؤيتهما أصلا . قوله صلى الله عليه وسلم : (حتى إذا ما لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر وغبر أهل الكتاب) أما البر فهو المطيع . وأما (غبر) معناه بقاياهم جمع غابر .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا) أما السراب فهو الذي يتراءى للناس في الأرض القفر والقاع المستوي وسط النهار في الحر الشديد لامعا مثل الماء يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . فالكفار يأتون جهنم - أعاذنا الله الكريم وسائر المسلمين منها ومن

٣٩٥

كل مكروه - وهم عطاش فيحسبونها ماء فيتساقطون فيها . وأما (يحطم بعضها بعضا) فمعناه : لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لهبها .

والحطم : الكسر والإهلاك ، والحطمة : اسم من أسماء النار لكونها تحطم ما يلقى فيها . قوله صلى الله عليه وسلم : (أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها) معنى رأوه فيها : علموها له وهي صفته المعلومة للمؤمنين ، وهي أنه لا يشبهه شيء . وقد تقدم معنى الإتيان والصورة . والله أعلم .

قوله : (قالوا : ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم) معنى قولهم : التضرع إلى الله تعالى في كشف هذه الشدة عنهم ، وأنهم لزموا طاعته سبحانه وتعالى ، وفارقوا في الدنيا الناس الذين زاغوا عن طاعته - سبحانه - من قراباتهم وغيرهم ممن كانوا يحتاجون في معايشهم ومصالح دنياهم إلى معاشرتهم للارتفاق بهم ، وهذا كما جرى للصحابة المهاجرين وغيرهم ومن أشبههم من المؤمنين في جميع الأزمان فإنهم يقاطعون من حاد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع حاجتهم في معايشهم إلى الارتفاق بهم والاعتضاد بمخالطتهم ، فآثروا رضى الله تعالى على ذلك ، وهذا معنى ظاهر في هذا الحديث لا شك في حسنه

قوله صلى الله عليه وسلم : (حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب) ومعناه والله أعلم : ينقلب عن الصواب ، ويرجع عنه للامتحان الشديد الذي جرى . والله أعلم
قوله صلى الله عليه وسلم : (فيكشف عن ساق) ضبط (يكشف) بفتح الياء وضمها وهما صحيحان . وفسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة وغريب الحديث الساق هنا بالشدة أي يكشف عن شدة وأمر مهول ، وهذا مثل تضربه العرب لشدة الأمر ، ولهذا يقولون : قامت الحرب على ساق ، وأصله أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد شمر ساعده وكشف عن ساقه للاهتمام به .

٣٩٦

قال الخطابي - رحمه الله - : وهذه الرؤية التي في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي في الجنة لكرامة أولياء الله تعالى ، وإنما هذه للامتحان . والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم : (ولا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة) هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ، وقد استدل بعض العلماء بهذا مع قوله تعالى : { ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) صلى الله عليه وسلم. على جواز تكليف ما لا يطاق ، وهذا استدلال باطل ؛ فإن الآخرة ليست دار تكليف بالسجود ، وإنما المراد امتحانهم . وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (طبقة) فبفتح الطاء والباء . قال الهروي وغيره : الطبق فقار الظهر أي صار فقاره واحدة كالصحيفة فلا يقدر على السجود . والله أعلم .

ثم اعلم أن هذا الحديث قد يتوهم منه أن المنافقين يرون الله تعالى مع المؤمنين ، وقد ذهب إلى ذلك طائفة حكاه ابن فورك لقوله صلى الله عليه وسلم : " وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى " وهذا الذي قالوه باطل ؛ بل لا يراه المنافقون بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين ، وليس في هذا الحديث تصريح برؤيتهم الله تعالى وإنما فيه أن الجمع الذي فيه المؤمنون والمنافقون يرون الصورة ثم بعد ذلك يرون الله تعالى ، وهذا لا يقتضي أن يراه جميعهم ، وقد قامت دلائل الكتاب والسنة على أن المنافق لا يراه سبحانه وتعالى . والله أعلم

قوله صلى الله عليه وسلم : (يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته) هكذا ضبطناه (صورته) بالهاء في آخرها ، ووقع في أكثر الأصول أو كثير منها (في صورة) بغير هاء ، وكذا هو في الجمع بين الصحيحين للحميدي ، والأول أظهر ، وهو الموجود في الجمع بين الصحيحين للحافظ عبد الحق ، ومعناه : وقد أزال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم . قوله صلى الله عليه وسلم : (ثم يضرب

٣٩٧

الجسر على جهنم وتحل الشفاعة) الجسر : بفتح الجيم وكسرها لغتان مشهورتان ، وهو الصراط . ومعنى تحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها أي : تقع ويؤذن فيها . قوله : (قيل : يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : دحض مزلة) هو بتنوين دحض وداله مفتوحة والحاء ساكنة .

و (مزلة) : بفتح الميم وفي الزاي لغتان مشهورتان الفتح والكسر ، والدحض والمزلة بمعنى واحد ، وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر . ومنه دحضت الشمس أي : مالت ، وحجة وداحضة لا ثبات لها . قوله صلى الله عليه وسلم : (فيه خطاطيف وكلاليب وحسك) أما الخطاطيف : فجمع خطاف بضم الخاء في المفرد . والكلاليب بمعناه ، وقد تقدم بيانهما ، وأما الحسك فبفتح الحاء والسين المهملتين ، وهو شوك صلب من حديد .

قوله صلى الله عليه وسلم : (فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم) أنهم ثلاثة أقسام ، قسم يسلم فلا يناله شيء أصلا ، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص ، وقسم يكردس . ويلقى فيسقط في جهنم . وأما مكدوس فهو بالسين المهملة هكذا هو في الأصول وكذا نقله القاضي عياض - رحمه الله - عن أكثر الرواة قال : ورواه العذري بالشين المعجمة ومعناه بالمعجمة السوق ، وبالمهملة كون الأشياء بعضها على بعض ، ومنه تكدست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضا . قوله صلى الله عليه وسلم : (فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استقصاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار) اعلم أن هذه اللفظة ضبطت على أوجه ، أحدها : (استيضاء)، والثاني : (استضاء)، والثالث : (استيفاء)، والرابع : (استقصاء).

ثم قال النووي – رحمه الله

جميع الروايات التي ذكرناها صحيحة لكل منها معنى حسن . وقد جاء في رواية يحيى بن بكير عن الليث (فما أنتم بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من

المؤمنين يومئذ للجبار تعالى وتقدس إذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم) ، وهذه الرواية التي ذكرها الليث توضح المعنى فمعنى الرواية الأولى والثانية : أنكم إذا عرض لكم في الدنيا أمر مهم والتبس الحال فيه وسألتم الله تعالى بيانه وناشدتموه في استيضائه وبالغتم فيها لا تكون مناشدة أحدكم مناشدة بأشد من مناشدة المؤمنين لله تعالى في الشفاعة لإخوانهم ، وأما الرواية الثالثة والرابعة فمعناهما أيضا : ما منكم من أحد يناشد الله تعالى في الدنيا في استيفاء حقه أو استقصائه وتحصيله من خصمه والمتعدي عليه بأشد من مناشدة المؤمنين الله تعالى في الشفاعة لإخوانهم يوم القيامة . والله أعلم .

قوله سبحانه وتعالى : (من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ونصف مثقال من خير ومثقال ذرة) قال القاضي عياض - رحمه الله - : قيل : معنى الخير هنا اليقين ، قال : والصحيح أن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ ، وإنما يكون هذا التجزؤ لشيء زائد عليه من عمل صالح أو ذكر خفي أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى ونية صادقة ، ويدل عليه قوله في الرواية الأخرى في الكتاب : (يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن كذا ، ومثله الرواية الأخرى : (يقول الله تعالى : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط) وفي الحديث الآخر (لأخرجن من قال لا إله إلا الله) .

قال القاضي - رحمه الله - : فهؤلاء هم الذين معهم مجرد الإيمان وهم الذين لم يؤذن في الشفاعة فيهم ، وإنما دلت الآثار على أنه أذن لمن عنده شيء زائد على مجرد الإيمان ، وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين صلوات الله وسلامه عليهم

دليلا عليه ، وتفرد الله عز وجل بعلم ما تكنه القلوب والرحمة لمن ليس عنده إلا مجرد الإيمان ، وضرب بمثقال الذرة المثل لأقل الخير فإنها أقل المقادير .

قال القاضي : وقوله تعالى : (من كان في قلبه ذرة وكذا) دليل على أنه لا ينفع من العمل إلا ما حضر له القلب وصحبته نية ، وفيه دليل على زيادة الإيمان ونقصانه وهو مذهب أهل السنة . هذا آخر كلام القاضي - رحمه الله - . والله أعلم

قوله صلى الله عليه وسلم : (ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا) هكذا هو (خيرا) بإسكان الياء أي : صاحب خير . قوله سبحانه وتعالى : (شفعت الملائكة) هو بفتح الفاء وإنما ذكرته - وإن كان ظاهرا - لأني رأيت من يصحفه ، ولا خلاف فيه يقال : شفع يشفع شفاعة ، فهو شافع وشفيع ، والمشفع بكسر الفاء الذي يقبل الشفاعة ، والمشفع بفتحها الذي تقبل شفاعته .

قوله صلى الله عليه وسلم : (فيقبض قبضة من النار) معناه يجمع جماعة . قوله صلى الله عليه وسلم : (فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما) معنى عادوا : صاروا وليس بلازم في عاد أن يصير إلى حالة كان عليها قيل ذلك بل معناه : صار . وأما (الحمم) بضم الحاء وفتح الميم الأولى المخففة وهو الفحم ، الواحدة حممة . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة) أما (النهر) ففيه لغتان معروفتان فتح الهاء وإسكانها والفتح أجود ، وبه جاء القرآن العزيز . وأما (الأفواه) فجمع فوهة بضم الفاء وتشديد الواو المفتوحة وهو جمع سمع من العرب على غير قياس ، وأفواه الأزقة والأنهار أوائلها . قال صاحب المطالع كأن المراد في الحديث مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها .

قوله صلى الله عليه وسلم : (ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض) أما (يكون) في الموضعين الأولين فتامة ليس لها

خبر معناها ما يقع ، وأصيفر وأخيضر مرفوعان ، وأما يكون أبيض (فيكون) فيه ناقصة وأبيض منصوب وهو خبرها .

قوله صلى الله عليه وسلم : (فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم) أما اللؤلؤ فمدنية ، وفيه أربع قراءات في السبع بهمزتين في أوله وآخره ، وبحذفهما وبإثبات الهمزة في أوله دون آخره وعكسه . وأما (الخواتم) فجمع خاتم بفتح التاء وكسرها ، ويقال أيضا : خيتام وخاتام . قال صاحب التحرير : المراد بالخواتم هنا أشياء من ذهب أو غير ذلك تعلق في أعناقهم علامة يعرفون بها ، قال : معناه تشبيه صفائهم وتلألئهم باللؤلؤ . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله) أي يقولون : هؤلاء عتقاء الله .

قوله : (وزاد بعد قوله بغير عمل عملوه ولا قدم قدموه) هذا مما قد يسأل عنه فيقال : لم يتقدم في الرواية الأولى ذكره (القدم) وإنما تقدم (ولا خير قدموه) وإذا كان كذلك لم يكن لمسلم أن يقول : زاد بعد قوله : (ولا قدم) إذ لم يجر للقدم ذكر ، وجوابه : أن هذه الرواية التي فيها الزيادة وقع فيها : (ولا قدم) بدل قوله في الأولى (خير) ووقع فيها الزيادة فأراد مسلم - رحمه الله - بيان الزيادة ، ولم يمكنه أن يقول زاد بعد قوله : ولا خير قدموه ؛ إذ لم يجر له ذكر في هذه الرواية فقال : زاد بعد قوله ولا قدم قدموه أي زاد بعد قوله في روايته ولا قدم قدموه . واعلم أيها المخاطب أن هذا لفظه في روايته وأن زيادته بعد هذا . والله أعلم . والقدم هنا بفتح القاف والدال ومعناه الخير كما في الرواية الأخرى . والله أعلم . اهـ

**** الحديث الثالث : (يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة..)**[1]

١- أخرجه مسلم في صفة القيامة(٢٨٠٧)، و أحمد في مسند المكثرين(١٣٢٤٨)

٤٠١

- أخرجه مسلم في صفة القيامة- باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار.
عن أنس بن مالك قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط)

- وأخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة.
عن أنس (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بأشد الناس كان بلاء في الدنيا من أهل الجنة فيقول اصبغوه صبغة في الجنة فيصبغونه فيها صبغة فيقول الله عز وجل يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط أو شيئا تكرهه فيقول لا وعزتك ما رأيت شيئا أكرهه قط ثم يؤتى بأنعم الناس كان في الدنيا من أهل النار فيقول اصبغوه فيها صبغة فيقول يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط قرة عين قط فيقول لا وعزتك ما رأيت خيرا قط ولا قرة عين قط)

* قال النووي في شرح الحديث :
قوله صلى الله عليه وسلم : (فيصبغ في النار صبغة) الصبغة بفتح الصاد أي : يغمس غمسة ، والبؤس بالهمز هو : الشدة . والله أعلم .

الحديث الرابع (يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ...)[1]

١- أخرجه الترمذي في صفة الجنة/٢٥٥٧، وأحمد في مسند المكثرين (٧٨٦٨) نحوه وقَالَ الألباني: صحيح.(صحيح الجامع: ٨٠٢٥).

-أخرجه الترمذي في صفة الجنة- باب ماجاء في خلود أهل الجنة وأهل النار.
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول ألا يتبع كل إنسان ما كانوا يعبدونه فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون فيطلع عليهم رب العالمين فيقول ألا تتبعون الناس فيقولون نعوذ بالله منك نعوذ بالله منك الله ربنا هذا مكاننا حتى نرى ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم ثم يتوارى ثم يطلع فيقول ألا تتبعون الناس فيقولون نعوذ بالله منك نعوذ بالله منك الله ربنا وهذا مكاننا حتى نرى ربنا وهو يأمرهم ويثبتهم قالوا وهل نراه يا رسول الله قال وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم لا تضارون في رؤيته تلك الساعة ثم يتوارى ثم يطلع فيعرفهم نفسه ثم يقول أنا ربكم فاتبعوني فيقوم المسلمون ويوضع الصراط فيمرون عليه مثل جياد الخيل والركاب وقولهم عليه سلم سلم ويبقى أهل النار فيطرح منهم فيها فوج ثم يقال هل امتلأت فتقول هل من مزيد ثم يطرح فيها فوج فيقال هل امتلأت فتقول هل من مزيد حتى إذا أوعبوا فيها وضع الرحمن قدمه فيها وأزوى بعضها إلى بعض ثم قال قط قالت قط قط فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال أتي بالموت ملببا فيوقف على السور بين أهل الجنة وأهل النار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال يا أهل النار فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة فيقال لأهل الجنة وأهل النار هل تعرفون هذا فيقولون هؤلاء وهؤلاء قد عرفناه هو الموت

٤٠٣

الذي وكل بنا فيضجع فيذبح ذبحا على السور الذي بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلود لا موت ويا أهل النار خلود لا موت)

***** الشرح والبيان:**

* قال المباركفوري في شرح حديث الترمذي :

قوله : (في صعيد واحد) الصعيد الأرض الواسعة المستوية (ثم يطلع عليهم رب العالمين) قال في القاموس : طلع فلان علينا كمنع ونصر أتانا كطالع انتهى (فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره) قال ابن العربي : يحتمل أن يكون التمثيل تلبيسا عليهم ، ويحتمل أن يكون التمثيل لمن لا يستحق التعذيب .

وأما من سواهم فيحضرون حقيقة لقوله تعالى : { إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم } صلى الله عليه وسلم ، (نعوذ بالله منك) وعند الشيخين وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون ، فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك .

قال ابن العربي : إنما استعاذوا منه أولا لأنهم اعتقدوا أن ذلك الكلام استدراج ، لأن الله لا يأمر بالفحشاء ، ومن الفحشاء اتباع الباطل وأهله ، ولهذا وقع في الصحيح فيأتيهم الله في صور : أي بصورة لا يعرفونها وهي الأمر باتباع أهل الباطل فلذلك يقولون إذا جاء ربنا عرفناه أي إذا جاءنا بما عهدناه منه من قول الحق (ثم يتوارى) أي يستتر (وهل تضارون) قال النووي : روى تضارون بتشديد الراء وتخفيفها والتاء مضمومة فيهما ومعنى المشدد هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر ، ومعنى المخفف هل يلحقكم في رؤيته ضير وهو الضرر .

(ثم يطلع فيعرفهم نفسه) أي يلقي في قلوبهم علما قطعيا يعرفون به أنه ربهم سبحانه وتعالى (أنا ربكم فاتبعوني) وعند الشيخين أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه .
قال النووي : معناه يتبعون أمره إياهم بذهابهم إلى الجنة ، أو يتبعون ملائكته الذين يذهبون بهم إلى الجنة (ويوضع الصراط) وعند مسلم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم (فيمر عليه) أي فيمر المسلمون على الصراط (مثل جياد الخيل) . قال في القاموس : فرس جواد بين الجودة بالضم رائع والجمع جياد وقد ، جاد في عدوه جودة انتهى ، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف (والركاب) بكسر الراء عطف على الخيل ، والمراد بها الإبل ولا واحد له من لفظه (وقولهم) أي قول المرسل والأنبياء (عليه) أي على الصراط (سلم سلم) أمر مخاطب أي يقول كل نبي اللهم سلم أمتي من ضرر الصراط اللهم اجعلهم سالمين من آفاته آمنين من مخافاته وتكراره مرتين المراد به الكثرة أو باعتبار كل واحد من أهل الشفاعة أو للإلحاح في الدعاء كما هو من آدابه . وفي رواية البخاري : ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم .
قال الحافظ في رواية شعيب : ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل ، وفي رواية إبراهيم بن سعد : ولا يكلمه إلا الأنبياء ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم . ووقع في رواية العلا وقولهم اللهم سلم سلم ، وللترمذي من حديث المغيرة شعار المؤمنين على الصراط رب سلم سلم ، والضمير في الأول للرسل ، ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين أن ينطقوا به ، بل تنطق به الرسل يدعون للمؤمنين بالسلامة ، فسمى ذلك شعارا لهم ، فهذا تجتمع الأخبار ، ويؤيده قوله في رواية سهيل : فعند ذلك حلت الشفاعة اللهم سلم سلم انتهى (ثم يطرح فيها فوج) أي من أهل النار

فتقول هل من مزيد) أي من زيادة (حتى إذا أوعبوا فيها) من الإيعاب ، وهو الاستقصاء في كل شيء (وضع الرحمن قدمه فيها) . وفي رواية لمسلم رجله . قال القاري مذهب السلف التسليم والتفويض مع التنزيه وأرباب التأويل من الخلف ، يقولون المراد بالقدم قدم بعض مخلوقاته فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم أو قوم قدمهم الله للنار من أهلها ، وتقدم في سابق حكمه أنهم لاحقوها فتمتلئ منهم جهنم ، والعرب تقول كل شيء قدمته من خير أو شر فهو قدم ، ومنه قوله تعالى : { أن لهم قدم صدق عند ربهم } أي ما قدموه من الأعمال الصالحة : الدالة على صدقهم في تصديقهم ، والمراد بالرجل الجماعة من الجراد وهو وإن كان موضوعا لجماعة كثيرة من الجراد لكن استعارته لجماعة الناس غير بعيد . أ

و أخطأ الراوي في نقله الحديث بالمعنى ، وظن أن الرجل سد مسد القدم ، هذا : وقد قيل وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع ، فكأنه قال يأتيها أمر الله فيكفها من طلب المزيد ، وقيل أريد به تسكين فورتها كما يقال للأمر يراد إبطاله وضعته تحت قدمي ذكره في النهاية . وفي شرح السنة : القدم والرجل المذكوران في هذا الحديث من صفات الله المنزهة عن التكييف والتشبيه ، وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب أو السنة ، كاليد والأصبع والعين والمجيء والإتيان والنزول . فالإيمان بها فرض والامتناع عن الخوض فيها واجب .

فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم ، والخائض فيها زائغ والمنكر معطل والمكيف مشبه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير انتهى . قال القاري : وهو الموافق لمذهب الإمام مالك رحمه الله ولطريق إمامنا الأعظم على ما أشار إليه في الفقه الأكبر ، فالتسليم أسلم والله تعالى أعلم انتهى .

قلت : الأمر كما قال القاري ، فلا شك أن التسليم والتفويض هو الأسلم بل هو المتعين (وأزوي بعضها إلى بعض) بصيغة المجهول ، وفي رواية يزوي أي يضم بعضها إلى بعض فتجتمع وتلتقي على من فيها (قالت) أي النار (قط قط) قال النووي : معنى قط حسبي أي يكفيني هذا وفيه ثلاث لغات قط قط بإسكان الطاء فيهما وبكسرها منونة وغير منونة انتهى والتكرار للتأكيد (أتى بالموت) أي أحضر به كهيئة كبش أملح كما في حديث أبي سعيد الآتي (ملببا) في القاموس لببه تلبيبا جمع ثيابه عند نحره في الخصومة ثم جره (فيطلعون خائفين) أي أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه (فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة) أي يرجون أن يشفع لهم فيخرجوا من النار . وفي رواية ابن ماجه : مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه (يا أهل الجنة خلود) أي هذا الحال مستمر ويحتمل أن يكون جمع خالد أي أنتم خالدون في الجنة (لا موت) بفتح التاء المثناة أي لا موت في الجنة .اهـ

**** الحديث الخامس (.. يا رب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك)**[١]

- أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة .

عن أبي هريرة قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك) ..

***** الشرح والبيان :**

١- أخرجه أحمد في مسند المكثرين(١٠٢٣٢) وقالَ الألباني: صحيح.(صحيح الجامع: ١٦١٧).

قَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:
(إن الرجل) يعني الإنسان المؤمن ولو أنثى (لترفع درجته في الجَنَّة فيقول أنَّى لي هذا) أي من أين لي هذا ولم أعمل عملاً يقتضيه (فَيُقَال) أي تقول له الملائكة أو العلماء هذا (باستغفار ولدك لك) من بعدك ، دَلَّ به على أن الاستغفار يحط الذنوب ويرفع الدرجات وعلى أنه يرفع درجة أصل المستغفر إلى مَا لم يبلغها بعمله فما بالك بالعامل المستغفر، ولو لم يكن في النكاح فضلٌ إلا هذا لكفى، وكان الظاهر أن يُقَالَ لاستغفار ليطابق اللام في لي لكن سَدَ عنه أن التقدير كيف حصل لي هذا، فقيل: حصل لك باستغفار ولدك، وقيل إن الابن إذا كان أرفع درجةً من أبيه في الجَنَّة سأل أن يُرْفَع أبوه إليه فيُرْفَع، وكذلك الأب إذا كان أرفع، وذلك قوله سبحانه وتعالى لا تدرون أيهم أقرب نفعاً .ا

الحديث السادس: (...ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل)[١]

*أخرجه مسلم في الزهد والرقائق
عن أبي هريرة قال قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال(هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما قال فيلقى العبد فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى قال فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول فإني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك

٢- أخرجه مسلم في الزهد والرقائق(٢٩٦٨)

٤٠٨

الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى أي رب فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول فإني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول هاهنا إذا قال ثم يقال له الآن نبعث شاهدنا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه)

***** الشرح والبيان :**

قال النووي في شرح الحديث :

قوله : (هل نرى ربنا) ؟ قد سبق شرح الرواية وما يتعلق بها في كتاب الإيمان . قوله : صلى الله عليه وسلم : (فيقول : أي فل) هو بضم الفاء وإسكان اللام ، ومعناه يا فلان ، وهو ترخيم على خلاف القياس ، وقيل : هي لغة بمعنى فلان حكاها القاضي .

ومعنى (أسودك) أجعلك سيدا على غيرك . قوله تعالى : (وأذرك ترأس وتربع) أما (ترأس) فبفتح التاء وإسكان الراء وبعدها همزة مفتوحة ، ومعناه رئيس القوم وكبيرهم .

وأما (تربع) فبفتح التاء والباء الموحدة هكذا رواة الجمهور ، وفي رواية ابن ماهان (ترتع) بمثناة فوق بعد الراء ، ومعناه بالموحدة تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة ، وهو ربعها ، يقال : ربعتهم أي أخذت ربع أموالهم ، ومعناه ألم أجعلك رئيسا مطاعا .

وقال القاضي بعد حكايته نحو ما ذكرته عندي أن معناه تركتك مستريحا لا تحتاج إلى مشقة وتعب من قولهم : أربع على نفسك أي ارفق بها . ومعناه

بالمثناة تتنعم ، وقيل : تأكل ، وقيل : تلهو ، وقيل : تعيش في سعة . قوله تعالى : (فإني أنساك كما نسيتني) أي أمنعك الرحمة كما امتنعت من طاعتي .

قوله : (فيقول : هاهنا إذا) معناه قف هاهنا حتى يشهد عليك جوارحك إذ قد صرت منكرا .اهـ

الحديث السابع (.. يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها)[١]

*أخرجه مسلم في الإيمان- باب أخر أهل النار خروجًا.

عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين فترفع له شجرة فيقول أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله عز وجل يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها فيقول لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها فيقول لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين فيقول أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني

١- أخرجه مسلم في الإيمان(١٨٧)-والبخاري في الرقاق(٦٥٧١)- والترمذي في صفة جهنم (٢٥٩٥)- وابن ماجه في الزهد (٤٣٣٩)- وأحمد في مسند المكثرين (٣٥٨٤)

غيرها قال بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول أي رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها قال يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين فضحك ابن مسعود فقال ألا تسألوني مم أضحك فقالوا مم تضحك قال هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مم تضحك يا رسول الله قال من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزئ مني وأنت رب العالمين فيقول إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر)

***** الشرح والبيان :**

قال النووي في شرح مسلم :

وأما قوله صلى الله عليه وسلم في الأخرى في الكتاب : (فيقول الله تعالى : أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها) وفي الرواية الأخرى : (أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله) فهاتان الروايتان لا تخالفان الأوليين ، فإن المراد بالأولى من هاتين أن يقال له أولا : لك الدنيا ومثلها ثم يزاد إلى تمام عشرة أمثاها كما بينه في الرواية الأخيرة ، وأما الأخيرة فالمراد بها أن أحد ملوك الدنيا لا ينتهي ملكه إلى جميع الأرض بل يملك بعضا منها ثم من يكثر البعض الذي يملكه ومنهم من يقل بعضه فيعطي هذا الرجل مثل أحد ملوك الدنيا خمس مرات ، وذلك كله قدر الدنيا كلها ، ثم يقال له : لك عشرة أمثال هذا فيعود معنى هذه الرواية إلى موافقة الروايات المتقدمة ولله الحمد . وهو أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة) أما (يكبو) فمعناه : يسقط على وجهه .

وأما (تسفعه) فهو بفتح التاء وإسكان السين المهملة وفتح الفاء ومعناه : تضرب وجهه وتسوده وتؤثر فيه أثرا . قوله صلى الله عليه وسلم : (لأنه يرى ما لا صبر له عليه) ، كذا هو في الأصول في المرتين الأوليين . وأما الثالثة : فوقع في أكثر الأصول (ما لا صبر له عليها) ، وفي بعضها (عليه) ، وكلاهما صحيح ومعنى (عليها) : أي : نعمة لا صبر له عليها أي : عنها . قوله عز وجل : (يا ابن آدم ما يصريني منك) ، هو بفتح الياء وإسكان الصاد المهملة ومعناه يقطع مسألتك مني .

والمعنى : أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك . والله أعلم . قوله : (قالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين) قد قدمنا معنى الضحك من الله تعالى وهو الرضى والرحمة وإرادة الخير لمن يشاء رحمته من عباده . والله أعلم .اهـ

....

**** الحديث الثامن:(يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول..)**[1]

- أخرجه البخاري في الادب- باب ستر المسلم علي نفسه.

عن صفوان بن محرز أن رجلا سأل ابن عمر كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى قال(يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ويقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقرره ثم يقول إني سترت عليك في الدنيا فأنا أغفرها لك اليوم)

١- أخرجه البخاري في الادب/٦٠٧٠- و مسلم في التوبة/٢٧٦٨

- وأخرجه مسلم في التوبة- باب قبول توبة القاتل وأن كثر القتل .
عن صفوان بن محرز قال(قال رجل لابن عمر كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى قال سمعته يقول يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف فيقول أي رب أعرف قال فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله)

***** الشرح والبيان :**

قَالَ الإِمَامُ ابن حجر في فتح الباري مختصرا:
قوله : (كيف سمعت رسول الله يقول في النجوى) هي ما تكلم به المرء يسمع نفسه ولا يسمع غيره ، أو يسمع غيره سرا دون من يليه ، قال الراغب : ناجيته إذا ساررته ، وأصله أن تخلو في نجوة من الأرض ، وقيل أصله من النجاة وهي أن تنجو بسرك من أن يطلع عليه ، والنجوى أصله المصدر ، وقد يوصف بها فيقال هو نجوى وهم نجوى ، والمراد بها هنا المناجاة التي تقع من الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة مع المؤمنين ،

قوله : (يدنو أحدكم من ربه) أي يقرب منه قرب كرامة وعلو منزلة .
قوله : (حتى يضع كنفه) بفتح الكاف والنون بعدها فاء أي جانبه ، والكنف أيضا الستر وهو المراد هنا ، والأول مجاز في حق الله تعالى كما يقال فلان في كنف فلان أي في حمايته وكلاءته .
قوله : (فيقول عملت كذا وكذا) في رواية همام فيقول " أتعرف ذنب كذا وكذا " زاد في رواية سعيد وهشام " فيقرره بذنوبه " وفي رواية سعيد بن جبير " فيقول له أقرأ صحيفتك فيقرأ ، ويقرره بذنب ذنب ، ويقول أتعرف أتعرف " .

قوله : (فيقول نعم) زاد في رواية همام " أي رب " وفي رواية سعيد وهشام " فيقول أعرف " .
قوله : (ثم يقول إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم) ..قال المهلب : في الحديث تفضل الله على عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة ، وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم ، بخلاف قول من أنفذ الوعيد على أهل الإيمان لأنه لم يستثن في هذا الحديث ممن يضع عليه كنفه وستره أحدا إلا الكفار والمنافقين فإنهم الذين ينادي عليهم على رءوس الأشهاد باللعنة .اهـ
* وقال النووي في شرح مسلم :
قوله صلى الله عليه وسلم : (يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه) إلى آخره .
أما (كنفه) فبنون مفتوحة ، وهو : ستره وعفوه ، والمراد بالدنو هنا : دنو كرامة وإحسان ، لا دنو مسافة ، والله تعالى منزه عن المسافة وقربها .اهـ

**** الحديث التاسع :(ما مَنَعَكَ إذْ رأيتَ المُنكرَ أن تُنكِرَهُ ؟..)**[١]

***أخرجه ابن ماجه في الفتن- باب قول الله تعالي : يأيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم.**
عن أبي سعيد الخدري قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وفرقت من الناس)
***** الشرح والبيان :**

١- أخرجه ابن ماجه في الفتن(٤٠١٧) - وأحمد في مسند المكثرين (١١٣٢٦) وقَالَ الألباني: صحيح (صحيح الجامع: ١٨١٨).

- قال السندي في شرح حديث ابن ماجه :
 قوله (وفرقت من الناس) أي خفتهم فسامحت في حقك اعتمادا على أنك كريم مرجو لكمال فضلك ولطفك بخلاف الناس فإنهم من الشح .
وقَالَ الإمَامُ المناوي في فيض القدير:
 (إن الله تعالى ليسأل العبد يوم القيامة) عن كل شيء (حتى يسأله مَا منعك إذا رأيت المنكر) هو كل مَا قَبَّحَه الشرع (أن تنكره) فمن رأى إنساناً يفعل معصية أو يوقع بمحترم محذوراً ولم ينكر عليه مع القدرة فهو مسؤول عنه في القيامة، مُعَذَّب عليه إن لم يدركه العفو الإلهي والغفر السبحاني.
 (فإذا لقَّن الله العبد حجته) أي ألهمه إياها (قَالَ يا رب رجوتك) أن تسامحني من الرجاء وهو التوقع والأمل (وفرقت) أي خفت (من الناس) أي من أذاهم.اه

الحديث العاشر:(يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ...)[١]

- أخرجه الترمذي في التفسير- بابومن سورة النساء.
 عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دما يقول يا رب هذا قتلني حتى يدنيه من العرش قال فذكروا لابن عباس التوبة فتلا هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال ما نسخت هذه الآية ولا بدلت وأنى له التوبة)
- وأخرجه النسائي في تحريم الدم- باب تعظيم الدم

١- أخرجه الترمذي في التفسير(٣٠٢٩)- و النسائي في تحريم الدم(٣٩٩٨)
وقَالَ الألباني: صحيح (صحيح الجامع).(صحيح الجامع: ٨٠٣٢).

عن أبي عمران الجوني قال قال جندب حدثني فلان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يجيء المقتول بقاتله يوم القيامة فيقول سل هذا فيم قتلني فيقول قتلته على ملك فلان قال جندب فاتقها
وأخرج أحمد نحوه في مسند الأنصار
*****الشرح والبيان :**
قال المباركفوري في شرح الترمذي :
قوله : (يجيء المقتول بالقاتل) لباء للتعدية أي يحضره ويأتي به (ناصيته) أي شعر مقدم رأس القاتل (ورأسه) أي بقيته (بيده) أي بيد المقتول ، والجملة حال من الفاعل ، ويحتمل من المفعول على بعد وقد اكتفى فيها بالضمير .
قال الطيبي : ويجوز أن يكون استئنافا على تقدير السؤال عن كيفية المجيء به (وأوداجه) في النهاية هي ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح واحدها ودج بالتحريك ، وقيل الودجان عرقان غليظان عن جانبي نقرة النحر ، وقيل عبر عن المثنى بصيغة الجمع للأمن من الالتباس كقوله تعالى : { قصد صغت قلوبكما } (تشخب) ضم الخاء المعجمة وبفتحها ، أي تسيل (دما) تمييز محول عن الفاعل أي دمهما (يقول يا رب قتلني هذا) أي ويكرره (حتى يدنيه من العرش) من الإدناء : أي يقرب المقتول القاتل من العرش وكأنه كناية عن استقصاء المقتول في طلب ثأره وعن المبالغة في إرضاء الله تعالى إياه بعدله (فذكروا لابن عباس التوبة) يعني قالوا له هل للقاتل توبة أم لا (فتلا هذه الآية { ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم } تمام الآية : { خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما } (قال) أي ابن عباس (ما نسخت) بصيغة المجهول وكذا ما بدلت (وأنى له التوبة) أي لا تقبل توبته .
قال النووي : هدا هو المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وروي عنه أن له توبة وجواز المغفرة له لقوله تعالى { ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم

يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما } وهذه الرواية الثانية هي مذهب جميع أهل السنة والصحابة والتابعين ومن بعدهم .
وما روي عن بعض السلف مما يخالف هذا محمول على التغليظ والتحذير من القتل ، وليس في هذه الآية التي احتج بها ابن عباس تصريح بأنه يخلد وإنما فيها أنه جزاؤه ولا يلزم منه أن يجازى انتهى .
وقال الحافظ ابن جرير : وأولى القول في ذلك بالصواب قول من قال معناه : { ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه } أن جزاءه جهنم { خالدا فيها } ولكنه يعفو ويتفضل على أهل الإيمان به وبرسوله فلا يجازيهم بالخلود فيها ، ولكنه عز ذكره إما أن يعفو بفضله فلا يدخله النار ، وإما ان يدخله إياها ثم يخرجه منها بفضل رحمته لما سلف من وعده عباده المؤمنين بقوله : { يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا } فإن ظن ظان أن القاتل إن وجب أن يكون داخلا في هذه الآية فقد يجب أن يكون المشرك داخلا فيها ، لأن الشرك من الذنوب ، فإن الله عز ذكره قد أخبر أنه غير غافر الشرك لأحد بقوله : { إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } والقتل دون الشرك انتهى .

**قَالَ الصابوني في مختصر تفسير ابن كثير:
هذا تهديدٌ شديد ووعيدٌ أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرونٌ بالشرك بالله في غير مَا آية في كتاب الله، حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان: والذين لا يدعون من الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرَّم الله إلا بالحق الآية، وقَالَ تعالى: قل تعالوا أل مَا حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً .
والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جداً:
فمن ذلك مَا ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال:

٤١٧

قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: " أَوَّلُ مَا يُقضَى بين الناس يوم القيامة في الدماء".
وفي حديث آخر: "لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم".
وفي الحديث الآخر: "لو اجتمع أهل السماوات والأرض على قتل رجل مسلم لأكبهم الله في النار".
وفي الحديث الآخر: "من أعان على قتل المسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ".
وقد كان ابن عباس يرى أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمداً.
وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي صَلَّى الله عليه وَسَلَّم يقول: "كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمنا متعمداً".
والذي عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها: أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنْ تاب وأناب، وخشع وخضع وعمل عملا صالحا بدَّلَ الله سيئاته حسنات، وعوَّض المقتول من ظلامته وأرضاه عن ظلامته.
ثم قال :
وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فإنه حقٌ من حقوق الآدميين، وهي لا تسقط بالتوبة، ولكن لا بد من رَدِّها إليهم، ولا فرقَ بين المقتول والمسروق منه، والمغصوب منه والمقذوف وسائر حقوق الآدميين، فإنَّ الإجماع مُنعَقِدٌ على أنها لا تسقط بالتوبة، ولكنه لا بد من ردها إليهم في صحة التوبة، فإنْ تعذر ذلك فلا بد من المطالبة يوم القيامة، لكن لا يلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة، إذ قد يكون للقاتل أعمالٌ صالحة تُصْرَفُ إلى المقتول أو بعضها، ثم يفضُل له أجرٌ يدخُل به الجنة، أو يُعَوِّض الله المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجَنَّة ونعيمها، ورَفْعِ درجته فيها نحو ذلك، والله أعلم.ا

٤١٨

الفوائد الجليلة من أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول الحساب يوم القيامة وما فيه من أهوال وعلي الإنسصان أن يستعد لهذا اليوم الذي لا ينفعه فيه مال ولا بنون إلا أن يأتي ربه بقلب سليم .

وفي كتاب "التذكرة-٢٨٩/١" للقرطبي جاء فيه ما يلي مختصرا :

- باب ما جاء في تطاير الصحف عند العرض و الحساب و إعطاء الكتب باليمين و الشمال و من أول من يأخذ كتابه بيمينه من هذه الأمة ، و في كيفية و قوفهم للحساب و ما يقبل منهم من الأعمال ، و في دعائهم بأسماء آباهم و بيان قوله " يوم ندعوا كل أناس بإمامهم " و في تعظيم خلق الإنسان الذي يدخل الناس به النار أو الجنان و ذكر القاضي العدل و من نوقش عذب .

قال الترمذي : و روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : [حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر و إنما يخف الحساب على من حاسب نفسه في الدنيا] و قال عطاء الخراساني : يحاسب العبد يوم القيامة عند معارفة ليكون أشد عليه . ذكره أبو نعيم .

البخاري " عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من حوسب يوم القيامة عذب . قالت فقلت يا رسول الله : أليس قد قال الله " فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حساباً يسيراً " ؟ فقال : ليس ذلك الحساب إنما ذلك عرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب " أخرجه مسلم و الترمذي و قال : حديث حسن صحيح .

ثم قال :

٤١٩

و ذكره الترمذي الحكيم في الأصل السادس و الثمانين قال : فروى لنا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم : " أن الناس يعرضون ثلاث عرضات يوم القيامة ، فأما عرضتان فجدال و معاذي ، و أما العرضة الثالثة فتطاير الصحف فالجدال لأهل الأهواء يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون أنهم إذا جادلوه نجوا و قامت حجتهم ، و المعاذير لله تعالى يعتذر الكريم إلى آدم و إلى أنبيائه و يقيم حجته عندهم على الأعداء ، ثم يبعثهم إلى النار ، فإنه يجب أن يكون عذره عند أنبيائه و أوليائه ظاهراً حتى لا تأخذهم الحيرة ، و لذلك قيل عن رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا أحد أحب إليه المدح من الله و لا أحد أحب إليه العذر من الله ، و العرضة الثالثة للمؤمنين و هو العرض الأكبر يخلو بهم فيعاتبهم في تلك الخلوات من يريد أن يعاتبهم حتى يذوق و بال الحياء و يرفض عرقاً بين يديه و يفيض العرق منهم على أقدامهم من شدة الحياء ، ثم يغفر لهم و يرضى عنهم " .

ثم قال :

قال الله تعالى " و كل إنسان ألزمناه طائره في عنقه " قال الزجاج : ذكر العنق عبارة عن اللزوم كلزوم القلادة للعنق . و قال إبراهيم بن أدهم كل آدمي في عنقه قلادة يكتب فيها نسخة عمله فإذا مات طويت و إذا بعث نشرت و قيل له " اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً " و قال ابن عباس رضي الله عنه : طائره عمله " و نخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً " قال الحسن : يقرأ الإنسان كتابه أمياً كان أو غير أمي .

و قال أبو السوار العدوي : و قرأ هذه الآية " و كل إنسان ألزمناه طائره في عنقه " قال : هما نشرتان و طية أما ما حييت يا ابن آدم فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ما شئت فإذا مت طويت ، حتى إذا بعثت نشرت " اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً " فإذا وقف الناس على أعمالهم من الصحف التي

يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها . قال الله تعالى " فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حساباً يسيراً " . فدل على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب ، لأن الناس إذا بعثوا لا يكون ذاكرين لأعمالهم . قال الله تعالى " يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله و نسوه " .

و قد تقدم القول في محاسبة الله تعالى لخلقه في يوم الحساب من أسماء القيامة فإذا بعثوا من قبورهم إلى الموقف و قاموا فيه ما شاء تعالى على ما تقدم حفاة عراة و جاء و قت الحساب يريد الله أن يحاسبهم فيه أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأوتوها ، فمنهم من يؤتى كتابه بيمينه فأولئك هم السعداء ، و منهم من يؤتى كتابه بشماله أو من وراء ظهره و هم الأشقياء ، فعند ذلك يقرأ كل كتابه و أنشدوا :

مثل و قوفك يوم العرض عرياناً   مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
و النار تلهب من غيظ و من حنق   على العصاة و رب العرش غضبانا
اقرأ كتابك ياعبدي على مهل   فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرات و لم تنكر قراءته   إقرار من عرف الأشياء عرفاناً
نادى الجليل : خذوه يا ملائكتي   و امضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المشركون غداً في النار يلتهبوا   و المؤمنون بدار الخلد سكانا

فتوهم نفسك يا أخي إذا تطايرت الكتب و نصبت الموازين و قد نوديت باسمك على رؤوس الخلائق أين فلان ابن فلان هلم إلى العرش على الله تعالى و قد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك إلى الله لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك و اسم أبيك إذ عرفت أنك المراد بالدعاء إذ قرع النداء قلبك ، فعلمت أنك المطلوب ، فارتعدت فرائصك ، و اضطربت جوارحك ، و تغير لونك ، و طار قلبك . تحظى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه و الوقوف بين يديه ، و قد رفع

٤٢١

الخلائق إليك أبصارهم و أنت في أيديهم و قد طار قلبك و اشتد رعبك لعلمك أين يراد بك .

فتوهم نفسك و أنت بين يدي ربك في يدك صحيفة مخبرة بعملك لا تغادر بلية كتمتها و لا مخبأة أسررتها ، و أنت تقرأ ما فيها بلسان كليل و قلب منكسر و الأهوال محدقة بك من بين يديك و من خلفك ، فكم من بلية قد كنت نسيتها ذكرتها ، و كم من شيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها و أبداها ، و كم من عمل ظننت أنه سلم لك و خلص فرده عليك في ذلك الموقف و أحبطه بعد أن كان أملك فيه عظيماً ، فيا حسرة قلبك و يا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك " فأما من أوتي كتابه بيمينه " فعلم أنه من أهل الجنة " فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه " و ذلك حين يأذن الله فيقرأ كتابه .

فإذا كان الرجل رأساً في الخير يدعوا إليه و يأمر به و يكثر تبعه عليه دعي باسمه و اسم أبيه فيتقدم ، حتى إذا دنا أخرج له كتاب أبيض بخط أبيض في باطنه السيئات و في ظاهره الحسنات ، فيبدأ بالسيئات فيقرؤها فيشفق و يصفر وجهه و يتغير لونه ، فإذا بلغ آخر الكتاب و جد فيه هذه سيئاتك و قد غفرت لك ، فيفرح عند ذلك فرحاً شديداً ، ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحاً ، حتى إذا بلغ آخر الكتاب و جد فيه هذه حسناتك قد ضوعفت لك فيبيض و جهه ، و يؤتى بتاج فيوضع على رأسه و يكسى حلتين و يحلى كل مفصل فيه و بطول ستين ذراعاً و هي قامة آدم و يقال له : انطلق إلى أصحابك فبشرهم و أخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فإذا أدبر قال " هاؤم اقرؤوا كتابيه * إني ظننت أني ملاق حسابيه " قال الله تعالى " فهو في عيشة راضية " أي مرضية قد رضيها " في جنة عالية " في السماء " قطوفها " ثمارها و عناقيدها " دانية " أدنيت منهم فيقول لأصحابه هل تعرفونني ؟ فيقولون قد غمرتك كرامة الله من أنت فيقول أنا

٤٢٢

فلان ابن فلان ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا " كلوا و اشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية " أي قدمتم في أيام الدنيا .
و إذا كان الرجل رأساً في الشر يدعو إليه و يأمره به فيكثر تبعه عليه و نودي باسمه و اسم أبيه ، فيتقدم إلى حسابه فيخرج له كتاب أسود بخط أسود في باطنه الحسنات و في ظاهره السيئات ، فيبدأ بالحسنات فيقرؤها و يظن أنه سينجو ، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه : هذه حسناتك و قد ردت عليك ، فيسود وجهه و يعلوه الحزن و يقنط من الخير ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد إلا حزناً و لا يزداد و جهه إلا سوداً ، فإذا بلغ آخر الكتاب و جد فيه : هذه سيئاتك و قد ضوعفت عليك أي يضاعف عليه العذاب ليس المعنى أنه يزاد عليه ما لم يعمل .
قال : فينظر إلى النار و تزرق عيناه و يسود و جهه و يكسى سرابيل القطران ، و يقال له :
انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فينطلق و هو يقول : " يا ليتني لم أوت كتابيه * و لم أدر ما حسابيه * يا ليتها كانت القاضية " يعني الموت " هلك عني سلطانيه " تفسير ابن عباس رضي الله عنهما هلكت عني حجتي .
قال تعالى " خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه " أي اجعلوه يصلى الجحيم " ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه " و الله أعلم بأي ذراع . قال الحسن و قال ابن عباس رضي الله عنهما : سبعون ذراعاً بذراع الملك . و سيأتي في كتاب النار لهذه السلسلة مزيد بيان . فاسلكوه فيها أي تدخل من فيه حتى تخرج من دبره قاله الكلبي ، و قيل : بالعكس . و قيل : يدخل عنقه فيها ثم يجر بها و لو أن حلقة منها وضعت على جبل لأذابته فينادي أصحابه فيقول هل تعرفونني فيقولون لا ولكن قد نرى ما بك من الخزي فمن أنت فيقول أنا فلان ابن فلان لكل إنسان منكم مثل هذا .

و أما من أوتي كتابه وراء ظهره فتخلع كتفه اليسرى فتجعل يده خلفه فيأخذ بها كتابه ، و قال مجاهد : يحول مجاهد و جهه في موضع قفاه فيقرأ كتابه كذلك . فتوهم نفسك إن كنت من السعداء و قد خرجت على الخلائق مسرور الوجه قد حل لك الكمال و الحسن و الجمال كتابك في يمينك آخذ بضبعيك ملك ينادي على رؤوس الخلائق هذا فلان ابن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً .

أما إن كنت من أهل الشقاوة فيسود و جهك و تتخطى الخلائق . كتابك في شمالك أو من وراء ظهرك تنادي بالويل و الثبور و ملك آخذ بضبيعك ينادي على رؤوس الخلائق ألا إن فلان ابن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً .

قلت : قوله ألا إن فلان ابن فلان دليل على أن الإنسان يدعى في الآخرة باسمه و اسم أبيه ، و قد جاء صريحاً من حديث " أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم و أسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم " . خرجه أبو نعيم الحافظ . انتهي

٤٢٤

الباب الثالث عشر
ما جاء في الشفاعة

**** الحديث الأول : (يجمع الله الناس يوم القيامة...)**[1]

*أخرجه مسلم في الايمان- باب أدني أهل الجنة منزلة فيها .
عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك و قال ابن عبيد فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال فيأتون آدم صلى الله عليه وسلم فيقولون أنت آدم أبو الخلق خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله قال فيأتون نوحا صلى الله عليه وسلم فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا إبراهيم صلى الله عليه وسلم الذي اتخذه الله خليلا فيأتون إبراهيم صلى الله عليه وسلم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه

١- أخرجه مسلم في الإيمان (١٩٣) ، والبخاري في التفسير (٤٤٧٦) ، وأحمد في مسند المكثرين (١١٧٤٣) .

منها ولكن ائتوا موسى صلى الله عليه وسلم الذي كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع رأسك يا محمد قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود) وأخرج البخاري وغيره نحوه

الشرح والبيان :

قال النووي في شرح مسلم مختصرا :

قوله صلى الله عليه وسلم في الناس (أنهم يأتون آدم ونوحا وباقي الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فيطلبون شفاعتهم فيقولون : لسنا هناكم ، ويذكرون خطاياهم إلى آخره) . اعلم أن العلماء من أهل الفقه والأصول وغيرهم اختلفوا في جواز المعاصي على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وقد لخص القاضي - رحمه الله تعالى - مقاصد المسألة فقال :

لا خلاف أن الكفر عليهم بعد النبوة ليس بجائز بل هم معصومون منه ، واختلفوا فيه قبل النبوة ، والصحيح أنه لا يجوز ، وأما المعاصي فلا خلاف أنهم معصومون من كل كبيرة ، وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من الصغائر التي

تزري بفاعلها وتحط منزلته وتسقط مروءته ، واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر منهم ، فذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف إلى جواز وقوعها منهم وحجتهم ظواهر القرآن والأخبار وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء والمتكلمين من أئمتنا إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر ، وأن منصب النبوة يجل عن مواقعتها وعن مخالفة الله تعالى عمدا ، وتكلموا على الآيات والأحاديث الواردة في ذلك وتأولوها ، وأن ما ذكر عنهم من ذلك إنما هو فيما كان منهم على تأويل أو سهو أو من إذن من الله تعالى في أشياء أشفقوا من المؤاخذة بها وأشياء منهم قبل النبوة ، وهذا المذهب هو الحق لما قدمناه ، ولأنه لو صح ذلك منهم لم يلزمنا الاقتداء بأفعالهم وإقرارهم وكثير من أقوالهم ، ولا خلاف في الاقتداء بذلك ، وإنما اختلاف العلماء : هل ذلك على الوجوب أو على الندب أو الإباحة أو التفريق فيما كان من باب القرب أو غيرها ؟ . قال القاضي : وقد بسطنا القول في هذا الباب في كتابنا (الشفاء) وبلغنا فيه المبلغ الذي لا يوجد في غيرة ، وتكلمنا على الظواهر في ذلك بما فيه كفاية ، ولا يهولك أن نسب قوم هذا المذهب إلى الخوارج والمعتزلة وطوائف من المبتدعة إذ منزعهم فيه منزع آخر من التكفير بالصغائر ، ونحن نتبرأ إلى الله تعالى من هذا المذهب .

وانظر هذه الخطايا التي ذكرت للأنبياء من أكل آدم عليه الصلاة والسلام من الشجرة ناسيا ، ومن دعوة نوح عليه السلام على قوم كفار ، وقتل موسى صلى الله عليه وسلم الكافر لم يؤمر بقتله ، ومدافعة إبراهيم صلى الله عليه وسلم الكفار بقول عرض به هو فيه من وجه صادق ، وهذه كلها في حق غيرهم ليست بذنوب ، لكنهم أشفقوا منها إذ لم تكن عن أمر الله تعالى ، وعتب على بعضهم فيها لقدر منزلتهم من معرفة الله تعالى . هذا آخر كلام القاضي عياض - رحمه الله تعالى - والله أعلم

٤٢٧

. قوله : (في آدم خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه) هو من باب إضافة التشريف . قوله صلى الله عليه وسلم : (لست هناكم) معناه لست أهلا لذلك . قوله صلى الله عليه وسلم : (ولكن ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله تعالى) قال الإمام أبو عبد الله المازري : قد ذكر المؤرخون أن إدريس جد نوح عليهما السلام ، فإن قام دليل أن إدريس أرسل أيضا لم يصح قول النسابين أنه قبل نوح لإخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن آدم أن نوحا أول رسول بعث ، وإن لم يقم دليل جاز ما قالوه ، وصح أن يحمل أن إدريس كان نبيا غير مرسل .

قال القاضي عياض : قد قيل إن إدريس هو إلياس وأنه كان نبينا في بني إسرائيل كما جاء في بعض الأخبار مع يوشع بن نون ، فإن كان هكذا سقط الاعتراض . قال القاضي : وبمثل هذا يسقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهما إلى من معهما وإن كانا رسولين فإن آدم إنما أرسل لبنيه ولم يكونوا كفارا بل أمر بتعليمهم الإيمان وطاعة الله تعالى ، وكذلك خلفه شيث بعده فيهم بخلاف رسالة نوح إلى كفار أهل الأرض . قال القاضي : وقد رأيت أبا الحسن بن بطال ذهب إلى أن آدم ليس برسول ، ليسلم من هذا الاعتراض ، وحديث أبي ذر الطويل ينص على أن آدم وإدريس رسولان . هذا آخر كلام القاضي . والله أعلم .

قوله : (ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا) قال القاضي عياض - رحمه الله تعالى - : أصل الخلة الاختصاص والاستصفاء وقيل : أصلها الانقطاع إلى من خاللت ، مأخوذ من الخلة وهي الحاجة ، فسمى إبراهيم بذلك لأنه قصر حاجته على ربه سبحانه وتعالى .

وقيل : (الخلة) صفاء المودة التي توجب تخلل الأسرار . وقيل معناها : المحبة والإلطاف . هذا كلام القاضي ، وقال ابن الأنباري : الخليل : معناه المحب الكامل المحبة ، والمحبوب : الموفي بحقيقة المحبة اللذان ليس في حبهما نقص ولا خلل ، قال الواحدي : هذا القول هو الاختيار ؛ لأن الله عز وجل خليل

إبراهيم وإبراهيم خليل الله ، ولا يجوز أن يقال الله تعالى خليل إبراهيم من الخلة التي هي الحاجة . والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم : (إن كل واحد من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يقول : لست هناكم ، أو لست لها) قال القاضي عياض : هذا يقولونه تواضعا وإكبارا لما يسألونه .

قال : وقد تكون إشارة من كل واحد منهم إلى أن هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره ، وكل واحد منهم يدل على الآخر حتى انتهى الأمر إلى صاحبه ، قال : ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد صلى الله عليه وسلم معينا وتكون إحالة كل واحد منهم على الآخر على تدريج الشفاعة في ذلك إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : وفيه تقديم ذوي الأسنان والآباء على الأبناء في الأمور التي لها بال ، قال : وأما مبادرة النبي صلى الله عليه وس لم لذلك إجابته لدعوتهم فلتحققه صلى الله عليه وسلم أن هذه الكرامة والمقام له صلى الله عليه وسلم خاصة . هذا كلام القاضي .

والحكمة في أن الله تعالى ألهمهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله وسلامه عليهم في الابتداء ، ولم يلهموا سؤال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هي - والله أعلم - إظهار فضيلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإنهم لو سألوه ابتداء لكان يحتمل أن غيره يقدر على هذا ويحصله ، وأما إذا سألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه فامتنعوا ثم سألوه فأجاب وحصل غرضهم ؛ فهو النهاية في ارتفاع المنزلة وكمال القرب وعظيم الإدلال والأنس .

وفيه تفضيله صلى الله عليه وسلم على جميع المخلوقين من الرسل والآدميين والملائكة ؛ فإن هذا الأمر العظيم وهي الشفاعة العظمى لا يقدر على الإقدام عليه غيره صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين . والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم في موسى صلى الله عليه وسلم (الذي كلمه الله تكليما) هذا بإجماع أهل

السنة على ظاهره وأن الله تعالى كلم موسى حقيقة كلاما سمعه بغير واسطة ، ولهذا أكد بالمصدر ، والكلام صفة ثابتة لله تعالى لا يشبه كلام غيره .

قوله في عيسى : (روح الله وكلمته) تقدم الكلام في معناه في أوائل كتاب الإيمان . قوله صلى الله عليه وسلم : (ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم عبدا قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) هذا مما اختلف العلماء في معناه . قال القاضي : قيل : المتقدم ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك بعدها ، وقيل : المراد به ذنوب أمته صلى الله عليه وسلم ، قلت : فعلى هذا يكون المراد الغفران لبعضهم أو سلامتهم من الخلود في النار .

وقيل : المراد ما وقع منه صلى الله عليه وسلم عن سهو . وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري ، وقيل : ما تقدم لأبيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك . وقيل : المراد أنه مغفور لك غير مؤاخذ بذنب لو كان .

وقيل : هو تنزيه له من الذنوب صلى الله عليه وسلم . والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم : (فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي) قال القاضي عياض - رحمه الله تعالى - : معناه - والله أعلم - فيؤذن لي في الشفاعة الموعود بها والمقام المحمود الذي ادخره الله تعالى له وأعلمه أنه يبعثه فيه ، قال القاضي : وجاء في حديث أنس وحديث أبي هريرة ابتداء النبي صلى الله عليه وسلم بعد سجوده وحمده والإذن له في الشفاعة بقوله : (أمتي أمتي) وقد جاء في حديث حذيفة بعد هذا في الحديث نفسه قال :

(فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق) وساق الحديث ، وبهذا يتصل الحديث لأن هذه هي الشفاعة التي لجأ الناس إليه فيها وهي الإراحة من الموقف ، والفصل بين العباد ، ثم بعد ذلك حلت الشفاعة في أمته صلى الله عليه وسلم وفي المذنبين ، وحلت الشفاعة للأنبياء والملائكة وغيرهم صلوات الله

٤٣٠

وسلامه عليهم كما جاء في الأحاديث الأخر ، وجاء في الأحاديث المتقدمة في الرؤية وحشر الناس اتباع كل أمة ما كانت تعبد ، ثم تمييز المؤمنين من المنافقين ، ثم حلول الشفاعة ووضع الصراط فيحتمل أن الأمر باتباع الأمم ما كانت تعبد هو أول الفصل والإراحة من هول الموقف ، وهو أول المقام المحمود ، وأن الشفاعة التي ذكر حلولها هي الشفاعة في المذنبين على الصراط ، وهو ظاهر الأحاديث وأنها لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولغيره كما نص عليه في الأحاديث ، ثم ذكر بعدها الشفاعة فيمن دخل النار ، وبهذا تجتمع متون الحديث وتترتب معانيها إن شاء الله تعالى . هذا آخر كلام القاضي . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن) أي : وجب عليه الخلود . وبين مسلم - رحمه الله تعالى - أن قوله : (أي وجب عليه الخلود) هو تفسير قتادة الراوي ، وهذا التفسير صحيح ، ومعناه من أخبر القرآن أنه مخلد في النار وهم الكفار كما قال الله تعالى : { إن الله لا يغفر أن يشرك به } وفي هذا دلالة لمذهب أهل الحق وما أجمع عليه السلف أنه لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد . اهـ

** و قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ٤٣/١:.

وله - صلى الله عليه وسلم - في القيامة ثلاث شفاعات : أما الشفاعة الأولى فيشفع في أهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء ، آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه .

وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، وهاتان الشفاعتان خاصتان له .

وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار ، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم ، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها .

ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة بل بفضله ورحمته ، ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا ، فينشئ الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة .
وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء . وفي العلم الموروث عن محمد - صلى الله عليه وسلم - من ذلك ما يشفي ويكفي فمن ابتغاه وجده .اهـ

....
.

**** الحديث الثاني:(أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك..)**[1]

- أخرجه مسلم في الإيمان- باب أدني أهل الجنة منزلة.
عن أبي هريرة قال(أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول آدم إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى

١- أخرجه مسلم في الإيمان (١٩٤) ، والترمذي في صفة القيامة (٢٤٣٤) ، والبخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٠) ، وأحمد في مسند المكثرين (٩٣٤٠) .

٤٣٢

نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا إلى إبراهيم صلى الله عليه وسلم فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول لهم إبراهيم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى صلى الله عليه وسلم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا إلى عيسى صلى الله عليه وسلم فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس في المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى صلى الله عليه وسلم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر له ذنبا نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتوني فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما

٤٣٣

سوى ذلك من الأبواب والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى) وأخرج البخاري
*وأخرجه الترمذي في صفة القيامة – باب ما جاء في الشفاعة.
عن أبي هريرة قال (أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع فأكله وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون لم ذاك يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم فبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول الناس بعضهم لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم فيقولون أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم نوح إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كان لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد كذبت ثلاث كذبات فذكرهن أبو حيان في الحديث نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على البشر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد

غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد قال فيأتون محمدا فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فأنطلق فآتي تحت العرش فأخر ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفسي بيده ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر وكما بين مكة وبصرى) وقال الترمذي حديث حسن صحيح

***** الشرح والبيان :**

قال المباركفوري في شرح حديث الترمذي :

قوله : (وكان يعجبه) قال القاضي عياض : محبته صلى الله عليه وسلم للذراع لنضجها وسرعة استمرائها مع زيادة لذتها وحلاوة مذاقها ، وبعدها عن مواضع الأذى انتهى كلامه .

وقد روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما كانت الذراع أحب اللحم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن كان لا يجد اللحم إلا غبا ، فكان يعجل إليها لأنها أعجلها نضجا (فنهش منه نهشة) بمعنى أخذ بأطراف أسنانه .

، ثم قال : " أنا سيد الناس يوم القيامة " . إنما قال هذا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله تعالى وقد أمره الله تعالى بهذا نصيحة لنا بتعريفنا حقه صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض :

قيل السيد الذي يفوق قومه والذي يزع إليه في الشدائد النبي صلى الله عليه وسلم سيدهم في الدنيا والآخرة ، وإنما خص يوم القيامة لارتفاع السؤدد فيها ، وتسليم جميعهم له ، ولكون آدم وجميع أولاده تحت لوائه صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى : { لمن الملك اليوم الله الواحد القهار } أي انقطعت دعاوي الملك في ذلك اليوم (هل تدرون لم) أي لأي وجه (ذاك) أي كوني سيد الناس يوم القيامة (في صعيد واحد) الصعيد هو الأرض الواسعة المستوية (فيسمعهم) من الإسماع أي أنهم بحيث إذا دعاهم داع سمعوه (وينفذهم البصر) بفتح أوله وضم الفاء من الثلاثي أي يحزفهم وبضم أوله وكسر الفاء من الرباعي ، أي يحيط بهم والذال معجمة في الرواية .

، ويقال نفذه البصر إذ بلغه وجاوزه والنفاذ الجواز والخلوص من الشيء ومنه نفذ السهم نفوذا إذا خرق الرمية وخرج منها كذا في الفتح .

(فيبلغ الناس) بالنصب أي فيلحقهم (من الغم) أي من أجله وسببه (والكرب) وهو الهم الشديد (ما لا يطيقون) أي ما لا يقدرون على الصبر عليه (ولا يتحملون) فيجزعون ويفزعون (ألا ترون ما قد بلغكم) أي لحقكم من الغم أو الكرب (ألا تنظرون) أي ألا تتأملون ولا تتفكرون أو لا تبصرون (من يشفع لكم إلى ربكم) أي ليريحكم من هذا الهم والغم (نفسي نفسي نفسي) أي نفسي هي التي تستحق أن يشفع لها (فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض) استشكلت هذه الأولية بأن آدم عليه السلام نبي مرسل وكذا شيث وإدريس وغيرهم .

٤٣٦

وأجيب بأن الأولية مفيدة بقوله إلى أهل الأرض ويشكل ذلك بحديث جابر في البخاري في التيمم : وكان النبي يبعث خاصة إلى قوم خاصة ويجاب بأن العموم لم يكن في أصل بعثة نوح وإنما اتفق باعتبار حصر الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس انتهى . وفيه نظر ظاهر لا يخفي ، وقيل إن الثلاثة كانوا أنبياء لم يكونوا رسلا ويرد عليه حديث أبي ذر عند ابن حبان فإنه كالصريح بإنزال الصحف على شيث وهو علامة الإرسال انتهى وفيه بحث ، إذ لا يلزم من إنزال الصحف أن يكون المنزل عليه رسولا لاحتمال أن يكون في الصحف ما يعمل به بخاصة نفسه ، ويحتمل أن لا يكون فيه أمر نهي .

بل مواعظ ونصائح تختص به ، فالأظهر أن يقال الثلاثة كانوا مرسلين إلى المؤمنين والكافرين وأما نوح عليه السلام فإنما أرسل إلى أهل الأرض وكلهم كانوا كفارا هذا وقد قيل هو نبي مبعوث أي مرسل ومن قبله كانوا أنبياء غير مرسلين كآدم وإدريس عليهما السلام فإنه جد نوح على ما ذكره المؤرخون .

قال القاضي عياض : قيل إن إدريس هو إالياس وهو نبي من بني إسرائيل فيكون متأخرا عن نوح فيصح أن نوحا أول نبي مبعوث مع كون إدريس نبيا مرسلا .

وأما آدم وشيث فهما وإن كانا رسولين إلا أن آدم أرسل إلى بنيه ولم يكونوا كفارا بل أمر بتعليمهم الإيمان وطاعة الله . وشيثا كان خلفا له فيهم بعده بخلاف نوح فإنه مرسل إلى كفار أهل الأرض وهذا أقرب من القول بأن آدم وإدريس لم يكونا رسولين ، كذا في المرقاة (وقد سماك الله عبدا شكورا) أي في قوله تعالى : { ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا } ، (وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي) وفي حديث أنس عند البخاري فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته . قال الحافظ في رواية هشام : ويذكر سؤال ربه ما ليس به علم وفي حديث أبي هريرة : إني دعوت بدعوة أغرقت أهل الأرض ويجمع بينه وبين

٤٣٧

الأول بأنه اعتذر بأمرين أحدهما نهى الله تعالى أن يسأل ما ليس له به علم ، فخشي أن تكون شفاعته لأهل الموقفة من ذلك . ثانيهما أن له دعوة واحدة محققة الإجابة وقد استوفاها بدعائه على أهل الأرض . فخشي أن يطلب فلا يجاب وقال بعض الشراح :

كان الله وعد نوحا أن ينجيه ، وأهله فلما غرق ابنه ذكر لربه ما وعده ، فقيل له المراد من أهلك من آمن وعمل صالحا فخرج ابنك منهم فلا تسأل ما ليس لك به علم (وإني قد كذبت ثلاث كذبات) وهي قوله : إني سقيم وقوله : فعله كبيرهم هذا . وقوله : لامرأته أخبريه أني أخوك . قال البيضاوي : الحق أن الكلمات الثلاث إنما كانت من معاريض الكلام ، لكن لما كانت صورتها صورة الكذب أشفق منها استصغارا لنفسه عن الشفاعة مع وقوعها ، لأن من كان أعرف بالله وأقرب منزلة كان أعظم خوفا (ولم يذكر ذنبا) قال الحافظ : ولكن وقع في رواية الترمذي من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد : إني عبدت من دون الله . وفي رواية أحمد والنسائي من حديث ابن عباس : إني اتخذت إلها من دون الله . وفي رواية ثابت عند سعيد بن منصور نحوه وزاد : وإن يغفر لي اليوم حسبي (يا رب أمتي . يا رب أمتي . يا رب أمتي) أي أرحمهم واغفر لهم التكرار للتذكير (وهم) أي من لا حساب عليهم (شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب) أي ليسوا ممنوعين من سائر الأبواب بل هم مخصوصون للعناية بذلك الباب .

قال في القاموس : المصراعان من الأبواب والشعر ما كانت قافيتان في بيت ، وبابان منصوبان ينضمان جميعا مدخلهما في الوسط منهما (كما بين مكة وهجر) بفتحتين مصروفا وقد لا يصرف ، ففي الصحاح : هجر اسم بلد مذكر مصروف وقيل هي قرية من قرى البحرين . وقيل من قرى المدينة . قال القاري : والأول هو المعول . اهـ

٤٣٨

الحديث الثالث: (أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد...)[١]

*أخرجه مسلم في االإيمان- باب معرفة طريق الرؤية .

عن أبي سعيد الخدري أن ناسا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا(يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم يدعى النصارى فيقال لهم:

ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا قال فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فما

١- أخرجه مسلم في الإيمان (١٨٣) ، والبخاري مختصراً في الرقاق (٦٥٤٩) ، والترمذي في صفة الجنة (٢٥٥٥) .

٤٣٩

تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون:

ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد الخدري يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم إن الله لا يظلم مثقال

٤٤٠

ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أي شيء أفضل من هذا فيقول رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا)

الشرح والبيان :

قال النووي في شرح مسلم :

قوله صلى الله عليه وسلم : (ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما) معناه : لا تضارون أصلا كما لا تضارون في رؤيتهما أصلا .

قوله صلى الله عليه وسلم : (حتى إذا ما لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر وغبر أهل الكتاب) أما البر فهو المطيع . وأما (غبر) فبضم الغين المعجمة وفتح الباء الموحدة المشددة ومعناه بقاياهم جمع غابر .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا) أما السراب فهو الذي يتراءى للناس في الأرض القفر والقاع المستوي وسط النهار في الحر الشديد لامعا مثل الماء يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم

٤٤١

يجده شيئا . فالكفار يأتون جهنم - أعاذنا الله الكريم وسائر المسلمين منها ومن كل مكروه - وهم عطاش فيحسبونها ماء فيتساقطون فيها .

وأما (يحطم بعضها بعضا) فمعناه : لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لهبها . والحطم : الكسر والإهلاك ، والحطمة : اسم من أسماء النار لكونها تحطم ما يلقى فيها . قوله صلى الله عليه وسلم : (أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها) معنى رأوه فيها : علموها له وهي صفته المعلومة للمؤمنين ، وهي أنه لا يشبهه شيء . وقد تقدم معنى الإتيان والصورة . والله أعلم .

قوله : (قالوا : ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم) معنى قولهم : التضرع إلى الله تعالى في كشف هذه الشدة عنهم ، وأنهم لزموا طاعته سبحانه وتعالى ، وفارقوا في الدنيا الناس الذين زاغوا عن طاعته - سبحانه - من قراباتهم وغيرهم ممن كانوا يحتاجون في معايشهم ومصالح دنياهم إلى معاشرتهم للارتفاق بهم ، وهذا كما جرى للصحابة المهاجرين وغيرهم ومن أشبههم من المؤمنين في جميع الأزمان فإنهم يقاطعون من حاد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع حاجتهم في معايشهم إلى الارتفاق بهم والاعتضاد بمخالطتهم ، فآثروا رضى الله تعالى على ذلك ، وهذا معنى ظاهر في هذا الحديث لا شك في حسنه ، وقد أنكر القاضي عياض - رحمه الله - هذا الكلام الواقع في صحيح مسلم ، وادعى أنه مغير وليس كما قال بل الصواب ما ذكرناه .

قوله صلى الله عليه وسلم : (حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب) هكذا هو في الأصول (ليكاد أن ينقلب) بإثبات (أن) ، وإثباتها مع (كاد) لغة كما أن حذفها مع (عسى) لغة وينقلب بياء مثناة من تحت ثم نون ثم قاف ثم لام ثم باء موحدة . ومعناه والله أعلم : ينقلب عن الصواب ، ويرجع عنه للامتحان الشديد الذي جرى . والله أعلم

قوله صلى الله عليه وسلم : (فيكشف عن ساق) ضبط (يكشف) بفتح الياء وضمها وهما صحيحان . وفسر ابن عباس وجمهور أهل اللغة وغريب الحديث الساق هنا بالشدة أي يكشف عن شدة وأمر مهول ، وهذا مثل تضربه العرب لشدة الأمر ، ولهذا يقولون : قامت الحرب على ساق ، وأصله أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد شمر ساعده وكشف عن ساقه للاهتمام به . قال القاضي عياض - رحمه الله - : وقيل المراد بالساق هنا نور عظيم ، وورد ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن فورك : ومعنى ذلك ما يتجدد للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من الفوائد والألطاف . قال القاضي عياض : وقيل : قد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة لأنه يقال : ساق من الناس كما يقال : رجل من جراد ، وقيل : قد يكون ساق مخلوقا جعله الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة ، وقيل : كشف الخوف وإزالة الرعب عنهم وما كان غلب على قلوبهم من الأهوال ، فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ، ويتجلى لهم فيخرون سجدا . قال الخطابي - رحمه الله - : وهذه الرؤية التي في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي في الجنة لكرامة أولياء الله تعالى ، وإنما هذه للامتحان . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (ولا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة) هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ، وقد استدل بعض العلماء بهذا مع قوله تعالى : { ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) صلى الله عليه وسلم، على جواز تكليف ما لا يطاق ، وهذا استدلال باطل ؛ فإن الآخرة ليست دار تكليف بالسجود ، وإنما المراد امتحانهم . وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (طبقة) فبفتح الطاء والباء . قال الهروي وغيره : الطبق فقار الظهر أي صار فقاره واحدة كالصحيفة فلا يقدر على السجود . والله أعلم .

ثم اعلم أن هذا الحديث قد يتوهم منه أن المنافقين يرون الله تعالى مع المؤمنين ، وقد ذهب إلى ذلك طائفة حكاه ابن فورك لقوله صلى الله عليه وسلم : " وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى " وهذا الذي قالوه باطل ؛ بل لا يراه المنافقون بإجماع من يعتد به من علماء المسلمين ، وليس في هذا الحديث تصريح برؤيتهم الله تعالى وإنما فيه أن الجمع الذي فيه المؤمنون والمنافقون يرون الصورة ثم بعد ذلك يرون الله تعالى ، وهذا لا يقتضي أن يراه جميعهم ، وقد قامت دلائل الكتاب والسنة على أن المنافق لا يراه سبحانه وتعالى . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته) هكذا ضبطناه (صورته) بالهاء في آخرها ، ووقع في أكثر الأصول أو كثير منها (في صورة) بغير هاء ، وكذا هو في الجمع بين الصحيحين للحميدي ، والأول أظهر ، وهو الموجود في الجمع بين الصحيحين للحافظ عبد الحق ، ومعناه : وقد أزال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة) الجسر : بفتح الجيم وكسرها لغتان مشهورتان ، وهو الصراط . ومعنى تحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها أي : تقع ويؤذن فيها . قوله : (قيل : يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : دحض مزلة) هو بتنوين دحض وداله مفتوحة والحاء ساكنة . و (مزلة) : بفتح الميم وفي الزاي لغتان مشهورتان الفتح والكسر ، والدحض والمزلة بمعنى واحد ، وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر . ومنه دحضت الشمس أي : مالت ، وحجة وداحضة لا ثبات لها .

قوله صلى الله عليه وسلم : (فيه خطاطيف وكلاليب وحسك) أما الخطاطيف : فجمع خطاف بضم الخاء في المفرد . والكلاليب بمعناه ، وقد تقدم بيانهما ، وأما الحسك فبفتح الحاء والسين المهملتين ، وهو شوك صلب من حديد . قوله

صلى الله عليه وسلم : (فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم) أنهم ثلاثة أقسام ، قسم يسلم فلا يناله شيء أصلا ، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص ، وقسم يكردس . ويلقى فيسقط في جهنم .

وأما مكدوس فهو بالسين المهملة هكذا هو في الأصول وكذا نقله القاضي عياض - رحمه الله - عن أكثر الرواة قال : ورواه العذري بالشين المعجمة ومعناه بالمعجمة السوق ، وبالمهملة كون الأشياء بعضها على بعض ، ومنه تكدست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضا . قوله صلى الله عليه وسلم : (فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استقصاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار) اعلم أن هذه اللفظة ضبطت على أوجه ،

أحدها : (استيضاء) بتاء مثناة من فوق ثم ياء مثناة من تحت ثم ضاد معجمة ، والثاني : (استضاء) بحذف المثناة من تحت ، والثالث : (استيفاء) بإثبات المثناة من تحت وبالفاء بدل الضاد ، والرابع : (استقصاء) بمثناه من فوق ثم قاف ثم صاد مهملة .

ثم قال النووي:

فمعنى الرواية الأولى والثانية : أنكم إذا عرض لكم في الدنيا أمر مهم والتبس الحال فيه وسألتم الله تعالى بيانه وناشدتموه في استيضائه وبالغتم فيها لا تكون مناشدة أحدكم مناشدة بأشد من مناشدة المؤمنين لله تعالى في الشفاعة لإخوانهم ،

وأما الرواية الثالثة والرابعة فمعناهما أيضا : ما منكم من أحد يناشد الله تعالى في الدنيا في استيفاء حقه أو استقصائه وتحصيله من خصمه والمتعدي عليه بأشد من مناشدة المؤمنين الله تعالى في الشفاعة لإخوانهم يوم القيامة . والله أعلم .

قوله سبحانه وتعالى : (من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ونصف مثقال من خير ومثقال ذرة) قال القاضي عياض - رحمه الله - : قيل : معنى الخير هنا

٤٤٥

اليقين ، قال : والصحيح أن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ ، وإنما يكون هذا التجزؤ لشيء زائد عليه من عمل صالح أو ذكر خفي أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى ونية صادقة ، ويدل عليه قوله في الرواية الأخرى في الكتاب : (يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن كذا ، ومثله الرواية الأخرى : (يقول الله تعالى : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط) وفي الحديث الآخر (لأخرجن من قال لا إله إلا الله) .

قال القاضي - رحمه الله - : فهؤلاء هم الذين معهم مجرد الإيمان وهم الذين لم يؤذن في الشفاعة فيهم ، وإنما دلت الآثار على أنه أذن لمن عنده شيء زائد على مجرد الإيمان ، وجعل للشافعين من الملائكة والنبيين صلوات الله وسلامه عليهم دليلا عليه ، وتفرد الله عز وجل بعلم ما تكنه القلوب والرحمة لمن ليس عنده إلا مجرد الإيمان ، وضرب بمثقال الذرة المثل لأقل الخير فإنها أقل المقادير . قال القاضي : وقوله تعالى : (من كان في قلبه ذرة وكذا) دليل على أنه لا ينفع من العمل إلا ما حضر له القلب وصحبته نية ، وفيه دليل على زيادة الإيمان ونقصانه وهو مذهب أهل السنة . هذا آخر كلام القاضي - رحمه الله - . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا) هكذا هو (خيرا) بإسكان الياء أي : صاحب خير . قوله سبحانه وتعالى : (شفعت الملائكة) هو بفتح الفاء وإنما ذكرته - وإن كان ظاهرا - لأني رأيت من يصحفه ، ولا خلاف فيه يقال : شفع يشفع شفاعة ، فهو شافع وشفيع ، والمشفع بكسر الفاء

الذي يقبل الشفاعة ، والمشفع بفتحها الذي تقبل شفاعته . قوله صلى الله عليه وسلم : (فيقبض قبضة من النار) معناه يجمع جماعة .

قوله صلى الله عليه وسلم : (فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما) معنى عادوا : صاروا وليس بلازم في عاد أن يصير إلى حالة كان عليها قيل ذلك بل معناه : صار . وأما (الحمم) بضم الحاء وفتح الميم الأولى المخففة وهو الفحم ، الواحدة حممة . والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم : (فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة) أما (النهر) ففيه لغتان معروفتان فتح الهاء وإسكانها والفتح أجود ، وبه جاء القرآن العزيز . وأما (الأفواه) فجمع فوهة بضم الفاء وتشديد الواو المفتوحة وهو جمع سمع من العرب على غير قياس ، وأفواه الأزقة والأنهار أوائلها . قال صاحب المطالع كأن المراد في الحديث مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها .

قوله صلى الله عليه وسلم : (ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض) أما (يكون) في الموضعين الأولين فتامة ليس لها خبر معناها ما يقع ، وأصيفر وأخيضر مرفوعان ، وأما يكون أبيض (فيكون) فيه ناقصة وأبيض منصوب وهو خبرها .

قوله صلى الله عليه وسلم : (فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم) أما اللؤلؤ فمدنية ، وفيه أربع قراءات في السبع بهمزتين في أوله وآخره ، وبحذفهما وبإثبات الهمزة في أوله دون آخره وعكسه . وأما (الخواتم) فجمع خاتم بفتح التاء وكسرها ، ويقال أيضا : خيتام وخاتام . قال صاحب التحرير : المراد بالخواتم هنا أشياء من ذهب أو غير ذلك تعلق في أعناقهم علامة يعرفون بها ، قال : معناه تشبيه صفائهم وتلألئهم باللؤلؤ . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله) أي يقولون : هؤلاء عتقاء الله .

٤٤٧

قوله : (وزاد بعد قوله بغير عمل عملوه ولا قدم قدموه) هذا مما قد يسأل عنه فيقال : لم يتقدم في الرواية الأولى ذكره (القدم) وإنما تقدم (ولا خير قدموه) وإذا كان كذلك لم يكن لمسلم أن يقول : زاد بعد قوله : (ولا قدم) إذ لم يجر للقدم ذكر ، وجوابه : أن هذه الرواية التي فيها الزيادة وقع فيها : (ولا قدم) بدل قوله في الأولى (خير) ووقع فيها الزيادة فأراد مسلم - رحمه الله - بيان الزيادة ، ولم يمكنه أن يقول زاد بعد قوله : ولا خير قدموه ؛ إذ لم يجر له ذكر في هذه الرواية فقال : زاد بعد قوله ولا قدم قدموه أي زاد بعد قوله في روايته ولا قدم قدموه . واعلم أيها المخاطب أن هذا لفظه في روايته وأن زيادته بعد هذا . والله أعلم . والقدم هنا بفتح القاف والدال ومعناه الخير كما في الرواية الأخرى . والله أعلم .اهـ

**** الحديث الرابع:(أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون..)[1]**

- أخرجه مسلم في الإيمان – باب إثبات الشفاعة وأخراج الموحدين من النار .

عن أبي سعيد قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل) فقال رجل من القوم كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية

**** الشرح والبيان :**

١- أخرجه مسلم في الإيمان (١٨٥) ، وأخرج أحمد نحوه في مسند المكثرين (١٠٦٣٣) ، والدارمي في الرقاق (٢٨١٧) ، وابن ماجه في الزهد (٤٣٠٩) .

٤٤٨

قوله صلى الله عليه وسلم : (أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ، ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماتهم إماته حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الحنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل) هكذا وقع في معظم النسخ (أهل النار) ، وفي بعضها أما (أهل النار) بزيادة (أما) وهذا أوضح والأول صحيح ، وتكون الفاء في (فإنهم) زائدة وهو جائز .

وقوله : (فأماتهم) أي : أماتهم إماتة ، وحذف للعلم به وفي بعض النسخ : (فأماتتهم) بتاءين أي : أماتتهم النار .

وأما معنى الحديث فالظاهر والله أعلم من معنى هذا الحديث : أن الكفار الذين هم أهل النار والمستحقون للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون حياة ينتفعون بها ويستريحون معها كما قال الله تعالى : { لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها } وكما قال تعالى : { ثم لا يموت فيها ولا يحيى } وهذا جار على مذهب أهل الحق أن نعيم أهل الجنة دائم ، وأن عذاب أهل الخلود في النار دائم .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (ولكن ناس أصابتهم النار) إلى آخره . فمعناه : أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى ، وهذه الإماتة إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم ، ثم يميتهم ، ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس المدة التي قدرها الله تعالى ، ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحما ، فيحملون ضبائر كما تحمل الأمتعة ويلقون على أنهار الجنة فيصب عليهم ماء الحياة وينبتون نبات الحبة في حميل السيل في سرعة نباتها وضعفها ، فتخرج لضعفها صفراء ملتوية ثم تشتد قوتهم بعد ذلك ويصيرون إلى منازلهم وتكمل أحوالهم ، فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه .

٤٤٩

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (ضبائر ضبائر) وهو جمع (ضبارة) قال أهل اللغة : الضبائر : جماعات في تفرقة . وروى (ضبارات ضبارات) . وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (فبثوا)ومعناه : فرقوا . والله أعلم . اهـ

**** الحديث الخامس : (إذا خلص الله المؤمنين من النار وأمنوا...)[١]**

*أخرجه ابن ماجه في المقدمة – باب الإيمان .

عن أبي سعيد الخدري قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلص الله المؤمنين من النار وأمنوا فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا أشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار قال يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فأدخلتهم النار فيقول اذهبوا فأخرجوا من عرفتم منهم فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار صورهم فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه ومنهم من أخذته إلى كعبيه فيخرجونهم فيقولون ربنا أخرجنا من قد أمرتنا ثم يقول أخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الإيمان ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار ثم من كان في قلبه مثقال حبة من خردل قال أبو سعيد فمن لم يصدق هذا فليقرأ إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) وأخرج نحوه النسائي

**** الشرح والبيان :**

قال السندي في شرح الحديث :

١- أخرجه ابن ماجه في المقدمة (٦٠)- وأخرج نحوه مطولاً البخاري في التوحيد (٧٤٤٠)، ومسلم في الإيمان (١٢٣)

٤٥٠

قوله (إذا خلص) من التخليص وأمنوا بكسر الميم من الأمن قوله (في الحق يكون له) الجملة صفة الحق على أن تعريفه للجنس مثل قوله (كمثل الحمار يحمل أسفارا)

قوله (أشد) بالنصب على أنه خبر ما الحجازية قوله (مجادلة) بالنصب على التمييز وفيه مبالغة حيث جعل المجادلة ذات مجادلة فوصفت بكونها أشد مجادلة ولا يمكن جر مجادلة بإضافة أشد إليها لأن التنكير يأباه ولأنه يلزم الجمع بين الإضافة ومن والقاعدة أن اسم التفضيل يستعمل بأحدهما واللام لا بهما

قوله (من المؤمنين) أي من مجادلة المؤمنين في إخوانهم أي في شأن إخوانهم أو لأجل إخوانهم قوله (الذين أدخلوا) على بناء المفعول ربنا بتقدير حرف النداء أي يا ربنا إخواننا أي هم إخواننا أو هم مبتدأ خبره جملة كانوا إلخ وقوله بصورهم فإن الوجه لا يتغير بالنار لأن النار لا تأكل أعضاء السجود فانظر أنه كيف يكون هذا لمن لم يكن في القلوب له محبة في الدنيا فلعل من لا يتحابون لا يشفعون هذه الشفاعة أو الله تعالى يدخل المحبة في قلوبهم في تلك الحالة .اهـ

الفوائد الجليلة المستخلصة من أحاديث الباب

٤٥١

***الفائدة الأولي : دارت أحاديث الباب عن الشفاعة وهي أحاديث تشرح صدر المومن وتزيد يقينه بفضل الله ورحمته بعباده في الدنيا وما فيها من فتن والأخرة وما فيها من أهوال فلا ييأس من ذنوبه ابدا.**

وللقاري الكريم زيادة في البيان والتوضيح عن الشفاعة وأنواعها والله المستعان **يقول ابن العثيمين في شرحه للعقيدة الواسطية لأبن تيمية "ص ١٠٣"ما نصه :**

والشفاعات : جمع شفاعة ، والشفاعة في اللغة : جعل الشئ شفعاً .

وفي الإصلاح : التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة ، ومناسبتها للاشتقاق ظاهرة ؛ لأنك إذا توسطت له ؛ صرت معه شفعاً تشفعه .

والشفاعة تنقسم إلى قسمين : شفاعة باطلة ، وشفاعة صحيحة . –

فالشفاعة الباطلة : ما يتعلق به المشركون في أصنامهم ؛ حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله ؛ كما قال تعالى : { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ {١٨}} (يونس /١٨) .

ويقولون : { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) (الزمر / ٣) . لكن هذه الشفاعة باطلة لاتنفع ؛ كما قال تعالى : { فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ } (المدثر / ٤٨) .

- والشفاعة الصحيحة ما جمعت شروطاً ثلاثة :

الأول : رضي الله عن الشافع .

الثاني : رضاه عن المشفوع له ، لكن الشفاعة العظمى في المواقف عامة لجميع الناس من رضى الله عنهم ومن لم يرض عنهم .

الثالث : إذنه في الشفاعة .
والإذن لا تكوناإلا بعد الرضى عن الشافع والمشفوع له . ودليل ذلك قوله تعالى : { وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي
شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى {٢٦} } (النجم /٢٦) ، ولم يقل : عن الشافع ، ولا : المشفوع له ؛ ليكون أشمل .
وقال تعالى : { يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا {١٠٩} } (طه / ١٠٩) .
وقال سبحانه : { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ{٢٨} } (الأنبياء /٢٨) . الآية الأولى تضمنت الشروط الثلاثة ، والثانية تضمنت شرطين ، والثالثة تضمنت شرطاً واحداً .

- فللنبي e ثلاث شفاعات :

١- الشفاعة العظمى .
٢- والشفاعة لأهل الجنة ليدخلوا الجنة .
٣- والشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها ، وفيمن دخلها أن يخرج منها .

*** الفائدة الثانية :أن في رحلة المؤمن إلي الدارالأخرة وما فيها من الأهوال كالحشر و تطاير الصحف والمرور علي الصراط ووزن الأعمال و رؤيةالنار وغير ذلك ما يجب أن يتذكره المؤمن و ينتبه له وينتظر حدوثه دائما في دار الدنيا الفانية ويسارع بأصلاح عيوب نفسه ويجتهد في التماس سبل الهداية ليحسن الله تعالي له خاتمته في الدنيا والأخرة**
وفي كتاب "لمعة الأعتقاد "

لأبن قدامة المقدسي :١(/ ص)١٣٤–" كلمات وجيزة عما يجب أن يعلمه المؤمن في رحلته التي لا يعود منها إلي الدنيا ابدا ويعد العدة لذلك من الأعمال والطاعات التي ترضي عنه ربه والله المستعان .

قال : "ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، وصح به النقل عنه ، فيما شاهدناه أو غاب عنا ، نعلم أنه حق وصدق ، وسواء في ذلك ما عقلناه أو جهلناه ، ولم نطلع على حقيقة معناه .

أمثلة لبعض أمور الغيب التي يجب الإيمان بها

المثال الأول : حادثة الإسراء والمعراج :

مثل حديث الإسراء والمعراج ، وكان يقظة لا مناماً ، فإن قريشاً أنكرته وأكبرته ولم تكن تنكر المنامات .

المثال الثاني : حادثة موسى مع ملك الموت :

ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ، ليقبض روحه ، لطمه ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه فرد عليه عينه .

المثال الثالث : أشراط الساعة :

ومن ذلك أشراط الساعة ، مثل : خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأشباه ذلك مما صح به النقل .

المثال الرابع : عذاب القبر ونعيمه :

وعذاب القبر ونعيمه حق ، وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منه ، وأمر به في كل صلاة ، وفتنه القبر حق ، وسؤال منكر ونكير حق .

المثال الخامس : البعث بعد الموت :

والبعث بعد الموت حق ، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور : " فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون " . ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة

٤٥٤

غرلاً بهماً ، فيقفون في موقف القيامة ، حتى يشفع فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
المثال السادس : الحساب :
ويحاسبهم الله تبارك وتعالى ، وتنصب الموازين ، وتنشر الدواوين ، وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل : " فأما من أوتي كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حساباً يسيراً * وينقلب إلى أهله مسروراً * وأما من أوتي كتابه وراء ظهره * فسوف يدعو ثبوراً * ويصلى سعيراً " .
المثال السابع : الميزان :
والميزان له كفتان ولسان ، توزن به الأعمال : " فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون " .
المثال الثامن : الحوض والصراط :
ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حوض القيامة ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأباريقه عدد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً .
والصراط حق ، يجوزه الأبرار ، ويزل عنه الفجار .
المثال التاسع : الشفاعة :
ويشفع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر ، فيخرجون بشفاعته بعد ما احترقوا ، وصاروا فحماً وحمماً فيدخلون الجنة بشفاعته ، ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات ، قال تعالى : " ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون " . ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين .
المثال العاشر : الجنة والنار والموت :

٤٥٥

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان ، فالجنة مأوى أوليائه ، والنار عقاب لأعدائه ، وأهل الجنة فيها مخلدون ، والمجرمون : " في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون " ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح ، فيذبح بين الجنة والنار ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود ولا موت ، ويا أهل النار خلود ولا موت "

.اهـ

٤٥٦

الباب الرابع عشر
ما جاء في الجنة والنار

**الحديث الأول : (ياآدم أخرج بعث النار...)[1]

*أخرجه البخاري في احاديث الانبياء- باب قصة يأجوج ومأجوج.
-عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول أخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قالوا يا رسول الله وأينا ذلك الواحد قال أبشروا فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفا ثم قال والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا فقال ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود)
*وأخرجه مسلم في الإيمان- باب قوله : يقول الله لأدم أخرج بعث النار .
عن أبي سعيد قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك قال يقول أخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين قال فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب

١-أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٤٨) ، ومسلم في الإيمان (٢٢٢) ، وأحمد في مسند المكثرين (١٠٨٩٢) .

الله شديد قال فاشتد عليهم قالوا يا رسول الله أينا ذلك الرجل فقال أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل قال ثم قال والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في ذراع الحمار)

الشرح والبيان:

*شرح النووي للحديث مختصرا:

. قوله صلى الله عليه وسلم : (لبيك وسعديك والخير في يديك) معنى (في يديك) : عندك. وقوله سبحانه وتعالى لآدم صلى الله عليه وسلم : (أخرج بعث النار) البعث هنا بمعنى المبعوث الموجه إليها ومعناه ميز أهل النار من غيرهم . قوله صلى الله عليه وسلم : (فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) معناه موافقة آية في قوله تعالى : { إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت . . .) إلى آخرها

وقوله تعالى : { فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا } وقد اختلف العلماء في وقت وضع كل ذات حمل حملها وغيره من المذكور ، فقيل : عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا ، وقيل : هو في القيامة فعلى الأول هو على ظاهره وعلى الثاني يكون مجازا ؛ لأن القيامة ليس فيها حمل ولا ولادة ، وتقديره : ينتهي به الأهوال والشدائد إلى أنه لو تصورت الحوامل هناك لوضعين أحمالهن كما تقول العرب : (أصابنا أمر يشيب منه الوليد) يريدون شدته . والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم :

٤٥٨

(فإن من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم رجل) قال وهب ابن منبه ومقاتل بن سليمان : هم من ولد يافث بن نوح ، وقال الضحاك : هم جيل من الترك ، وقال كعب : هم بادرة من ولد آدم من غير حواء ، قال : وذلك أن آدم صلى الله عليه وسلم احتلم فامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله تعالى منها يأجوج ومأجوج . والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم :
(كالرقمة في ذراع الحمار) هي بفتح الراء وإسكان القاف ، قال أهل اللغة : الرقمتان في الحمار هما الأثران في باطن عضديه ، وقيل : هي الدائرة في ذراعيه ، وقيل : هي الهنة الناتئة في ذراع الدابة من داخل . والله أعلم بالصواب .اهـ

الحديث الثاني: (أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل...)[1]

*أخرجه البخاري في الايمان- باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال .
-عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة شك مالك فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية) ورواية مسلم لا تختلف عنها
*وأخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة .
عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال يقول الله تبارك وتعالى من كان في قلبه مثقال

١- أخرجه البخاري في الإيمان (٢٢) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (١١١٣٩) ، ومسلم في الإيمان (١٨٤) .

٤٥٩

حبة من خردل من إيمان فأخرجوه قال فيخرجون قد امتحشوا وعادوا فحما فيلقون في نهر يقال له نهر الحياة فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل أو قال في حميلة السيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية)

**** الشرح والبيان:**

*شرح النووي للحديث مختصرا:

قوله صلى الله عليه وسلم : (فيخرجون منها حمما قد امتحشوا فيلقون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة) أما الحمم وهو بضم الحاء وفتح الميم المخففة وهو الفحم ، وقد تقدم فيه بيان الحبة والنهر وبيان امتحشوا وأنه بفتح التاء على المختار وقيل بضمها ومعناه : احترقوا ثم إن (الحيا) هنا مقصور وهو المطر ، سمي حيا لأنه تحيا به الأرض ، ولذلك هذا الماء يحيا به هؤلاء المحترقون وتحدث فيهم النضارة كما يحدث ذلك المطر في الأرض . والله أعلم .

قوله : (كما تنبت الغثاء) هو بضم الغين المعجمة وبالثاء المثلثة المخففة وبالمد وآخره هاء ، وهو : كل ما جاء به السيل ، وقيل المراد ما احتمله السيل من البذور ، وجاء في غير مسلم كما تنبت الحبة في غثاء السيل بحذف الهاء من آخره وهو ما احتمله السيل من الزبد والعيدان ونحوهما من الأقذاء . والله أعلم .

قوله : (وفي حديث وهيب كما تنبت الحبة في حمئة أو حميلة السيل) أما الأول : فهو (حمئة) بفتح الحاء وكسر الميم وبعدها همزة وهي الطين الأسود الذي يكون في أطراف النهر .

وأما الثاني : فهو (حميلة) وهي واحدة الحميل المذكور في الروايات الأخري بمعنى المحمول وهو الغثاء الذي يحتمله السيل . والله أعلم .اهـ

٤٦٠

الحديث الثالث: (.. ويلك يا ابن آدم ما أغدرك..)[1]

*أخرجه البخاري في الرقاق- باب الصراط جسر جهنم.

عن أبي هريرة قال(قال أناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس ويتبع من كان يعبد القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب جسر جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يجيز ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وبه كلاليب مثل شوك السعدان أما رأيتم شوك السعدان قالوا بلى يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله فتخطف الناس بأعمالهم منهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة آثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود فيخرجونهم قد امتحشوا فيصب عليهم ماء يقال له ماء الحياة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل ويبقى رجل منهم مقبل بوجهه على النار فيقول يا رب قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فاصرف وجهي عن النار فلا يزال يدعو الله فيقول لعلك إن أعطيتك أن

١- أخرجه البخاري في الرقاق (٦٥٧٤) ، ومسلم في الإيمان (١٨٢) ، واحمد في مسند المكثرين (٧٦٦٠) .

تسألني غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره فيصرف وجهه عن النار ثم يقول بعد ذلك يا رب قربني إلى باب الجنة فيقول أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره ويلك ابن آدم ما أغدرك فلا يزال يدعو فيقول لعلي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره فيعطي الله من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره فيقربه إلى باب الجنة فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول رب أدخلني الجنة ثم يقول أوليس قد زعمت أن لا تسألني غيره ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها فإذا دخل فيها قيل له تمن من كذا فيتمنى ثم يقال له تمن من كذا فيتمنى حتى تنقطع به الأماني فيقول له هذا لك ومثله معه قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا قال عطاء وأبو سعيد الخدري جالس مع أبي هريرة لا يغير عليه شيئا من حديثه حتى انتهى إلى قوله هذا لك ومثله معه قال أبو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا لك وعشرة أمثاله قال أبو هريرة حفظت مثله معه)

***وأخرجه مسلم في الايمان- باب معرفة طريق الرؤية.**

عن عطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبره (أن ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تعالى في صورته التي

يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن بقي بعمله ومنهم المجازى حتى ينجى حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره فيقول لا أسألك غيره ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول الله له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول أي رب ويدعو الله حتى يقول له فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره فيقول لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت ويلك يا

ابن آدم ما أغدرك فيقول أي رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه فإذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة فإذا دخلها قال الله له تمنه فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى ذلك لك ومثله معه قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئا حتى إذا حدث أبو هريرة أن الله قال لذلك الرجل ومثله معه قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه قال أبو سعيد أشهد أني حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ذلك لك وعشرة أمثاله قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة)

**** الشرح والبيان:**

*شرح النووي للحديث مختصرا:

قوله صلى الله عليه وسلم : (هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟) وفي الرواية الأخرى : (هل تضامون) ، وروى (تضارون) بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما ومعنى المشدد : هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر ؟ ومعنى المخفف : هل يلحقكم في رؤيته ضير ؟ وهو الضرر وفي رواية للبخاري (لا تضامون أو لا تضارون) على الشك ومعناه : لا يشتبه عليكم وترتابون فيه فيعارض بعضكم بعضا في رؤيته . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (فإنكم ترونه كذلك) معناه : تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة والاختلاف . قوله : (الطواغيت) هو جمع طاغوت وجماهير أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله تعالى ، وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي وغيرهم : الطاغوت الشيطان ، وقيل : هو الأصنام والله أعلم . وقوله صلى الله عليه وسلم : (وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها) قال

٤٦٤

العلماء : إنما بقوا في زمرة المؤمنين ، لأنهم كانوا في الدنيا متسترين بهم فيتسترون بهم أيضا في الآخرة وسلكوا مسلكهم ودخلوا في جملتهم وتبعوهم ومشوا في نورهم ، حتى ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، وذهب عنهم نور المؤمنين ، قال بعض العلماء : هؤلاء هم المطرودون عن الحوض الذين يقال لهم : سحقا سحقا . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول : أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه) اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين : أحدهما : وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها ، بل يقولون : يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسم والانتقال والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوق.

قلت وهذا هو الصواب وهي عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات من غير تكييف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل..

وقالَ الإمَامُ ابن تيمية في العقيدة الواسطية:

من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا يُنفُون عنه ما وصف به نفسه، ولا يُحَرِّفون الكلم عن مواضعه، ولا يُلحِدون في أسماء الله وآياته، ولا يُكَيِّفُون ولا يُمَثِّلون صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه لا سميَّ له، ولا كُفُوَ له، ولا نِدَّ له، ولا يُقَاس بخلقه سبحانه وتعالى، فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه،اهـ

قلت وأي قول أحر يخالف ذلك هو مردود بالكتاب والسنة وفهم الصحابة وأجماع علماء أهل السنة والجماعة ولينتبه القاريء لذلك والله المستعان .
ثم قال النووي رحمه الله :

. والقول الثاني : وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها ، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع ، ذا رياضة في العلم ، فعلى هذا المذهب يقال في قوله صلى الله عليه وسلم : (فيأتيهم الله) أن الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه ؛ لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته إلا بالإتيان ، فعبر بالإتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازا

وأما قولهم : (نعوذ بالله منك) فقال الخطابي : يحتمل أن تكون هذه الاستعاذة من المنافقين خاصة ، وأنكر القاضي عياض هذا وقال : لا يصح أن تكون من قول المنافقين ولا يستقيم الكلام به ، وهذا الذي قاله القاضي هو الصواب ، ولفظ الحديث مصرح به أو ظاهر فيه وإنما استعاذوا منه لما قدمناه من كونهم رأوا سمات المخلوق . وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (فيتبعونه) فمعناه يتبعون أمره إياهم بذهابهم إلى الجنة أو يتبعون ملائكته الذين يذهبون بهم إلى الجنة . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (ويضرب الصراط بين ظهري جهنم) ومعناه : يمد الصراط عليها ، وفي هذا إثبات الصراط ، ومذهب أهل الحق إثباته ، وقد أجمع السلف على إثباته . وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم ، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم أي : منازلهم ، والآخرون يسقطون فيها ، أعاذنا الله الكريم منها ، قوله صلى الله عليه وسلم : (فأكون أنا وأمتي أول من يجيز) ومعناه : يكون أول من يمضي عليه ويقطعه،

قولـه صلـى الله عليـه وسلم : (ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل) معناه لشدة الأهوال والمراد لا يتلكم في حال الإجازة ، وإلا ففي يوم القيامة مواطن يتكلم الناس فيها ، وتجادل كل نفس عن نفسها ، ويسأل بعضهم بعضا ويتلاومون ، ويخاصم التابعون المتبوعين . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم) هذا من كمال شفقتهم ورحمتهم للخلق وفيه أن الدعوات تكون بحسب المواطن فيدعي في كل موطن بما يليق به . والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم : (وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان) أما (الكلاليب) فجمع كلوب بفتح الكاف وضم اللام المشددة ، وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم وترسل في التنور ،. وأما السعدان هو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب . قوله صلى الله عليه وسلم : (تخطف الناس بأعمالهم)، يقال : خطف وخطف بكسر الطاء وفتحها والكسر أفصح ، ويجوز أن يكون معناه : تخطفهم بسبب أعمالهم ، ويجوز أن يكون معناه : تخطفهم على قدر أعمالهم . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم : (تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود) ظاهر هذا أن النار لا تأكل جميع أعضاء السجود السبعة التي يسجد الإنسان عليها وهي : الجبهة واليدان والركبتان والقدمان ،

. قوله صلى الله عليه وسلم : (فيخرجون من النار قد امتحشوا) وقالوا في معناه احترقوا .. والله أعلم . قوله صلى الله عليه وسلم : (فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل) هكذا هو في الأصول (فينبتون منه) بالميم والنون ، وهو صحيح ومعناه : ينبتون بسببه . وأما (الحبة) فبكسر الحاء وهي بزر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول. وأما (حميل السيل) وهو ما جاء به السيل من طين أو غثاء ومعناه : محمول السيل ، والمراد التشبيه في سرعة

٤٦٧

النبات وحسنه وطراوته . قوله : (قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها) أما (قشبني) فبقاف مفتوحة ثم شين معجمة مخففة مفتوحة ومعناه : سمني وآذاني وأهلكني ، كذا قاله الجماهير من أهل اللغة والغريب وأما (ذكاؤها) فكذا وقع في جميع روايات الحديث (وذكاؤها) ومعناه : لهبها واشتعالها وشدة وهجها ، قوله عز وجل : (هل عسيت) هو بفتح التاء على الخطاب ، قال ابن السكيت : ولا ينطق في عسيت بمستقبل . قوله صلى الله عليه وسلم : (فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير) ورواه البخاري : (الحبرة والسرور) والحبرة : المسرة . وأما (انفهقت) فبفتح الفاء والهاء والقاف ومعناه انفتحت واتسعت . قوله : (فلا يزال يدعو الله تعالى حتى يضحك الله تعالى منه) . قال العلماء : ضحك الله تعالى منه هو رضاه بفعل عبده ومحبته إياه وإظهار نعمته عليه وإيجابها عليه . والله أعلم .

قوله صلى الله عليه وسلم (فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله تعالى ليذكره من كذا وكذا) معناه يقول له تمن من الشيء الفلاني ، ومن الشيء الآخر يسمي له أجناس ما يتمنى ، وهذا من عظيم رحمته سبحانه وتعالى : قوله في رواية أبي هريرة : (لك ذلك ومثله معه) وفي رواية أبي سعيد (وعشرة أمثاله) . قال العلماء : وجه الجمع بينهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلم أولا بما في حديث أبي هريرة ثم تكرم الله تعالى فزاد ما في رواية أبي سعيد فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمعه أبو هريرة .اهـ

وليتنبه القاريء لما سبق بيانه عن خطأ تأويل الصفات والضحك هنا صفة من صفات الخالق عز وجل لا يجوز تأويلها لأن ذلك تحريف للصفة ،.. وقال بن العثيمين في شرح العقيدة الواسطية لأبن تيمية (.ص٢٢/)٢ما نصه :

٤٦٨

(ففي هذا إثبات الضحك لله عز وجل ، وهو ضحك حقيقي ، لكنه لا يماثل ضحك المخلوقين ، ضحك يليق بجلاله وعظمته ، ولا يمكن أن نمثله ، لأننا لا يجوز أن نقول : إن لله فماً أو أسناناً أو ما أ شبه ذلك ، لكن نثبت الضحك لله على وجه يليق به سبحانه وتعالى .
فإذا قال قائل : يلزم من إثبات الضحك لله أن يكون الله مماثلاً للمخلوق !!.
فالجواب : لا يلزم أن يكون مماثلا للمخلوق ، لأن الذي قال : " يضحك " هو الذي أنزل عليه قوله تعالى : { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** } (الشورى ١١) . ومن جهة أخري ، فالنبي عليه الصلاة والسلام لا يتكلم في مثل هذا إلا عن وحي ، لأنه من أمور الغيب ، ليس من الأمور الاجتهادية التي قد يجتهد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم يقره الله على ذلك أو لا يقره ، ولكنه من الأمور الغيبية التي يتلقاها الرسول عليه الصلاة والسلام عن طريق الوحي
و لو قال قائل : المراد بالضحك الرضى ، لأن الإنسان إذا رضي عن الشئ ، سر به وضحك ، والمراد بالرضى الثواب أو إرادة الثواب ، كما قال ذلك أهل التعطيل . فالجواب أن نقول : هذا تحريف للكلم عن مواضعه ، فما الذي أدراكم أن المراد بالرضى الثواب ؟! . فأنتم الآن قلتم على الله مالا تعلمون من وجهين : الوجه الأول : صرفتم النص عن ظاهره بلا علم . الثاني أثبتم له معني خلاف الظاهر بلا علم).اهـ

الحديث الرابع:(إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا....)[1]

*اخرجه البخاري في الرقاق- بابصفة الجنة والنار .
عن عبد الله رضي الله عنه(قال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا رجل يخرج من النار كبوا فيقول الله اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول تسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وكان يقول ذاك أدنى أهل الجنة منزلة)
*وأخرجه مسلم في الايمان – باب أخر أهل النار خروجًا.
عن أنس عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين فترفع له شجرة فيقول أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله عز وجل يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها فيقول لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي

١- أخرجه البخاري في الرقاق (٦٥٧١) ، ومسلم في الإيمان (١٨٦) ، والترمذي في صفة جهنم (٢٥٩٥) ، وابن ماجه في الزهد (٤٣٣٩) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٣٥٨٤) .

٤٧٠

أحسن من الأولى فيقول أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها فيقول لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين فيقول أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها قال بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول أي رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها قال يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين فضحك ابن مسعود فقال ألا تسألوني مم أضحك فقالوا مم تضحك قال هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مم تضحك يا رسول الله قال من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزئ مني وأنت رب العالمين فيقول إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر)
*واخرجه الترمذي في صفة جهنم- باب ما جاء أن للنار نفسين .
عن عبد الله بن مسعود قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعرف آخر أهل النار خروجا رجل يخرج منها زحفا فيقول يا رب قد أخذ الناس المنازل قال فيقال له انطلق فادخل الجنة قال فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل فيرجع فيقول يا رب قد أخذ الناس المنازل قال فيقال له أتذكر الزمان الذي كنت فيه فيقول نعم فيقال له تمن قال فيتمنى فيقال له فإن لك ما تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا قال فيقول أتسخر بي وأنت الملك قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه) وأخرجه أحمد وابن ماجة بروايات لا تختلف كثيراً عما ذكرناه

الشرح والبيان:

٤٧١

* قال ا لنووي في شرحه للحديث:
وأما قوله صلى الله عليه وسلم في الأخرى في الكتاب : (فيقول الله تعالى : أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها) وفي الرواية الأخرى : (أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول : رضيت رب ، فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله) فهاتان الروايتان لا تخالفان الأوليين ، فإن المراد بالأولى من هاتين أن يقال له أولا : لك الدنيا ومثلها ثم يزاد إلى تمام عشرة أمثاها كما بينه في الرواية الأخيرة ، وأما الأخيرة فالمراد بها أن أحد ملوك الدنيا لا ينتهي ملكه إلى جميع الأرض بل يملك بعضا منها ثم من يكثر البعض الذي يملكه ومنهم من يقل بعضه فيعطي هذا الرجل مثل أحد ملوك الدنيا خمس مرات ، وذلك كله قدر الدنيا كلها ، ثم يقال له : لك عشرة أمثال هذا فيعود معنى هذه الرواية إلى موافقة الروايات المتقدمة ولله الحمد . وهو أعلم .
قوله صلى الله عليه وسلم : (آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة) أما (يكبو) فمعناه : يسقط على وجهه . وأما (تسفعه) فهو معناه : تضرب وجهه وتسوده وتؤثر فيه أثرا . قوله صلى الله عليه وسلم : (لأنه يرى ما لا صبر له عليه) ، كذا هو في الأصول في المرتين الأوليين . وأما الثالثة : فوقع في أكثر الأصول (ما لا صبر له عليها) ، وفي بعضها (عليه) ، وكلاهما صحيح ومعنى (عليها) : أي : نعمة لا صبر له عليها أي : عنها . قوله عز وجل : (يا ابن آدم ما يصريني منك) ومعناه يقطع مسألتك مني . قال أهل اللغة : (الصري) بفتح الصاد وإسكان الراء هو القطع والمعنى : أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك . والله أعلم .

٤٧٢

قوله : (قالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين) قد قدمنا معنى الضحك من الله تعالى وهو الرضى والرحمة وإرادة الخير لمن يشاء رحمته من عباده . والله أعلم ..اه

قلت : راجع ماذكره ابن العثيمين في صفة الضحك والله المستعان

*وقال المباركفوري في تحفة الاحوذي في شرح حديث الترمذي :
قوله : (إني لأعرف آخر أهل النار خروجا) زاد البخاري ، وكذا مسلم : وآخر أهل الجنة دخولا .
قال القاري : الظاهر أنهما متلازمان ، فالجمع بينهما للتوضيح ، ولا يبعد أن يكون احترازا مما عسى أن يتوهم من حبس أحد في الموقف من أهل الجنة حينئذ (رجل يخرج منها) أي من النار (زحفا) ، وفي رواية للشيخين : حبوا . قال النووي : قال أهل اللغة ، الحبو المشي على اليدين والرجلين ، وربما قالوا على اليدين والركبتين ، وربما قالوا على يديه ومقعدته . وأما الزحف فقال ابن دريد وغيره : هو المشي على الإست مع إشرافه بصدره ، فحصل من هذا أن الحبو والزحف متماثلان أو متقاربان ، ولو ثبت اختلافهما حمل على أنه في حال يزحف وفي حال يحبو . انتهى
(قال فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل فيرجع فيقول يا رب قد أخذ الناس المنازل) يعني وليس لي مكان فيها . وفي رواية للشيخين قال : فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملأى (فيقال له أتذكر الزمان الذي كنت فيه) أي الدنيا كذا قال الحافظ (فيقال له تمن) أمر مخاطب من التمني ، وفي بعض النسخ تمنه بزيادة هاء السكتة (فيقال له : فإن ذلك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا) وفي رواية عشرة أمثال الدنيا .

٤٧٣

قال النووي : هاتان الروايتان بمعنى واحد . وإحداهما تفسير الأخرى ، فالمراد بالأضعاف الأمثال ، فإن المختار عند أهل اللغة أن الضعف المثل انتهى (فيقول أتسخر بي وأنت الملك) قال النووي : في معنى أتسخر بي أقوال : أحدها قاله المازري إنه خرج على المقابلة الموجودة في معنى الحديث دون لفظه ، لأنه عاهد الله مرارا أن لا يسأله غير ما سأل ، ثم غدر فحل غدره محل الاستهزاء والسخرية ، فقدر الرجل أن قول الله تعالى له : أدخل الجنة وتردده إليها وتخييل كونها مملوءة ضرب من الإطماع له والسخرية به جزاء لما تقدم من غدره وعقوبة له ، فسمي الجزاء على السخرية سخرية فقال : تسخر بي أني تعاقبني بالإطماع والقول الثاني قاله : أبو بكر الصيرفي أن معناه نفي السخرية ، التي لا تجوز على الله تعالى . كأنه قال اعلم أنك لا تهزأ بي لأنك رب العالمين ، وما أعطيتني من جزيل العطاء وأضعاف مثل الدنيا حق ، ولكن العجب أنك أعطيتني هذا ، وأنا غير أهل له ، قال والهمزة في أتسخر بي همزة نفي ، قال وهذا كلام منبسط متدلل ، والقول الثالث قال القاضي عياض أن يكون صدر من هذا الرجل وهو غير ضابط لما ناله من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله فلم يضبط لسانه دهشا وفرحا فقاله : وهو لا يعتقد حقيقة معناه ، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق ، وهذا كما قال النبي : صلى الله عليه وسلم في الرجل الآخر إنه لم يضبط نفسه من الفرح فقال : أنت عبد وأنا ربك انتهى .

(ضحك حتى بدت نواجذه) قال النووي المراد بالنواجذ هنا الأنياب ، وقيل المراد بالنواجذ هنا الضواحك ، وقيل المراد بها الأضراس وهذا هو الأشهر في إطلاق النواجذ في اللغة ، ولكن الصواب عند الجماهير ما قدمناه . قال وفي هذا جواز الضحك أنه ليس بمكروه في بعض المواطن ولا يسقط للمروة إذا لم يجاوز به الحد المعتاد من أمثاله في مثل تلك الحال اهـ

الحديث الخامس:(أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر...)[١]

- أخرجه البخاري بدء الخلق- باب ماجاء في صفة جهنم وأنها مخلوقة.
(عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) وأخرج مسلم نحوه
*وأخرجه الترمذي في التفسير- باب ومن سورة السجدة
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال(قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح
الشرح والبيان:
* قال المفاركفوري في شرحه لحديث الترمذي :
قوله (قال الله تعالى أعددت) من الإعداد أي هيأت (ما لا عين رأت) كلمة ما إما موصولة أو موصوفة وعين وقعت في سياق النفي فأفاد الاستغراق (ولا خطر) أي وقع (على قلب بشر) زاد ابن مسعود في حديثه : " ولا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل " . أخرجه ابن أبي حاتم وهو يدفع قول من قال : إنما قيل

١- أخرجه البخاري في بدء الخلق (٣٢٤٤) ، والترمذي في التفسير (٣١٩٧) ، ومسلم في الجنة و صفة نعيمها (٢٨٢٤) ، وابن ماجه في الزهد (٤٣٢٨) وأحمد في مسند المكثرين (٢٧٣٦٠) ، والدارمي في الرقاق (٢٨٢٨) .

البشر لأنه يخطر بقلوب الملائكة . قال الحافظ : والأولى حمل النفي فيه على عمومه فإنه أعظم في النفس ({ فلا تعلم نفس ما أخفي }) بصيغة المجهول من الإخفاء أي خبيء اه

الحديث السادس : (تحاجت الجنة والنار فقالت النار...)[1]

**أخرجه البخاري في التفسير-باب قوله تعالي وتقول هل من مزيد.*

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال(قال النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله تبارك وتعالى للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا)

*وأخرجه مسلم في صفة الجنة- باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

عن أبي هريرة قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين فقال الله عز وجل لهذه أنت عذابي أعذب بك من أشاء وربما قال أصيب بك من أشاء وقال لهذه أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها)

**وأخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة- مسند أبي هريرة.*

١- أخرجه البخاري في التفسير (٤٨٥٠) ، ومسلم في صفة الجنة (٢٨٤٦) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٧٦٦١) .

٤٧٦

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال(احتجت الجنة والنار فقالت الجنة يا رب ما لي لا يدخلني إلا فقراء الناس وسقطهم وقالت النار ما لي لا يدخلني إلا الجبارون والمتكبرون فقال للنار أنت عذابي أصيب بك من أشاء وقال للجنة أنت رحمتي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها فأما الجنة فإن الله ينشئ لها ما يشاء وأما النار فيلقون فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فيها فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض وتقول قط قط قط)

الشرح والبيان:

* قال الحافظ بن حجر في شرحه لحديث البخاري مختصرا:

قوله : (تحاجت) أي تخاصمت . قوله : (بالمتكبرين والمتجبرين) قيل هما بمعنى ، وقيل المتكبر المتعاظم بما ليس فيه والمتجبر الممنوع الذي لا يوصل إليه وقيل الذي لا يكترث بأمر .

قوله : (ضعفاء الناس وسقطهم) بفتحتين أي المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم ، هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر من الناس ، وبالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفعاء الدرجات ، لكنهم بالنسبة إلى ما عند أنفسهم لعظمة الله عندهم وحضوعهم له في غاية التواضع لله والذلة في عباده ، فوصفهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح ، أو المراد بالحصر في قول الجنة " إلا ضعفاء الناس الأغلب "اهـ

*وقَالَ الإمَامُ النووي في شرح صحيح مسلم:

قوله صلى الله عليه وسلم : (فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله) وفي الرواية التي بعدها (لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة تبارك وتعالى قدمه فتقول : قط قط) وفي الرواية الأولى (فيضع قدمه عليها) هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات ، وقد سبق مرات بيان اختلاف العلماء فيها على مذهبين : أحدهما : وهو قول جمهور السلف

٤٧٧

وطائفة من المتكلمين : أنه لا يتكلم في تأويلها بل نؤمن أنها حق على ما أراد الله ، ولها معنى يليق بها ، وظاهرها غير مراد .اهـ

قلت وهذا هو الصواب وتلك عقيدة أهل السنة والجماعة كما سبق أن ذكرنا سلفاً لا نصف الله تعالي إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله e من غير تكييف أو تمثيل أو تعطيل أو تحريف لهذا نكتفي بهذا القول الذي ذكره النووي دون القول الأخر والله المستعان.

وقال بن العثيمين في شرح العقيدة الواسطية لأبن تيمية ص / ٢/٢٩ :

أن لله تعالى رجلاً وقدماً حقيقة ، لا تماثل أرجل المخلوقين ، ويسمى أهل السنة مثل هذه الصفة : الصفة الذاتية الخبرية ، لأنها لم تعلم إلا بالخبر ولأن مسماها أبعاض لنا وأجزاء ، لكن لا نقول بالنسبة لله : إنها أبعاض وأجزاء ، لأن هذا ممتنع على الله عز وجل . وخالف الأشاعرة وأهل التحريف في ذلك ، فقالوا : " يضع عليها رجله " ، يعني : طائفة من عباده مستحقين للدخول ، والرجل تأتي بمعنى الطائفة ، كما في حديث ايوب عليه الصلاة السلام ، أرسل الله إليه رجل جراد من ذهب ، يعني طائفة من جراد . وهذا تحريف باطل ، لأن قوله : " عليها " : يمنع ذلك .

وأيضاً ، لا يمكن أن يضيف الله عز وجل أهل النار إلى نفسه لأن إضافة الشيء إلى الى الله تكريم وتشريف .

وقالوا في القدم : قدم ، بمعنى : مقدم ،أي : يضع الله تعالى عليها مقدمه ، أي : من يقدمهم إلى النار .

وهذا باطل أيضاً ،. فإن أهل النار لا يقدمهم الباري عز وجل ، ولكنهم { يدعون إلى نار جهنم دعا } (الطور ١٣) ، ويلقون فيها إلقاء ، فهولاء المحرفون فروا من شيء ووقعوا في شر منه ، فروا من تنزيه الله عن القدم والرجل ، ولكنهم

٤٧٨

وقعوا في السفه ومجانبة الحكمة في أفعال الله عز وجل . والحاصل أنه يجب علينا أن نؤمن بان لله تعالى قدماً وإن شئنا ، قلنا رجلاً ، على سبيل الحقيقة ، مع عدم المماثلة ، ونكيف الرجل ، لأن النبي r أخبرنا بأن الله تعالى رجلاً أو قدماً ، ولم يخبرنا كيف هذه الرجل أو القدم .)اهـ.

**وقَالَ العلامة أبو العز الحنفي في شرح الطحاوية في العقيدة الطحاوية:
الواجب أن يُنظَر في باب الصفات ،فما أثبته الله ورسوله أثبتناه،وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يُعتَصَم بها في الإثبات والنفي، فنُثبِت مَا أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني ،ونَنفي مَا نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني، وأما الألفاظ التي لم يَرِدْ نفيها ولا إثباتها فلا تُطلَق حتى يُنظَر في مقصود قائلها، فإنْ كان معنىً صحيحاً قُبِلَ.اهـ
*ثم قال النووي رحمه الله في شرحه لباقي الحديث –
قوله صلى الله عليه وسلم : (ولا يظلم الله من خلقه أحدا) قد سبق مرات بيان أن الظلم مستحيل في حق الله تعالى ، فمن عذبه بذنب أو بلا ذنب فذلك عدل منه سبحانه وتعالى . قوله صلى الله عليه وسلم : (وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا) هذا دليل لأهل السنة أن الثواب ليس متوقفا على الأعمال ، فإن هؤلاء يخلقون حينئذ ، ويعطون في الجنة ما يعطون بغير عمل ، ومثله أمر الأطفال والمجانين الذين لم يعملوا طاعة قط ، فكلهم في الجنة برحمة الله تعالى وفضله .
وفي هذا الحديث : دليل على عظم سعة الجنة ، فقد جاء في الصحيح : أن للواحد فيها مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، ثم يبقى فيها شيء لخلق ينشئهم الله تعالى .اهـ
*وقَالَ المباركفوري في تحفة الأحوذي في شرح حديث الترمذي:

٤٧٩

قوله: (احتجت) أي اختصمت كما في رواية للبخاري. وفي رواية أخرى له ولمسلم تحاجت.

(يدخلني الضعفاء والمساكين) قيل معنى الضعيف هاهنا الخاضع لله تعالى بذُلِ نفسه له سبحانه وتعالى، ضد المتجبر والمتكبر، وفي رواية للبخاري: (مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم) قَالَ الحافظ: أي المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم، هذا بالنسبة إلى مَا عند الأكثر من الناس، وبالنسبة إلى مَا عند الله هم عظماء رفعاء الدرجات لكنهم بالنسبة إلى عند أنفسهم ـ لعظمة الله عندهم وخضوعهم له ـ في غاية التواضع لله والذلة في عباده، فوصفهم بالضعف والسقط بهذا المعنى صحيح، أو المراد بالحصر في قول الجَنَّة إلا ضعفاء الناس الأغلب.

(يدخلني الجبارون والمتكبرون) وفي رواية للشيخين: (أُوثرت بالمتكبرين والمتجبرين) وقَالَ القاري: هما بمعنى، جمع بينهما للتأكيد، وقيل: المتكبر المتعظم بما ليس فيه، والمتجبر الممنوع الذي لا يُوصَل إليه، وقيل: الذي لا يكترث ولا يُبالي بأمر الضعفاء والمساكين.

وقوله (أنت عذابي) أي سبب عقوبتي ومنشأ سخطي وغضبي.

(وقَالَ للجنة أنت رحمتي) أي مُظهرها، في شرح السنة سَمَّي الجَنَّة رحمته لأن بها تظهر رحمة الله تعالى.

وحاصل اختصام الجَنَّة والنار إفتخار إحداهما على الأخرى بمن يسكنها، فتظن النَّار أنها بمن أُلْقِيَ فيها من عظماء الدنيا أبَرُ عند الله من الجنة، وتظن الجَنَّة أنها بمن يسكنها من أولياء الله تعالى أبَرُ عند الله، فأُجيبَتَا بأنه لا فضلَ لإحداهما على الأخرى من طريق من يسكنهما، وفي كليهما شائبةُ شِكاية إلى ربهما، إذ لم تذكر كل واحدة منهما إلا مَا اختصت به، وقد ردَّ الله الأمر في ذلك إلى مشيئته، وقَالَ النووي: هذا الحديث على ظاهره، وأن الله يخلق في الجَنَّة والنار تمييزاً يدركان

٤٨٠

به ويقدران على المراجعة والاحتجاج، ولا يلزم من هذا أن يكون ذلك التمييز دائماً.اهـ

الحديث السابع: (...أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا)[1]

*أخرجه البخاري في الرقاق- باب صفة الجنة والنار.
عن أبي سعيد الخدري قال(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا يا رب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا) وأخرج مسلم والترمذي نحوه
الشرح والبيان:
*شرح الحديث للنووي-رحمه الله:
قوله تعالى : (أحل عليكم رضواني) قال القاضي في المشارق : أنزله بكم ، والرضوان بكسر الراء وضمها قرئ بهما في السبع ، والكوكب الدري فيه ثلاث لغات قرئ بهن في السبع ، الأكثرون (دري) بضم الدال وتشديد الياء بلا همز ، والثانية بضم الدال مهموز ممدود ، والثالثة بكسر الدال مهموز ممدود ، وهو الكوكب العظيم ، قيل : سمي دريا لبياضه كالدر ، وقيل : لإضاءته ، وقيل : لشبهه بالدر في كونه أرفع من باقي النجوم كالدر أرفع الجواهر .اهـ

الحديث الثامن (لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر إليها...)[1]

١- أخرجه البخاري في الرقاق (٦٥٤٩) ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٢٩) ، والترمذي في صفة الجنة (٢٥٥٥) ، وأحمد في مسند المكثرين (١١٤٢٥) .

٤٨١

*أخرجه ابو داود في السنة- باب ماجاء في خلق الجنة والنار.
عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ثم حفها بالمكاره ثم قال يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد قال فلما خلق الله النار قال يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها)
*واخرجه ا لترمذي في صفة الجنة- باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات.
عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال(لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها قال فرجع إليه قال فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فأمر بها فحفت بالمكاره فقال ارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها قال فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره فرجع إليه فقال وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد قال اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فإذا هي يركب بعضها بعضا فرجع إليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات فقال ارجع إليها فرجع إليها فقال

٢- أخرجه أبو داود في السنة (٤٧٤٤) ، والترمذي في صفة الجنة (٢٥٦٠٠) ، والنسائي في الإيمان والنذور (٣٧٦٣) وأحمد في مسند المكثرين (٨٦٤٤) .

وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها) وهناك رويات أخري للنسائي وأحمد لا تختلف عنهما

***الشرح والبيان:**

-جاء في شرح تحفة الاحوزي :

قوله : (انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها) أي ما هيأت فيها لعبادي الصالحين (قال) أي جبرائيل (فوعزتك) الواو للقسم (لا يسمع بها أحد إلا دخلها) أي طمع في دخولها ، وجاهد في حصولها ، ولا يهتم إلا بشأنها لحسنها وبهجتها (فحفت) أي أحيطت (بالمكاره) جمع كره وهو المشقة والشدة على غير قياس ، والمراد بها التكاليف الشرعية التي هي مكروهة على النفوس الإنسانية ، وهذا يدل على أن المعاني لها صور حسية في تلك المباني.

(فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها) أي ثانيا لما تجدد من الزيادة عليها باعتبار حواليها (لقد خفت أن لا يدخلها أحد) أي لوجود المكاره من التكاليف الشاقة ، ومخالفة النفس وكسر الشهوات (لا يسمع بها أحد فيدخلها) أي لا يسمع بها أحد إلا فزع منها واحترز فلا يدخلها (لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها) وفي رواية أبي داود لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها ، ومعناها ظاهر . وأما رواية الكتاب فلا يظهر معناها إلا أن يجعل إلا بمعنى بل .اه

* وجاء في شرح عون المعبود لأبي داود للفيروز أبادي ما نصه :

(لا يسمع بها أحد إلا دخلها) أي طمع في دخولها وجاهد في حصولها ولا يهتم إلا بشأنها لحسنها وبهجتها (ثم حفها) أي أحاطها الله (بالمكاره) جمع كره وهو المشقة والشدة على غير قياس ، والمراد بها التكاليف الشرعية التي هي مكروهة على النفوس الإنسانية (وعزتك) الواو للقسم (لقد خشيت أن لا يدخلها أحد) قال الطيبي رحمه الله : أي لوجود المكاره من التكاليف الشاقة

ومخالفة النفس وكسر الشهوات (لا يسمع بها أحد فيدخلها) أي لا يسمع بها أحد إلا فزع منها واحترز فلا يدخلها (لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها) أي لميلان النفس إلى الشهوات وحب اللذات وكسلها عن الطاعات
و ذكر بعضهم أن هذا من بديع الكلام وجوامعه الذي أوتيه صلى الله عليه وسلم من التمثيل الحسن ، فإن حفاف الشيء جانباه فكأنه أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لا يوصل إلى الجنة إلا بتخطي المكاره ، وكذلك الشهوات وما تميل إليه النفوس ، وأن اتباع الشهوات يلقى في النار ويدخلها ، فإنه لا ينجو منها إلا من تجنب الشهوات وفيه تنبيه على اجتنابها .اهـ

الحديث التاسع: (أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة...)[1]

* أخرجه الترمذي في صفة الجنة- باب ما جاء في سوق الجنة
عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة(أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أفيها سوق قال نعم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم من دني على كثبان المسك والكافور وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا قال أبو هريرة قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا قال نعم قال هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا قال كذلك لا تمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول

١- أخرجه الترمذي في صفة الجنة (٢٥٤٩) .

٤٨٤

للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا فيذكر ببعض غدراته في الدنيا فيقول يا رب أفلم تغفر لي فيقول بلى فسعة مغفرتي بلغت بك منزلتك هذه فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط ويقول ربنا تبارك وتعالى قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتي سوقا قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فيقول إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا)

***الشرح والبيان :**

جاء في شرح تحفة الاحوزي مامختصره :

. قوله : (فقال سعيد أفيها) أي في الجنة (سوق) يعني وهي موضوعة للحاجة إلى التجارة (أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها) أي في منازلها ودرجاتها (بفضل أعمالهم) أي بقدر زيادة طاعاتهم لهم كمية وكيفية (ثم يؤذن) أي لأهل الجنة (في مقدار يوم الجمعة) أي في مقدار الأسبوع . والظاهر أن المراد يوم الجمعة فإنه ورد الأحاديث في فضائل يوم الجمعة أنه يكون في الجنة يوم جمعة كما كان في الدنيا ويحضرون ربهم إلى آخر الحديث كذا في اللمعات وقال القاري : أي قدر إتيانه والمراد في مقدار الأسبوع انتهى (فيزورون ربهم) أي (ويبرز) من الإبراز ويظهر ربهم (ويتبدى لهم) أي يظهر ويتجلى ربهم لهم (فتوضع لهم منابر) أي كراسي

مرتفعة (ومنابر من زبرجد) جوهر معروف (ومنابر من ذهب ومنابر من فضة) أي بحسب مقادير أعمالهم ومراتب أحوالهم (ويجلس أدناهم) أي أدونهم منزلة (وما فيهم دنى) أي والحال أنه ليس في أهل الجنة دون وخسيس قال الطيبي رحمه الله : وهو تتميم صونا لما يتوهم من قوله أدناهم الدناءة والمراد به الأدنى في المرتبة (على كثبان المسك) جمع كثيب أي تل من الرمل المستطيل من كثبت الشيء إذا جمعته (والكافور) بالجر عطف على المسك (ما يرون) بصيغة المجهول من الإرادة والضمير إلى الجالسين على الكثبان أي لا يظنون ولا يتوهمون

(أن أصحاب الكراسي) أي أصحاب المنابر (بأفضل منهم مجلسا) حتى يحزنوا بذلك لقولهم على ما في التنزيل . الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، بل إنهم وافقون في مقام الرضا ومتلذذون مجال التسليم بما جرى القضاء (هل تتمارون) تفاعل من المرية بمعنى الشك أي هل تشكون (من رؤية الشمس) أي في رؤيتكم الشمس (والقمر) أي وفي رؤية القمر (ليلة البدر) واحترز عن الهلال وعن القمر في غير ليالي البدر فإنه لم يكن حينئذ في نهاية النور (قلنا لا) أي لا نشك في رؤية الشمس والقمر

(إلا حاضره الله محاضرة) والمعنى خاطبه الله مخاطبة وحاوره محاورة (يا فلان) بالفتح والضم (بن فلان) بنصب ابن وصرف فلان وهما كنايتان عن اسمه واسم أبيه . (أتذكر يوم قلت كذا وكذا) أي مما لا يجوز في الشرع فكأنه يتوقف الرجل فيه ويتأمل فيما ارتكبه من معاصيه (فيذكره) بتشديد الكاف أي فيعلمه الله (ببعض غدارته) جمع غدرة بالسكون بمعنى الغدر وهو ترك الوفاء والمراد معاصيه لأنه لم يف بتركها الذي عهد الله إليه في الدنيا

(أفلم تغفر لي) أي أدخلتني الجنة فلم تغفر لي ما صدر لي من المعصية (فيقول بلى) أي غفرت لك فبسعة مغفرتي بفتح السين ويكسر (بلغت) أي

٤٨٦

وصلت (منزلتك هذه) قال الطيبي : عطف على مقدر أي غفرت لك فبلغت بسعة رحمتي هذه المنزلة الرفيعة والتقديم دل على التخصيص أي بلوغك تلك المنزلة كائن بسعة رحمتي لا بعملك (فبينما) وفي بعض النسخ فبينا (هم) أي على أهل الجنة (على ذلك) أي على ما ذكر من المحاضرة والمحاورة

(غشيتهم) أي غطتهم (فأمطرت عليهم طيبا) أي عظيما (قدحفت) أي أحاطت (ما لم تنظر العيون إلى مثله) أي وما لم تسمعه بمثله (ولم يخطر) بضم الطاء أي وما لم يمر مثله على القلوب (فيحمل إلينا) أي إلى قصورنا (وليس يباع فيها ولا يشترى) الجملة حال من ما في اشتهينا وهو المحمول والضمير في يباع عائد إليه (وفي ذلك السوق) هو يذكر ويؤنث فأنثه تارة وذكره أخرى والتأنيث أكثر وأشهر (يلقى) أي يرى (قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة (فيقبل) من الإقبال أي فيجيء ويتوجه (من هو دونه) أي في الرتبة والمنزلة (فيروعه) بضم الراء (ما يرى) أي يبصره (عليه من اللباس) بيان ما قال الطيبي : الضمير المجرور يحتمل أن يرجع إلى من فيكون الروع مجازا عن الكراهة مما هو عليه من اللباس وأن يرجع إلى الرجل ذي المنزلة . فالروع بمعنى الإعجاب أي يعجبه حسنه فيدخل في روعه ما يتمنى مثل ذلك لنفسه ، ويدل عليه قوله (فما ينقضي آخر حديثه) أي ما ألقى في روعه من الحديث وضمير المفعول فيه عائد إلى من (حتى يتخيل عليه) أي حتى يتصور له (ما هو أحسن منه) أي يظهر عليه أن لباسه أحسن من لباس صاحبه وذلك أي سبب ما ذكر من التخيل (أنه) أي الشأن (أن يحزن) بفتح الزاي يغتم (فيها) أي في الجنة . فحزن هنا لازم من حزن بالكسر لا من باب نصر فإنه متعد غير ملائم للمقام (فتتلقانا) من التلقي أي تستقبلنا (أزواجنا) أي من نساء الدنيا ومن الحور العين (ويحق لنا) قال القاري فالمعنى يوجبنا

٤٨٧

ويلزمنا ، ويمكن أن يكون من باب الحذف والإيصال أي يحق لنا ويليق بنا (أن تنقلب بمثل ما انقلبنا) أي من الانقلاب اه

الحديث العاشر:(وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق ....)[1]

*أخرجه مسلم الجنة وصفة نعيمها- باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

عن عياض بن حمار المجاشعي (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان وإن الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك قال وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال قال وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يبتغون أهلا ولا مالا والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش ولم يذكر أبو غسان في حديثه وأنفق فسننفق عليك)

١- أخرجه مسلم في الجنة و صفة نعيمها (٢٨٦٥) ، وأحمد في مسند الشاميين (١٧٠٣٠) .

*واخرجه أحمد في مسند الشاميين٠
عن عياض بن حمار(أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته إن ربي عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا كل مال نحلته عبادي حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ثم إن الله عز وجل نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عجميهم وعربيهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظانا ثم إن الله عز وجل أمرني أن أحرق قريشا فقلت يا رب إذن يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة فقال استخرجهم كما استخرجوك فاغزهم نغزك وأنفق عليهم فسننفق عليك وابعث جندا نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ورجل فقير عفيف متصدق وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعا أو تبعاء شك يحيى لا يبتغون أهلا ولا مالا والخائن الذي لا يخفى عليه طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل والكذب والشنظير الفاحش حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا شعبة عن قتادة قال سمعت مطرفا في هذا الحديث و قال عفان في حديث همام والشنظير الفاحش قال وذكر الكذب أو البخل)

***الشرح والبيان:**

-قال النووي في شرح مسلم مختصرا :

قوله صلى الله عليه وسلم : (إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ، مما علمني يومى هذا كل مال نحلته عبدا حلال) معنى (نحلته) أعطيته ، وفي الكلام حذف ، أي : قال الله تعالى : كل مال أعطيته عبدا من عبادي فهو له حلال ،

والمراد إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة والبحيرة والحامي وغير ذلك ، وأنها لم تصر حراما بتحريمهم ، وكل مال ملكه العبد فهو له حلال ، حتى يتعلق به حق .
قوله تعالى : { وإني خلفت عبادي حنفاء كلهم } أي : مسلمين ، وقيل : طاهرين من المعاصي ، وقيل : مستقيمين منيبين لقبول الهداية ، وقيل : المراد حين أخذ عليهم العهد في الذر ، وقال : { ألست بربكم قالوا بلى } . قوله تعالى : { وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم } هكذا هو في نسخ بلادنا (فاجتالتهم) بالجيم أي : استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه ، وجالوا معهم في الباطل، واجتال أموالهم ساقها ، وذهب بها ، قال القاضي : ومعنى (فاختالوهم) أي : يحبسونهم عن دينهم ، ويصدونهم عنه .
قوله صلى الله عليه وسلم : (وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب) المقت : أشد البغض ، والمراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد ببقايا أهل الكتاب الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل . قوله سبحانه وتعالى : { إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك } معناه : لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة وغير ذلك من الجهاد في الله حق جهاده ، والصبر في الله تعالى وغير ذلك ، وأبتلي بك من أرسلتك إليهم ، فمنهم من يظهر إيمانه ، ويخلص في طاعاته ، ومن يتخلف ، ويتأبد بالعداوة والكفر ، ومن ينافق ، والمراد أن يمتحنه ليصير ذلك واقعا بارزا فإن الله تعالى إنما يعاقب العباد على ما وقع منهم ، لا على ما يعلمه قبل وقوعه ، وإلا فهو سبحانه عالم بجميع الأشياء قبل وقوعها ، وهذا نحو قوله : { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين } أي : نعلمهم فاعلين ذلك متصفين به .

٤٩٠

قوله تعالى : { وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظان } أما قوله تعالى : { لا يغسله الماء } فمعناه : محفوظ في الصدور ، لا يتطرق إليه الذهاب ، بل يبقى على مر الأزمان . وأما قوله تعالى : { تقرأه نائما ويقظان } فقال العلماء : معناه يكون محفوظا لك في حالتي النوم واليقظة ، وقيل : تقرأه في يسر وسهولة . قوله صلى الله عليه وسلم : (فقلت : رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة)، أي : يشدخوه ويشجوه ، كما يشدخ الخبز ، أي : يكسر . قوله تعالى : { واغزهم نغزك } بضم النون ، أي : نعينك .

قوله صلى الله عليه وسلم : (وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف) فقوله : (ومسلم) مجرور معطوف على ذي قربى ، وقوله : (مقسط) أي : عادل . قوله صلى الله عليه وسلم : (الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يبتغون أهلا ولا مالا) فقوله : (زبر) بفتح الزاي وإسكان الموحدة أي : لا عقل له يزبره ويمنعه مما لا ينبغي ، وقيل : هو الذي لا مال له ، وقيل : الذي ليس عنده ما يعتمده ، وقوله : (لا يتبعون)أي : لا يطلبون .

قوله صلى الله عليه وسلم : (والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه) معنى (لا يخفى) لا يظهر . قوله : (وذكر البخل والكذب) هي في أكثر النسخ (أو الكذب) بأو ، وفي بعضها (والكذب) بالواو ، والأول هو المشهور في نسخ بلادنا ،وأما (الشنظير) فبكسر الشين والظاء المعجمتين وإسكان النون بينهما ، وفسره في الحديث بأنه الفحاش وهو السيء الخلق .

قوله : (فيكون ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : نعم والله لقد أدركتهم في الجاهلية . . . إلى آخره) (أبو عبد الله) هو : مطرف بن عبد الله ، والقائل له قتادة ، وقوله : (لقد أدركتهم في الجاهلية) لعله يريد أواخر أمرهم ، وآثار الجاهلية وإلا فمطرف صغير عن إدراك زمن الجاهلية حقيقة وهو يعقل .اهـ

٤٩١

****

الفوائد المستخلصة من أحاديث الباب

الفائدة الأولي : بيان أن الجنة سلعة الله الغالية لا يدخلها أحدٍ إلا بمشقة وجهد وأنها دار المتقين التي أعدها الله لهم جزاء توحيدهم له وعبادتهم أياه وطاعتهم له وصبرهم علي ذلك في دار الدنيا ، وأنها فيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر.

قال تعالى : { إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } (التوبة /١١١) .

***وفي كتاب " حادي الأرواح إلي بلاد الفراح/ص٦٦-٦٧" لأبن القيم** بيان وشرح نفيس لهذه الأية

قال رحمه الله تعالي :

" فجعل سبحانه ها هنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد .

أحدها : إخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة إن .

الثاني : الإخبار بذلك بصيغة الماضي ، الذي وقع وثبت واستقر .

٤٩٢

الثالث : إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه . وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع .
الرابع : أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه .
الخامس : أنه أتي بصيغة على التي للوجوب إعلاماً لعباده ، بأن ذلك حق عليه ، أحقه هو على نفسه .
السادس : أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه .
السابع : أنه أخبر عن محل هذا الوعد ، وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء ، وهي التوراة ، والإنجيل ، والقرآن .
الثامن :إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار ، وأنه لا أحد أوفى بعده منه سبحانه .
التاسع : أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضاً بشارة من قد تم له القد ولزم ، بحيث لا يثبت فيه خيار و بعرض له ما يفسخه .
العاشر : أنه أخبرهم إخباراً مؤكد بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم ، والبيع ههنا بمعنى البيع الذي أخذوه بهاذا الثمن وهو الجنة ، وقوله : بايعتم به أي عاوضتم وثامنتم به . ا **á**
** ثم قال رحمه الله في باب أخر من الكتاب عن وصفها كلام يشرح الصدور ويدفع الإنسان إلي المزيد من الجهد والطاعة للفوز بها ..قال رحمه الله تعالي :

كيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقراً لأحبابه ، وملأها من رحمته وكرامته ورضونه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير وأودعها جميع الخير بحذافيره وطهرها من كل عيب وآفة ونقص ،فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران ، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن

،وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر ، وإن سألت حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر ،
وإن سألت عن بنائها فلبنه من فضه ولبنه من ذهب .
وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضه لا من الحطب و الخشب ، وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل .
وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل ، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى .
وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وإن سألت عن شرابهم فالتنسيم والزنجبيل والكافور ، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير .
وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها ، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائه عام لا يقطعها ، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسروره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام .
وإن سألت عن خيامها وقبابها ، فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من تلك الخيام ، وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار ، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار .
وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب ، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب ، وإن سألت عن أرائكها فهي

٤٩٤

الأسرة عليها (البشخانات) وهي الحجال مزررة بأزرار الذهب ، فمالها من فروج ولا خلال . وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر ، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين ، وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين ، وأعلى منهما خطاب رب العالمين .

وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها ، فنجائب إن شاء الله مما شاء تسير بهم حيث شاءوا من الجنان ، وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرءوس ملابس التيجان ، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون .

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم ، فهن الكواعب الأتراب اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب ، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود ، وللرمان ماتضمنته النهود، واللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور ، وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور ، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ، ويضئ البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت ، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء في تقابل النيرين ، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبيبين ، وإن ضمها إليه، فما ظنك بتاعنق الغصنين ، ويرى وجهه في صحن خدها ، كما يرى في المرآة التي جلاها صيقلها ، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها ، لو اطلعت على الدنيا لملأت مابين الأرض والسماء ريحاً .

وأفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ولتزخرف لها مابين الخافقين ، ولا غمضت عن غيرها كل عين ، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ، ولآمن من على ظهرها بالله الحي القيوم ، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها ، ولا يزداد على طول الأحقاب إلا حسنا وجمالاً ، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً مبرأة

٤٩٥

من الحبل والولادة والحيض والنفاس ، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس ، لا يفني شبابها ، ولا تبلى ثيابها ولا يخلق ثوب جمالها ، ولا يمل طيب وصالها ، قد قصرت طرفها على زوجها ، فلا تطمح لأحد سواه وقر طرفه عليها في غاية أمنيته وهواه ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أمرها بطاعنه أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته ، فهو منها في غاية الأماني هذا لم يطمئها قبله إنس ولا جان ، كلما نظر إليها ملأت قلبه سروراً ، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظوماً ومنثوراً ، وإن برزت ملأت القصر والغرفة نوراً . وإن سالت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب ، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفي بياض في أحسن حور ، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأعصان ، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب ، ونهودهن كألطف الرمان ، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان ، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان ، اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان ، فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس وقرة النواظر .

وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العرب المتحببات إلي الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أى امتزاج .

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها ، وإذ انتقلت من قصر إلي قصر قلت : هذه الشمس متنقلة في برج فلكها ، وإذا حاضرت زوجها فياحسن تلك المحاضرة ، وإن خاصرته فيالذة تلك المعانقة والمخاطرة .

وحديثها السحر الحلال لو أنه   لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملل وإن هي حدثت   وذا المحدث أنه لم توجز

وإن غنت فيالذة الأبصار والأسماع ، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع . وإ، قبلت فلا شيء أشهى إليه من التقبيل ، وإن نولت فلا ألذ ولا

٤٩٦

أطيب منذلك التنويل . هذا ، وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبية ، كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه ، وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد . ا á

***الفائدة الثانية : بيان أن النار دار المتكبرين والمتجبرين و فيها من العذاب الشديد ما أعده الله تعالي للذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وعصوا ربهم واتبعوا أهوائهم وشياطينهم وشهواتهم، ويظلوا فيها حتي يطهرهم الله من ذنوبهم ثم يخرجهم برحمته وفضله ويدخلهم الجنة .**

وهاهوبعض ما جاء من نصوص في وصف النار ومافيها من عذاب ووعيد من كتاب الله وسنة رسول الله e ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة والله المستعان.
قال الله تعالى :
" يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً وقودها الناس و الحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون " التحريم/٦
و قال تعالى : " فاتقوا النار التي وقودها الناس و الحجارة أعدت للكافرين " . البقرة /٢٤٥
و قال تعالى : " و اتقوا النار التي أعدت للكافرين " . ال عمران/١٣١
و قال تعالى : " فأنذرتكم ناراً تلظى " .الليل/١٣
و قال تعالى : " لهم من فوقهم ظلل من النار و من تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون "الزمر/١٦

٤٩٧

و قال تعالى : " وما هي إلا ذكرى للبشر * كلا والقمر * والليل إذ أدبر * والصبح إذا أسفر * إنها لإحدى الكبر * نذيرا للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر " .المدثر ٣١-٣٧

- " و عن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : (اتقوا النار قال : و أشاح ، ثم قال : اتقوا النار ، ثم أعرض و أشاح ثلاثاً ، حتى ظننا أنه ينظر إليها ، ثم قال : اتقوا النار و لو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة) ، خرجاه في الصحيحين .

- و في الصحيحين " عن أبي هريرة ، (عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال : إنما مثلي و مثل أمتي ، كمثل رجل استوقد ناراً ، فجعلت الدواب و الفراش يقعن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار ، و أنتم تقتحمون فيها " و في رواية لمسلم " مثلي كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش و هذه الدواب التي في النار يقعن فيها ، و جعل يحجزهن و يغلبنه فيقتحمن فيها قال : فذلكم مثلي و مثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار ، هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني و تقتحمون فيها " .

و في رواية للإمام أحمد " مثلي و مثلكم ـ أيتها الأمة ـ كمثل رجل أوقد ناراً بليل ، فأقبلت إليها هذه الفراش و الذباب التي تغشى النار ، فجعل يذبها و يغلبنه إلا تقحماً في النار ، و أنا آخذ بحجزكم أدعوكم إلى الجنة و تغلبوني إلا تقحماً في النار " .

- و في صحيح مسلم " عن أبي هريرة ، قال : لما نزلت هذه الآية :
" و أنذر عشيرتك الأقربين " . دعا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قريشاً فاجتمعوا ، فعم و خص ، فقال :
يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا

٤٩٨

أنفسكم من النـار ، يـا بنـي هاشم أنقذوا أنفسكم من النـار ، يا بنـي عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النـار ، يـا فاطمـة بنت محمد أنقذي نفسك من النـار ، فـإني لا أملك لكم من الله شيئاً " .
*وعشـرات مـن الأحاديـث تـارة بالترغيـب للهـروب منهـا والتمـاس طـرق النجـاة وتـارة أخري بالترهيب منها بارتكاب الموبقات وإلـي القـاريء الكريم اهدي إليـه كمسك لختـام هذه الفائدة موعظـة نفيسـة من مـواعظ ابـن الجـوزي – رحمـه الله تعالي ذكرها في الفصل الحادي عشر تحت عنوان (احذر النـار:١/ ص ٨٧) فـي كتابه المواظ المسمي بأسمه قال :
إخـواني : لقد خـاب من آثـار شـهوةً من حـرام ، فـإن عقباهـا تجـرع حمـيم آن ، وخسر - والله - من أطلق نفسه فيما تريد ، بعد أن سمع الزبانية وأغلال الحديد ، وهلك كل الهلك وبار كل البوار ، من اشترى لذة ساعة بعذاب النار .
قال أبـو هريـرة رضـي الله عنـه : قـال النبـي صـلى الله عليـه وسلم : " أوقد علـى النار ألف سنة حتـى احمرت ، ثم أوقد عليهـا ألـف سنة حتـى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة " .
وروى أبو هريرة رضـي الله عنه عن النبي صـلى الله عليـه وسلم أنـه قـال : " ناركم هذه مما يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءاً من جهنم " .
وروى ابن مسعود رضـي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـه قـال : " يؤتـى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمـام سبعون ألـف ملك ، يجرونها " .
وقـال وهـب بـن منبـه : إذا سيرت الجبـال ، فسـمعت حسيس النـار ، نقيضـها وزفيرهـا وشـهيقها ، صـرخت الجبـال كمـا تصـرخ النسـاء ، ثـم يرجـع أوائلهـا على أواخرها يدق بعضها بعضاً .

وفي المسند عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يعظم أهل النار حتى إن بين شحمة أذن أحدهم وعاتقه سبعمائة عام ، وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً ، وإن ضرسه مثل أحد " .
وروى الزهري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الحميم ليصب على رءوسهم (فينفذ الحميم) حتى يخلص إلى جوفه فيلهب ما في جوفه ، حتى يمرق من قدميه ، وهو الصهر ثم يعاد كما كان " .
وقال أبو موسى : أهل النار يبكون الدموع حتى تنقطع ثم يبكون الدماء حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت .
لله در أقوام أذهبوا أعمارهم في طلبي وأتبعوا أعضاءهم في فرضي وواجبي وقطعوا
قواطعهم لأجل التعلق بي ، وحلموا عن الجهال خوفاً من غضبي ، فإذا مروا على النار ،
قالت : جرياً يا مؤمن فقد أطفأ نورك نورك لهبي .
إذا رأت النار من جاهد بالخير ، وما خافت خافت ، وإذا شاهدت نفوساً طال ما صافت صافت ، وإذا عاينت أجساماً ما نبتت من الحرام وعافت عافت .
هلا تشبهت يا هذا بهؤلاء القوم ، هلا تنبهت من هذا الرقاد والنوم ، وأنت وقت العشاء نائم ، وقلبك في حب شهوات البهائم [هائم] ، قل للذي ألجأه عاجل لهوه عن حظه ، يحكي البهائم هائماً : أمسنا الفنا ، خذ حكمة تخصنا بها ، فانظر ولا تبغ الفنا يا نائم ،
يا هذا : المحب يطرد فلا يزول وأنت تدعى فلا تجب .
كم ليلة ينادي - وأنت غائب - : هل من سائل ؟ هل من تائب ؟
فإن تمنعوا مني السلام فإنني لغاد على حيطانكم فمسلم

رحم الله عظماً طالما نصبت وانتصبت ، فإذا جن الليل عليهم فتمكن وثبت وثبت ، إن ذكرت عدله رهبت وهربت ، وإن تفكرت فضله فرحت وطربت ، اعترف عن طاعته أنها قد أذنبت ، وقامت شاكرة لمن جمعها على إحسانه فنبت ، لا حت لها ذنوبها فبكت عليها وندبت وصاحت بها ألسن الغفران ، فاهتزت وربت :

قف بالديار فهذه آثارهم تبكي الأحبة حسرةً وتشوقاً
كم قد وقفت بها أسائل مخبراً عن أهلها أو صادقاً أو مشفقا
فأجابني داعي الهوى في رسمها فارقت من تهوى فعز الملتقى
طرق الخيال وقال لي يا مدعي أتنام بعد فراق جيران اللقى ؟
وحياتكم قسماً بأني صادق لا طاب لي من بعدكم فيكم بقا
يا سادة مذ حملوا أجمالهم ما أورثني بعدهم إلا الشقا

أترى الأرض خلت منهم أم لم ترهم ، كلا لو وصفت أعمالهم عرفناهم ، أما الأحياء منهم ، فالقطرة تجري مجراهم ، أما أمواتهم فمعنى الأحبار معناهم .
قف يا هذا على قبورهم ونادهم ، واستنشق ريح فضلهم ، فهل المعاني في اجتهادهم ضائر الريحان معهم في وسادهم :

كم قد وقفت وأحبابي بمنزلة تبيت يقظاناً ولهاناً وأهلاناً
فهاجها حين حيانا النسيم بما سقيا وألقى بالجرع حينا
نبكي فيسعدنا كور المطى فهل نحن المشوقون فيها أم مطايانا
ولا من قطر الأشياء ما وجدت كوجدنا العيس بل رقت لشكوانا

وختاما ..أسأل الله تعالى أن يفيد هذا الكتاب المسلمين إنه جواد كريم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

٥٠١

وكتبه سيد مبارك (أبو بلال)

١٠ / جمادي الاخرة١٤٢٤ هـ- الموافق ٨ / أغسطس٢٠٠٠٣ م

مراجع الكتاب

**** مراجع تفاسير القران :**
١-تفسير القران العظيم لابن كثير
٢- الجامع لأجكام القران للقرطبي
٣- تفسير ابن جرير الطبري

**** مراجع الحديث الشريف:**
١- موطأ الأمام مالك
٢-سنن الترمذي
٣- سنن أبو داود
٤-سنن النسائي
٥- صحيح الأمام البخاري
٦- صحيح الأمام مسلم
٧- سنن الدرامي

٥٠٢

٨- صحيح ابن حبان
٩-مستدرك الحاكم
١٠-مسند الأمام أحمد
١١- مسند أبي يعلي
١٢- شعب الإيمان للبيهقي
١٣- سنن ابن ماجه
١٤- صحيح الجامع للألباني

**** مراجع شروح الأحاديث:**

١-شرح ابن حجر العسقلاني للبخاري
٢- شرح النووي لصحيح مسلم
٣-تحفة الاحوزي للمباركفوري في شرح سنن الترمذي
٤- تهذيب سنن أبو داود لأبن القيم
٥- عون المعبود للأبادي في شرح سنن أبو داود
٦- حاشية السندي في شرح سنن النسائي
٧-فيض القديربشرح الجامع الصغير للمناوي

مراجع في **العقيدة:

١-فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن ال الشيخ
٢- العقيدة الوسطية لأبن تيمية
٣- شرح العقيدة الوسطية لأبن العثيمين
٤-لمعة الأعتقاد لأبن قدامة المقدسي
٥- شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي

٥٠٣

٦-العبودية لأبن تيمية

**** مراجع أخري في الفقه والذكروالرقائق :**

١-نيل الأوطار للشوكاني
٢-الفتاوي الكبري لأبن تيمية
٣-منار السبيل لأبن صنوبان
٤-زاد المعاد لأبن القيم
٥- مدارج السالكين لأبن القيم
٦-حادي الأرواح إلي بلاد الأفراح لأبن القيم
٧-الداء والدواء لأبن القيم
٨- طريق الهجربين وباب السعادثين
٩- البداية والنهاية لأبن كثير
١٠-تسلية أهل المصائب للمنبجي
١١-مواعظ أبن الجوزي
١٢-الأذكار للنوووي
١٣-الوابل الطيب من الكلم الطيب لأبن القيم
١٤-الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
١٥- أعلام النبوة للماوردي

٥٠٤

فهرس الكتاب

****

٥٠٥

٥٠٦

-الشرح والبيان .

*الحديث الخامس:(قرصت نملة نبيا من الأنبياء...)

- الشرح والبيان .

الحديث السادس: (..لا ينبغي لعبد أن يقول إنه خير من يونس بن متى)

- الشرح والبيان.

*الحديث السابع:(بينا أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب..)

*الحديث الثامن: (أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم..)

*الحديث التاسع:(أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه..)

*الحديث العاشر:(يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة.....)

**الفوائد المستخلصة من أحاديث الباب .

***** الباب الثالث:ماجاء في فضل نبينا وشفاعته**

*الحديث الأول :(يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون...)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثاني: (فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ...)

....

- الشرح والبيان .

*الحديث الثالث(أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ..)

- الشرح والبيان .

*الحديث الرابع (... إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك)

- الشرح والبيان .

*الحديث الخامس :(أمَا يُرْضِيكَ أن لا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِن أُمَّتِكَ إلا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا)

- الشرح والبيان .

**الحديث السادس:(ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا فلما جئت إلى السماء الدنيا..)

- الشرح والبيان .

* الحديث السابع :("يَجِيءُ النَبِيُ وَمَعَهُ الرَجُلاَنِ، وَيَجِيءُ النَبِيُ وَمَعَهُ الثَلاَثَةُ)

- الشرح والبيان .

** الفوائد المستخلصة من أحاديث الباب .

***** الباب الرابع:ما جاء في رحمة الله تعالي**

*الحديث الأول(...من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثاني :(إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك...)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثالث (.إن رجلا حضره الموت فلما يئس من الحياة ...)

- الشرح والبيان .

*الحديث الرابع : (إن رحمتي تغلب غضبي)

- الشرح والبيان .

*الحديث الخامس: (...أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي)

- الشرح والبيان .

*الحديث السادس: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا...)

- الشرح والبيان .

*الحديث السابع : (كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد..)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثامن:(وَعِزَّتِي وجَلالِي لا أجمع لعَبْدِي أمنَيْنِ ولا خَوْفَين...)

- الشرح والبيان .

*الحديث التاسع :(قال إن ربك ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي...)

- الشرح والبيان .

*الحديث العاشر : (ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا..)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثالث عشر :(أنا عند ظن عبدي بي إن ظن بي خيرا فله وإن ظن شرا فله)

- الشرح والبيان .

*الحديث الرابع عشر : (أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها)

- الشرح والبيان .

** الفوائد المستخلصة من أحاديث الباب .

***** الباب الحامس : ماجاء في محبة الله للعبد**

*الحديث الأول: (إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا ...)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثاني : (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه....)

- الشرح والبيان

*الحديث الثالث: (قال الله عز وجل هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟...)

- الشرح والبيان

*الحديث الرابع: (أين المتحابون بجلا لي اليوم أظلهم في ظلي..)

- الشرح والبيان .

*الحديث الخامس :(قال الله إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه...)

- الشرح والبيان .

*الحديث السادس:(وَجَبَت مَحَبَّتِي للمُتَحَابِّين فِيَّ والمُتَجَالِسِين فِي..)ً

- الشرح والبيان

**الحديث السابع:(المُتحَابُّونَ في جلا لي لهم منابر من نور ...)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثامن :(ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله ....)

- الشرح والبيان

* الفوائد المستخلصة من أحاديث الباب .

*****الباب السادس: ما جاء في الصبر علي البلاء**

*الحديث الأول : (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة..)

- الشرح والبيان .

الحديث الثاني : (ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه...)

- الشرح والبيان.

* الحديث الثالث : (...ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد)

- الشرح والبيان .

*الحديث الرابع : (إنَّ العَبْدَ إذَا مَرِضَ أوحَى الله إلى ملائكته...)

-

*الحديث الخامس: (هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا..)

*الحديث السادس(إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده...)

***** الباب السابع : ماجاء في الظلم وحقوق المسلمين**

*الحديث الاول:(تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس..)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثاني : (يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين...)

- الشرح والبيان .

الحديث الثالث : (خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم..)

- الشرح والبيان .

*الحديث الرابع : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما...)

- الشرح والبيان .

*الحديث الخامس:(...بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة)

- الشرح والبيان .

* الحديث السادس:(إن الله عز وجل ليدعو بصاحب الدين يوم القيامة)

- الشرح والبيان .

* الحديث السابع: (ثلاثةلا يُكَلِّمُهُمْ اللَّه يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ...)

- الشرح والبيان .

** الحديث الثامن : (قال الله ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة..)

الشرح والبيان .

* الحديث التاسع : (الله تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ: أنْ تَوَاضَعُوا ..)

- الشرح والبيان .

* الحديث العاشر : (الكِبرِياءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِي رِدَائِي قَصَمْتُه)

- الشرح والبيان .

* الحديث الحادي عشر : (وَعِزَّتِي وجَلالي لأنصُرَنَّكَ ولَو بَعْدَ حِيْن.")

- الشرح والبيان .

*الحديث الثاني عشر : ا(بن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه..)

- الشرح والبيان .

** الحديث الثالث عشر:(ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان)

- الشرح والبيان .

**الفوائد المستخلصة من أحاديث الباب

***** الباب الثامن : ماجاء في ذكر الله تعالي**

*الحديث الأول :(... صدق عبدي لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثاني : (أنا عند ظن عبدي وأنا معه حين يذكرني...)

- الشرح والبيان .

** الحديث الثالث: (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر..)

- الشرح والبيان .

*الحديث الرابع: (أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه)

- الشرح والبيان .

*الحديث الخامس:(ألا أدُلُّك على كَلِمَةٍ مِن تَحْتِ العَرْشِ، مِن كَنْزِ الجَنَّة ؟)

- الشرح والبيان .

*الحديث السادس :(قال الرب وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني)

- الشرح والبيان .

*** الفوائد المستخلصة من أحاديث الباب .

***** الباب التاسع : ما جاء في الصلاة والصيام والقران .**

*الحديث الثاني :(.... فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي..)

- الشرح والبيان .

*الحديث الاول : (...لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثالث(قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل...)

- الشرح والبيان .

*الحديث الرابع : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار...)

- الشرح والبيان .

*الحديث الخامس: (ابن آدم اركع لي من أول النهار أربع ركعات أكفك آخره)

- الشرح والبيان .

*الحديث السادس:(... يا محمد قلت لبيك رب قال فيم يختصم الملأ الأعلى..)

- الشرح والبيان .

*الحديث السابع(يقول يعجب ربك من راعي غنم...)

- الشرح والبيان .

* الحديث الثامن:(إني قد فَرَضْتُ على أمَّتِكَ خَمْسَ صلواتٍ...)

- الشرح والبيان .

*الحديث التاسع (أبْشِرُوا،هذا رَبُكُم قد فَتحَ باباً من أبوابِ السماءِ ...)

- الشرح والبيان .

* الحديث العاشر: (عجب ربنا عز وجل من رجلين....)

- الشرح والبيان .

* الحديث الحادي عشر: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة..)

- الشرح والبيان .

* الحديث الثاني عشر :(...انظروا إلى عبادي أتوني شعثا غبرا)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثالث عشر: (إن الله عز وجل يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف..)

- الشرح والبيان .

* الحديث الرابع عشر :(يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة..)

- الشرح والبيان .

*الحديث الخامس عشر: (ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن.)

- الشرح والبيان .

*** الفوائد المستخلصة من أحاديث الباب .

***** الباب العاشر : ماجاء في الجهاد والشهادة**

٥١٧

*الحديث الأول :(قال انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه..)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثاني . (...لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم)

-الشرح والبيان .

*الحديث الثالث: (...يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى)

-الشرح والبيان .

*الحديث الرابع :(أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك...)

الشرح والبيان .

***الفوائد المستخلصة من أحاديث الباب .

***** الباب الحادي عشر : ما جاء في الفتن**

*الحديث الأول :(إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها...)

- الشرح والبيان .

٥١٨

*الحديث الثاني :(إنَّ نَبِيَّاً فِيمَن كَانَ قَبْلَكُم أعجَبَتْهُ كَثرَةُ أُمَتِهِ...)

-الشرح والبيان .
* الحديث الثالث (إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا..)

- الشرح والبيان .
*** الفوائد المستخلصة من أحاديث الباب .

***** الباب الثاني عشر : ماجاء في الحساب يوم القيامة**

*الحديث الأول : (إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد....)

-الشرح والبيان .

*الحديث الثاني:(... فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار...)

- الشرح والبيان .

* الحديث الثالث : (يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة..)

- الشرح والبيان .

*الحديث الرابع (يَجْمَعُ الله النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ...)

- الشرح والبيان .

* الحديث الخامس (.. يا رب أنى لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك)

٥١٩

- الشرح والبيان .

*الحديث السادس: (...ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل)

- الشرح والبيان .

*الحديث السابع (.. يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها)

- الشرح والبيان .

* الحديث الثامن:(يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول..)

- الشرح والبيان .

* الحديث التاسع :(ما مَنَعَكَ إذْ رأيتَ المُنكرَ أن تُنكِرَهُ ؟..)

-الشرح والبيان .

**الحديث العاشر:(يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ...)

-الشرح والبيان .

**الفوائد المستخلصة من أحاديث الباب .

******- الباب الثالث عشر : ماجاء في الشفاعة**

* الحديث الأول : (يجمع الله الناس يوم القيامة...)

- الشرح والبيان .

* الحديث الثاني:(أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك..)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثالث: (أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد...)

-الشرح والبيان .

* الحديث الرابع:(أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون..)

- الشرح والبيان .

* الحديث الخامس : (إذا خلص الله المؤمنين من النار وأمنوا...)

- الشرح والبيان .

** الفوائد المستخلصة من أحاديث الباب .

***** الباب الرابع عشر: ما جاء في الجنة والنار**

*الحديث الأول : (ياآدم أخرج بعث النار...)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثاني: (أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل...)

- الشرح والبيان .

*الحديث الثالث: (.. ويلك يا ابن آدم ما أغدرك..)

- الشرح والبيان .

*الحديث االرابع:(إنـي لأعلم آخر أهل النـار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا....)

-الشرح والبيان .

*الحديث الخامس:(أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر...)

- الشرح والبيان .

*الحديث السادس : (تحاجت الجنة والنار فقالت النار...)

- الشرح والبيان .

*الحديث السابع: (...أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا)

- الشرح والبيان.

*الحديث الثامن (لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر إليها...)

- الشرح والبيان .

*الحديث التاسع: (أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة...)

- الشرح والبيان .

*الحديث العاشر:(وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق ....)

-الشرح والبيان .

٥٢٢

** الفوائد المستخلصة من أحاديث الباب .

***** خاتمة وفهرس**